مجلة
المؤرخ العربي

رئيس التحرير

الدكتور حسين أمين

الأمين العام

لاتحاد المؤرخين العرب

العدد الثاني عشر

١٢

١٩٨٠

مجلة تصدرها

الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب

بغداد - العراق

طبع على نفقة

مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة

الجمهورية العراقية

مطبعة الارشاد - بغداد

مقدمـــة

ان موضوع الخليج العربي ، يحتل مكانة مهمة في تاريخنا العربي عامة ، لما لهذه المنطقة من اهمية استراتيجية كبيرة في السياسة الدولية .

ان الامانة العامة للاتحاد بادرت الى اصدار هذا العدد الخاص بالخليج العربي ايمانا منها بما لهذا الموضوع من مكانة أساسية ومهمة في الوضع العربي الراهن وما لاصالته العربية واسهامه الحضـاري في تاريخ الامـــة العربيـة والتراث الانســاني .

من هذا المنطلق الحضاري دعت الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب الباحثين والمؤرخين في جميع انحاء الوطن العربي للاسـهام في تحرير هـــذا العدد الذي يبحث في تاريخ هذه المنطقة العربية المهمة سياسيا واقتصاديـا وعسكريا واجتماعيا ، اضافة الى مكانتها الحضارية العريقه .

وباسم اتحاد المؤرخين العرب ابارك جهود المخلصين الذين أسهموا في تحرير هذا الجزء من مجلة المؤرخ العربي واتقدم بجزيل الشكر الى رئاسـة جامعة البصرة لتفضلها بالموافقة على تحمل نفقات طباعتـه دعمـا للمؤرخ العربي وتعضيدا لاتحاد المؤرخين العرب .

الدكتور حســين امــين
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

اللجنة الاستشارية

قائمة باسماء بحوث العدد الثاني عشر الخاص بالخليج العربي

مقدمـــة

١ ـ دراسة تاريخية للخليج العربي

الدكتور حسين امين/العراق

٢ ـ الخليج عند اليونـان واللاتـين

الدكتور جـواد علـي/العراق

٣ ـ النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية

السيد رضا جواد الهاشمي/العراق/بغداد

٤ ـ العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الاقصى واثر ذلـك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى

الدكتور احمد عبدالحميد الشامي/السعودية

٥ ـ سامي خوتده فى منفاه بجزيرة هنجام في الخليج العربي

الدكتور محمد حسين الزبيدي/العراق/بغداد

٦ ـ المصادر التاريخية لتجارة الخليج العربي خلال العصور الوسـطى الاســلامية

الدكتور لبيد ابراهيم احمد/العراق/البصرة

٧ ـ الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي

الدكتور عبدالامير محمد امين/العراق/بغداد

٨ ـ التهديد البرتغالى لسواحل جزيرة العرب

الدكتور حسن احمد محمود/مصـر

٩ ـ الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة مسقط وعمان اثناء الحـــرب العالمية الثانيـة

الدكتور رافت غنيمي الشيخ/قطـر

١٥ـ من هم أقدم سكان الساحل العربي في الخليج منـذ فجر التاريخ حتـى ظهـور الاســلام

الاستاذ جعفر الخليلي/العراق/بغداد

١١ـ الهجرة العمالية والتغير في مجتمع الخليج العربي بالكويت

الدكتور محمد محجوب/مصر

١٢ـ معركة النفط في الخليج العربي

ترجمة الدكتور هاشم صالح مهدي/العراق/بغداد

١٣ـ الوجود التركي في قطر ١٨٧١ ـ ١٩١٥

الاستاذ احمد العناني/قطر

١٤ـ سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية/وثائق فاطمية معاصرة

الاستاذ عبدالمنعم ماجد/مصر

١٥ ـ القوى الاستعمارية والخليج العربي ١٦٠٠ ـ ١٩١٤

الاستاذ عباس ياسر الزيدي/العراق/بغداد

دراسة تاريخية للخليج العربي

الدكتور حسين امين
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

برز الخليج العربي كموقع له اهميته الكبيرة في تاريخنا الحديث والمعاصر ، كما صار له دوره المؤثر في توجيه السياسة الدولية ، وانني اذ أقدم هذه الدراسة المختصرة كمقدمة لبحث أقوم بأعداده خدمة للتاريخ وابرازا للحقائق الناصعة التي تضع امامنا الخطوط الرئيسة لفهم تراثنا الخالد .

يقع الخليج العربي في الجنوب الشرقي للوطن العربي الكبير ، ويبلغ طوله ٥٠٠ ميلا وتتفاوت ابعاد عرضه بين ٢٠٠ ميلا الى نحو ٥٠ ميلا ، ويصب في الخليج شط العرب الذى يتكون اصلا من نهري دجلة الفرات ، واهم الاقطار المطلة عليه : العراق والكويت والبحرين والسعودية وقطر والامارات العربية وعمان وايران .

ان هذه المنطقة لها اصالة بعيدة في التاريخ ولعبت دورا مهما في بناء الكيان الحضاري الانساني في العصور القديمة ، ومما لاشك فيه ان العراق يكون الجزء الاصيل والمهم من التكوينات الحضارية الاولى في منطقة الخليج العربي ، حيث قامت اولى الحضارات الانسانية كحضارة السومريين والبابليين والآشوريين ، وظهرت المدن الشهيرة في العصور القديمة كمدينة اور والوركاء وأريدو ولجش وغيرها من المدن التي شهدت مولدتلك الحضارات

والتي أمتدت مظاهرها الى الجنوب الى المستوطنات الحضارية التي كانت في مناطق مختلفة من خليجنا العربي •

وعلى امتداد الخليج العربي وبخاصة في المواطن العربية على ساحله الغربي نتلمس الآثار الحضارية التي عرفت في وادي الرافدين متوافرة في فيلكا والبحرين ومناطق عديدة من دولة الامارات العربية وقطر ، وفي عمان• ان تلك الآثار ان دلت على شيء فانما تدل على صلة الوصل الاكيدة التي تثبت العلاقات الوطيدة بين العراقيين القدماء صانعي الحضارة العريقة وبين اخوتهم ابناء الخليج العربي •

صحيح ان هناك تأثيرات حضارية من مراكز اخرى متوافرة في بعض مناطق الخليج العربي فهذا ان دل على شيء فانما يدل على اهمية هذه المنطقة وانها كانت بلا شك ملتقى الحضارات القديمة فهناك بعض الآثار اليونانية وآثار هندية من حضارة وادي السند وغيرها من المظاهر الحضارية ، الا انها لا تنفي قطعا شدة تأثر المنطقة بالمؤثرات الحضارية التي تميزت بها حضارة وادي الرافدين ، واعتقد ان المستقبل سيكشف عن آثار غاية في الاهمية ستعمل على تغيير الكثير من المفاهيم التاريخية وتساعدنا على التوصل الى حقائق مهمة •

وانني ارى ان منطقة الخليج العربي تأثرت في القديم بثلاث حضارات قديمة ، حضارة وادي الرافدين وحضارة الفنيقيين وحضارة اليونانيين ، وهذا لا يمنع المنطقة كما اشرت سابقا من ان تتأثر بالحضارات القديمة الاخرى لما للمنطقة من اهمية كبيرة ، ومن هذا المنطلق اعتقد ان العلماء المختصين سيتوصلون نتيجة جهودهم العلمية الى الكشف عن تلك التأثيرات المهمة ، واني ارى ان الكشف الواسع عنها سيضعنا امام حضارة رائعة جمعت بين اصالة حضارة وادي الرافدين ومظاهر حضارة الفنيقيين وقمة حضارة

اليونانيين وانصهار تلك الحضارة في هذا الجزء المهم من وطننا العربي •

ان المنطقة التي نتحدث عنها كانت موطن العروبة منذ القدم البعيد واستوطنت فيها القبائل العربية التي كان من اشهرها قبيلة الازد ، والتي كان لها الدور الكبير في اظهار الملامح العربية في هذه المنطقة ، وقبيلة عبدالقيس وتميم •

وظهرت الدعوة الاسلامية في مكة ثم هاجر الرسول (ص) الى المدينة ومن هنا بدأ (ص) الاتصال بالعناصر العربية الحضرية في مناطق الخليج ففي سنة ثمان للهجرة بعث الرسول (ص) الصحابي ابا زيد الانصاري وهو احد من جمع القرآن ايام الرسول (ص) وبعث عمرو ابن العاص الى عبيد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه يدعوهما فيه الى الاسلام فاوصلا كتاب الرسول محمد (ص) اليهما فاسلما ودعوا العرب هناك الى الاسلام فاجابوا اليه ورغبوا فيه ، فلم يزل عمرو بن العاص وأبو زيد الانصاري بعمان حتى قبض رسول الله (ص) •

ولما توفي رسول الله (ص) ارتدت الازد وعليها لقيط بن مالك وانحازت الى دبا فوجه ابو بكر (رض) اليهم جذيفة بن محصن البارقي من الازد وعكرمة بن ابي جهل بن هشام المخزومي ، فواقعا لقيط بن مالك ومن معه ، وانتصرت جيوش المسلمين وعادت العرب الى دين الاسلام وولى ابو بكر (رض) حذيفة بن محصن عمان •

وكان الرسول (ص) قد اوفد العلاء الحضرمي الى المنذر بن ساوى التميمي حاكم البحرين من قبل الفرس يدعوه واهل البحرين الى الاسلام ، والتقى العلاء الحضرمي بالمنذر بن ساوى وابلغه الرسالة واوضح له المبادىء الاسلامية النبيلة ، واسلم المنذر كما اسلم اهل البحرين •

وذكر ابن سعد ان الرسول استقبل في المدينة عشرين رجلا من اهل

البحرين وعلى رأسهم عبدالله بن عوف الاشبح وكان معهم بشر بن عمرو المعروف بالجارود ، وكان الجارود من مشاهير رجالات البحرين في عهد الرسول (ص) ، وارتدت البحرين بعد وفاة الرسول وبقي الجارود على الدين الاسلامي وصار يقاوم المرتدين حتـــــى وصلته عساكر المسلمين بقيادة العلاء الحضرمي ، وقد انتصر المسلمون في معـارك متعددة علـى المرتدين • ولعل من اشهر ايام الردة هناك يوم (جواثا) وجواثا حصن لبني عبدالقيس وقد استشهد في ذلك اليوم عبدالله بن سهيل بن عمرو وبعد انتصار العلاء الحضرمي امر الخليفة ابو بكر ان يتولى هذا القائـد ولاية البحريـن •

ان المنطقة التي نتحدث عنها تأثرت تأثرا كبيرا بحركة الفتوح العربية الاسلامية وساهم اهلها العرب المسلمون في نشاطاتها كما تأثرت بالحركات الثورية والفكرية التي برزت على مسرح الحوادث وبخاصة في العصرين الاموي والعباسي •

فظهور الخوارج كحركة سياسية في ايـام الامام علي بن ابي طالب في مدينة الكوفة وانتشرت مبادؤهم الى اطراف الدولة وبالاخص الى المنطقة التي نتحدث عنها ، وكان للخوارج نشاط ملحوظ في كل مـــن البحرين وقطـر وعمان ، فقد ظهـر سنة ٦٦هـ نجدة بن عامر الحروري الحنفي ايام عبدالله بن الزبير في جماعة من بني قومه وانصاره ومن حملة مذهب الخوارج ، واتى البحرين واستقر بها وتسمى بامير المؤمنين وانتشر عماله في اليمامة وعمان وهجر ، ومن قطر برز اشهر قائد للخوارج هو قطري ابن الفجاءة واسمه جعونه بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي مـــن رؤساء الخوارج المعروفين بالازارقة وكان خطيبا وشاعرا وبقي قطري بن الفجاءة ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وامارة المؤمنين ، قتل في بلاد فارس في احدى معاركه ، ومن اشهر شعره :ـ

اقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لاتراعي
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاع
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عز فيطوى عن اخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي وتسلمه المنون الى انقطاع
ومن لايعتبط يسأم ويهرم وداعيه لاهل الارض داعي
وما للمرء خير من حياة اذا ما عدّ من سقط المتاع

يقول ابن خلكان ان هذه الابيات تشجع اجبن خلق الله وما اعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت الا عن نفس أبيّة وشهامة عربية •

وقطرى هو الذى عناه الحريرى في المقامة السادسة بقوله :

((فقلدوه في هذا الامر الزعامة ، تقليد الخوارج ابا نعامة)) ، وكان والحق رجلا شجاعا مقداما كثير الحروب والوقائع ، قوى النفس لا يهاب الموت •

وكانت قطر من مراكز الانطلاق العربي الاسلامي في الفتوح الاسلامية • فقد كانت من مراكز الانقضاض على الدولة الفارسية بالاضافة الى مراكز العرب الاخرى في جنوب العراق والبحرين ، وقد ابلى اهل قطر البلاء العظيم في معارك الشرف وفي نشر المبادىء الاسلامية السامية ، وكانت سواحل هذا القطر العربي الاسلامي من اهم مراكز الانطلاق كما كانت من اهم مراكز الامداد الحربي في معارك الخليج العربي ايام الفتوحات الاولى •

واشتهرت قطر بالثياب القطرية والتي كانت لها شهرة واسعة في الاسواق وقتذاك ، وهي حمر لها اعلام واليها تنسب النجائب القطريات ،

وكان الرسول (ص) قد ارتدى الثياب القطرية كما كان للخليفة عمر بن الخطاب (رض) ازار قطري مرقوع برقعة من جلد .

ومن الجدير بالذكر ان قطر والتي برزت في العصور الاسلامية كبقعة ممتازة شهدت الكثير من المفاجآت والحوادث ، كانت هذه البقعة ذات تراث حضاري ضخم في الماضي السحيق ، ان هذه البقعة والتي ظهر فيها اكثر من ٢٠٠ موقع اثري يظهر بجلاء الاصالة التاريخية لهذا الموقع الحضاري الممتاز والذي يعبر عن وجود مخلفات انسانية متعددة تعبر عن مميزات واضحة لهذا التراث المادي والفكري وعن التراث الانساني من العصر الحجري مختلف الاطوار ومتعدد النماذج ، وان الآثار التي عثر عليها في دخان وعقلة المناصير وقرب الساحل الشرقي في الوصيل شمال الدوحة وغيرها من المواقع تبرز الوجود الحضاري الاصيل في هذا القطر العربي ، وانني على يقين ان ما تشغله قطر من موقع استراتيجي مهم زاخر بالآثار العديدة وبالتراث الانساني الضخم والذي سيظهر قريبا اذا ما باشرت البعثات العلمية في تنقيباتها ، فان الادوات والاشياء التي التقطت من بعض المواقع لا تتناسب وما لهذا القطر من الدور الحضاري في التاريخ القديم ، وانني على ثقة ان النهضة الحديثة في قطر ستعمل على تحقيق ما يهدف اليه العلم وما يتمناه العلماء من الوصول الى حقائق جديدة تبرز هذا القطر لتجعله في مصاف مراكز الحضارات الممتازة في التاريخ . وانني اعتقد ان هناك مخلفات سومرية وفينيقية ويونانية كثيرة كما انني ميال الى وجود آثار لانسان قطر تفرد شخصته التاريخية الاصيلة .

وتأثرت منطقة الخليج العربي بثورة الزنج والتي برزت في البصرة بشكل خاص ، ففي سنة ٢٥٥هـ ظهر في فرات البصرة علي بن محمد الذي ادعى النسب العلوي وجمع حولـه العديد من الفلاحين واستغل

اوضاعهم السيئة وقام بثورة عارمة هددت اركان الدولة العباسية ، وقد استمرت هذه الثورة حوالي ١٥ سنة انتهت بانتصار العباسيين وخفوت هذه الحركة •

ويذكر المؤرخون ان علي بن محمد صاحب الزنج زار البحرين قبيل اعلان الثورة وفي البحرين ادعى علي بن محمد انه ينتسب الى آل علي وتبعه عدد من اهل هجر ورفضت دعوته جماعة ثانية ، ثم خرج الى الاحساء اثر فتنة دامية بين مؤيديه ومعارضيه ، وقد وجد في الاحساء تأييدا ونجاحا كبيرين وبرز نشاطه هناك بشكل ملحوظ ثم هاجر الى البادية ومن هناك انتقل الى البصرة حيث بدأ بتنظيماته واعداده للثورة ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الثورة كانت لها الآثار البعيدة في أحداث تخلف اقتصادي نتيجة للاضطرابات الشديدة التي قاستها المنطقة ، وكانت البحرين من أشد هذه المناطق تأثرا بعد البصرة بنشاط الزنج •

وتأثرت المنطقة بأفكار جديدة • ففي سنة ٢٧٨هـ ظهر القرامطة على مسرح التاريخ كقوة جديدة تناهض الدولة العباسية ، وقد برز نشاط هذه الدعوة في البحرين بصورة خاصة ، حيث استولى الحسن بن بهرام الجنابي ابو سعيد كبير القرامطة على هجر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، وانتصر على جيوش الخلافة العباسية وقد قتل الجنابي سنة ٣٠١ هـ ، وتكونت للقرامطة دولة في الخليج العربي استمرت لاكثر من قرن ونصف ، وبعد وفاة الحسن بن احمد القرمطي سنة ٣٦٧هـ صار أمر القرامطة الى الضعف وبدات تظهر على مسرح الحوادث دولة جديدة هي العيونيين نسبة الى عبدالله بن علي العيوني مؤسس امارة العيونيين والذي انتصر على القرامطة بعد حرب استمرت لاكثر من تسع سنوات في ٤٦٩ هـ ، وبذلك الانتصار انتهى حكم القرامطة في البحرين وضعف شأنهم في جميع انحاء الخليج العربي •

وبرز في القرن السادس الهجري بنو نبهان وهم ينتسبون الى العتيك ابن الاسد بن عمران ، وهم الذين سيطروا على عمان وحكموها خمسمائة عام ، وفي القرن الثامن الهجري استولوا على قطر وحكموها فترة من الزمن •

وفي بدايات القرن السادس عشر الميلادي بدأ البرتغاليون في السيطرة على بعض اجزاء الخليج العربي • ففي سنة ١٥١٧م سيطروا على البحرين وقطر والقطيف ومنذ ذلك الوقت بدأت المنافسات الاستعمارية في هذه المنطقة المهمة من وطننا العربي الكبير • وسوف لا اخوض في الصراع الذي كان سائدا في الخليج بين القوى الطامعة البرتغالية والهولندية والفرنسية والبريطانية والفارسية ، والجهاد العظيم الذي بذله العرب في محاولاتهم العديدة من اجل الحفاظ على ترابهم وتثبيت حقهم التاريخي في المنطقة ، ان ذلك الجهاد الذي ساهمت به كل القوى العربية في عمان والامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والكويت • ان كل تلك الجهود كانت نتيجتها ظهور هذه الدول الفتية والتي اخذت تشق طريقها نحو مستقبل جديد وعالم افضل •

انني اؤكد هنا على ضرورة توحيد الجهود العربية عامة من اجل توحيد الفكر العربي وتثبيت المفاهيم الاساسية لوحدة الشعور من اجل خلق جيل يؤمن بحقه في الحياة وباصالته الحضارية وبمثله المستمدة عبر النضال المرير طوال القرون الماضية •

صحيح اننا قاسينا الكثير من نتائج ضعفنا وتسلط الطامعين علينا ولكن مفهوم التاريخ يحتم علينا ان ندرك الآن موقعنا كأمة لها ماضي عريق وشعب له تراث خالد وان نفهم غاية الفهم الاتجاهات السياسية القائمة في عالمنا وما يخطط له الصديق والطامع ، علينا ان نضع حقائق

التاريخ امامنا ونتفحص عبره وعظاته وان نكـون جميعا في مستـوى المسؤولية . قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسـؤول عن رعيته » ، والمسؤولية هنا ان نعرف حقوقنا وواجباتنا .

ان منطقتنا التي اتحدث عنها لها اهمية استراتيجية كبيرة ، ففضـلا عن ثرواتها الهائلة انها تتمتع بكونها ذات موقع جغرافي حيوي رابـط بين الشرق والغرب وانها حجر الزاوية لكل هدف في المنطقة . هذا ومما لايخفى ان الاستعمار الذي خرج من المنطقة خلّف آثارا متعددة وخطيرة. ان هذه الآثار بلا شك تعمل على تخلف المنطقة وجعلها غير قادرة على ان تؤدي واجبها القومي والحضاري بالشكل المطلوب ، فهـذا التخلـف الواضح في الثقافة والحضارة والعمران والضعف الواضـح في البنـاء الاجتماعي أدلة بينة تؤيد ما نذهب اليه .

ان امام الامة العربية عامة وامام ابناء الخليـج العربـي بخاصـة مسؤولية كبيرة من اجل العمل على تطوير واحداث نقلة شاملة للمجتمع من واقعه المفكك وحالته المتخلفة ، ان التعليم يجب ان يكون في كـل قرية وفي كل بيت وان العملية الحضارية يجب ان يأخـذ بهـا الانسان في كل بقعة من هذا الوطن الكبير ، وان نعي تاريخنا ونحفظ تراثنـا ونؤكد على اصالتنا العربية ومبادئنا الاسلامية السامية ، علينا نحن الذين نشتغل في التاريخ ان نعمل على توحيد مناهج تدريس التاريخ في مراحل التدريس المختلفة الابتدائي والثانوي والجامعي فهذه مهمة المؤرخ الحق وهدف اتحاد المؤرخين العرب الذي يسعى اليه اعتقادا منه ان وحـدة تدريس التاريخ هي وحدة المدارك التاريخية ومن ثـم وحـدة الشعـور العربي الهادف الى خلق وعي تاريخي منظـم وعـلى اسـاس علمي وموضوعـي .

علينا ان نسعى في مهمتنا كمشتغلين في التاريخ الى العمل على تطوير الدراسات التاريخية والعمل على رفع مستوى الباحث العربي ومساعدته بكل ما نستطيع ماديا ومعنويا ، وتحقيق هدف اتحاد المؤرخين العرب والذى يسعى اليه بشكل منسق ومنظم وهو العمل على كتابة تاريخ الامة العربية بشكل موضوعي وبروح علمية تبرز الجوانب الايجابية لذلك التراث الذى ورثناه ، وان نعمل على حفظ ذلك التراث وبخاصة المخطوطات المنتشرة في مكتبات العالم شرقا وغربا وذلك بتصويرها وتحقيق المهم منها •

ان ذلك العمل سيحقق اغراضا علمية سامية ويخلد ذلك التراث ويحفظه من العبث والضياع •

انني اذ اتحدث عن هذه المنطقة العربية والتي تعتبر جزءا مهما من وطننا الكبير ، ابارك هذا التقدم في اقطارها الناهضة وادعو لها بالموفقية ، وارجو ان يكون الخليج العربي مزدهرا قويا ترفرف على سواحله رايات الامن والطمأنينة ويكون ابناؤه في وحدة متماسكة وقوة عظيمة تردع الطامعين وتحفظ الأرض التي ورثناها من الآباء سليمة طاهرة تسودها العزة والكرامة وتكون نواة للوحدة العربية الشاملة •

الخليـج عنـد اليونان واللاتين

الدكتور جـواد علـي

عرف الخليج عند الآشوريين بـ " Nar Marratu " ، أي البحر المرّ ، « البحر المالح »[١] ، وعرف عندهم وعند الأكاديين بالبحر الجنوبي وبالبحر التحتاني ، وبالبحر الاسفل[٢] ، وتعني لفظة " Naru " في البابلية : « نهر » ، و « طريق مائي » و « قنال »[٣] ولفظة " Marratu " ، مستنقع[٤] ، ولوقوع الخليج جنوب العراق أطلقوا عليه البحر الجنوبي ، وأطلقوا « البحر الاعلى » على « البحر المتوسط »[٥] او بحيرة « وان »[٦] .

ولم يرد اسمه في الكتابات الفارسية القديمة – وذلك حسب علمي –

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١/٥٧٦) .
Ancient Iraq, P., 277, Luckenbill, 1, 624.

(٢) Ancient Iraq, P., 129, W. F. Leemans, Trade in the Old Babylonian Period, P., 4, Leiden, 1960, By: A. Barton, The Royal Inscriptions of sumer & Akkad, New Haven, 1924.

(٣) Erich Ebeling, Ylossar zu den Neubabylonischen Briefen, Munchen, 1955, S., 161.

(٤) المصدر نفسه (ص١٣٩) .

(٥) Paulys - Wissowa, 37 ter Halbband, 1937, 1030, Schroeder, Keilschrifttexte aus Assur, Nr: 92.

(٦) Paulys - Wissowa, 1, Funfte Lieferung, S. 374.

لذلك لا أعرف ماذا كان يسمى عندهم(٧) ، وقد ذكر ياقوت الحموي ان الفرس كانوا يسمون الخليج « زراه كامسير » ، « زره كامسير » ، كما قال ان القوم كانوا يسمون قسما منه – وهو القسم الواقع في مدينة مهروبان الى جوار عبادان – باسم زراه « زره » « افونج »(٨) .

وعرف عند اليونان والرومان بـ" Persikos Kolpos "(٩)

وبـ " Sinus Persicus " " Mare Persicus "(١٠)

وبـ " Persicy Pelagos " وبـ " Persicus Colpos "

وبـ " Persicos Mare " بمعنى الخليج الفارسي البحر الفارسي(١١) .

وقد نسب اليونان الخليج الى فارس لان الفرس كانوا اعرف عند الاغريق واكثر اتصالا بهم من العرب ولانهم كانوا حكومة واحدة قوية لها قوة بحرية به فنسبوه اليهم ، وليس في هذه النسبة دلالة على

---

(٧) Paulys - Wissowa, 37 ter Halbband, 1937, 1030.

(٨) مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الرابع ، (١٩٧٨ م) ، (ص٩٨٢) .

(٩) Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 237, (Ed. Meineke).

جواد : تاريخ العرب قبل الاسلام (١/١٢٣) .

(١٠) Wilfred H. Schoff, "Journey, around Parthia, P., 11, Pliny, VI, XXVIII, 108, Vol. 11, P., 420, 421, Paulys - Wissowa, 37ter Halbband, 1937, 1030, Schroeder, Keilschriftexte aus Aussur, Nr. 92.

(١١) جواد : تاريخ العرب (٣/٣٠٦) .

نملك الفرس للخليج ، قال الاصطخري : « وفي هذا البطن من البحر الذي نسبناه خصوصا الى فارس جزاير منها : لافت واوال وخارك وغيرها من الجزاير المسكونة »(١٢) .

فالتسمية اذن انما هي نسبة ، وليس فيها ما يفيد التملك او الاستيلاء .

ومن اليونان والرومان انتقلت هذه التسمية الى غيرهم من الناس ، ومنهم العرب الذين دعوه ب « بحر فارس » و ب « خليج فارس » وب « خليج العجم » وب « بحر العجم » وب « الخليج الفارسي » وب « البحر الفارسي »(١٣) ترجمة للتسمية اليونانية واللاتينية التي اخذوها من الكتب الجغرافية التي نقلوها عن اليونانية الى العربية ولفظة « جغرافيا »

---

(١٢) كتاب الاقاليم (ص١٧) ، (بحر البصرة) ، (الاعلاق النفيسة) (٩٦) .

(١٣) العراق حده في الطول من حد تكريت الى حد عبادان على بحر فارس ، الاصطخري ، كتاب الاقاليم (ص ٤٥) ، «بحر فارس» « بحر الفارسي » كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصارى الصوفي الدمشقى شيخ الربوة ، (ص ١٩ ، ٧٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٨) « خليج فارس » نخبة (١٥٠) .

« ويخرج منه خليج الى ناحية فارس يسمى الخليج الفارسي » الاعلاق النفسية ، لابي علي احمد بن عمر ابن رسته ، ليدن ١٨٩١ (ص ٨٤) ، « البحر الفارسى » سهراب ، كتاب عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة ، (ص ٧٨) ، (ثم يصب الجميع الى بحر فارس « ابن خرداذبه ، المسالك والممالك (ص ٢٣٣) ويصب دجلة في البحر الفارسي ، كتاب الجغرافيا لابى الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي (ص ١٥٩) .

نفسها لفظة معربة نقلت من اليونانية الى العربية ولا زالت حية مستعملة تدل على ذلك الاثر في العربية ٠

ومن هذا الأثر اليوناني على الجغرافيين المسلمين ، اطلاقهم مصطلح «العربية العامرة» وبلاد الأعراب الخصبة « على جزيرة العرب »(١٤) ، وهو ترجمة لمصطلح «Arabia Felix» و «Arabia Beata» و 'Arabia Eudaiman' الذي يعني : العربية السعيدة والعربية الخصيبة عند اليونان واللاتين ، وكانوا قد قسموا بلاد العرب الى اقسام ثلاثة ، هي : العربية السعيدة والعربية الصخرية "Arabia Petrae". والعربية الصحراوية " Arabia Deserta " (١٥) ٠

وحد شمال جزيرة العرب في اصطلاح الجغرافيين العرب من مصب شط العرب في الخليج حتى ينتهي ب « ايلة » وقد مد بعضهم حد بلاد العرب فأدخل فيها البادية الفاصلة بين العراق وبلاد الشام الى ملتقاها بالفرات(١٦) ٠

وقد جعل بعض العلماء المسلمين حد « بحر فارس » «جبل الجمجمة» ، « وهناك جبل اسود شاهق ممدود يسمى الجمجمة هو حد بحر فارس فيمر بأوله مع اتصاله بالبحر وكونه بحرا واحدا الى البصرة الى

(١٤ « بلاد العربية العامرة : وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان » سهراب (ص٤٦) ، (رقم ٥٠٢) ٠

(١٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٦٣/١ وما بعدها) ٠

(١٦) الاصطخري ، كتاب الاقاليم (ص٥ وما بعدها) ، « موضع يعرف بمطارة ، وهو مجمع دجلة والفرات الآن ، اذا انفصلا من البطائح والسيب ، وهناك يكون نهر واحد عظيم يسمى شط العرب » ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر تأليف شيخ الربوة (ص٩٧) ٠

سلماباذان الى خوزستان الى بلد فارس الى كرمان الى مكران وطوران، وهناك آخر حدود بحر فارس » (١٧) ، وذكر شيخ الربوة أن بحر فارس « مثلث الشكل على هيئة القلع احد اضلاعه من البصرة الى رأس الجمحة من بلاد مهرة ، والاخر من البصرة الى تيزمكران ، والثالث يأخذ من رأس الجمحة ويمتد على سطح البحر طوله خمس ماية ميل وطول الضلعين الاخرين حيث يبتدىء من تيز مكران الى أن ينتهي الى الحسا والقطيف(١٨) بالبصرة ثم ينعطف الى رأس الجمحة تسع ماية ميل »(١٩) وذكر « ابن سعيد المغربي أن فم بحر فارس عريض يكون وسعه من صحار الى ساحل الهند »(٢٠) .

وروى أن « حد بحر فارس مما يلي المشرق من فوهة دجلة العوراء وآخره ينتهى الى جزيرة يقال لها : تيزمكران ، ومن هناك يعدّ أول حده السند . وحده مما يلى المغرب من فوهة دجلة العوراء الى أن ينتهى الى غب عدن »(٢١) .

ولم تكن معارف الروم عن الخليج واضحة مثل معارفهم عن الخليج الثاني المسمى عندهم بـ " Sinus Arabicus "" Arabici Sinus " أي « الخليج العربي » ، والذي نسميه : البحر الاحمر ، وهي تسمية دخلت الينا من مصطلح : " Mare Erythraeum " الذي يعنى البحر الاحمر ، وتعنى لفظة ، «Erythraeu» في اليونانية

---

(١٧) نخبة الدهر (ص١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦) .
(١٨) « القطيق » هكذا (ص١٦٦) ، وهو خطأ وصوابه القطيف .
(١٩) نخبة (ص ١١٦) .
(٢٠) كتاب الجغرافيا (ص١١٨) .
(٢١) الاعلاق النفيسة لابن رستة (ص٨٧) .

اللون الاحمر وكان الروم يطلقون هذه التسمية على البحر العربى الذى تقع عليه عدن وحضرموت ، ولهذا نجد الخرائط اليونانية القديمة تسمى البحر الاحمر ب " Sinus Arabicus " أي الخليج العربي ، وتسمى البحر العربى في مصطلحنا اليوم ب Mare Erythraeum و " Mare Rebrum " (٢٢) وذلك بسبب أن هذا الخليج كان على مقربة من الروم ، وتحت نفوذهم ، وقد توغل فيه تجارهم قبل الميلاد بزمان طويل ، أما الخليج ، فقد كان بعيدا عنهم ، وتحت نفوذ حكومات العراق التى كانت تتحكم في أمر الابحار به والاتجار معه .

ولما قام « الاسكندر » الكبير بحملته الكبيرة على العراق وايران والهند ، عهد الى قائده ، « نيرخس » " Nearchus " بالتوغل في الخليج والتوجه منه الى البحر العربى فالبحر الاحمر حيث يصل الى خليج العقبة فمصر فيدخل بذلك جزيرة العرب في املاكه(٢٣) ، وعهد الى القائد ، « هيرون » ، " Hieron " متابعة السواحل ودراسة احوال سكانها ومواضع المرافىء ، واماكن المياه والمنابت ومواضع الشجر فيها ، وتقاليد العرب وعاداتهم واحوالهم ، لتكون جيوشه على بينة من أمرها ليقدم اليه تقريرا يضع عليه تقديره في كيفية الاستيلاء على جزيرة العرب ، فسار منفذا أمر سيده ، ثم عاد اليه دون ان يشير مؤرخ

---

(٢٢) راجع خريطة : « بطليموس » .

(٢٣) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/٣٧١) .

J. Bury, A History of Greece to the Death of Alexander the Great, P., 803, Arrian, History of Alexander and Indica., in 2 Vols, Loeb Classical Library.

الاسكندر « أريان » الى اسم الموضع الذي وصل اليه(٢٤) .

ولم يتمكن جيش الاسكندر الذى كلف بتحقيق المشروع من تحقيق مشروعه ،فقد ذكر « اريان » أنالقائد : « أرشياس » ، " Archias " بلغ جزيرة سماها « تيلس » " Tylus " ولم يتجاوزهـا ، وأن القائد « اندروستينيس » " Androsthenes " بلغ مكانا لميبلغه ارشياس ، و « هيرون »" Hieron " بلغ مكانا قصيا لم يصل اليه القائدان المذكوران ويظن « ارنولد ولسن » " Arnold Wilson " أنه لم يتجاوز موضع « ماكيته » " Maketa " « رأس الخيمة » ، أى " Ras Musandam " « رأس مسندم » ، كما يسـميه الاوربيون ، وهـو " Mons Asabo " عند بلينيوسـس ، أى « رؤوس الجبال »(٢٥) .

وقد نزلت قوات الاسكندر في مواضع من ساحل الخليج ، ولما مات وتراجعت عساكره بقى بعض منهم في مواضعه واقام بها ، مثـل موضـع جزيرة « فيلكه » الذي اظهرت الحفريات التي اجريت فيه عن وجـود حصن فيه من ايام الاسكندر ، وعن العثور على تماثيل للاسكندر وللالهـة الاغريق وعلى قطع من النقود تعود الى ايامه(٢٦) ، وقد استعرب هؤلاء ونسوا اصلهم واندمجوا بالعرب ، كما اندمج غيرهم ممن نزل في مواضـع

---

(٢٤) Anabasis, VII, XX, 8.

(٢٥) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/٣٧٢ ومابعدها) .
The Persian Gulf, P., 40, 43.

(٢٦) Die Araber, IV, S., 68, E Albrechtsen, Alexander the Great's Visiting Card, Kumb, 19588, 186. P. V. Glob, Investigations in Kuwait, 1958, 170.

اخرى من الساحل بسكان السواحل وصاروا منهم ، ونسوا اصلهم ، وصاروا عربا يشاركون العرب في اطوارهم ، ومن هنا نجد بين اهل الساحل عربا يشبهون الاوربيين في الملامح ومنهم من جاء بهم الفرس قهرا الى هذه الاماكن لاسكانهم بها عقوبة لهم بعد وقوعهم في اسرهم .

وجزيرة « فيلكه » من المواضع المأهولة القديمة ، وقد عثر فيها على آثار سكن وبقايا أبنية وهياكل يرجع عهدها الى الالف الثالثة قبل الميلاد(٢٧) .

وقد مونّت هذه الحملة الباحثين الاغريق في تلك الايام ببعض المعارف عن الخليج ، وكان منهم نفر اشتركوا في حملة رجال الاسكندر على الخليج ، وقد ضاعت وياللأسف مؤلفاتهم ، وبقيت اسماؤهم في كتاب « جغرافيا » " Geographica " سترابو الذي عاش بين سنة « ٦٤ » قبل الميلاد وسنة (١٩) بعد الميلاد ، حيث أشار الى نقول نقلها من مؤلفاتهم فهي من موارده المهمة القديمة التي رجع اليها في تأليف كتابه « جغرافيا » الذي تحدث فيه في « الكتاب السادس عشر » عن بلاد العرب وعن حملة « اوليوس كالوس » " Aelius Gallus " التي قام بها بأمر القيصر " Julius Caesar " على العربية الغربية والتي بلغ فيها مدينة مأرب " Marsiaba " وكان سترابو نفسه أحد من رافق الحملة في رأي بعض الباحثين ، وكان صديقا للقائد ، فوصفه اذن هو وصف شاهد عيان(٢٨) .

---

(٢٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١/٥٤٣) .

(٢٨) The Geography of strabo, Translated by Hamilton, London, 1912, in 3 Vols., Strabo, Geographia, Edited by August Meineke, 3 Ed., Leipzig, 1907 - 1913.

ومن اهم المواضع التى ذكر « سترابون » « سترابو » " Strabo "
انها تقع في القسم الشرقيمن جزيرة العرب ، أي الساحل المطل علىالخليج « جرها » " Gerrha " و " Tyre " و " Aradus "
و " Macae "[٢٩] وقد اخذ « سترابو » اخباره عن الخليج من كتاب « ايراتوستنيس "Erathosthenes" ٢٧٦ـ١٩٦ ق٠م
واخذ « ايراتوستنيس » أخباره المذكورة من أفواه رجال عرفوا الخليج وعركوه وشاهدوه وكانت لهم ايام فيه ٠ منهم « نيرخس » قائد الاسكندر و « واندروستنس » ، " Androsthenes " و «ارسطو بولس» ، " Aristobulus " و « اورثاغوراس » " Orthagoras "
وغيرهم ممن كانوا من مشاهير رجال البحر[٣٠] ٠

أما « جرها » " Gerrha " فمدينة تقع على خليج عميــق ، وتقع على مسافة (٢٠٠) « اسطاديون » " Stadia " من البحر[٣١]، وأرضها سبخة ، لذلك زعم اليونان ان بيوتهـا من حجارة الملح ، وان اهلها يرشون جدرانها بالماء عند ارتفاع درجات الحرارة لمنع قشورها مـن السقوط[٣٢] ٠ وقد اشتهرت بغناهـا وبتجارتها التي كانـت تصـل الى

---

(٢٩) Strabo, III, P., 188, Book, XVI, III, 5, 1.
تاريخ العرب قبل الاسلام (١/٤١٧) ٠
(٣٠) Strabo, III, P., 186 - -88, Book, XVI, III, 3 - 6.
(٣١) « اسطاديون » ل " Stadion " . استخدم علماء تقويم البلدان كلمة « اسطاديون » في مقابل " Stadion " ، فاستعملتها أنا أيضا ، والاسطاديون مساحة أربع مئة ذراع ، البلدان (١/١٨)، (تاريخ العرب قبل الاسلام ٢/٤٦٧ وما بعدها) ٠
(٣٢) Pliny 11, P., 448. F.

العراق فتنقل الى " Thapascus " وهي : الدير او الميادين(٣٣) ، والى موانىء البحر الاحمر والمتوسط والىحضرموت حيثتصل في اربعين يوما(٣٤) . ونظرا لغناها هذا ولاشتهار اهلها بالثراء ، طمع فيها الطامعون ونسج الكتاب اليونان حولها نسيجا كثيفا من الاساطير ، فزعموا أنهم اتخذوا آنية من الذهب وجملوا سقوف بيوتهم وأبواب غرفهم بالذهب وبالاحجار الكريمة الغالية ، حملت الملك « انطيوخس الثالث » " Antiochus III " على ارسال حملة عليها للاستيلاء على مافيها . فلما سمعت به أرضته بدفع جزية باهظة ، فأبحر الى جزيرة " Tylos " ومنها الى سلوقية " Selucia " بالعراق(٣٥) .

و " Gerrha " " Gerra " هي " Oppidum Girra " عند بلينيوس وهي مدينة يبلغ محيطها خمسة أميال(٣٦) على زعمه ، ومدينة «Gerra» «Gerra Polis» «Gerraei» عند بطلميوس(٣٧) ، وتقع في أرض سماها : " Gerraei " ذكرها بعد أرض " Attae " وذكر ان من مدن أرض " Gerraei " : " Magindanta "

---

(٣٣) Strabo, III, P., 187, note 1, Musil, Deserta! P. 515, Wilson, P., 30.

(٣٤) Strabo, 111, P., 191, Book, XVI, IV, 4. Wilson, P. 45.

(٣٥) عاصمته في مقابل « طيسفون » ، أي المدائن « سلمان باك » .

(٣٦) Pliny, VI, XXXII, 147-149, Vol. II, P.; 449-451

(٣٧) تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٣٧٨) و Ptolemy, VI, 7. 32.

و "Gerraei" " Bilana " , " Biliana " , " Bilbana "

والى غرب مدينة " Gerra " تقع مدينة " Katara " (٣٨) .

وقد اختلف العلماء في المراد من " Gerrha " فذهب بعض منهم الى انها « العقير » وهي قرية على شاطيء البحر بحذاء هجر(٣٩) ، وتدعى « العجير » في لهجة الناس هناك(٤٠) ، ومنهم من رأى انها الخرائب المعروفة بأبي زهمول مع العقير ، وتكون هذه الخرائب الطرف الثاني من Gerrha الذي يكون الميناء(٤١) ، ومنهم من رأى انها القطيف(٤٢) ، وظن آخرون انها « سلوى » ، الواقعة على ساحل البحر(٤٣) ، ودعاها بعضهم « الجرعاء » وهو موضع قال عنه الهمداني : « وثم ترجع الى البحرين فالاحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتابع عليه العرب»(٤٤) وقد كانت " Gerrha " سوقا تتبايع فيه الناس .

ومن رجح «الجرعاء»، يرى ان هذه الكلمة قريبة جدا من "Gerrha" " Gerra " كما أن موضعها قريب من الموضع المذكور ، ولسبب آخر هو ورود اسم « تميم » مع الجرعاء ، وتميم هو "Themi" عند

---

(٣٨) Ptolemy, VI, 7, 32.

(٣٩) البلدان (٦/١٩٨) .

(٤٠) Cheesman, in Unknown Arabia, P., 28, The Empty quarter, P., 3.

(٤١) Cheesman, P., 28.

(٤٢) Forster, II, PP., 216.

(٤٣) Geogr. Journal., CVLI, 142, Febr. 1946, P. 32.

(٤٤) الصفة (ص ١٧٣ سطر ٢٤) ، Glaser, Skizze, II, S. 75.

بطلميوس في نظر بعض الباحثين[٤٥] ٠

وبعد فلابد من التنبيه الى ان بطلميوس قد ميز بين أرض « جرها » وبين مدينة « جرها » فقد سمي الارض باسم " Gerraei " وسمي المدينة باسم " Gerra Polis " "Gerraei Polis" أي مدينة جرها[٤٦] مما يدل على ان التسمية كانت تشمل أرضا واسعة آنذاك ٠

هذا واني أرى احتمال كون " Gerraei " , " Gerrha " , " Gerra " هي « هجر » وهجر تسمية عربية قديمة تعود الى ما قبل الاسلام ، وقد كانت تشمل منطقة واسعة تضم كل ما عرف بالبحرين فيما بعد كما شملت اسم مدينة ، وقد اشتهرت بتمرها ، وقال « شيخ الربوة » عنها : « وبحيرة هجر في بلاد البحرين وبها وبالبحر الكبير سميت أرض هجر بالبحرين ، وقيل : بل سمي البحرين لان هناك دخلة من الارض في البحر الكبير كالجزيرة وسمي ذلك الموضع البحرين[٤٧] » وقال : « ثم يلي هذا السقع مغربا بلاد البحرين ، ويسمى : القوس ، وهجر اسم واقع على مجموعة وليس باسم مدينة كالشام والعراق وخراسان ومن أمصاره : الاحساء ، وهي القصبة ، وتعرف بأسماء بني سعيد ، يحيط بها غوطة نخل ، والقطيف يحيط بها ساحل البحر ، وساحل هذا السقع يسمى : الخط واليه تنسب الرماح الخطية ، لكنه لا ينبت فيه لانه مكان للتجارة

---

(٤٥) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٤٢٠) ٠
(٤٦) تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/ ٣٧٨) Ptolemy. VI, 7, 32.
(٤٧) نخبة الدهر (ص ١٢١)

بالبضائع »(٤٨)(٤٩) .

وجاء في « تاج العروس » : « وهجر اسم لجميع أرض البحرين » وقال ابن الاثير : بلد معروف بالبحرين ، وقال غيره : هو قصبة بلاد البحرين(٥٠) ويظهر من استعراضنا لآراء العلماء عن هجر ان هذه التسمية القديمة للمنطقة ، ولمدينة كانت بها ، ثم زاحمتها لفظة « البحرين » قبيل الاسلام ،حتى صيرتها فيما بعد في عداد مواضع البحرين .

ولابد وان يكون التجار قد نقلوا التسمية هذه الى اليونان واللاتين وبأسلوب محرف صيرها على الشكل المذكور ، ومع ذلك فجذر هجر موجود في هذه التسمية اليونانية اللاتينية .

وأما " Tyrus " ، " Tyre " فجزيرة من جزر البحرين ، وهي " Tylos " عند « بيلينيوس » " Pliny " (٥١) ، و " Tylus " عند « بطلميوس » من مجموعة جزائر ذكرها معها(٥٢) ويلاحظ وجود شبه بين كلمه " Tylus " وكلمة " Tilmun " أو "Dilmun" الوارده في النصوص الاشوريه ، يحملنا على التفكير باحتمال وجود صله

(٤٨–٤٩) يتيمه الدهر (ص ٢٢٠) .

(٥٠) تاج العروس (٢/٦١٢) ، (هجر) .

(٥١) Wilson, The Persian Gulf, P., 5, 26, 27, Ency., I, P., 584.

(٥٢) Ptolemy, VI, 7, 47, Paulys - Wisswa, 17ter Halbband, 821.

بين الاسمين(٥٣) .

وقد ذهب « كلاسر » الى ان جزير " Tyros " ليست جزيرة من جزر البحرين بل هي جزيرة « دلمة » ، أو « بليجرد » وحجته في ذلك ان المسافة التي أشار اليها « سترابو » هي أقرب الى جزيرة « بليجرد » من غيرها ، فرجحها لذلك على البحرين وعلى « دلمة »(٥٤) .

وأما الجزيرة الثانية ، وهي Aradus فأمرها سهل بين ، فهي جزيرة « أرد » من جزر البحرين(٥٥) ، ولا تزال تعرف بهذا الاسم حتى الآن(٥٦) ، وهي « عراد » عند « شبرنكر »(٥٧) وذهب « فورستر » الى انها جزيرة " Asgilia " وهي « عراد » ودعاها أيضا ب « بني صالح »(٥٨) ، وذهب « فون وزمن » الى انها « المحرق »(٥٩) .

وأما موضع "Macae" المقابل ل " Harmazi " « هرمز » فيعرف أيضا "Macae" " Maceta " (٦٠) وهو " Make "

---

(٥٣) Glaser, Skizze, II, S., 74, Wilson, P., 30.

تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٤٢١) .

(٥٤) Glaser, Skizze, II, S., 76.

(٥٥) Ency., I, P., 584.

(٥٦) Wilson, P., 31, Forster, II, P , 219, 221.

تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٤٢١) .

(٥٧) Sprenger, alte Geogr., S., 119.

(٥٨) Forster, II, P. 221, Paulys - Wissowa, 17ter, Halbband, 826.

(٥٩) Le Museon, 3 - 4, -1967, P. 498.

(٦٠) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٤٢٢) .

Strabo, III, P. 186, Note 2, Wilson, P. 40.

لدى « بطلميوس » وهو موضع رأس الخيمة ، الرأس البارز في مضيق « هرمز » "Harmozi" .وربما الرأس وكل شبه الجزيرة المتصل بها. ويعرف هذا الرأس عند الغربيين باسم «رأس Ras Musandam (٦١)

و «هرمز» فرضة كانت مقصودة يقصدها التجار القادمون من افريقية ومن الهند ومن ما وراء الهند ، وهي آخر بلاد كرمان(٦٢) .

ونجد شبها في النطق بين " Macae " " Maka " و " Maggan " " Magan "

الموضع المذكور مع « ملوخا » في نصوص الآشوريين ، فهل نستطيع أن نستند الى هذا التشابه البعيد أو القريب بين الاسمين ونقول : انهما شيء واحد ، وان المراد بهما موضع واحد ؟ وأما الاختلاف الذي نراه ، فمرده الى التحريف والتغير الذي تقتضيه طبيعة النطق في الآشورية وفي الاغريقية ، وان الاصل واحد ، حرف فأخذ أشكالا شتى .

وتفوق معارف « بلينيوس »" Gaius Plinius Secundus " ٢٣ أو ٢٤–٧٩ بعد الميلاد معارف « سترابو » عن بلاد العرب ، فقد ذكر في كتابه : " Naturalis Historia " (٦٣) اموزا عنها لم ترد في جغرافية سترابون . وقد استهل « بلينيوس » كلامه عن ساحل جزيرة

---

(٦١) Glaser, Skizze, II, S., 249.

(٦٢) نخبة الدهر (ص ١٧٦) . Glaser, Skizze, II, 249.

(٦٣) اعتمدت على الترجمة الانكليزية التي نشرها "H. Rackham" في سلسلة : The Loeb Classical Library تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٧٤ وما بعدها) .

العرب الشرقي بالاشارةالىموضعقال انه مجرىماءملح Flumen Salsum

ثم أشار بعد ذلك الى موضع من الارض هو رأس بارز في البحر سماه « رأس كلدون » "Promontorium Chadone"

ثم الى ساحل يمتد خمسين ميلا يليه نهر اسمه نهر « ختم » « أخنه » " Flumen Achenum " تليه بادية تمتد مئة ميل حتى تبلغ جزيرة « ايكارم » Insulam Icarum وخليج كيبيوس " Sinus Capeus تنزل به قبيلتا « جولوبس » "Gaulopes" "Gaulops" و « خطى » "Gattaei" "Chattaei" ثم خليج « جرا » Sinus Gerraicus ومدينة « جرا » Oppidum Girra التي يبلغ محيطها خمسة أميال ، وفيها ابراج مشيدة بحجارة مربعة من الملح . وعلى بعد خمسين ميلا من الساحل ارض تسمى : « أتينه » " Attene " وتقابلها في البحر جزيرة تسمى : « تيروس " Tylus " " Tyros " " Tylos " تقع على بعد خمسين ميلا من الساحل . وهي معروفة مشهورة بكثرة ما فيها من اللؤلؤ ، وفيها مدينة تسمى باسمها . وعلى مقربة منها جزيرة أخرى صغيرة تبعد اثنى عشر ميلا ونصف ميل عن رأس « تيروس " Tyros " وتشاهد على مقربة منها جزر كبيرة يقال انه لم يذهب اليها أحد ، ثم جزيرة « اسكلية » " Insula Ascliae " فجملة قبائل هي : «نخيطي» " Nochaeti " و « زرازي » "Zurazi" و « بورجودي » " Borgodi " واعراب موضع « قطر » " Catharrei Nomades ثم نهر " Cynos " (٦٤) .

---

(٦٤) Pliny, VI, XXXII, 147-149, Vol. II, P., 449-451, Glaser, Skizze, II, S., 74.

وقصد « بلينيوس » ب " Flumen Salsum " «خوربوبيان»
على ما يظن (٦٥) ٠ وأما رأس «كلدونه» "Promontorium Chaldone"
فيظن انه اللسان البارز في البحر المسمى ب « رأس الارض » وهو في امارة
الكويت(٦٦) ٠

وأما نهر « اخنم » فيجوز أن يكون « المقطع » « المكطع » وهو نهير
يأخذ مياهه من « عين العبد » ، ويصب في البحر في « خور المعظة » في
المنطقة الجنوبية الشرقية من امارة الكويت شمال خط العرض (٢٨)(٦٧)
ويجوز أن يكون تحريف « غيل » أو « أغلية » ، أو « أغيل » ، والغيل
هو الماء الذي يجري على وجه الأرض(٦٨) ٠ ولبني عبد القيس بالبحرين
نهر اسمه « محلم »(٦٩) هل يكون هو النهر الذي قصده « بلينيوس » ؟٠

وقد ذهب « شبرنكر » الى ان جزيرة " Insula Ikarum "
" Insula Icharum " " Icarus " هي جزيرة « أبو علي » «بوعلي»
أما « كلاسر » ، فيرى انها من جزر بحر البنات ولا يستبعد كونها جزيرة
« شرارة »(٧٠) ٠ وقد ذكر « بطلميوس » في جغرافيته اسم جزيرة دعاها
" Icara " (٧١) وهي هذه الجزيرة ولا شك ٠ وهذه الجزيرة هي

---

(٦٥) Forster, II, P., 213, Wilson, P., 51.
(٦٦) Forster, II, P. 213, Glaser, Skizze, II, S., 75.
(٦٧) Handbook, I, P. 285. تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٩٤)
(٦٨) البلدان (٦/٣١٩) ٠
(٦٩) البلدان (٧/٣٩٦) البكري ، معجم (ص ٥١٠) ، طبعه «وستنفلد» ٠
(٧٠) Glaser, Skizze, II, 76, Forster, II, P., 214.
تاريخ العرب قبل الاسلام (١/٢٩٤ وما بعدها) ٠
(٧١) Della Geografia di Claudio Tolomeo; Parte Seconda P., 14, Glaser, Skizze, II, S , 76.

جزيرة « خارك » في نظر « ولسن » . ولكن وضع هذه الجزيرة الواقعة على ثلاثين ميلا الى الشمال الغربي من ميناء مدينة « بوشهر » لا ينطبق على موضع جزيرة " Icarus " الذي وصفه « بلينيوس » .

وقد ذكر جزيرة " Tylus " " Tylos " عدد من المؤلفين اليونان، فذكر « سترابون » انها تبعد عن مدينة : " Teredon " الواقعة في جنوب العراق مسيرة عشرة أيام بالسفن ، وذكر انه كانت بها مقامات ومعابد قديمة ، ونزل بها قواد الاسكندر الكبير الذين أرسلهم لاستكشاف جزيرة العرب ، فوجدوا انها ذات مياه عديدة وبها « القطن »(٧٢) .

ويظن بعض الباحثين انها جزيرة المنامة من جزر البحرين ، وقد عرفت سابقا ب « اوال »(٧٣) وقد ذهب « كلاسر » الى انها « دله » أو « بليجرد » ، وذلك كما ذكرت قبل قليل(٧٤) .

وأما خليج " Capeus " فيظن بأنه خليج " Abucaei " "Abugaion" "Boukaion" المذكور في جغرافيا « بطلميوس »(٧٥) .

وقد اختلفت آراء الباحثين في المراد بهذا الخليج ، فذهب «فورستر» و « شبرنكر » الى انه خليج القطيف ، أو خليج القطيف مع الخليج الذي

---

(٧٢) Paulys - Wissowa, Zweite Reihe, 14, Halbband, Erste Halfte, S., 1733.

(٧٣) اوال ، معجم ، البكري (ص ١٣١ ، ٧٣٥) (طبعة وستنفلد) . Sprenger, alte, geogr., S., 116.

(٧٤) Glaser, skizze, II, S., 76.

(٧٥) Glaser, Skizze, II, S., 75.

فيه جزر البحرين(٧٦) ، ويرجح انه نسبة الى « بني عبد القيس » وقد كانوا من سكنة القطيف ومنطقة العروض قبل الاسلام ، واسمهم قريب من اسم هذا الخليج ٠

ولعل لتسمية "Abucaei" "Bukaei" صلة بقبيلة " Kabie " احدى القبائل ال «٣٥» المذكورة في عهد « تغلاتبلاسر » « تغلث فلاسر » ٧٤٥–٧٢٧ ق٠م(٧٧) ٠

وأما لفظـــة " Gaulopos " فمن الصعب تعيـين مــراد « بلينيوس »(٧٨) منها ، ويرى « شبرنكر » انها «خليج القطيف»(٧٩) ٠

وأما " Gattaei " " Chattaei " ، فانهم : " Chateni " أهل « الخط »(٨٠) ، و « الخط » هو ساحل ما بين عمان الى البصرة ، ومن كاظمة الى الشحر على رأي(٨١) وقد عرف ب « حطـا » في المـوارد السريانية ، وهذا ما يقال أيضا بالنسبة الى خطا ، وهي تلك الاراضي الواقعة على ساحل البحر بالقـرب من جزائـر القطريين ، وهي غنيـة بالاشجار(٨٢) ٠

---

(٧٦) تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٩٦ وما بعدها) ٠
Sprenger, alte geographie, S. 149, Forster, II, P.; 214, 216, Ency., II, P., 821, glaser, skizze, II, S.; 75.

(٧٧) Glaser, skizze, II, S., 247.

(٧٨) تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٩٧) ٠

(٧٩) Ency., II, P. 821.

(٨٠) Pliny, VI. XXXII, 147-149, Vol, II, P., 449-451.

(٨١) البكري ، معجـم (١/٣١٤) ، (طبعـة وستنفلـد) ، البلـدان (٣/٤٤٩) ، Ency., II, P., 931

(٨٢) التاريخ الصغير ، ترجمة الاب د ٠ بطرس حداد (ص ١٠٥)

وجاء في تاريخ الطبري ان « اردشير » بني بالبحرين مدينة سماها : « فنياذ أردشير » وهي مدينة « الخط »(٨٣) ٠

وقد جعل بعض العلماء القطيف والعقير وقطر من قرى الخـط ، وجعلوا السيف كله ، أي سيف البحر الخط(٨٤) والظاهر ان التسمية كانت أحسن حالا قبل الاسلام منها قبيل الاسلام وفي الاسلام ، اذ غلبت تسمية البحرين على الخط ، وصارت تعم الخط وغير الخط ، فصار « المشقر » من البحرين(٨٥) ، وصارت « دارين » فرضـة بالبحـرين ، وصارت هجر بالبحرين(٨٦) ، وصارت قرى البحرين : « الخط والقطيف والآرة ، وهجر والفـروق ، وبينونـة » ، والمشقر والزارة وجواثـا ، وسابون ودارين والغابة والشنون(٨٧) ، بينما لا نجد للبحرين ذكر في كتب الاغريق واللاتين ٠

وأما Attene " Regio Attene " فيرى البعض انها تحريف للفظة« الخط » وبناء على ذلك يكون المراد من " Chateni " و " Attene " شيئا واحدا ٠ وذكر بطلميوس اسم موضع دعاه " Atta Vicus " يظن انه قصد به « الخط » كذلك(٨٨) ٠

---

(٨٣) الطبري (٢/٤١) ، (١/٨٢٠) ، (طبعة ليدن) ٠

(٨٤) اللسان (٧/٢٩٠) ، (خطط ، تـاج العـروس (٥/١٢٩) ، (الخط) ٠

(٨٥) اللسان (٤/٤٢٢) ، (شقر) ٠

(٨٦) اللسان (١٣/١٥٤) ، (درن) المسالك (١٢٥ ، ٢٤٩) ٠

(٨٧) المسالك (١٥٢) نخبة (٢٢٠) ، المفصل (٥/٥٨٣) ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١/١٤٠) ٠

(٨٨) تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٢٩٧) Ency., II P., 931

وقد ذهب البعض الى ان " Attene " تحريف « عدان » وعدان موضع في ديار بني تميم بسيف « كاظمة » وقيل : هو ساحل البحر كله كالطف(٨٩) .

وجزيرة "Ascliae" "Asgilia" هي جزيرة أرد ، " Aradus " " Arados " " Arathos " على بعض الآراء ، وهي جزيرة « عراد »(٩٠) .

وذهب « شبرنكو » الى ان " Zurazi " " Zurachi " هم سكان « الزارة » على مقربة من القطيف(٩١) . وقد ورد « مرزبان الزارة » في أخبار الفتوح(٩٢) ، وعين الزارة معروفة بالبحرين(٩٣) .

أما « فورستر » ، فيرى ان "Zurachi" "Zurazi" ، هم سكان موضع : "Sarcoa" "Zar" على نهر الزار أو « اللار » الذي ذكره « بطليموس »(٩٤) .

ويقع نهر " Flumen Cynos " ومعناه : « نهر الكلب » بعد قطر " Catharrei " ولا يوجد في الزمن الحاضر نهر بهذا الاسم في قطر أو عمان . وذكر بطلميوس ان في جزيرة العرب نهر اسمه « لار »

---

(٨٩) البلدان (١٢٦/٦) ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٩٧/٣) ، تاج العروس (٢٧٥/٩) ، (عدن) .

(٩٠) «عراد» حافظ وهبة (ص ٩٦) ، Forster, II, P., 221.

(٩١) الزارة ، معجم البكري (ص ٤٣٤) ، (طبعة وتستنفلد) .

(٩٢) البلدان (٣٦٧/٤) .

(٩٣) اللسان (٣٣٨/٤) ، (زور) ، تاج العروس (٢٤٦/٣) (زور) .

(٩٤) Forster, II, P. 222.

" Lar " ورسمه في خارطته للجزيرة(٩٥) فهل قصد بلينيوس هذا النهر ؟ أما فورستر فرأى انــه هو هــذا النهر ، وانــه في شبه جزيرة عمان(٩٦) • وأما شبرنكر فرأى ان مصبه عند موضع « سبخة » ، وأما « كلاسر » فذهب الى انه منحــدر وادي الدواســر(٩٧) • وأظــن ان وادي الدواسر هو الذي قصده « بلينيوس » و « بطلميوس » • ويكـاد يكون موضع هذا النهر في خارطــة « بطلميوس » ينطق بأن المــراد به وادي الدواســر • وفي عمـــان موضـــع يعرف ب « خــور كلبــة »(٩٨) .

وهو اســم يـكاد ينطبــق على معنــى : Flumen Cynos أي نهر الكلب • أفيجوز لنا اتخاذ هذا التشابه في المعنى سندا للقول انــه هو النهر المذكور في تاريخ « بلينيوس » ؟

وقد تطرق الجغرافي « بطلميوس » وهو من رجال القــرن الثاني للميلاد الى الخليج(٩٩) ، فذكر من مواضعه موضع : « جبال عصبون » "Asabon Mons" وهي جبال عمان تمتد حتى تتصل برأس «عصبون» " Asabon Prom " " Asabarum Prom " وهو الرأس البارز المكون لاحد فكي فم الخليج " Fretum Sini Persi "

---

(٩٥) Della Geografia Di Glaudio Tolomo Aleessandrino, Parte, Seconda, P., 14.

(٩٦) Forster, II, P. 222.

(٩٧) Glaser, skizze, II, S., 76.

(٩٨) Ency., III, P., 975.

(٩٩) كتاب جغرافيا في المعمور وصفة الارض وهذا الكتاب ثمان مقالات ، نقل للكندي نقلا رديئا ثم نقله ثابت الى العربي نقلا جيدا ويوجد سرياني « الفهرست » (ص ٣٨٩) •

ويراد بهرأس الخيمة(١٠٠) ويسكن على ساحل هذا الساحل « العصبيون » " Asabonite "، وهناك مدينة سماها بطلميوس « عصب » لا تبعد كثيرا عن الساحل . وجاء في « الصفة » للهمداني و « العصاب : البحرين وأحوازه »(١٠١) ، فهـل للعصاب صلة ب " Asabo "

وتعنى جملة " Mons Asabo " رؤوس الجبال(١٠٢) ، ويراد بها حتى هذا اليوم أرض « رؤوس الجبال » ، المنتهية ب « رأس مسندم » ، المشرف على مضيق هرمز ، وعلى ذلـك تكون هذه المنطقـة هـي منطقـة " Mons Asabon " ويكون موضع " Make " " Macae " " Maceta " " Maketa " هو موضع رأس الخيمة أو رأس « مسندم » ، وتقـابل جزيرة « رأس مسندم »(١٠٣) .

وجعل « بطلميوس » لجزيرة العرب جملة أنهر ، أعظمها " Baitio " " Lar " " Styx " " Prionis " " Prion " " Ormano " (١٠٤) .

ونهر « اللاد » هو النهر الذي يصب من بين هذه الانهر في العربية الشرقية وتقع منابعه على مقربة من (Nagara Metrop) وهي مدينة

(١٠٠) Glaser, skizze, II, S., 216, Wilson; P, 52.
تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/ ٣٧٤) ، Forster, II, P., 225.

(١٠١) الصفة (١٦٨ سطر ١٣) .

(١٠٢) تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٢٧٣ وما بعدها) .
Wilson, P., 40, 43.

(١٠٣) راجع الخرائط الموضوعة للخليج .

(١٠٤) Ptolemy, VI, 7, 1, 10.

« نجران » على الحافات الشرقيــة لسلسلة الجبــال(١٠٥) ، وهو نهــر
" Flumen Cynos " عند « بلينيوس » في رأي بعض الباحثين ٠

ويصب في أرض : "Nareitae" "Lareitae" الواقعة بين أرض « اكلة السمك » "Ichthyophagi" وأرض : " Attaei " ، وتقع الى الشرق أو على مقربة منه مدينة « رجمة » "Regma Polis" "Regama"
و " Rhegama Civitas " " Cryptos Portus "
جبال معبد الشمس ، ومدينة "Kapsina Polis" "Kaspina"
ومدينة « كابانة » "Kabana" "Kauna"

ويظن ان نهر « اللار » هذا هو وادي الدواسر(١٠٦) ٠ وقد ذكــر الادريسي نهرا يصب في الخليج سماه نهر (النار) وادي النار ، وهو في نظري هذا الوادي الذي دعاه « بطلميوس » باسم نهر اللار ٠

وجعل « بطلميوس » أرض « اللار » "Lareitae" "Nareitae" عند مصب نهر « اللار » في الخليج ٠ وذكر من مدنها مدينة : « كبانه » " Kabana " " Kauana " " Kabana Polis "
وتقع على الساحل(١٠٧) ٠

وفي غرب نهر اللار وفي شمال أرض " Bliulaei " وضــع

---

(١٠٥) Ptolemy, VI, 7, 13, Glaser, Skizze, II, S , 22, 77; Hogarth, The Penetration. P., 21, B. Moritz, Arabien, S., 21.

(١٠٦) Glaser, skizze, II, S., 22, 77.

(١٠٧) Ptolemy, VI, 7, 14.

بطلميوس مدينة "Lathea" (١٠٨) وفي شرق مدينة (١٠٩). Larsis
وذكر بطلميوس من المواضع مدينة دعاها "Regma Polis"
اي « مدينة رجمة » " Regama " و " Rhegama Civitas "
" Cryptos Partus " وجبال معبد الشمس ومدينة « كابسينه »
" Kapsina Polis " " Kaspina " ومدينة « كابانه »
" Kabana Polis " " Kauana ".
وسمي بطلميوس الارض الواقعة في غرب "Nareitae" "Lareitae"
ونهر « اللار » باسم(Attae) و " Aigae " وفيها من المدن
" Sarcoa Civitas " " Sarkoe Polis " " Sarco Civitas "
" Karad Polis " " Kadara " " Katara "
وقرية تسمى " Atta " " Atta Vicus " (١١٠) (١١١) . وآراء
العلماء متباينة في مراد « بطلميوس » بمدينة :
" Regma " " Regma Polis " (١١٢) . وتقع هذه المدينة على
ما ذكره بطلميوس على الساحل ، وهي على حد قوله أول موضع بحري
تتجه منه السفن بعد مضيق «هرمز» و«رأس الخيمة» Cape Mesandum
"Musandam" نحو الساحل الغربي للجزيرة(١١٣)، وهو الموضع

---

(١٠٨) Ptolemy, VI, 7, 35.

(١٠٩) Spenger, alte geogr., 280, Paulys-Wissofa, 23ter Halbband, 908.

(١١٠) راجع خارطة « بطلميوس Glaser, Skizze, II, S., 223.

(١١١) Forster, II, P. 223.

(١١٢) Ptolemy, VI, 7, 14.

(١١٣) Paulys - Wissowa, Zweite Reihe, Erste Halbband, S., 504.

الذي دعاه اصطيفانوس البيزنطي " Rygma " وتقع المدينة عنده على ساحل وجون في الخليج يسمى " Rygmatitys " (١١٤) .

وتقع مدينة " Regma " على رأي « شبرنكر » عند رأس الخيمة وقد تكون على رأيه مدينة « جلفار »(١١٥) ، ويرى « كلاسر » انها على مقربة من رأس الخيمة ، ويرى أيضا احتمال كونها « رجمة » المذكورة في كتابات المسند ، أو « رعمة » المذكورة في التوراة(١١٦) ، أما « بلو » " Blau " ، فيرى انها « رجام » وهو موضع يقع على حدود عمان من البحرين(١١٧) .

وذكر شيخ الربوة ان نهر « الفلج » ينبعث من « جلفار » ويجري الى « منح » ثم الى « جلفار » ثم يصب في البحر(١١٨) .

أما "Kabana" "Kabana Polis" "Kauana" الواقعة في أرض " Nareitae " وذلك على الساحل المقابل لجزيرة « ابن كاوان » ، « كافان » وهي « قشم » في الوقت الحاضر(١١٩) فيرى « فورستر » انها

---

(١١٤) المصدر نفسه .

(١١٥) البلدان (٣/١٢٦) ، المقدسي ، أحسن التقاسيم (ص ٦٣) ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٣٧٦) ، (١/٤٢٢) .
Sprenger, alte geogr. S., 126.

(١١٦) التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ،
Glaser, Skizze, II, S., 78, 252.

(١١٧) البلدان (٤/٢٢٦) ،
Blau, in ZDMG., XXII, S., 666.

(١١٨) نخبة الدهر (ص ٢١٨) .

(١١٩) Ptolemy, VI, 7, 14, Paulys-Wissowa, 20ter Halbband, S., 1396.

« كلبة »(١٢٠) أما « شبرنكر » فيرى انها الموضع المسمى « ام الكوين » « أم القوين » الواقع في جنوب غربي رأس الخيمة(١٢١) . ولكن أفلا يجوز أن يكون مراد « بطلميوس » من " Kabana " " Kauana " « ابن كاوان » « ابن كافان »(١٢٢) ، وهي جزير معروفة عند علماء الجغرافيا المسلمين وكانت عامرة يقصدها التجار ؟

وتلي أرض " Attae " أرض سماها " Gerraei " وتشرف على خليج " Gerraei " من مواضعها : " Magindanata " ما مدينة " Gerra " " Gerra Polis " و " Bilbana " " Bilaina " " Bilana " وفي غرب مدينة " Gerra " أو في شمال غربيها وعلى مبعده نصف درجة منها تقع مدينة تسمى "Katara" في خارطة « بطلميوس »(١٢٣) وهي " Cataraei " عند « بلينيوس »(١٢٤) .

وتتصل بأرض " Gerraei " أرض تدعى : "Thaemae" " Thaimon " وبها خليج اسمه : "Magorum Sinus " "Mogon Kalpos" وموضع " Istriana " ومدينة أخرى .

وتقع مدينة Magindanata في أرض "Gerra" "Gerrha" على الخليج(١٢٥) . ويرى « شبرنكر » انها كلمة مركبة من " Magier " أي « مجوس » ومن كلمة أخرى فارسية هي « استان » " Istan "

---

(١٢٠) Forster, II, 223.
(١٢١) Sprenger, alte geogr., 167.
(١٢٢) المسالك والممالك (٦١) ، نخبة الدهر (ص ١٦٦) .
(١٢٣) Ptolemy, VI, 7, 32.
(١٢٤) Pliny, VI, 28, 147.
(١٢٥) Ptolemy, VI, 7, 16.

أو « دالن » ، وان موضعها على خليج العقير(١٢٦) ، وذهب كلاسر الى ان موضعها على خليج « القطن » على مقربة من « ياس » أو انها موضع « مجان » " Magan " المذكور في الكتابات الآشورية(١٢٧) .

وتتصل بأرض" Gerraei " أرض تدعى " Thaemae " "Thaimon"وبها خليج اسمه"Magorum Sinus" "Mogon Kolpos" وموضع :" Istriana "ومدينة أخرى . ويحتمل على رأي « كلاسر » أن تكون لكلمة " Thaemae " " Thaimon " صلة ب « تيم » ويرى أيضا احتمال كون " Magon " من «مكان» " Magon " أو (مكان)" Makan "وهو اسم أرض ذكرت في النصوص الآشورية مع « ملوخة » ، وهي في نظره " Make " المذكورة في نص « دارا » " Darius " (١٢٨) .

أما «فورستر» ، فيرى ان "Thaemae" "Themoi" "Themi" (١٢٩)هم هم « بنو تميم » ، وكانوا يقيمون على خليج " Magorum Sinus " في جنوب " Thar " على نهر " Astan " (١٣٠) .

---

(١٢٦) Sprenger, alte geogr., S., 134.

(١٢٧) Glaser, Skizze, II, S., 225, Paulys - Wissowa, 27 ter, Halbband, S., 399.

(١٢٨) Glaser, Skizze, II, S., 223, f., 251.

(١٢٩) Ptolemy, VI, 7, 17.

(١٣٠) Forster, II, P., 215-216, Paulys - Wissowa, 10ter, Halbband, S., 1700.

وتتصل بأرض " Thaemae " أرض " Laenitae " وبها خليج يسمى بهذا الاسم : " Laenitus Kolpos " وموضع " Itamus Partus " وهو ميناؤها(١٣١) ·

ومن مواضع : "Laenitae" " Aalanitae " " Aeanitai "

موضع دعاه « بطلميوس » باسم " Malliada " ويقع على مقربة من رأس "Chersonesos" (١٣٢) وموضع دعاه باسم «سفته» "Saphta" ويقع في العربية الشمالية في شمال شرقي مدينة " Alata Polis " الواقعة عند جبل " Alata " (١٣٣) وفي غرب مدينة " Gerra " أو في شمال غربيها وعلى مبعدة نصف درجة منها تقع مدينة ' Katara ' "Catara" في خارطة « بطلميوس »(١٣٤) · ومدينة " Catara " هي " Cataraei " عند بلينيوس أي قطر(١٣٥) ، ويظهر انها كانت ذات صيت وشهرة قبل الميلاد ، ولم تكن مدينة حسب ، بل كانت مدينة ومصرا كذلك به اعراب ، ذكرهم « بلينيوس » · فقال : «واعراب قطر» "Catharrei Nomades" (١٣٦) وقد عثر فيها على أدوات من حجر

---

(١٣١) Ptolemy, VI, 7, 18, Le Museon, 3 - 4, 1967, P. 494.

(١٣٢) Paolemy, VI, 7, 18.

(١٣٣) Glaser, Skizze, II, S., 252.

(١٣٤) Ptolemy, VI, 7, 32.

(١٣٥) Pliny, VI, 28, 147

(١٣٦) Pliny, VI, XXXII, 147-149, Vol., II p., 449-451.

تعود ما قبل التاريخ ، عثر عليها في مواضع متعددة من أرض قطر مما يدل على انتشار السكن فيها ٠

وقد كانت قطر أرضا ومدينة في أيام الاسلام كذلك ، جاء في لسان العرب « وبالبحرين على سيف وعمان مدينة يقال لها قطر »(١٣٧) ، وليست لعلماء المسلمين فكرة واضحة عنها ، فمنهم من جعلها بالبحرين، ومنهم من جعلها بين البحرين وعمان ، ومنهم من جعلها بين القطيف وعمان ، ومنهم من ذكر انها تمتد من عمان الى الاحساء ٠ وقد اشتهرت باللؤلؤ(١٣٨) ٠

ويقال ان سرجون الاكادي استولى في حوالي السنة « ٢٣٠٠ ق٠م » على البحرين وقطر ، وقد كانت لسواحل الخليج صلة دائمة بالعراق ٠ بدليل هذه المخلفات التي عثر عليها علماء الآثار والتي تشير الى أثر العراق من مختلف طرق الحياة في سواحل الخليج ٠

وقد عرفت شبه جزيرة قطر ب «بيت قطرايي» في السريانية ، وقد كانت لها صلات بالمذاهب النصرانية بعد الميلاد ، اذ اقيمت بها الكنائس، وساهم رجال الدين فيها في المجالس الكنيسية التي انعقدت للنظر في امور اختلاف أوجه نظر رؤساء الكنيسة في اللاهوت وظهر بها علماء مثل جبرائيل وداد يشوع وايشو عياب وايوب وغيرهم(١٣٩) ٠

---

(١٣٧) اللسان (٥/١٠٦) ، (قطر) ٠

(١٣٨) البلدان (٧/١٢٣) ، تاج العروس (٣/٥٠٠) ٠ (قطر) ، الاعلاق النفسية (ص ٨٧) ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١/١٣٩)، نخبة الدهر (ص ٧٧) ٠

(١٣٩) التاريخ الصغير لمؤلف مجهول ترجمة الاب دكتور بطرس حداد (ص ٨١) ٠

وذكر ان الفرس لما حاصروا الاسكندرية بعد استيلائهم على القدس في « ٢٠ أيار ٦١٤ م » وصعب عليهم فتحها ، خرج اليهم رجل اسمه بطرس ، وأصله من « بيت قطرايي » ، أي من قطر فأرشدهم الى موضع اقتحموا منه المدينة وكان هذا الرجل قد جاء الى الاسكندرية لدراسة الفلسفة والعلوم(١٤٠) .

وذكر بصليموس أرض "Abucaei" ومن مواضعها «Coromanis app.» وبها خليج يسمى بخليج «Sinus Capeus» في تاريخ «بلينيوس» وذكر «بطلميوس» اسم خليج في أرض "Abucaei" سماه "Sacer Sinus" عليه مدينة تسمى "Coromanis" (١٤١) .

ويظن « كلاسر » ان قبيلة " Kabie " وهي من القبائل التي كانت في أيام « تغلت فلاسر » الثاني هي قبيلة " Abucaei " (١٤٢) وفي أرض " Abucaei " خليج سماه « بطلميوس » "Sacer Sinus" عليه مدينة تسمى : "Coromanis" (١٤٣) « ويرى فورستي » ان هذه المدينة هي « القرين » « الكرين »(١٤٤) .

ورأى بعض العلماء ان " Abucaei " " Aboukaioon " هم « عبد القيس » سكان البحرين القدماء(١٤٥) .

---

(١٤٠) التاريخ الصغير (ص ٨١) .

(١٤١) راجع خارطة بطلميوس ، Ptolemy, VI, 7, 19.

(١٤٢) Glaser, Skizze, II, S., 247.

(١٤٣) Ptolemy, VI, 7, 19.

(١٤٤) Forster, II, P., 213, Paulys - Wissowa, 22ter Halbband, S., 1422.

(١٤٥) Forster, II, P., 214.

ومن المدن القريبة من البحرمدينة سماها «بطلميوس» " Jucara " Iukara "، وهي تقع على خليج « ميسانيته » "Mesanites Sinus" " Sinus Mesanites " (١٤٦)، وقد ذهب « فورستر » الى ان " Jukara " " Jucara " « الجهرة » في الزمن الحاضر، وهي قرية من قرى امارة الكويت، أرضها خصبة، تشاهد فيها آثار عمران قديم، وقد عثر فيها على نقود قديمة وتشاهد فيها بعض التلال تغطي على ما يظهر تلك الآثار(١٤٧). وقد انفرد « بطلميوس » بذكرها من الكلاسيكيين(١٤٨)، وذكر معها موضعين آخرين، هما "Ammaia" و " Idikara " (١٤٩).

وذكر « بطلميوس » أسماء هذه الجزر: " Ammaia " و "Ichara"، "Taro"، "Tylos"، "Arados"، "Aradus" على انها قريبة من الساحل(١٥٠).

أما جزيرة افانا "Apphana Insula" فهي جزيرة «فيلكة»

---

(١٤٦) Ptolemy, V, 19, 4, Ency., I; P.; 43.

(١٤٧) حافظ وهبة (ص ٨٢) تاريخ الكويت (ص ٢٣).
Forster, II, P., 214.

(١٤٨) Paulys - Wissowa, 19ter Halbband, 1918, 6. f.

(١٤٩) Ptolemy, V, 19, V, V, 19, Paulys - Wissowa, IX, 1193.

(١٥٠) Ptolemy, VI, 7, 47, Paulys - Wissowa, 17ter. Halbband, 821.

« فيلجة » ، « فيلكا » من جزر الكويت ، في نظر بعض الباحثين • وقد عثر فيها على آثار اغريقية تعود الى بقايا رجال حملة الاسكندر الاكبر للاستيلاء على جزيرة العرب •

وذهب بعض الباحثين الى ان " Ichara "(١٥٢) هي جزيرة "Icaros" "Ikaros" في « جغرافيا » « سترابون » • وقد ذكر «سترابون» ان هذه الجزيرة معبدا خصص لعبادة « ابولو » Apollo ومنزلا لاستيحاء " Diana Tauropolus " , " Artemis Tauropolos " انباء الناس بالمغيبات(١٥٣) • وذكر هذه الجزيرة « اريانوس » كذلك ، وقال : انها على بعد «١٢٠» اسطاديون الى الجنوب من الساحل الذي يصب فيه الفرات في البحر « شط العرب » ، وان بها معبدا لعبادة « ارتيمس » Artemis وان الاسكندر الاكبر هو الذي أمر بتسميتها: " Icaros " " Ikaros " تخليدا لاسم جزيرة " Ikaros " من جزر بحر ايجة ، وذكر هذه الجزيرة كتاب آخرون(١٥٤) •

وذهب بعض الباحثين ، استنادا الى تقدير « اريانوس » عن بعد

---

(١٥٢) Ptolemy, VI, 7, 47.

(١٥٣) Strabo, XVI, III, 2.

(١٥٤) Arrianus, Anaba., VII, 20, 3.

هذه الجزيرة عن سواحل العراق الجنوبية الى ان هذه الجزيرة هي جزيرة فيلكة ، « فيلجة » « فيلكا »(١٥٥) • وذهب بعض آخر الى انها «بوبيان» بينما ذهب بعض آخر الى انها « أبو علي » «بو علي»(١٥٦) • أما «كلاسر» فذهب الى انها احدى جزر بحر « اليتان » وهي جزيرة «شرار »(١٥٧) ، ورأى آخرون انها « كارو »(١٥٨) •

وأما جزيرة " Tharo " " Ithar " " Tahr " " Taro " فهي جزيرة « تاروت »(١٥٩) •

وذكر « بطلميوس » أسماء جملة مدن تقع في البر ، من هذه المدن :
«Softa» ، "Satula" ، "Sata" ، "Aina" ، "Lugana" (١٦٠)
"Gordo" ، "Marata" "Gaisa" ، "Arre Kome" ، "Digima" (١٦١)
، "Catara" ، "Sata" ، "Mastala" ، "Figia" ، "Alata Polis" ،

(١٥٥) Ritter, Erdkunde, X, 39, Bent, Southern Arabia, 1900, 22, Strabo, III, P., 186, note: 5, (Hamilton Ed.), Le Museon, 3 - 4, P., 494, 1967.

(١٥٦) Paulys - Wissowa, 17ter Halbband, 822. f., le Mueeon, 3 - 4, 1967 P., 494.

(١٥٧) Glaser, skizze, II, S., 76.

(١٥٨) Paulys-Wissowa, 17ter Halbband, 825-826.

(١٥٩) المفصل (١٧٦/١) •

(١٦٠) وكتبت " Lugama " " Zaguna "

(١٦١) أيضا " Dinena " , " Disima " , " Digema "

، "Iirta"(١٦٢) "Rabana Regia" ، "Attia" ، "Domana" ،
" Cabuata " (١٦٣) .

ولا يعني هذا الترتيب للمواضع انها مرتبة ترتيبا جغرافيا منسقا ، وانها متقاربة متسقة فبينها مواضع تقع فيجهات أخرى من جزيرة العرب، وأبرز هذه المواضع وأظهرها هو موضع " Catara " ، الذي هو " Cataraei " عند « بلينيوس »(١٦٤) ، وهو « قطر » . وقد ذكر « ابن خرداذبه » المتوفي في حدود سنة (٣٠٠) للهجرة ، قطر علىطريق البصرة الى عمان ، فذكر ان الطريق من البصرة الى عبادان ، ثم الى الحدوثة ، ثم الى عرفجاء ثم الى الزابوقة ، ثم الى المقر ، ثم الى عصى ، ثم الى المعرس ، ثم الى خليجة ، ثم الى حسان ، ثم الى القرى ، ثم الى مسيلحة(١٦٥) ، ثم الى حمض ، ثم الى ساحل هجر ، ثم الى العقير ، ثم الى قطر ، ثم الى السبخة ، ثم الى عمان ، وهي : « صحار ودبا»(١٦٦) .

وذهب « شبرنكو » الى ان موضع " Masthala " ، هو «المشقر ويقع حصن « المشقر » على تل اسمه « عطالة » وعطالة لفظة قريبة من " Masthala " ولهذا ذهب الى انها " Masthala " (١٦٧) .

(١٦٢) «Rauna»

(١٦٣) ريخ العرب قبل الاسلام (٣/٣٨٤) .

(١٦٤) Pliny, VI, 28, 147.

(١٦٥) هكذا في (ص ٦٠) و (القرنتين) في (ص ١٩٣) من كتاب المسالك والممالك طبعة (دي غويه) ، (١٨٨٩م) .

(١٦٦) مسيلحة (ص ٦٠) ، مسلحة (ص ١٩٣) .

(١٦٦) المسالك (ص ٦٠ ، ١٩٣) .

(١٦٧) عن المشقر ، معجم البلدان (٤/٥٤١) « طبعه وستنفلد » . Sprenger, alte geography, 193, Paulys - W. 28ter Halbband, 2168.

وقد جعل « ابن حبيب » المشقر بهجر ، وذكر انها كانت مقصودة لسوقها التي تقوم أول يوم من جماديالآخرة الى آخر الشهر « فتوافي بها فارس يقطعون البحر اليها ببياعاتهم ، ثم تنقشع عنها الىمثلها من قابل، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها • وكان ملوكها من بني تميم ، من بني عبد بن زيد ، رهط المنذر بن ساوى »(١٦٨) •

وفي دولة الامارات العربية المتحدة موضع يقال له « العين » عثر على مقربة منه على قبور وآثار وقد قدر تاريخ بعض المدافن بمنتصف الالف الثالث قبلالميلاد(١٦٩)، فهل يمكن اعتبار هذا الموضع هو موضع "Aina" المذكور عند بطلميوس ؟

وقد وقع تبدل خطير في الاوضاع السياسية في الخليج أدى الى ظهور اعلام وتراجع اعلام ، فنجد بروز اسم البحرين عند ظهور الاسلام ، وتغلبه على غيره ، وقد ذكر « ابن خرداذبه » قرى البحرين وهي : « الخط والقطيف والآرة وهجر والفروق وبينونة » ، و « المشقر والزارة وجواثا » و « سابون وداربن والغابة والشنون »(١٧٠) ، وذكر في موضع آخر « والبحرين ـ الرميلة جواثا ، الخط ، القطيف ، السابون ، سوم المشقر ، الدارين ، الغابة(١٧١) ، فيظهر من ذلك ومن أخبار دخول

---

(١٦٨) المحبر (ص٢٦٥) •

(١٦٩) الآثار ، رقم ٣ ، طارق النعيمي ، اصدار وزارة الاعلام والثقافة في دولة الامارات العربية المتحدة •

(١٧٠) المسالك (ص ١٢٥) •

(١٧١) المسالك (ص ٢٤٩) وداربن اسم فرضه بالبحرين ينسب اليها المسك • يقال : مسك داري •

البحرين في الاسلام أيام الرسول ، ان هذه التسمية غطت منطقــة واسعة من ساحل الخليج بينما لا نجد لتسميتها ذكرا في كتب اليونان واللاتين.

وذكر بعض العلماء ان سقع « بلاد البحرين ويسمى القوس ، وهجر اسم واقع على مجموعة وليس باسم مدينة كالشام والعراق وخراسان . ومن أمصاره : الاحساء ، وهي القصبة ، وتعرف باحساء بني سعد يحيط بها غوطة نخل ، والقطيف يحيط بها ساحل البحر وساحل هذا السقع يسمى : الخط ، واليه تنسب الرماح الخطية ، لكنه لا ينبت فيه لانــه مكان للتجارة بالبضائع ، وحمض ساحلية وحبانا ساحلية »(١٧٢) .

واذا راجعنا كتب الجغرافيا العربية المستندة على جغرافيا بطلميوس نراها قد أغفلت ذكر الجــزر التي أشار اليونان وبضمنهم « بطلميوس » اليها على انها من جزر الخليج ، وكذلك أسماء معظم المدن «Polis» والمواضع الاخرى التي وردت في كتب اليونان واللاتين . فانت اذا أخذت كتاب صورة الارض « للخوارزمي » وهو كتاب استخرجه « من كـتاب « جغرافيا الذي ألفه بطلميوس القلوذي »(١٧٣) أو كتاب عجائب الاقاليـم السبعة ، لسهراب(١٧٤) ، وقد استخرج من كتاب بطلميوس أو « كتاب الاقاليم للاصطخري(١٧٥) ، وهو كتاب يستند على « جغرافيا » بطلميوس كذلك ، أو المؤلفات الجغرافية الاخرى المستندة على «جغرافيا» بطلميوس

---

(١٧٢) كتاب نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، لشيخ الربوة ، (ص ٢٢٠) ، تحقيق « مِرن » ، (١٩٢٨ م) .

(١٧٣) تحقيق « هانس فون مشك » ، Hans Von Mzik فينــا (١٩٢٦ م) .

(١٧٤) حققه « فون مشك » أيضا ، وطبع بفينا سنة (١٩٢٩ م) .

(١٧٥) تحقيق " Dr. J. H. Moeller " .

مثل نزهة المشتاق للادريسي ، نرى انها قد أغفلت شيئا كثيرا من الاعلام الواردة في كتاب بطلميوس ، ولم تشر اليها ٠

خذ فصل : « الجزائر التي في بحر البصرة » ، المدون في كتاب صورة الارض « للخوارزمي » ، تراه يذكر خطوط طول وعرض جزائر لكنه لم يذكر اسم جزيرة واحدة منها ، فلم نستنفد مما كتبه عنها(١٧٦) ، وخذ هذا الفصل المسمى : « الجزائر التي في بحر البصرة ، وهو البحر الفارسي » في كتاب « عجائب الاقاليم » لسهراب ، تجد الشيء نفسه فلا تجد فيه اسم جزيرة واحدة من جزر الخليج(١٧٧) ، مع ان بطلميوس قد دون ذلك في خارطته وفي كتاب جغرافيته ، فهل اسقاط العلماء تلك الاعلام لعدم وقوفهم على المراد منها ؟

وقد ذكر « ابن خرداذبه » ، بعضا من جزر الخليج مثل جزيرة خارك ٠ وجزيرة لاوان وجزيرة ابرون وجزيرة خين وجزيرة كيس وجزيرة ابن كاوان وهي جزر مقابل الساحل المكون لايران(١٧٨) ، وفيه مكران وكرمان(١٧٩) ، وذكر شيخ الربوة ان من جزر الخليج : تسعة منها أربعة عامرة وهي جزيرة خارك وجزيرة « كاس » ، وتسمى جزيرة قيس وجزيرة اوال وهي تجاه البحر بساحل بلاد ، البحرين ، وبينها يوم ، وبها مدينة لها جامع أيضا ، وجزيرة يافت تعرف بجزيرة بني كافان ، وجزيرة فارس ، بازاء خوزستان(١٨٠) ٠

---

(١٧٦) (ص ١٠٠) ٠
(١٧٧) (ص ٧٨) ٠
(١٧٨) المسالك والممالك (ص ٦١ وما بعدها) ٠
(١٧٩) الاعلاق النفيسة (٨٧) ٠
(١٨٠) نخبة الدهر (ص ١٦٦) ٠

النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية

رضا جواد الهاشمي
استاذ مساعد بقسم الآثار
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقـــدمة :

على الرغم من الخصائص الطبيعية للخليج العربي وموقعه المميز بين عدد من مراكز الحضارات القديمة ، والتي تبوأه لاحتلال مكانة مرموقة في الاحداث التاريخية للعالم القديم ، لكن المعلومات عن نشاط سكانه القدماء ودورهم الحضاري في رفد الحضارة الانسانية ، كان قليلا جدا لا يزيد عن بضعة أسطر من اشارات عابرة وردت في المصادر اليونانية الاولى ٠

يقول هيرودتس ، بأن الفينيقيين على أيامه كانوا يدعون بأن أجدادهم سكنوا سواحل الخليج العربي قبل نزوحهم الى ساحل البحر المتوسط (١).

---

(١) Francis R. B. Godelphin, The Greek Historians. Twovolums, New York 1942, Herodotus, VII, 89; I: 1.

واطلق هيرودتس على الخليج العربي اسم « البحر الاحمر » وقد شاع استخدام هذه التسمية في بعض المصادر الكلاسيكية لتشمل الخليج العربي والبحر العربي والبحر الاحمر ٠ كما ترد تسميات معينة لبعض منها ، مثلما فعل هيرودتس عندما اطلق تسمية « الخليج العربي » على البحر الاحمر ٠

ولكن الخليج العربي احتل جزءا كبيرا مـــن اهتمام الاسكندر وخططه لاستكشاف الطرق البحرية التي تربط بين أطراف امبراطوريته ، التي بلغ امتدادها قبل وفاته في بابل عام ٣٢٣ ق٠م ، مـن بـلاد اليونان غربا والى وادي السند شرقا •

فالخليج العربي كان طريق المواصـــلات البحرية الوحيـــد الذي يربط بين بابل وبين الهند ، كذلك فهو الطريق الوحيد الـذي يوصـــل من بلاد الرافدين الى مصر • وفي نفس الوقت فهو طريق يتيح التعرف على الجزيرة العربية ويوصل الى منافذها المتعددة • ولا ننسى في هـــذا الخصوص الاشارة الى رغبة جامحة كانت تغلي في صدر الاسكندر صوب احتلال جزيرة العرب • فبالاضافة الى شهرة خيراتها الزراعية ومنتجاتها الغالية من الطيوب والافاوية ، فقد بقيت البلاد الوحيدة التي لم تذعـن لحكم الاسكندر (٢) •

وكان من نتيجة الحملات البحرية الاستكشافية التي بعثها الاسكندر للتعرف على الطرق البحرية التي توصـل الى جـزيرة العـرب ، والتـي انطلقت من بابل وبدأت مسيرتها الفاشلة في مياه الخليج العربي مساحلة جزيرة العرب ، أن وصلتنا مدونات يونانية ورومانيـــة (المـــدونات الكلاسيكية) عن نتائج هذه الحملات والمناطق التي مرت بها والتـــي يشك أنها تعدت رأس مصندام (٣) •

الخليج العربي في المدونات الكلاسيكية :

تناقل الكتاب والمؤرخون والجغرافيون أخبار ومعلومات هـــــذه

---

(٢) Arrian, VII, 19-1; 20-9.

(٣) G. F. Hourani, Arab-Seafaring in the Indian Ocean. - Beirut 1963 p. 13.

الرحلات الاستكشافية التي أمر الاسكندر بتنفيذها، كما كشفوا لنا من خلال تسجيلاتهم عن استمرار هذا الاهتمام بالخليج العربي للفترات التي أعقبت موت الاسكندر • وعلى الرغم مما فقد من هذه الاعمال المدونة ، فان ما وصلنا منها يلقي بعض الضوء على أقسام من طريق الملاحة البحرية في الخليج العربي وبعض معالم الحياة خلاله •

ومن بين هؤلاء الكتاب الذين تركوا معلومات واسعة عن الخليج نذكر أريان(٤) وسترابون(٥) وغيرهما كثير •

ان تتبع اشارات المؤلخين والجغرافيين الكلاسيكيين عن الخليج العربي تؤكد صلاحية طريق ساحلة الغربي للملاحة البحرية القديمة ، وهو نفس الطريق الذي سعت الحملات الاستكشافية للتأكد منه وتثبيت المعلومات عنه في تقاريرها التي رفعتها الى الاسكندر •

فالحديث عن الجزر الرئيسية على طريق الرحلة البحرية منطلقة من فم الفرات نحو الجنوب في مياه الخليج العربي ، وتعيين ما تستغرقه الرحلة الى كل منها من الوقت ، وتشخيص بعض الملامح الطبيعية والحياتية فيها ، يوضح القصد الذي تحركت بموجبه هذه الرحلات الاستكشافية ، فتشير المعلومات المتجمعة من تسجيلات الكلاسيكيين الى صلاحية السواحل المتاخمة لجزيرة العرب من مياه الخليج العربي

---

(٤) The Greek Historians. op. cit, "Arrian S'Anabasis of Alexander (66-B.C. - 24 A. D.) and Indica " vol II.

(٥) The Geography of strabo (66-B.C. - 24 A.D.) Translated by Horace Leonard Jones. Book XVI - London, Newyork 1930.

للملاحة البحرية الجيدة الى ما بعد البحرين ، وهي المناطق التي بلغتهــا الرحلات الاستكشافية •

ولا يخفي الكتاب الكلاسيكيون أسباب اهتمامهم بطرق الملاحـــة في الخليج العربي عندما يشيرون الى الجرهاء ، ويورد بعضهم حديثـــا مستفيضا عنها وبالاخص عن تجارتها وثروتها واتصالاتها •

فيذكر بوليبوس Polybus (٢٠٤ - ١٢٢ ق•م•) ان الجرهاء كانت المركز التجاري في جزيرة العرب ، ونقطة انطلاق القوافـــــل التجارية من بلاد البهار والافاوية ، وتتشعب منها الطرق الى مكة والبتراء ، كما كانت على اتصال وثيق بموانى الخليج العربي ، ولها تجارة نشطـــة مع أغريق سلوقية •

ويضيف أكاثار شيدس Agatharchides بأن أهل الجرهاء كانوا من أغنى سكان العالم آنذاك ، وكانوا ينافسون السبأيين في ثرائهم ، ومرد ذلك الى تجارتهم برا عـــلى ظهور القوافل وبحرا في السفـــن ، وكانوا يصدرون البخور الى بابل بكثرة (٦) •

وبسبب سوق الجرهاء التجارية الكبيرة ، ورغبة في السيطرة على طرق التجارة العالمية في الخليج العربي ، جرد أنطيوخس الثالث حملـة عسكرية بحرية لاحتلالها فنزل في دجلة وساحل جزيرة العـرب فـي مياه الخليج يقصد الجرهاء عام (٢٠٥ ق•م•) ، ولكن أهـــل الجرهاء فاوضوه على تغيير خطته مقابل أموال طائلة دفعوها اليه ، فوافق الملك عـــلى

---

(٦) A. Wilson, The persian Gulf, London 1921 p. 46.

فؤاد جميل « الخليج العربي في مدونـات المؤرخـين ـ البلدانيين الاقدمين » سومر ١٩٦٦ ص ٥٢ •

ذلك ، وغير وجهة سيره بعيدا عنهم فذهب أولا الى جزيرة تايلوس (البحرين) ثم عاد الى سلوقية (٧) •

كانت هذه المعلومات المتفرقة في مضانها الموحدة في موضوعها تمثل الزاد الاول أمام الباحثين عن تاريخ وحضارة الخليج العربي عامة وعن التجارة وطرقها ونشاطاتها فيه خاصة •

ومما أضافته كتابات الكلاسيكيين أشارات الى مدن وجزر ومواقع وقبائل عديدة ، تطلب البحث عنها وتعيينها جهودا مضنية شارك فيها علماء اللغات القديمة وعلماء الآثار • فبالاضافة الى جزيرتي ايكاروس وتيلوس اللتان وردتا في أخبار أريان ، يضيف بليني عند حديثه عن طريق المواصلات البحرية في الخليج العربي اسم قرية طريدون ، ويرى بأنها تقع أسفل التقاء نهري دجلة والفرات • ونظرا لاهتمام بليني بدراسة النبات فهو يتحدث عن نباتات تايروس (تايلوس ـ البحرين) فيعدد انواع الاشجار المثمرة ، ويؤكد زراعة القطن فيها • كذلك يرجح بليني أن سبب اطلاق لفظة « السعيدة » على قسم من بلاد العرب هو اللؤلؤ الذي يأتي من البحر العربي (٨) •

وفي كتاب « الطواف حول البحر الارتيري » لمؤلف مجهول يظن انه دون في حدود سنة ٨٠ م أو ٥٠ م (٩) • يتم التأكيد على طريق ملاحة

---

(٧) Wilson, op. cit.; Hourani, op. cit., p. 14.

فؤاد جميل ، المصدر السابق ، ص ٥٢ـ٥٣ •

(٨) Pliny (23-79 A.D.) Natural History. XII, 38-39, 84. Translated by : H. Rackham, Loeb Classical Library. London. 1967.

(٩) Hourani, op. cit. P. 18f.

بحرية نشطة بالحركة التجارية تصل في نهايتها عند مدينة أبولوكوس Apologos التي لم يسبق لاحد من الكتاب الكلاسيكيين أن ذكرها من قبل ، ولكنها ذات شهرة كبيرة في المصادر العربية الاسلامية حيث ترد تحت اسم الابلة • وعلى الاغلب أن الابلة حلت محل طريدون في مكانتها التجارية لاستقبال البضائع والسفن الهندية والعربية التي تأتي من خلال الخليج العربي وصولا الى بلاد وادي الرافدين وجنوب غرب فارس ، أو الى سوريا وسواحل البحر المتوسط وقد انشأ المسلمون على أنقاض الابلة مدينة البصرة التي لا تزال بمكانتها التجارية الحالية تحاكي مدن الموانيء السابقة •

ومثلما كانت طريدون والأبلة من بعدها ، ميناء رئيسا عند فم الفرات ودجلة ، فان خاراكس كانت الميناء الرئيسي عند فم دجلة وكارون •
وانها بقيت مدينة تجارية رئيسة منذ تأسيسها على يد الاسكندر والى مطلع القرون الميلادية (١٠) •

تاثير الاوضاع السياسية على النشاط التجاري في الخليج العربي :

شهد القرن الاول قبل الميلاد متغيرات سياسية كبيرة في خارطة العالم القديم فقد اجتاحت الامبراطورية الرومانية آخر معاقل السلوقيين في سوريا عام ٦٤ ق•م • واصبحت سوريا وسواحل البحر المتوسط الشرقية مجالا رحبا لنشاطات الرومان • وكان السلوقيين قبل ذلك قد فقدوا مراكزهم في العراق اثر نجاح الفرثيين عام ١٤٤ ق•م •

وأعقب هذه الاحداث أحتلال مصر من قبل الرومان أيضا عام ٣٠ ق•م• ، بذلك حلت أقوام ـ وهم الرومان ـ لا يقل اهتمامها بالبحر وطرقه ونشاطاته بخاصة التجارية منها ، عن أسلافهم اليونان ـ السلوقيين في

(١٠) Pliny, VI, 138.

العراق وسوريا والبطالمة في مصر • ولكن الشقة الشرقية من الامبراطورية اليونانية السابقة والتي ضمت العراق والخليج العربي واقسام من ايران ، أصبحت الان تحت زعامة وسيطرة الفرثيين • والفرثيون أقوام بدوية الأصل وفدت من سهوب آسيا الوسطى ، وكانت علاقتهم بالبحر ونشاطاته ضعيفة جدا ان لم تكن منعدمة • لذلك أصبح النشاط التجاري في الخليج العربي والمحطات التجارية الرئيسية في نهايته بأمرة زعماء مدينة خاراكس العرب كما يخبرنا بذلك بليني(١١) •

ولكن من جانب آخر واصل الرومان جهود اسلافهم بطالمة مصر في في محاولات الاستكشاف للطرق البحرية الجديدة التي توصلهم من مصر الى الهند مباشرة بعد أن فقدوا السيطرة على طريق الخليج العربي ، فنجحت محاولاتهم بعد أن تعرفوا على أسرار هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب صيفا(١٢) •

فلم يعد طريق الخليج العربي طريق الملاحة البحرية الوحيد مع الهند ، وأخذت نشاطاته التجارية تقل تدريجيا أمام تطور وسائط النقل البحرية الرومانية التي أخذت تزيد من رحلاتها وتوسع حجم تجارتها مع الهند من خلال خط تجاري بحري مباشر عبر البحر الاحمر والبحر العربي من مصر الى الهند • وربما يفسر ذلك توجه اهتمام الرحالة والمستكشفين لخطوط الملاحة البحرية صوب البحر الاحمر وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية ، مثلما فعل صاحب كتاب « الطواف حول البحر الارتيري » الذي لم يذكر سوى اشارة عابرة الى مدخل الخليج العربي عند سواحل عمان •

أخذ الفرثيون يوسعون اهتمامهم بالطرق التجارية البرية التي تقدم

---

(١١) Ibid.

(١٢) Hourani, op. cit. P. 24

من الهند والصين عابرة بلاد ايران لتنتهي في مدن الأسواق التجارية شرق البحر المتوسط •

وقد بلغت هذه الطرق أوج ازدهارها على العهد الساساني حيث اشتهر منها مايعرف بخط الحرير • لذلك انصرف الفرثيون والساسانيون عن الاهتمام بالملاحة في الخليج العربي وتجارته البحرية ، فأدى ذلك الى زيادة هيمنة العرب على الطرق التجارية ومراكز الاسواق التجارية في الخليج العربي ومنافذه ، وهذا يؤكده بليني بقوله أن زعامة خاراكس التجارية بأيدي العرب •

ان هذه النشاطات التجارية في الخليج العربي وما تسببه من ثروة وقوة وقدرة ، هي التي حركت عرب الخليج لمهاجمة مملكة الساسانيين ، وكانت البحرين تحتل مكان الصدارة من بين ، المهاجمين • لذلك اضطر شابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩م) الى محاربتهم وايقاف غزوهم للاقسام الجنوبية الغربية من ايران - اقليم فارس - ونالت البحرين ومنطقة الخط الشيء الكثير من ضربات شابور[١٣] • ولكن هذه الاحداث لم توقف النشاط التجاري في الخليج العربي ، بل يواصل مسيرته الطويلة • وتبلغ نشاطاته اسواقا تجارية جديدة وصلت في حدها الشرقي الاقصى أبواب الصين ، وأصبحت الابله مركزا رئيسا لتجارة الخليج العربي تصلها سفن الهند والصين[١٤] •

ويمكننا أن نستدل من تأسيس المسلمين مدينة البصرة على أنقاض الابلة ، عمق تقديرهم لاهمية الطريق التجاري في الخليج العربي •

---

(١٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٩٢ - ٩٣ ، دار صادر بيروت ١٩٦٥ •

(١٤) Hourani, op. cit. P. 45f.

مصادر جديدة لدراسة النشاط التجاري في الخليج العربي :

حاولنا فيما سبق رسم صورة للنشاطات التجارية في الخليج العربي وذلك بموجب المصادر المدونة المتيسرة أمام الباحثين •

ولكن السنوات التي أعقبت أواسط القرن التاسع عشر ، كشفت عن اعداد كبيرة من النصوص المسمارية في مواقع متعددة من مدن حضارة وادي الرافدين منها العواصم الاشورية كنينوى وآشور ونمرود والمدن البابلية كبابل وسبر وكيش ، والمدن السومرية كأور ولجش ونفر والوركاء • وأخذ البحث العلمي في تاريخ الحضارات والشعوب القديمة يعتمد مصادر جديدة لم تكن مألوفة من قبل • ففي الوقت الذي كانت أقدم المصادر المدونة التي تتعرض لتاريخ الشعوب والحضارات القديمة انما ترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد ، مستفيدة من كتابات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين الذي يأتي في مقدمتهم شيخ المؤرخين هيرودتس، أصبحت المصادر المدونة بعد اكتشاف مراكز الحضارات القديمة والتعرف على مدوناتها الكثيرة في كل من بلاد وادي الرافدين وسوريا والاناضول ومصر تعود بنا الى تاريخ أقدم يرجع الى مطلع الالف الثالث ق•م• •

وليس الفارق الزمني لوحده يفيدنا في دراسة أوجه النشاطات الانسانية القديمة ، بل لان المصادر المدونة القديمة المستكشفة حديثا وضعت بين أيدينا تفصيلات دقيقة عن بعض مظاهر الحياة والحضارة ، لم تكن لتتوفر أمام الباحثين لولا هذه المدونات القديمة •

ومن بين المناطق التي أشارت اليها المدونات العراقية القديمة ـ المسمارية ـ بشيء من التفصيل ـ الخليج العربي(١٥) •

---

(١٥) رضا جواد الهاشمي : « الخليج العربي في ضوء المصادر القديمة » المجلة التاريخية العدد ٤ سنة ١٩٧٥ •

تتناول الكتابات المسمارية شتى الموضوعات ذات الصلة بنشاط وممارسات العراقيين القدماء • ومن هذه الكتابات المسمارية نصوص دينية وسياسية وتذكارية وقصص وأساطير وملاحم وتسجيلات تاريخية وتشريعات وقرارات محاكم وغير ذلك • ولكن من أكثر النصوص المسمارية أهمية وذات علاقة مباشرة بموضوعنا هي تلك المجاميع الكبيرة من النصوص الاقتصادية • وهي التي تتناول شؤون البيع والشراء والقرض والايجار والتجارة وغير ذلك من المعاملات الاقتصادية والمالية والتي يستند ابرامها بين طرفين لعقد قانوني •

ان دراسة النصوص الاقتصادية بامعان يكشف لنا بوضوح المستويات الحضارية للمجتمع بعيدا عن العظمة الفارغة التي تتردد غالبا على ألسنة الحكام وتدون في التسجيلات التذكارية والتاريخية •

وتعرفنا النصوص الاقتصادية ايضا ، وبخاصة التجارية منها ، بالصلات الحضارية بين المراكز المختلفة من حيث الكم والنوع ، وبطرق الاتصال بالعالم الخارجي وسبله ووسائله • وهي في هذا الخصوص تترك لنا أحيانا كثيرة معلومات جيدة عن مسالك التجارة ومناطق المواد المختلفة المستوردة • لذلك فهي تقدم صورة حقيقية للواقع الحضاري ومستوى الحياة في قطر من الاقطار مثلما تعكس لنا معلومات عن الاقطار المجاورة •

ولذلك نعتمد المصادر المسمارية في رسم صورة دقيقة للنشاطات التجارية في الخليج العربي ومراكزه التسويقية الرئيسة وصلاته الحضارية ، حيث نخلص منها الى أن الخليج العربي احتل مكانة فريدة في تاريخ النشاطات العالمية القديمة • ولم تكن محاولات اليونان على عهد الاسكندر الا رغبة في اعادة الحياة الى الشرايين القديمة لتجارة الخليج العربي •

الخصائص الطبيعية والجغرافية للخليج العربي :

قبل البدء باستعراض النصوص المسمارية ذات العلاقة بتجارة الخليج العربي ، يجدر بنا أن نقف قليلا عند بعض الخصائص الطبيعية والجغرافية لمنطقة الخليج لنتبين منها أحوالا مناسبة تهيء لهذه المكانة المتميزة التي تبوأها الخليج العربي في عصوره القديمة على طريق الرحلات التجارية العالميـــة •

الخليج العربي منخفض من الارض يقع بين هضبتين عظيمتين همـا شبه الجزيرة العربية من الغرب وايران من الشرق • وقد بدأت ميـاه المحيط الهندي بغمر هذا المنخفض منذ حوالي (١٢٫٠٠٠) سنة ، وذلك على أثر انتهاء ذروة العصر الجليدي الرابع فيورم Wurm ، ومـن خلال المليء التدريجي للمنخفض بلغت المياه في الخليج العربي مستواها الحالي في حدود سنة (٥٠٠٠) ق٠م[١٦]

وترتبط سواحله الغربية وخط أعماق المياه فيه بانحدار بطـيء تدريجي يبدأ من قلب هضبة نجد ، ليصل في أعمق نقاطه على مقربة من الشاطيء الايراني • ومقابل الارض ـ المفتوحة في الجانب العربي نشاهد على امتداد الساحل الايراني من حدود بوشهر شمالا والى مضيق هرمـز جنوبا سلسلة جبلية وعرة تعرف بجبال كرمان •

يمتد الخليج العربي باتجاه شمالي غربي وينتهي عند السـهول الفيضية لجنوب العراق (بلاد سومر قديما) حيث تصب فيه هناك ثلاثـة أنهر هي الفرات ودجلة وكارون كانت تفرغ مياهها منفردة في العصـور

---

(١٦) Wrner Nutzel, "The Formation of the Arabian Gulf from 14000-3500 B.C." Sumer 1975. P. 101 ff.

القديمة ، بينما تشترك الان في مصب واحد هو شط العرب الذي ينتهي بالخليج العربـي •

يبلغ أقصى عرض للخليج العربي ٣٨٦كم ، وأقصى ضيق له حوالي ١٢٩كم ، ويبلغ طوله من ساحل عمان الى نهايته عند سهول بلاد الرافدين ٧٢٢كم ، وتبلغ مساحته الكلية ١٤٥٫٠٠٠ كم^{٢} •

ان مياه الخليج العربي ضحلة بشكل عام ، ولا تزيد أعمق نقطـة فيها عن ١٠٠م وتزداد المياه عمقا كلما اقتربنا من الشواطىء الشرقية وكلما ابتعدنا جنوبا في الخليج العربي •

تنتشر على جانبي هذا الخليج مجموعة من الجزر ، يقترب معظمها من الساحل • وبسبب ندرة المياه العذبة في منطقة الخليج العربي عامة ، فأن مراكز توفر المياه العذبة القليلة تجتذب أناسا كثيرين فزادت كثافة السكان فيها ، كما في الاحساء (منطقة الهفوف) والبريمي وجزيـرة البحريـن •

يشهد الخليج العربي هبوب رياح شمالية غربية (الشمال) ويستمر هبوبها (٩) أشهر في السنة • وفي الشتاء يتعرض الخليج العربي وبشكل مفاجيء وعاصف لرياح شمالية شرقية تشكل خطورة كبيرة بالنسبة الى وسائط النقل المائية الصغيرة •

كما تهب على الخليج رياح جنوبية غربية تعرف محليا (سويحلي) تصل في شدتها احيانا الى حدود العصف وتنتهي بعد بضعة ساعات من هبوبهـا •

واخيرا تبقى الرياح الجنوبية الشرقية التي تمر بقوة على سواحل خليج عمان لكنها قليلة الضرر بالنسبة للملاحة في الخليج العربي •

ان ضحالة المياه قرب السواحل العربية للخليج مع كثرة التعرجات والخلجان فيها ، هيأت ظروفا طبيعية جيدة للملاحة القديمة • كذلك ساعد توفر ضرورات الحياة وابرزها المياه العذبة ، وبغزارة احيانا في عدد من نقاط الساحل وبعض الجزر على تنشيط الرحلات البحرية بمحاذاة الساحل الغربي للخليج العربي •

يقابل ذلك عمق ملحوظ في مياه الساحل الشرقي للخليج وانعدام مصادر المياه العذبة ، ويضاف الى ذلك الشقة الساحلية الضيقة والخالية من مصادر المياه والمنفصلة عن الاراضي الايرانية الداخلية بسلسلة جبال كرمان الوعرة الخالية من المنافذ •

وتتضح هذه الحقيقة التاريخية حتى في الوقت الحاضر ، ففي الوقت الذي تكثر فيه الموانىء باختلاف حجومها والمرافىء الجيدة ومناطق الاستيطان البشري الواسعة على السواحل والجزر المتاخمة لجزيرة العرب وهي تمتد من البصرة شمالا والى دولة الامارات العربية جنوبا ، يقابل ذلك انعدام الحياة على الساحل الايراني أو في بعض الجزر المتفرقة القريبةمنه ، فيما عدا مركزين هما بندر بوشهر فيالاطراف الشماليةللخليج العربي وبندر عباس عند مضيق هرمز • ومن أبرز الاسباب الجوهرية لقيام هذين المركزين والمينائين الرئيسين لايران على الخليج العربي ، توفر معابر ممكنة في امتدادات جبال كرمان تسمح باتصال هذين المركزين بمراكز اقليم فارس في المناطق الجنوبية الغربية لايران •

ان الاعمال الاثارية التي استكشفت في الخمس والعشرين سنة الماضية مئات المستوطنات القديمة على امتداد السواحل الشرقية لجزيرة العرب المطله على الخليج ، وكذلك في بعض الجزر القريبة من الساحل مثل فيلكة (الكويت) وتاروت (مقابل ساحل القطيف) والبحرين

وشبه جزيرة قطر وجزيرة أم النار (دولة الامارات العربية المتحدة) ، لم تقدم لنا دليلا واحدا على وجود مواقع ساحلية قديمة على الجانب الايراني (١٧) والذي نستطيع اضافته الى العوامل الطبيعية السابقة الذكر ، والتي شجعت وسائط النقل المائية القديمة على ولوج مياه الخليج العربي ، هو أن الخليج العربي ، كان ولايزال يشكل المنفذ المائي الوحيد بالنسبة لمركزي حضارة بلاد وادي الرافدين وايران القديمتين • وتمنح سواحله المفتوحة صوب جزيرة العرب مجالا رحبا للتفاعل بين التجارتين البرية والبحرية •

ومنذ مطلع القرن الحالي يواصل الآثاريون اكتشاف مواد أولية ومصنعة غير عراقية الاصل في المواقع الآثارية العراقية الوسطى أو الجنوبية بشكل خاص • واكتشفت في أور ولجش وكيش وتل أسمر أختام منبسطة مربعة ، ليست غريبة على صناعة الاختام الاسطوانية العراقية فحسب ، بل انها نماذج مطابقة للاختام المربعة السندية التي عثر عليها في خارابا وموهنجدارو (١٨) •

لذلك تأكد للباحثين بأن صلات تجارية ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ قامت بين مراكز الحضارة العراقية وبين مراكز الحضارة في وادي السند • وفي ضوء هذه المعلومات بدأ السعي الحثيث لاكتشاف طرق هذه الصلات التجارية بين المركزين ، وكان الخليج العربي بما يوفره من

---

(١٧) Elisabeth C. L. During Caspers, "Harappan Trade in the Arabian Gulf in the third Millennuium B. C. "Mesopotamia, VII, 1972, P. 170.

(١٨) Sir John Marshall, Mohenjo-Daro and the Indus Civilization. London-1931, vol. II. P. 370 ff.

امكانية رحلات بحرية بالوسائل القديمة ، أفضل الطرق المرشحة الاتصال •

التكامل الاقتصادي بين العراق والخليج العربي :

كان القسم الجنوبي من بلاد وادي الرافدين ـ بلاد سومر قديما ـ موطن الحضارة الاول ، يفتقر الى العديد من المواد الاولية اللازمة في عملية البناء الحضاري •

فالمنطقة خلو من المعادن المختلفة بما فيها النفيسة ، ومن الحجارة الجيدة بما فيها الكريمة ، ومن الاخشاب المستقيمة الصلبة • يقابل ذلك أن أرض جنوب العراق بسبب خصوبتها ووفرة مياهها توفر المنتجات النباتية والحيوانية الى الحدود التي تفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي •

ان المنطقة الوحيدة المرشحة لاستيراد هذه المواد من المنتجات النباتية والحيوانية هي منطقة الخليج العربي وذلك بسبب النقص الملحوظ في ثرواتها الزراعية والحيوانية التي تتأثر بالعوامل المناخية ونقص المياه • لذلك قامت بين العراق قديما وبين مناطق الخليج العربي صلات تعزز التكامل الاقتصادي فيما بينهما • ولذلك أيضا نقرأ في قائمة الصادرات العراقية الى الخليج العربي الشعير والزيت النباتي والاصواف والجلود والمنسوجات وبعض المواد المصنعة كالاختام الاسطوانية(١٩) •

ونظرا لكون المواد المصدرة من العراق تكشف ان المستفيدين الحقيقيين منها هم سكان الخليج العربي القدماء ، لذلك تطلب الامر منهم ان يوفروا موادا تجارية تحتاجها السوق العراقية وتطفىء قيمة

---

(١٩) W. F. Leemans : Foreign Trade in the old Babylonian period. Leiden, Brill, 1960 P. 19ff;

مستورداتهم ، فكان النحاس الذي صدر الى العراق بكميات كبيرة ، والحجر بأنواعه المختلفة وبعض ما يفيضه البحر من خيرات خاصة بمنطقة الخليج العربي كاللؤلؤ ، اضافة الى بعض المنتجات الزراعية وبشكل خاص التمر ، والبصل [٢٠] •

ويضاف الى ذلك ان الخليجيين القدماء لعبوا دور الوسيط الكبير في ايصال منتجات شبه القارة الهندية ومناطق جنوب غرب ايران وبلوجستان وافغانستان ، حيث كان الطلب عليها متزايدا في الاسواق العراقية •

وكما سيتضح لنا من عمليات التجارة الواسعة بين العراق وبين الخليج العربي ، تطلب ذلك بالضرورة وجود اسواق ومراكز تجارية رئيسية تشكل في نفس الوقت مرافىء جيدة لرسو السفن التجارية في رحلاتها عبر مياه الخليج العربي •

وقد تأكد اليوم ، وبعد مضي اكثر من خمسة وعشرين عاما على أعمال التنقيب والاستكشاف الآثريين في مناطق الخليج العربي ، تعيين عدد من هذه المراكز التجارية والمرافىء القديمة ، تبدأ بفيلكا مع مطلع الرحلة التجارية من فم الفرات أو دجله أو كارون ، تليها جزيرة تاروت على ساحل القطيف ، ثم جزيرة البحرين ، واخيرا جزيرة أم النار في أقصى جنوب الخليج العربي على مقربة من شواطىء أبو ظبي (العاصمة) •

كما تم التأكد من وجود صلات وثيقة بين هذه المراكز على الخط

---

(٢٠) H. W. F. Saggs : The Greatness that was Babylon, P. 275, London 1962.

البحري للمواصلات وبين مراكز ساحلية على أطراف الارض العربية ، وذلك من خلال التشابه القوي في المواد الاثرية • فشكل وتخطيط وعمارة المدافن الدائرية في جزيرة أم النار تتطابق مع نظيراتها في هيلي وحفيت في أطراف منطقة العين داخل الارض في دولة الامارات العربية المتحدة (٢١) ، وكذلك مع مدافن قرية « بات » القريبة من « عبري » مدينة القوافل التجارية البرية في عمان التي تربط سواحل عمان الشمالية على الخليج العربي (في دولة الامارات المتحدة) وبين أرض البخور في حضرموت (٢٢) •

ان انتشار العناصر الثقافية وأساليب الصناعة وجوانب من الافكار كما تعكسها المخلفات المادية في حدود واسعة تشمل مواقع ساحلية وجزر على مقربة من الساحل في الخليج العربي ، يدفع بعض الباحثين للقول باحتمال وجود وحدة حضارية تضم هذه المناطق ، منها — حضارة دلمون — (البحرين) ، فهي تضم في نطاق دائرتها الحضارية البحرين وفيلكه ، وتضم بعض الاقسام الساحلية على الارض الرئيسية وبخاصة المنطقة القريبة من الظهران حيث أكتشفت عندها مجموعة من المقابر التلية — (Tumuli) — على غرار مدافن البحرين المشهورة(٢٣) •

وأمام جملة المعطيات الطبيعية وخصائص الموقع ، وما عزته أعمال

---

(٢١) الآثار في دولة الامارات العربية المتحدة : أعداد ادارة الآثار والسياحة — وزارة الاعلام والثقافة — ١٩٧٥ ص ٢٢ فما بعد •

(٢٢) Karen Frifelt, "Apossible Link Beween the Jemdet Nasr and The Umm an-nar Graves of Oman" in the Journal of Oman studies vol I. p. 57 ff.

(٢٣) Caspers, op. cit. P. 171.

التنقيبات الحديثة في الخليج العربي ، ننتقل بالقارىء لمسح النشاطات التجارية بين العراق والخليج وتعيين موادها وحجمها ووسائل نقلها وكل ما يتعلق بها من اهتمامات بذلها الحكام والتجار العراقيون • وسنعتمد في عملية المسح على النصوص والوثائق الاقتصادية التي تطرقت الى مثل هذه النشاطات مع الخليج العربي •

النشاط التجاري في الخليج العربي في ضوء النصوص المسمارية :

تورد النصوص المسمارية العراقية ذكر بحرين كبيرين يقع أحدهما الى الشمال أسموه « البحر الشمالي » أو « بحر أمورو العظيم » أي البحر الغربي العظيم • وهو البحر المتوسط • وأطلقوا على البحر الثاني تسميات عديدة منها « البحر السفلي » الجنوبي و « بحر شروق الشمس » و « البحر المر » وقصدوا به الخليج العربي(٢٤) وتشير النصوص المسمارية عند حديثها عن الخليج العربي الى ثلاثة مراكز رئيسية فيه ، او يتم الوصول اليها من خلاله • وعندما ترد هذه المراكز سوية في أحد النصوص ، تذكر بالتسلسل التالي : دلمون (تلمون) ـ مگان ـ ميلوخا • مما يدفع للذهن بأن هناك صلة بين هذا التسلسل وبين المسافات التي تفصلها عن مراكز الحضارة العراقية القديمة(٢٥) •

وقد أصبحت البحرين ، بفضل جهود البعثة الدانمركية للتنقيب عن الآثار في الخليج العربي ، تحتل الموضع الجغرافي لدلمون

---

(٢٤) James B. Pritchard : Ancient Near Eastern Texts. Relating to the Old Testament. Third Edition with Supplenent, princeton. New Jersy 1969. P. 267, 278, 281, 297.

(٢٥) Ibid.

القديمة(٢٦) كما يتفق غالبية الباحثين في تحديد عمان او الاقسام الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية مقابل مكان القديمة(٢٧) .

أما بالنسبة الى ميلوخا ، فمعظم الادلة القرينة تشير الى تطابقها مع مناطق في شبه القارة الهندية ، وربما تكون على ساحل مكران ، وقد تمتد داخلا في الاراضي الهندية لتشمل مراكز الحضارة السندية القديمة في موهنجدارو وخرابا (٢٨) .

وبموجب هذا التشخيص للمراكز القديمة ، يكون تسلسل ذكرها في النصوص المسمارية متفقا مع الآراء القائلة بأنها تتطابق مع المسافات التي تفصلها عن مراكز الحضارة العراقية القديمة .

وتوفر الادلة الكافية في النصوص المسمارية التي عنيت بالتجارة مع هذه المراكز بأن طريق المواصلات الذي ربط بينها وبين مراكز الحضارة العراقية ، انما يتمثل بطريق المواصلات البحرية في الخليج العربي . لذلك فهي أسواق تجارية وموانىء رئيسة على طريق التجارة البحرية في الخليج العربي ، وأن طرق التجارة البحرية هذه تمثل جانبا مهما من النشاط الحضاري لهذه المراكز .

---

(٢٦) G. Bibby : Looking for Dilmun. (Proof Edition Book. 1973) p. 91 ff.

(٢٧) A. Hastings, J. H. Humphries and R. H. Meadow : "Oman in the third Millennium B. C." Jos, Vol. II. 9 ff.

Maurizio Tosi : "Notes on the Distribution and Exploitation of Natural Resources in Ancient Oman" Jos, vol. I. P. 187 ff.

(٢٨) Leemans, op. cit., p. 159ff.

فدلمون « رصيف لسفن سومر » في أسطورة أنكـي وننخرساك ، ويرد أيضا ذكر « قارب مكان » في أسطورة الطوفان السومرية[٢٩] •

وفي قصيدة سومرية عنوانها « أنكي ونظام العالـم » يرد مايلي • وملئت قوارب دلمون ، وحملت قوارب مكان بكل سعتها ، ونقلت قوارب ماكليوم (يظن أنها نوع من سفن الحمولة التجارية) الذهب والفضـة من ميلوخا الى نفر »[٣٠] •

ويؤكد أورنمو في مقدمة قانونه أنه « أرجع سفن مكان الخاصة بننار الى القنال المجاورة وجعلها مشهورة في أور »[٣١] •

وتشير مسلسلة لغوية قديمة معروفة بأسم HAR _ ra=hubullum الى أسماء القوارب التالية : « قارب ماري ، قارب آشور ، قارب أور قارب أكد ، قارب تلمون ، قارب مكان ، قارب ميلوخا » فهي اشـــارة واضحة الى الموانىء الرئيسية التي كانت تصلها الرحـــلات التجـــارية البحرية في الخليج وتكمل مسيرتها في نهر الفرات وصولا الى مارى (تل الحريري عند الحدود السورية العراقية) والى آشـــور علـــى دجلـــة[٣٢] •

فسكان دلمون ومكان وميلوخا ملاحون متمرسون على ركـــوب البحر ، يستقبلون في موانئهم السفن العراقية مثلما ترسو سفنهم في موانىء المدن العراقيـة •

---

(٢٩) J. Pritchard, op. cit. 37-47; S. N. Kramer, The Sumerians, chicago 1964, p. 281 ff.

(٣٠) Kramer op. cit., p. 174 ff.

(٣١) Pritchard, op. cit., p. 523.

(٣٢) Leamans, op. cit. p. 10.

وهكذا تتوضح أهمية هذه المراكز التجارية من النصوص الاسطورية والقصصية ذات الملامح الدينية قبل أن نتناول النصوص الاقتصادية مباشرة • فهذه المراكز تصدر الذهب والفضة ، وأهل ميلوخا يأتون أكد حاملين معهم بضائعهم الغريبة كما تشير الى ذلك مرثية أكد •

لذلك تدفعنا هذه النصوص صوب التسجيلات التاريخية والاقتصادية لنقف من خلالها بوضوح وتفصيل على أبعاد الصلات الحضارية عامة والتجارية بشكل خاص بين العراق والخليج العربي •

ففي نص دون على لسان الامير أورنانشه مؤسس سلالة لجش (في حدود عام ٢٤٥٠ ق•م•) وهو من أقدم النصوص التي تشير الى تجارة الخليج العربي ، يرد فيه أن « قوارب دلمون جلبت الخشب »(٣٣) •

ونظرا لاهمية المواد الاولية التي تأتي من تجارة دلمون ، وربما أيضا بسبب قربها من فم الفرات ، يعمد سرجون الاكدي الى ضمها لنفوذه مع غيرها من المناطق وأنه يبقيها تحت أمرة من يأتي بعده الى الحكم(٣٤) •

ويتأكد عندنا أن رغبة سرجون الاكدي للسيطرة على دلمون وغيرها من المناطق كما يشير النص الذي اقتبسنا منه قبل قليل ، تتمثل في رغبته الشديدة بأحكام السيطرة على تجارة الخليج العربي ومراكزه الرئيسة وتوجيه هذه التجارة الى بلاد وادي الرافدين • فسرجون يريد

---

(٣٣) P. B. Cornwall, "Two Letters from Dilmun" in JCS, VI, no. 4, p. 137.

(٣٤) Pritchard, op. cit., p. 119

من وراء ٣٤ حملة عسكرية ، كما يخبرنا في نص آخر من نصوصه ذات العلاقة بالخليج ، أخضع خلالها جميع المدن بعيدا الى ساحل البحر ، وجعل مزيدا من السفن تقدم من ميلوخا ومكان ودلمون الى ميناء أكد[٣٥] ويواصل نرام سين حفيد سرجون الاكدي الاهتمام بالخليج العربي وتجارته ومراكزه التجارية عندما يزحف « باتجاه بلاد مكان ويلقي القبض على مانود انو ملك مكان »[٣٦] .

ويستمر الطريق التجاري البحري في الخليج العربي نشطا على عهد كوديا أمير مدينة لجش (حكم في حدود عام ٢١٥٠ ق٠م٠) فقد « جمعت مكان وميلوخا الاخشاب من جبالها (وأرسلتها الى لجش) لاجل بناء معبد ننجرسو » . ويخبرنا كوديا في نص آخر بأنه " تسلم الحجر الاحمر من ميلوخا بكميات كبيرة »[٣٧] .

ونصل الى تقدير عال لاهمية تجارة الخليج العربي عندما نصادف أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة (بحدود عام ٢١٠٠ ق٠م٠) يخضع السفن التجارية القادمة من الخليج العربي لرقابة مشددة ، منعا لتسرب تجارتها الى غير الموانىء الحكومية فيذكر في مقدمة قانونه أنه « بقوة ننار - سيد مدينة أور - أرجع سفن مكان الخاصة بننار الى القنال المجاورة وجعلها مشهورة في أور »[٣٨] .

وتصلنا من أور على عهد سلالتها الثالثة أي عهد أورنمو وخلفائه ، نصوصا كثيرة يتوضح من خلالها حجم التجارة المتبادلة مع مراكز الخليج العربي ، وأنواع المواد المستوردة ، حيث يبرز النحاس من بين

---

(٣٥) Ibid., p. 268.

(٣٦) Pritchard, op. cit., p. 266

(٣٧) Ibid., p. 268-69.

(٣٨) Ibid., p. 523.

المعادن بشكل خاص ، كذلك الاحجار الكريمة والعاج والاخشاب الجيدة والعطور • وتعرفنا النصوص التجارية أيضا على مناشيء هذه المواد ، فالنحاس ونوع من القصب يأتي من مكان ، وتأتي الاخشاب والعاج من ميلوخا • كما أن نوعا من الحجر يأتي من دلمون •

ولكن تجارة أور مع الخليج العربي تقتصر في فترة العهد البابلي القديم (وبخاصة مابعد عام ١٨٠٠ ق•م•) على دلمون • ولكن بعضا من النصوص تواصل تسجيل تجارة مكان بالنحاس • وكانت السفن التجارية تحمل بالاقمشة المختلفة والاصواف ودهن السمسم والجلود والشعير وغيرها من المواد من أور متوجهة نحو مراكز الاسواق والموانيء في الخليج مقابل استيراد النحاس وبعض أنواع الحجر •

ويبدو أن بعض المواد العطرية كانت تصل معبد الآله ننار في أور كهدايا ونذور اعترافا من قبل المنتفعين بالرحلة التجارية بفضل الآله عليهم(٣٩) •

وليس أدل على أهمية الرحلات التجارية البحرية لمدينة أور من نماذج القوارب البحرية الغضية التي كانت تهدى غالبا الى معبد ننكال (زوجة ننار) فرعاية الالهة ننكال لهذه النماذج ستشمل أشكالها الحقيقية وهي في عرض البحر •

كما نستطيع أن نعرف أنواع المواد التي كانت تجارة أور تستوردها من الخليج العربي من خلال الهدايا التي كانت ترسل الى معبد ننكال مع وصول الرحلات التجارية بسلام الى أور • فأحد النصوص يشير الى الفضة واللازورد والعقيق واللؤلؤ (يسمى في النصوص عيون

---

(٣٩) Leemans, op. cit. p. 19-21

السمك) وأنواع من الحجر بأشكال وحجوم مختلفة مما يؤكد استخداماته المتعددة ، وكذلك الذهب ومشط عاجي ومرجان أبيض وأواني مطعمة بالعاج وغيرها من المواد • وهذه المواد كما يذكر النص هي حصة الالهة ننكال من رحلة تجارية نفذها تجار عراقيون الى دلمون •

فذلك دليل على ان هذه القائمة الطويلة من المواد كانت من صلب المستوردات العراقية تستقطع منها حصة الالهة (٤٠) •

أشرنا قبل قليل الى أن دلمون أحتلت مكان الصدارة في تجارة العراق الخارجية مع الخليج العربي • ولكن يرد من بين المواد المستوردة من رحلة تجارية الى دلمون ، مواد تقرن بمكان او ميلوخا ، مما يؤكد أن دلمون أصبحت مع مطلع الألف الثانية ق•م• ـ وبخاصة بعد سقوط سلالة أور الثالثة ـ سوقا تجاريا رئيسيا في الخليج العربي • تتجمع عندها المواد التجارية من المراكز الابعد مثل مكان وميلوخا ، حيث تكون في متناول أيدي التجار العراقيين (٤١) •

تطرقنا فيما سبق الى ظروف جغرافية وبيئية خلقت تفاوتا في نتاجات كل من بلاد وادي الرافدين والخليج العربي الزراعية والحيوانية ، لذلك كان التوافق الاقتصادي عاملا مشجعا يضاف الى العوامل الاخرى التي نشطت حركة التجارة البحرية بين العراق والخليج العربي ، وذلك ما كشفته المواد المستوردة والمصدرة ضمن عملية التجارة بين المنطقتين • واتماما للايضاح نورد في أدناه ترجمة لاحد النصوص التجارية :ـ

---

(٤٠) Leemans, op. cit., p. 23.

(٤١) Saggs, op. cit. p. 273.

« (٢) « من » (المن وزن بابلي يعادل (٦٠) شيقل ، والشيقل وحدة وزن بابلية تعادل (٨) غرام) (٥) «كور» من الزيت (الكور وحدة وزن بابلية للحجوم تعادل (٢٥٢) لتر) و (٣٠) ثوب • أقترضها كل من « لومشلام تائي » و « تلك سيسانبسا » من « أور ننماركا » ، كرأسمال مشارك في رحلة تجارية الى تلمون لشراء النحاس من هناك • وبعد سلامة الرحلة ، فان المقرض سوف لا يتحمل أية خسارة (يتعرض اليها المقترضان) • ووافق (المقترضان) على اعطاء (٤) «من» من النحاس مقابل كل « شيقل » من الفضة » (٤٢) •

ويرد من بين المواد المستوردة من تلمون ، التمر ، وكذلك البصل من مكان • والذي نعتقده بخصوص تمر دلمون انه من انواع متميزة بالجودة يندر وجودها في العراق كان متوفرا في واحات الهفوف وجزيرة البحرين مثلما يحدث في وقتنا الحاضر عندما يصدر نوع متميز من تمر البصرة الى منطقة الفرات الاوسط التي هي الاخرى من مناطق انتاجه الرئيسية في العراق •

وتنفرد عمان اليوم بانتاج وتصدير نوع من الثمار المجففة من صنف الحمضيات يعرف في العراق باسم « لومي بصرة » فربما كان الثمر الذي ترجم « الى بصل » نوعا متميزا من الانتاج الزراعي لعمان « مكان القديمة » •

وتذكرنا تسمية « لومي بصرة » بشيوع بعض التسميات لمواد التجارة القديمة فان مصدر الليمون الحامض المجفف هي عمان دون شك ، ولكن المدن العراقية عرفته عن طريق السوق الرئيسية والميناء

---

(٤٢) Saggs, op. cit. p. 274.

الرئيسي الذي تصله تجارة الليمون ، وهي البصرة ، فيسمى بليمون البصرة • لذلك نرجح الا تكون المناطق التي ورد ذكرها كمصادر تجارة مواد معينة ، هي بالضرورة مراكز انتاج تلك المواد •

فالبحرين مثلا (دلمون) خالية تماما من النحاس ، ولكنها كانت لفترات طويلة المركز الرئيسي لتسويق النحاس وميناء على طريق تجارة النحاس الى بلاد الرافدين ، لذلك ورد في النص المترجم في أعلاه وغيره من النصوص ما يوحي بأنها بلد النحاس •

ان مواد التجارة بين العراق والخليج العربي كما تعرفنا عليها ، تشير معظمها الى كونها موادا ذات أوزان عالية ، وكانت الرحلة التجارية تنقل كميات كبيرة منها ، وعليه كانت أرخص وأيسر واسطة لنقل البضائع ذات الاوزان العالية هي وسائط النقل المائية • ونعرف من أحد النصوص المتعلقة بتجارة النحاس الى نقل كمية (١٣٫٠٠٠) «من» من النحاس ، اي ما يعادل (٧٫٥) طن تقريبا[٤٣] •

أما عن حجم استيعاب السفن التجارية العاملة في الخليج العربي ، فيمكننا استنتاج حجمها عن طريق استيعابها من الحبوب مثلا • فالسفن السومرية من الالف الثالث ق•م• كانت تحمل حوالي (٢٥) طن ، والبابلية من الالف الاول ق•م• تتسع ل (٤٠) طن • أما أشكالها ، فقد كانت دون شك متعددة ، بحسب المهام الموكلة اليها ، فسفن الرحلات الطويلة تختلف عن سفن المسافات القصيرة • كذلك يختلف شكل وحجم السفينة بموجب المواد التي تتاجر بها والجهة التي تذهب اليها • وبشكل عام ليس لدينا تصور كامل عن أشكال السفن وتفاصيل تقنيتها الا مانستوضحه من نماذج القوارب الطينية أو الفضية التي عثر عليها

(٤٣) Saggs : op. cit. p. 275.

في المقبرة الملكية حيث يقوم بينها وبين « البلم » العراقي المعاصر شبه كبير [٤٤] .

ولاجل التأكد من صحة النصوص التجارية نشير الى الكميات الكبيرة من المواد الاولية والمصنعة التي عثر عليها في بقايا الابنية القديمة للمدن العراقية وبخاصة آثار المقبرة الملكية في أور ، حيث تطغي على موادها الذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة والعاج . وكذلك يتأكد استخدام طريق الخليج العربي في تجارة العراق الخارجية من اكتشاف مجموعة من الاختام المنبسطة الدائرية في أور ، وهي الاختام التي تتميز بصناعتها مراكز الخليج العربي[٤٥] .

واذا كانت بعض المواد الاولية المستوردة من قبل العراقيين تشير الى مناشيء هندية ، فان اكتشاف اختام منبسطة مربعة من الطراز الهندي في لجش وكيش وكذلك بعض الاشكال التقليدية لرسوم الاختام الهندية على الاختام الاسطوانية من أور يؤكد دون شك بلوغ التجارة الخارجية البحرية للعراقيين القدماء مناطق شبه القارة الهندية .

عرضنا فيما سبق لابعاد النشاط البحري التجاري في الخليج العربي خلال الالف الثالث ق.م. ، ولكن ما هو وقع هذه النشاطات على الحياة والحضارة في الخليج العربي ؟ .

توفرت في السنوات الاخيرة بفضل أعمال الاستكشاف والتنقيب

---

(٤٤) Saggs : op. cit. p. 276.

(٤٥) Briggs Buchanan, "Adated Seal Impression Connecting Babylonia and Ancient India" Archaeology, 20, 1967, p. 104 ff.

الاثريين في مناطق الخليج العربي ، معلومات ثرية جدا عن مراكز الحضارة الخليجية القديمة ، وعن مراحل تطورها وصلاتها بالخارج ، حيث يبرز العراق القديم في مقدمة الاقطار المجاورة أو المطلة على الخليج ، في التفاعل الحضاري العميق بالمنطقة • وكان للبعثة الدانمركية التابعة لجامعة يارخوس في الدانمرك دور الريادة في هذا المضمار ، حيث أستهلت أعمالها سنة (١٩٥٤) في جزيرة البحرين ، واعقبتها في السنوات التالية ، بأعمال واسعة شملت معظم مناطق الخليج العربي من فيلكا شمالا والى عمان جنوبا ، كما تناولت أعمالها المناطق الساحلية مثلما تناولت الجزر المجاورة للساحل العربي مثل فيلكا والبحرين وتاروت وأم النار (٤٧) •

ان خلاصة النتائج التي توصلت اليها أعمال بعثة التنقيب الدانمركية تشير الى نشاط انساني متراكم متطور ، تأخذ بداياته الحضارية أشكال مستوطنات صيد ورعي ، وبخاصة الصيد البحري الذي تركز على اللؤلؤ ، وكان ذلك في حدود الالف الرابع ق•م• ومنذ تلك الفترات المبكرة وللخليجيين صلات ثقافية ومبادلات سلعية مع سكان جنوب العراق

---

(٤٧) ان نتائج هذه الاعمال تصدر عن البعثة في دورية اسمها KUML كما أصدر واحد من أبرز العاملين في البعثة كتابا ضمنه خلاصة النتائج التي توصلت اليها البعثة منذ بدء أعمالها وحتى سنة ١٩٦٩ وهي سنة اصدار الكتاب الذي عنوانه :

G. Bibby : Looking for Dilmun.

وقدم الاستاذ رضا الهاشمي عرضا باللغة العربية للكتاب في مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد بعنوان « البحث عن دلمون » العدد ١٩ سنة ١٩٧٦ •

من المرحلة الحضارية المعروفة باسم « حضارة العبيد » [٤٨] •

وتتوسع بعض هذه المستوطنات ـ حيثما تكون الظروف مناسبة للتطور ، لتأخذ شكل مدينة تتسع بمرور الزمن • ويمارس سكانها شتى ألوان النشاطات الاقتصادية والمعمارية والفنية وغير ذلك •

وتبقى دلمون التي اكتشفت بقاياها أسفل جدران القلعة البرتغالية « قلعة البحرين » الكائنة في الاقسام الشمالية الشرقية لجزيرة البحرين ، خير نموذج متقدم لمراكز الخليج العربي الحضارية القديمة •

ومثل بقايا دلمون شخصت أسفل المباني الحديثة في جزيرة تاروت (قبالة ساحل القطيف) ، كما كشف عن بقايا معبد قديم من عصر دلمون في فيلكا عثر بين أنقاضه على مواد أثرية كثيرة ثبت من خلالها أن فيلكا كانت ضمن نطاق وحدة حضارية في الخليج العربي تدعى « حضارة دلمون » وعلى الارض الساحلية المقابلة لتاروت والبحرين وفليكا شخصت مئات المواقع القديمة ومعالم الابنية ، كما عينت بضعة مقابر تليه على غرار قبور البحرين قرب الظهران • وكانت المجسات الاختبارية في بقايا مدينة قديمة على أطراف قرية الثاج (تبعد ٧٠ كم عن ساحل القطيف) تؤكد أن هذه المدينة بسورها الحجري المستطيل الشكل ، لابد وأن تضيف جديدا الى معرفتنا بالاحداث التاريخية والحضارية للخليج العربي ويثير اكتشاف حقل واسع للمدافن في واحة جابرين جنوب الاحساء على

---

(٤٨) G. Burkholder, "Ubaid Sitesand pottery in Saudi Arabia" Archaeology, 24, (1972) p. 264 ff.

Joan Oates, " Prehistory in Northeastern Arabia " Antiquity, vol. L, 197 (1976) p. 20 ff.

مسافة ٣٠٠ كم من الساحل ، اهتماما كبيرا بين الباحثين في احتمال انتشار المستوطنات القديمة في الخليج العربي في أعماق الاراضي العربية المجاورة٠

أما جزيرة أم النار (على مقربة من أبو ظبي العاصمة) ومنطقة العين وأطراف جبل حفيت ومنطقة هيلي وقرية « بات » بالقرب من مدينة عبري في سلطنة مسقط وعمان ، وعشرات المواقع الاخرى في الاطراف الشمالية الغربية وسلسلة جبال عمان (منطقة الظاهرة) تؤكد جميعها سعة النشاطات الانسانية ، ومنذ فترات مبكرة في هذه المناطق وانها تنتظر مزيدا من الاعمال العلمية الواسعة لا للكشف عن مكنوناتها فحسب ، بل لايجاد الترابط الحضاري فيما بينها وتعيين مساهماتها في النشاطات المختلفة للخليج العربي ، لنصل في نهاية الامر الى صورة واضحة للاحداث التاريخية والحضارية في الخليج العربي بالاستناد الى المخلفات الاثارية ٠

ان الجهود العربية والاجنبية للسنوات الاخيرة وبخاصة في السبعينات ، تثير التفاؤل ، فقد اتسع نطاق النشاطات العلمية في مناطق الخليج ، ومن أدلة الاهتمام الجديد بهذا الحقل من المعرفة صدور أول مجلة متخصصة في آثار الخليج العربي تصدر عن قطر عربي خليجي هي ٠ The Journal of Oman Studies. تصدرها وزارة الثقافة والاعلام في سلطنة مسقط وعمان ٠ وشهد العدد الاول منها النور عام ١٩٧٥ ٠

أملنا كبير في مضاعفة الجهود في هذا الميدان ، وأن تتعزز المساهمات العربية الجادة للكشف عن جوانب التاريخ العربي وتوضيح مساهماته الفعالة في رفد الحضارة الانسانية ٠

العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى

الدكتور : احمد الشامي
مدرس التاريخ والحضارة الاسلامية

ان أهمية الخليج العربي ومدنه ليست قاصرة على عصرنا الحالي ، وهو عصر استخراج البترول من البلدان العربية الواقعة عليه والمحيطة به ، ولكن هذه الاهمية ترجع الى قرون موغلة في التاريخ ، فمنذ العصور القديمة وحتى عصرنا الحاضر كان ولا يزال للخليج العربي أهميته الكبيرة في جوانب متعددة ، ولكنني سأقتصر في هذا البحث على الجانب التجاري والعلاقات التجارية مع العالم الخارجي وخاصة بلدان الشرق الاقصى ، مبينا ما ترتب على هذه العلاقات من تأثيرات مباشرة او غير مباشرة في النواحي الحضارية من حيث التعرض للتغييرات التي حدثت في بعض الجوانب العلمية والدينية بين شعوب البلدان التي تمت بينها هذه العلاقات التجارية ، مما جعل منطقة الخليج العربي محط أنظار الدول القوية في فترات التاريخ المتعاقبة .

فالموقع الجغرافي :

لعب دورا كبيرا في أهمية منطقة الخليج منذ عصوره التاريخية القديمة ، ولكن هذه الاهمية وضحت وبلغت مكانة مرموقة في فترة العصور الوسطى . فالخليج العربي الى جانب كونه حلقة اتصال مباشر بين الشرق الاقصى (الهند والصين وجزر الهند الشرقية) وبين دول

العالم الاسلامي حينذاك ونعني به العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ومصر ، كان كذلك حلقة اتصال غير مباشر بين الشرق الاقصى وشرقي أفريقية ، وجزر البحر الابيض المتوسط وبعض مدن جنوب أوربا • اي أن الخليج العربي كان بمثابة الممر التجاري الذي يربط الشرق بالغرب قبل ان تعرف الطائرات والقطارات •

وكانت سفن التجارة القادمة من الشرق الاقصى ترسو في موانيء مدن الخليج العربي مثل عمان ، وهرمز ، وسيراف ، وقطر ، والبحرين ، وتفرغ حمولتها من التجارات ، وكانت هذه المدن تقوم بتوزيع ما يرد اليها على المدن الداخلية أو تحتفظ بجزء منه لتقوم سفن الخليج بتصديره مرة أخرى اما الى حاضرة العالم الاسلامي (بغداد) او الى شرقي القارة الافريقية (بلاد الزنج) وعلى هذا يمكن القول بان مدن الخليج كانت مراكز رئيسية لتلقى الواردات التجارية من دول الشرق الاقصى ، وهي في نفس الوقت مراكز لتخزين وتصدير هذه التجارات (البضائع) الى بلدان العالم المختلفة •

ولكي تتضح لنا أهمية الخليج التجارية لابد لنا من القاء نظرة سريعة مركزة على الموقع الجغرافي لهذه المدن ، حتى نقف على نشاط السكان في كل مدينة منها •

فاذا ما تناولنا عمان نجد أنها قاعدة الخليج العربي ، تقع على مداخله من الجهة الجنوبية على الشاطيء الغربي ، وفي نفس الوقت تطل على المحيط الهندي ، اي انها تقع على الطريق الرئيسي للتجارة الرائجة الممتد من الصين الى المدن الواقعة على جانبي الخليج • وعمان مدينة جليلة بها مرسى السفن من الصين والهند والزنج ، وليس على بحر الخليج مدينة أجل منها ، وهي ديار الازد [١] •

وهي احدى المراكز الرئيسية للتجارة على الساحل الغربي للخليج ، كانت تستقبل السفن الآتية من البصرة متجهة الى الهند والصين وشرقي افريقية أو بالعكس قصبتها صحار وهـــــــي أعمر مدينة واكثرها مالا بعمان [٢] ، وزاد المقدسي [٣] على هذا القول بانها دهليز الصين ، وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن ، ويصف ابن بطوطة [٤] مزروعاتها وحياة السكان بها فيذكر لنا شجر الكندر وورقه الرقيق الذي يشق فيقطر منه سائل صمغي أبيض هو اللبان ، وانه رآه بكثرة في مرسى جاسك وبيوتهم مبنية من عظام السمك وسقفها من جلود الجمال ، .. بها أسواق حسنة ومساجد معظمة نقية ، وعادة أهلها انهم يأكلون في صحن المسجد ، فيأتي كل انسان بما عنده ، ويأكل معهم الوارد والصادر [٥] ، وهم أباضيـــــة المذهب [٦] ، ومسقط قرية من أعمال عمان تبعد عنها خمسين فرسخا ، ومنها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار عذبة بها [٧] .

هرمز :

مدينة على الساحل الى الامام من رأس جسر يمتد الى الشرق فـــي مياه الخليج العربي في مواجهة بندر عباس ، ولذلك فهي تتحكم فــــــي المدخل الجنوبي للخليج العربي وتعتبر ذات استراتيجية هامة ، وتسمى كذلك موغ أستان ، ويقابلها في البحر جزيرة هرمـــــز (الجديدة) ومدينتها تسمى جرون ، زارها المقدسي في أواسط القرن الرابع الهجري (١٠ م) ووصفها وصفا جيدا [٨] ، معظم تجارها عرب وبعضهم مـــــن الفرس ، وكلهم مسلمون يتكلمون العربية ولكن الفرس يتكلمون لغتهم الى جانب العربية ، .. كثير من تجارها اغنياء جدا ، يملكون سفنا عديدة، ومن جملتهم رجل يعرف باسم حسن بن العباس له مراكب تسافر الـــى اقصى بلاد الهند والصين . في مينائها اسواق حافلة لتبادل السلع والتجارات

منها تحمل سلع الهند الى العراقيين وفارس وخراسان ، وهذه المدينة سكنى السلطان (٩) .

كانت هرمز مدينة صناعية الى جانب كونها مدينة تجارة ، فقد ساعدتها البيئة الجغرافية في ذلك لان تكوينات معظم اراضيها من الملح الداراني (سباخ) (١٠) فكان اهل هرمز يصنعون منه الاواني المزينة ، والمنارات التي يضعون السرج عليها ، وطعام اهل المدينة السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان ، وكانوا يقولون عنه (خرما وماهي لوت بادشاهي) أي ان التمر والسمك طعام الملوك ، ونستدل من هذه العبارة ان حياتهم الاجتماعية كانت مستقرة .

سيراف :

تقع على الساحل الشرقي للخليج ، كانت بمثابة المركز الدولي للتجارة البحرية وخاصة في القرون الثلاثة الاولى من الهجرة (٧-٩ م) فكان التجار العرب من البصرة يصلون اليها بتجارتهم ثم يبحرون الى بلاد الهند والصين ، وفي كثير من الاحيان كانوا يبحرون الى عمان اولا ثم يواصلون ابحارهم الى الهند والصين والبلخي (١١) يذكر لنا ما كانت عليه سيراف من الاهمية الاقتصادية فيقول « كانت سيراف قبل ذلك مدينة كبيرة مزدحمة بالمتاجر تجارتها الاخشاب ، والطيب والكافور والحرير ، ولكنها فقدت اهمتها التجارية عندما وقعت تحت سيطرة اهل جزيرة قيس ومن يتوجه اليها الآن يقصد الافادة من مينائها أو ربما لاصلاح السفن ، يتغنى المقدسي بجمال هذه المدينة ، ويذكر بيوتها انها مبنية من خشب الساج والاجر واخشاب اخرى تحمل من الشاطىء الافريقي الشرقي ، وهي طبقات على حافة البحر (١٢) كانت سفن الصين تأتي اليها محملة بالتجارات تبادلها بتجارة العرب أو يبيعونها ويبتاعون

بدلا منها ما يروق لهم من سلع وبضائع (١٣) وكانت سيراف ترسل بهذه السلع والتجارات الى المدن الداخلية في ايران مثل شيراز وغيرها ، ويطلق التجار على سيراف اسم (شيلاو) .

وقد شهر اهل سيراف بحبهم للعمل في البحر لدرجة يصفها الاصطخري (*) بأن الرجل ربما يقضي جل عمره في البحر لا يخرج من سفينته الا لضرورة قصوى ، ويقص علينا بعض القصص عن هذا النوع من اهل سيراف ، وان احدهم مكث في سفينته أربعين سنة على الرغم مما كان عنده من أموال طائلة ، وكان أشهر اصحاب السفن في ذلك العهد هو محمد بن شاذان من اهل سيراف ، وكان اكبر اهل صنعته ولهذا طلب ملك الهند ان ترسم له صورة لان عادة ملوك الهند ان يقتنوا صور لاشهر الرجال في كل حرفة (**) .

جزيرة قيس :

بعد ان فقدت سيراف جزءا كبيرا من أهميتها التجارية في القرن الرابع الهجري (١٠ م) انتقل مركز الثقل التجاري على الساحل الشرقي للخليج الى جزيرة قيس ، فكان التجار يقصدونها للبيع والشراء ، ومقايضة ضروب السلع كالحرير والكتان القطن والقنب والحنطة والشعير والدخن والارز وسائر انواع الحبوب والبقول واغلب سكان الجزيرة دلالون ووسطاء بين هذا الحشد الغفير من التجار وهي مرفأ مراكب الهند التي كانت تأتي بالتوابل والعطور ، فيها مغاص على اللؤلؤ (١٤) ، وفي أجزاء كثيرة حولها ، يذكرها معظم الجغرافيين العرب في سياق حديثهم عن جزيرة هرمز .

قطـــر :

شبه جزيرة كبيرة يحيط بها قليل من الجزر الصغيرة ، ولهذا يطلق المسعودي (١٥) عليها جزر قطر ، تقع على الجانب الغربي للخليج ،

حاضرتها الدوحة ويسميها البدو أحيانا (دوحة قطر) ، وقد سميت قطر سبة الى ما تصنعه من برود حمراء من الصوف (رداء) ويقول ابو عبيد في هذا الصدد :

كساك الحنظلي كساء صوف وقطريا فانت به تفيد ويبدو انها كانت مشهورة قديما باسم البدع وهو اسم الحي الذي نزلت به قبيلة السودان (السويدي) التي جاءت مهاجرة من أبي ظبي ، ومازال هذا الحي موجود أهلا بالسكان (١٧) ، تذكرها المراجع العربية القديمة ولكنها لم تسهب في الحديث عنها وسطح شبه الجزيرة أكثر ارتفاعا من مستوى سطح جزيرة البحرين (١٨) ، بها عيون ماء كثيرة •

الاعمال التجارية كانت تنحصر في صيد اللؤلؤ وتربية البعير والاتجار فيه ومعيشة السكان تقوم على صيد الاسماك ولكنهم كانوا كذلك تجارا نشطين وملاحين حاذقين يعملون في نقل التجارات الداخلية من والى البحرين وسيراف والبصرة وعمان وكانت مراكبهم تقدر بالمئات تجوب مياه الخليج وتبحر عباب المحيط ، بالاضافة الى مراكب صيد اللؤلؤ ومراكب صيد الاسماك ولم يكن لأهل قطر خبرة بصناعة السفن ولهذا تركوا أهل البحرين وبعض الايرانيين يقومون بتصنيع هذه المراكب لهم ، وقد اتخذ أرباب هذه السفن من قطر مركزا لشن المغامرات البحرية ضد سفن التجارة الواردة من الهند أو القادمة من البصرة •

كانت معظم تجارة قطر الخارجية ترتبط بالبحرين ، ويبدو ان هذا الارتباط هو الذي جعل الجغرافيين والرحالة العرب في العصور الوسطى يتكلمون عن قطر خلال كتاباتهم عن البحرين فصاحب المعجم ينقل عن أبي منصور الازهري خلال حديثه عن قطر قوله :

« في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية

يقال لها قطر واحسب الثياب القطرية تنسب اليها » ويبدو ان بعضا من المشايخ المقيمين في البحرين في العصر الوسيط كانو يجمعون الزكاة من أهل قطر ، واستندوا الى ان أداء الزكاة نوع من التبعية لهم ، وظلوا متمسكين بوجهة نظرهم هذه حتى السبعينات من القرن الماضي (سنة ١٨٧٥) عندما تدخلت بريطانيا ونصحت شيخ البحرين بضرورة فصل مصالحة عن مصالح سكان البر القطري ، وكان لايزال يعطي نفسه حق السيادة عليها (٢١) •

ولكن عندما استقرت الاوضاع في قطر ، وتحددت العلاقة السياسية بينها وبين البحرين واتضحت الرؤيا بأن قطر يقوم على حكمها ، وتصريف شئونها وبذل الجهد في مصالحها ومصالح أهلها شيوخ من قبيلة المعاضيد ، ونعني بهم أسرة آل ثاني الذين احتلوا مكان الصدارة بين شيوخ القبائل الاخرى ادى هذا بطبيعة الحال الى التطور والنمو السريع في جميع نواحي الحياة التجارية والصناعية والثقافية والسياسية في البلاد كما نعيشه في وقتنا الحالي •

البحرين :

جزيرة كبيرة تقع قرب الساحل الغربي للخليج ، الى الشرق من مدينة هجر التي تعرف بالحسا (الاحساء) ، وتحيط بالجزيرة الأم عدة جزائر صغيرة يبلغ عددها **٣٢** جزيرة ، من اهمها أم نعسان ، والمحرق وسترة ، والمنامة حاضرة البحرين ، كثير من العيون العذبة تندفع من مياه البحر ، يزرع بها نخيل البلح والرمان والاترج وقصب السكر ، وكانت هجر تسمى البحرين كذلك ، وكانت مستقر القرامطة من آل ابي سعيد الجنابي (٢٢) • ومعظم سكان البحرين وهجر عرب من قبيلة عبدالقيس ابن قصي (٢٣) ، ويضيف لنا ابن بطوطة (٢٤) كيف شاهد الغواصين ينزلون الى قاع البحر في المنطقة الواقعة بين البحرين وسيراو،

في خور راكد في شهري ابريل ومايو حيث يأتي الى هذه المنطقة الكثير من القوارب وفيها الغواصون وتجار من فارس والبحرين والقطيف ، وبعد ان يحصل السلطان على خمس كمية اللؤلؤ المستخرج وهو نصيبه الخاص ، يقوم التجار بشراء الكمية الباقية منه لكي يصدروه بدورهم الى الهند والصين ، والقليل منه الى الدولة الرومية وبلاد الشام ومصر .

عرفت البحرين ركوب البحر كما عرفته عمان منذ عصر ما قبل الاسلام ، وكان للبحرين وهجر سفنها ، وتجارتها الداخلية مع مدن الخليج ، والخارجية مع بلدان الشرق الاقصى أو شرق أفريقية أو اليمن (عدن) وعقب ظهور الاسلام اخذ العرب يشنون منها الغارات على المدن الفارسية [٢٥] وكانت اولى هذه الغارات بقيادة عثمان بن ابي العاص الثقفي والى البحرين (سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م) الذي قاد المجاهدين من البحرين في غارات جريئة على ساحل بلاد الفرس واستولى على شيراز وجنابه واصطخر وغيرها [٢٦] .

وأهل البحرين خبراء ممتازين في صناعة السفن ، ذاع صيتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم امام العواصف والانواء وكانت أشرعة السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهما .

البصرة :

تقع على ساحل نهر دجلة قريبا من ملتقى النهرين ، بينها وبين الأبلة عشرة أميال احدى امهات العراق الشهيرة الذكر ، ليس في الدنيا اكثر نخلا وتمرا منها ، يصنع العراقيون منه عسلا يسمى (السيلان) وهو طيب [٢٧] ، يروي الاصمعي انه سمع الرشيد يقول : « نظرنا فاذا كل

ذهب وفضه على وجه الارض لا يبلغ ثمن نخل البصرة [٢٨] .

كانت تأتي اليها تجارات الهند والصين وفارس وعمان واليمامة والبحرين لتصبها بدورها في عاصمة الدولة الاسلامية ببغداد عن طريق نقلها بالسفن النهرية ، فيروي أن أن الخليفة المنصور قال : « هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كل ما في البحر »[٢٩] .

وبالتالي كانت بغداد ترسل بتجارات بيزنطة والشام ومصر وما يرد اليها من تجارات حوض البحر الابيض المتوسط الى بلدان الشرق الاقصى ، وهذا يعطى دلالة قوية على اهمية موقع الخليج وبالتالي اهمية البلدان الواقعة على جوانبه في العلاقات التجارية بين الشرق الاقصى والشرق الادنى بما في ذلك حوض البحر الابيض المتوسط وقد قيل : « لو سد الخليج العربي لم تكن هناك مطلقا أية اهمية تجارية للقسم الشرقي من حوض البحر المتوسط في التجارة العالمية[٣٠] .

الأبلة :

كورة بالبصرة ، لاتقع الشمس على كثير من اراضيها ولا تبدو قراها من خلال اشجارها ، الجانب الغربي منها مأهول بالسكان[٣١] ، ذكرت في المراجع العربية القديمة انها كانت زمن الفتح العربي الاسلامي مرفأ السفن من الهند والصين وعمان والبحرين[٣٢] وكانت مقصد تجار فارس والهند لعظم سوقها ، ولكنها خربت ، وهي الآن (القرن ١٤م) قرية بها آثار قصور ومباني تدل على عظمتها[٣٣] .

عبادان :

جنوب البصرة على الجانب الشرقي لشط العرب ، يركب منها للابحار في اتجاهين اتجاه الى ناحية البحرين نحو بر العرب ، واتجاه

الى ناحية سيراف وجناية وفارس تسمى ميان روزان (وسط النهرين)[٣٤] كانت حصنا صغيرا عامرا على شط البحر فيه متارس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر ، كان الناس يقصدونها للاقامة بها متعبدين[٣٥] وكان بها على الدوام مرابطون[٣٦] وأكثر اهلها يصنعون الحصر من الحلفاء غير أن الماء بها ضيق والبحر عليها مطبق[٣٧] ، وكانت رسوم المراكب تجبى عندها[٣٨] .

دور الانسان العربي :

ارتبط سكان منطقة الخليج منذ القدم بالتجارة ، وقد اضطرتهم البيئة الطبيعية التي أحاطت بهم الى الاتجاه نحو البحر بحثا عن وسيلة يستكلمون بها معاشهم ، ويحفظون بها حياتهم ، ولم يجدوا أمامهم سوى ركوب البحر فأصبحوا تجارا نشيطين ، وصيادين حاذقين ، ومغامرين شجعان ، وغطاسين مهرة ينتزعون اللؤلؤ والجواهر من قاع البحر ويقايضون به على ما يحتاجون اليه من المواد الضرورية والكمالية اللازمة لحياة الانسان .

حقيقة ان البعض من هؤلاء السكان احترف رعي الابل والماشية أو الزراعة ولكن قلوبهم كانت تهفوا دائما الى البحر ، وأبصارهم عالقة بشواطئه ، وعقولهم تعمل على ان يركبوا صفحة مياهه ، فكان لابد لهم من مراكب يصنعونها بأيديهم وقد تمكنوا من ذلك وتكونت لديهم أهم صناعة عرفها عالم العصر الوسيط ألا وهي صناعة السفن بأنواعها المختلفة ، واسمائها المتعددة واغراضها الكثيرة واصبحت المدن الواقعة على جانبي الخليج مراكز أساسية في تخريج بحارة مهرة وملاحين أكفاء لهذه السفن التي كانت تعبر البحار وتمخر عباب المحيطات وقد عشق هؤلاء البحارة ركوب البحر ومواجهة الاخطار وتحدي الامواج

والرياح والأنواء والعواصف ونجحوا في ذلك الى أقصى درجات النجاح وقد نبغ بعض الملاحين العرب من أمثال محمد بن شاذان ، وسهيل بن أبان وهما عالمان كبيران بفنون البحار وما يلزمها من علم الفلك ، ثم تبعهما جيل يتمثل في أحمد بن ماجد الذى درس ما خلفه هذين العالمين الى جانب ما وجده من أصول ثابتة لهذا العلم وقواعده في اوراق البردي الايرانية القديمة (راه نامك) التي تناولتها أجيال بعد أجيال بالدراسة والتمحيص والاضافة حتى تكونت مدرسة لتخريج ملاحين مهرة خبراء في علم البحار وعلومها(٣٩) .

لم يكن من السهل مطلقا على الشعب العربي الذي يعيش في مدن الخليج وسواحله أن يستوعب صناعة السفن التي نقل اصولها عن الهند ، والتي ربما تأثرت بعد ذلك ببعض الجوانب المصرية في طريقة تثبيت صواريها وأشرعتها كما يقول البعض ذلك(٤٠) ، دون أن يكون لهذا الانسان دور فعال ، وان يكون لديه القابلية في تقبل علوم وصناعات جديدة لم تعرفها البيئة التي عاش فيها من قبل ، فهو ليس ناقلا لهذا الجديد فحسب ، بل هو مطور ومعدل له الى الاحسن بحيث يتناسب هذا الجديد وحياته العربية وظروفه البيئية ، وسوف تتضح هذه الصورة عندما نتحدث عن تأثر الحضارة العربية بالتجارة . .

كل ما أريد ان اثبته هنا هو أن الانسان العربي ـ كانت ولاتزال ـ لديه القدرة على تلقي العلوم المختلفة وأسباب الحضارات المتنوعة من معينها اذا ما اعطيت له الامكانيات الكافية واتيحت له الظروف المناسبة ، ليس هذا فحسب بل هو كذلك ذلك الانسان المبدع والمجدد فيما يتلقاه حيث بصماته وتأثيراته على كل ما يصل اليه من علوم وحضارة السابقين حتى يستخرج علوما وحضارة جديدة .

هذا الانسان العربي الذي نقل جوانب عديدة من والى الحضارة العربية الاسلامية والتي أثر فيها وطورها ، هو نفسه ذلك الانسان الذي أثبت البحث التاريخي انه صانع الحضارة المعينية في اليمن بعدما انتقل اليها من جزر البحرين[٤١] • وكان للتقارب اللغوي بين العرب عامة وعرب الخليج خاصة وبين سكان العراق القديم دور قوي في وجود صلات تجارية وسياسية وتأثيرات ثقافية وحضارية ظلت قائمة بين شعوب هذه المنطقة قرونا عدة •

ويكفي للدلالة على الدور الكبير الذي لعبه الانسان العربي في هذا المضمار ان نذكر بعض اسماء لرحالة عرب ومسلمين اتخذوا التجارة حرفة لهم ليتمكنوا من السفر والترحال او تجار استهوتهم الرحلات والاسفار فدونوا مشاهداتهم ووصفوا البحار والمحيطات والمدن والبلدان وانواع التجارات ، واسماء السفن وأشكالها واستعمالاتها وتعتبر كتاباتهم بحق الاساس الذي قامت عليه علوم الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والسياسة وهي علوم لا غنى عنها للمشتغلين بالتراث العربي الاسلامي • من هؤلاء نذكر ياقوت الحموي الذي أرسله سيده في تجارة الى جزيرة قشم في الخليج العربي والى عمان وديار الشام فأغرم بالرحلات ومعرفة البلدان فأخذ يتاجر في سبيل ان يرحل ويرحل حتى وضع معجمه الذي يعتبر بحق معجم جامع في تاريخ وجغرافية المدن والبلدان ، ثم المروزي شرف الزمان طاهر الذي عني بالنواحي الاقتصادية في رحلاته واسفاره في منطقة الخليج والهند وكذلك المقدسي المعروف بالبشاري ، واليعقوبي الذي يعتبر بحق اول جغرافي بين العرب يعتمد على ملاحظاته ومشاهداته الخاصة في وصف الممالك ، وابو الفداء الذي ذكر اسماء ٦٠ عالما جغرافيا مشهورا ممن سبقوه وظهروا قبله ، والمسعودي الذي ترك بصمات واضحة في هذه العلوم ثم شيخ الرحالة

ابن بطوطه الذى جاب الآفاق وظل أكثر من ربع قرن في ترحاله وترك لنا معلومات قيمة ونادرة عن اماكن ما كان للعرب أن يعرفوها بدون ان يكون للعلاقات التجارية أثرها الكبير في دفع هؤلاء العلماء الى أن يكونوا رحالة تجارا او تجارا رحالة .

الملاحة البحرية وصناعة السفن :

لاشك ان منطقة الخليج عرفت بناء السفن والخروج الى ظهر البحار والمحيطات منذ عصور ما قبل الاسلام عندما نقلوا هذه الصناعة عن التجار والصناع الهنود ، ذلك لان سفن الهند التجارية كانت تصل الى بحر الخليج وتصعد في نهر دجلة حتى المدائن (كتسيفون)(٤٢) ويذكر البلاذري (٤٣) أن الابلة كانت زمن الفتح العربي فرضة البحرين وعمان والهند والصين ، ويقرر الطبري (٤٤) هذه الحقيقة بقوله : « ان الابلة كانت تسمى قبل الاسلام (فرج الهند) وكانت العلاقة البحرية والتجارة بين الابلة والهند وثيقة الى حد كبير ، ولكن لم يمنع هذا من وجود مغامرين (قراصنة) من الهند في البحر (مياه الخليج) ، أخذ حاكم الابلة القالسي في محاربتهم وربما كان لهؤلاء القراصنة مناطق يحتمون بها على الساحل .

ولكن هناك من المؤرخين الاوربيين من ينكرون على العرب معرفتهم ركوب البحر واتخاذ التجارة حرفة لهم في عصر ما قبل الاسلام(٤٥) ، ويكفينا ردا على هذه الآراء الاشارة الى ما كتبه المؤرخ اللاتيني Ammianus Marcellinus (٤٦) عن الملاحة في الخليج في عصر دولة الفرس الساسانية حيث يقول : « كان الخليج يعج بالملاحة ،والسفن البحرية تختتم رحلاتها في (تيريدون) عند مصب نهر الفرات ، ثم يصف المدن العربية المجاورة لفارس والمطلة على سواحل الخليج بأن

لها موانيء محمية ، ومراسي للسفن ، وان العرب قادرون على استغلال ثروات البر والبحر معا • ويرى Bell [٤٧] في دراسته لاوراق بردى افروديت على عهد قرة بن شريك ان صناعة السفن في الشام والعراق وكل بلاد العرب قد تأثرت الى حد كبير بصناعة السفن في مصر ، وان صناعا من المصريين شاركوا في العمل بهذه البلدان العربية وان مصر هي الاصل الذى نقل عنه العرب في سائر الجهات التي شيدوا بها دورا لصناعة السفن ، كما ان الشعر العربي لم يخل من أدلة تقرر معرفة العرب قبل الاسلام لركوب البحر ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره طرفة بن العبد[٤٨] في قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية او من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق عباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المفايل باليد

ولماذا نذهب بعيدا ، وها هم العرب الذين اسلموا يضطرون للهجرة الى الحبشة وقد ركب هؤلاء البحر في سفن ـ بدون شك ـ عربية انطلقت بهم الى مستوطنهم الجديد ، والا بماذا نفسر ركوب هؤلاء العرب هذه المراكب ، ومن أين جاءتهم !!؟

ان ما يستطيع المؤرخ قوله بهذا الخصوص هو أن السفن العربية سواء في الخليج او في البحر الاحمر قصرت ابحارها على المياه الداخلية دون الخروج الى عرض البحر والمحيط بسبب ما أصاب بلاد العرب عامة ، والاجزاء الجنوبية خاصة ، من اضمحلال أقتصادي شديد في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الاسلام لدرجة تمكنت فيها الحبشة من بسط سيطرتها على اليمن (حمير) وظلت كذلك الى مجيء الاسلام •

ولكن مالبث الوضع ان تغير الى أحسن مما كانت عليه السفن العربية أيام قوتها قبل انتكاسها ، بعد اتساع رقعة العالم الاسلامي وانتشار الدين الجديد وبناء أسطول عربي اسلامي قوي بعث في نفوس العرب والمسلمين القوة والامل من جديد ، فأخذت طلائع العرب بسفنهم تظهر في الهند منذ سنة ٦٣٧م على عهد الخليفة عثمان ابن عفان ، ثم خرجت سفن عربية أخرى من عمان والبحرين وتقدمت نحو مصب نهر مران ، وخضع ملك كابل وأدى الجزية للعرب سنة ٦٦٤م ، وفتح العرب السند سنة ٧١١م[٤٩] . حتى اذا كان عهد دولة بني العباس في بغداد أصبحت سفن المسلمين من كل نوع تبلغ الآلاف وتجوب البحار والمحيطات .

كانت السفن تبنى بألواح من خشب التك (الساج) وكانت هذه الالواح تثقب ثقوبا ضيقة وبحذر شديد ، ثم تشد بعضها الى بعض على جانبي الهيكل (العيدان)[٥٠] بواسطة حبال مجدولة من شعر جوز الهند (النارجيل)[٥١] ، وكانت هذه الاخرام تدسر بكوابيل من الخشب الدقيق عوضا عن المسامير التي لم يستعملها أهل الخليج في بناء سفنهم خشية ان تنجذب الى جبال المغناطيس الموجودة في بحر الصين او بحجة ان المسامير تصدأ وتسبب للخشب تلفا ، ولكننا نرى أن عدم استعمال المسامير في صناعة السفن كان لارتفاع اثمانها ارتفاعا كبيرا بسبب ندرة استعمال الحديد في صناعة السفن ، وربما لانها كانت تسبب انفلاق ألواح الخشب الجانبية للسفن ، لان العالم لم يكن قد عرف بعد المسمار اللولبي Schranbennasel [٥٢] وقد ظلت طريقة صناعة السفن على هذا المنوال حتى ما بعد القرن السادس عشر الميلادي ، ففي أواخر هذا القرن حضر رالف فتش مع ثلاثة آخرين

من الانجليز وزاروا منطقة الخليج ، وقد وصف فتش رحيله من هرمز الى الهند ، والسفينة التي ركب فيها بقوله : « ومنهـا ذهبت فـي سفينة مصنوعة من الخشب المربوط بعضه البعض بحبال مصنوعة من قشـر جوز الهند او القنب ، ولهذا كان الماء يدخلها كثيرا[٥٣] ...

ولم يكن استعمال المراكب قاصراً على نقل التجـارات فحسب ، سواء كانت داخل مياه الخليج او خارجه ، بل استعملت لنقل الرحالة والتجار والمسافرين كذلك ومنها ما كان يجمع بين كونه مراكب حرب ومراكب نقل ، ومنها ما كان قاصرا على نقل البضائع من موانىء الخليج الى المدن الواقعة في الداخل على الانهار[٥٤] ، ومنها ما كان خاصـا لنقل الركاب من مكان لآخر ، أي بمثابة الاتوبيسات النهرية في وقتنـا الحالـــي .

ومن أهم أنواع هذه المراكب :

١ ـ البغله : كانت من أكبر انواع المراكب المعروفة في ذاك الوقت وحمولتها ٢٠٠٠ كيس تمر .

٢ ـ البوم : كانت تستعمل لنقل التجارات وحمولتهـا ١٢٠٠ كيس تمر .

٣ ـ شوعى : وهي مثل البوم في الحمولة والاستعمال .

٤ ـ البلم : كانت تستعمل لحمل الاخشاب والخضـروات مـن شط العرب الى مدن الخليج .

٥ ـ الجاكر : نوع من السفن الكبيرة لنقل التجارات بين الصين ومدن الخليج .

٦ ـ الاجفان : هذا النوع مخصص لحماية دار السلطان فـي هرمز اي لنشات حراسة .

٧ ـ الترانكي : كان شائع الاستعمال في الخليج وخاصة في القرنين ١٧ ، ١٨م وكانت تسير بالمجداف والشراع معا ، وتستخدم في الحرب وفي نقل التجارات .

٨ ـ غلافه : استعملها عرب الخليج في حروبهم ضد البرتغاليين وجمعها (غلافات) .

٩ ـ تكنه : سفن صغيرة مسلحة قعرها مسطح ومطلى بالقار .

١٠ـ جنك : ومصدرها الصين ، وهذا دليل آخر على وصول سفن الهند والصين الى الخليج .

١١ـ هناك انواع متعددة من المراكب الصغيرة مثل :ـ الطيارات، الحديديات ، الزبازب (مفردها زبزب) وكان هذا النوع مخصصا لركوب السلطان في بغداد ، السميريات ، القفاف ، الجلبه ، الدوينج ، الزورق ، الصنبوق ، الجلبوت ، الجهازى ، ماشوة ، بقارة وغنجة وغيرها(٥٥) .

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته الى السفن التي عرفها الانسان منذ عهد نوح عليه السلام مثل قوله تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون »(٥٦) .

وقوله تعالى : « وحملنه على ذات الواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر »(٥٧) .

وقوله تعالى : « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »(٥٨) .

وكان لهذه السفن عدة مسارات خارج مياه الخليج ، أما داخل الخليج فلم يكن هناك سوى مسارين ، أولهما ان السفن كلها سواء الآتية

من البصرة او من احدى الموانىء الواقعة على أحد جانبيه كانت ترسو في عمان (مسقط او صحار) حيث تتزود ، بالماء والطعام ، وتحمل ماتريد من بضائع ومنها تتجه الى مالابار حيث ترسوا في كولام وثانيهما ان السفن التى تريد الابحار فى موازاة الساحل الشرقى كانت تبحر من أى مكان داخل الخليج وتلتزم بالسير قريبا من السواحل الشرقية ثم السواحل الجنوبية لايران الى أن تصل الى شواطىء السند ، وبلد السند هى المنصورة وأراضى الزط وما والاها من الملتان ثم تنتهى هذه السفن على سواحل الهند او تتابع السير الى الصين(٥٩) .

أما مسار السفن نحو شرق افريقيا فكان يبدأ من أى من المراكز البحرية المتعددة سواء من البصرة او من سيراف او من عمان الى مدغشقر ، وكانت اليمن (عدن) المركز التجاري الرئيس او بمعنى أصبح مستودع التجارة الواردة من الصين والهند وبغداد وكانت السفن تنقلها من عدن الى شرق افريقية او الى مصر التي كانت ترسل بسفنها عبر البحر الاحمر لتصل الى عدن وتشتري ما تحتاج اليه من سلع مختلفة او من بخور وعطور (٦٠) .

ويحدثنا المسعودي (٦١) انه ركب البحر في سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦م) من زنجبار (قنبلو) على الساحل الشرقي لافريقية مسافرا الى عمان في مركب من سيراف يملكه احمدبن جعفر السيرافي ، وان أقصى ماتصل اليه مراكب المسلمين في اسافل (جنوب) بحر الزنج ، اقليم موزمبيق (سفاله) ، واليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين حيث يشترون العاج ويحملونه الى الصين ، وكان الصينيون يدفعون له اثمانا اكثر من التي تدفع في مثيله من بلاد أتام أو تنج كنج (٦٢) ويؤكد المسعودي انه لولا تصدير العاج الى عمان والهند والصين لاصبح كثيرا في

بلاد الاسلام ، وكانت معظم واردات الهند والصين من الجلود تأتي اليهم من شرق أفريقيا (٦٣) .

والى جانب هذه المسارات البحرية كان هناك مسار بري يبدأ من بغداد التي كانت مشحونة بكل انواع التجارات المختلفة من بلدان الشرق الاقصى ، فكان التجار يحملون بضائعهم على ظهور الدواب وينقلونها الى سوريا ومنها الى موانيء شرقي البحر المتوسط حيث تصدر الى الدولة الرومانية او الى مدن جنوب أوربا واهم ما كان يرسل الى سوريا الحرير الخام وخيوطه ليعالج فيها بالصباغة والزركشة المطبوعة على المنسوجات قبل ان يعرض للبيع والاتجار ، أما بقية البضائع الاخرى فكانت تشمل الفراء والحديد والتوابل والاعشاب النباتية وقد شاعت هذه السلع في مدن حوض البحر الابيض المتوسط (٦٤) .

العلاقات التجارية وأهميتها في العصر العباسي :

احتل الخليج العربي مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية لدولة بني العباس واصبح جزءا مهما من أجزاء العالم الاسلامي بالنسبة لبغداد لاسيما في العصر العباسي الاول الذي تميز بالنشاط والانتعاش التجاري بشكل ملحوظ ذلك لان الحضارة العربية الاسلامية كانت في حاجة كبيرة الى بعض الجوانب المادية (٦٥) ، فالخليفة ورجال البلاط وكبار رجال الدولة والتجار كانوا في حاجة دائمة ألى المواد الترفيهية والكماليات الاجنبية الواردة من الهند والصين وأفريقيا (٦٦) .

وكان لابد لمدن الخليج ان تلعب دورها البارز في توسيع دائرة العلاقات التجارية بين بغداد وبين بلدان الشرق الاقصى لمالهم من قدم راسخة في مياه البحار خاصة وان الخليج هو المنفذ البحري الطبيعي للدولة العباسية التي اتجهت نحو الشرق وبعدت عن مركز الثقل التجاري

الذي كان موجودا في البحر المتوسط على عهد الامويين ، واصبح من الضروري ان ينتقل مركز الثقل التجاري الى الخليج العربي لقربه من حاضرة العباسيين في بغداد ، فنشطت الحركة التجارية نشاطا فائقا بين مدن الخليج وبين الهند والصين على وجه الخصوص واخذت السفن العربية الاسلامية تكثر وتزيد حتى اصبحت التجارة الاسلامية مظهرا من مظاهر أبهة العرب والمسلمين ، واصبح التاجر الغني الذي لديه امكانيات واسعة في الاتجار وامتلاك السفن وتشغيل امواله في الجوانب التجارية المختلفة هو ممثل لجانب مهم من جوانب الحضارة الاسلامية ، ونعني به الجانب الاقتصادي او المادي • وكانت النتيجة المباشرة لازدياد الحركة التجارية بين هذه البلدان أن استعادت مدن الخليج العربي مكانتها السابقة في عالم التجارة والاقتصاد ، فكانت سفن الخليج التجارية تبحر من مياه الخليج وهي محملة بالبضائع التجارية المختلفة من بغداد والبصرة والبحرين وعمان متجه الى الهند والصين أو أفريقية لتعود من هذه البلاد وهي محملة بالبضائع التجارية فتغرق بها اسواق العالم الاسلامي •

وتتمثل انواع التجارات في السلع الاتية ، فمن الصين كان يرد على مدن الخليج اللبان والكافور والقرنفل والعود الهندي ، والقمح وهو كثير جدا والارز والسكر وكان يفضل السكر المصري والبقول مثل العدس والحمص وكثير من انواع الفاكهة (٦٧) • وكثير من المنسوجات الحريرية وهو لباس الفقراء المساكين بالصين ولولا التجار ما كانت له قيمة ، أما المنسوجات القطنية فكانت غالية الثمن • ومما شملته السلع الواردة من الصين الفرند والكيمخا والمسك والسروج والصلبنج والدارصيني والخولنجان وفراء السمور والسنجاب والقاقم ، والجلود المختلفة والشمع •

أما المعادن فكانت تتضمن الذهب والنحاس وكانوا يستخرجونه من أماكن خارج تكدا ، والاسلحة ، وسهام الحرب ، وحراب صيد الاسماك ، وخشب الابنوس ومن الهند كانت ترد كذلك كثير من التجارات مثل الياقوت بالوانه المختلفة من سرنديب (سيلون) وكان يستخرج من شواطىء الجزيرة أو يحفر عليه ، والالماس والعود الهندي والتوابل ، والفلفل ، والنارجيل ، والخيزران ، وزهرات يصنع منها العطور وكذلك البقم وهو نبات عروقه دواء يشفى من لدغة الثعبان وقد جربه البحريون والارز والبهار والافاوية وانواع الادوية والعقاقير .

ومن جزر بحر هركند تحمل مراكب الخليج الكافور والنارجيل وخشب البقم والفيلة بها كثيرة [٦٨] ، حول هذه الجزر يوجد احسن انواع العنبر وهو النوع المدور الازرق النادر وهو كبيض النعام أو دونه [٦٩] . ومن الهند كذلك كانت السفن تأتي محملة بالصندل ، والكافور ، والقرنفل ، والقاقلة (القرفة) والكبابة ، والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنا والعاج والطيب .

ومن المعادن الرصاص القلعي من كله ، والحديد والنحاس من السردن وقد انحصرت تجارة جزر الهند الشرقية على العنبر والكافور [٧٠] وكان التجار العرب يبادلون به بعض السلع الاخرى من الصين .

وتمثلت صادرات مدن الخليج في اللؤلؤ والجواهر والاحجار الكريمة [٧١] والزيوت التي يحمل منها الى الافاق [٧٢] والخيول العربية من ظفار ، والفضة ، والانك والكبريت ، والنفط ، وماء الورد ، وكان اهل الصين لا يفضلون اي نوع من اللؤلؤ على اللؤلؤ المستخرج من الخليج [٧٣] .

هذه البضائع كلها كانت تأتي الى مدن الخليج التي كانت جميعها

بمثابة مخازن كبيرة لسلع الشرق الاقصى ، ومراكز امداد وتموين تجاري للمدن الداخلية في ايران والعراق والشام وشبه جزيرة العرب وغيرها من دول البحر المتوسط .

وكانت مدينة ظفار (باليمن) تتبع اسلوبا لطيفا في استقبال سفن التجارة الواردة اليها من بلدان الشرق الاقصى ، فاذا وصلت أحدى السفن خرج عبدالسلطان الى الساحل وصعدوا في صنبوق الى المركب ، ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله ، وللربان وهو الرئيس ، ولكاتب المركب (الكراني) وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثة ايام وبعدها يأكلون بدار السلطان ، وهم يفعلون ذلك استجلابا لاصحاب المراكب (٧٨) .

هذه هي التجارات والسلع التي قامت عليها العلاقات التجارية بين دول الشرق الاقصى وبين مدن الخليج العربي والتي كانت تنقل منها الى كل صقع في العالم الاسلامي ، بل الى كثير من بلدان جنوب أوربا ـ كما ذكرت ـ عن طريق المسار البري الموصل الى سوريا ثم الى شرقي البحر الابيض المتوسط ، ومازالت هذه العلاقات التجارية قائمة الى يومنا هذا بين الجانبين ، وهي وطيدة تسودها روح التعاون الاقتصادي المثمر القائم على الثقة والتفاهم حيث نجد ان معظم واردات مدن الخليج مثل الارز وهو الغذاء الرئيسي لاهالي مدن الخليج ، والحبوب والبقول والفواكه الى جانب كثير من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية والمصنوعات الميكانيكية والالية الحديثة .. تأتي من الصين والهند وجزر الهند الشرقية وان كانت اليابان ومدن أوربية كبيرة قد دخلت الى هذا الميدان في العصر الحديث .

وكانت طريقة البيع والشراء لهذه السلع التجارية تتم عن طريق المقايضة في اول الامر ويروي لنا الرحالة العربي ابن بطوطة (٧٤) طرائف

عن نظام المقايضة في الصين فكان التجار العرب يذهبون بتجاراتهم الى اسواق مخصصة على حافة ارض الظلمة ويتركونها في هذه الاماكن ثم يأتون اليها في اليوم التالي حيث يجدون بجوارها فراء السمور والسنجاب والقاقم كبديل عن هذه التجارات فان رضي صاحب التجارة حمل الفراء وترك بضاعته وانصرف وان لم توافقه الصفقة ترك كل شيء كما هو الى اليوم التالي فاما يجد ان المشترين من اهل الصين قد زادوه في انواع الفراء واما انهم حملوا فراءهم وتركوا له متاعه (بضاعته) فيأخذه وينصرف •

وقد استخدم اهل الصين واهل فارس والعراق هذه الجلود الفرائية في ملابسهم بوضعها حول العنق لتقيهم شدة البرد •

ولكن عندما تطورت نظم الحياة في العالم عرفت الدول السكة المعدنية والفضية والذهبية واستعملتها في بيعها وشرائها وكانت الصين اول من استعمل العملة الورقية حيث اتخذت لها عملة من الكاغد الصيني في حجم كف اليد وكان كل ٢٥ كاغدا تساوي دينارا [٧٥] •

ولم تكن التجارة معفاة من الرسوم الجمركية ، فقدعرفت بلدانالشرق الاقصى وخاصة الصين نظامالضريبة على التجارةالواردة ، واغلبالترجيح انها نقلته عن نظام العشور الذي كان سائدا في الدولة الاسلامية وقتذاك والذي ربما انتقل الى الصين بعد ان تكونت فيها مراكز تجارة اسلامية كبيرة واستقرت جاليات عربية واسلامية عظيمة ، فالمراجع التاريخية ، وكتب الرحالة والجغرافيين [٧٦] الذين عايشوا هذه الحياة في هذه البلدان يروون لنا كيفية نظام تحصيل ضريبة التجارة الواردة بقولهم ••• ومتى وصل مركب يصعد اليه صنبوق السلطان ، فيسأل عن المركب من أين قدم ؟ ومن صاحبه ؟ ومن ربانه ؟ وما هي شحنته (وسقه) ؟ ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف هذا كله ويعرضه على السلطان فمن كان يستحق ضيافة السلطان استضافه عنده واكرم نزله •

من دراسة هذه النصوص يمكن لنا القول بأن العرب عرفوا منذ بداية العصور الوسطى نظام التفتيش الجمركي والرقابة البحرية وتحصيل ضريبة على البضائع الواردة وهي المعروفة حاليا بالرسوم الجمركية لحماية التجارة الداخلية ، وان بلدان الشرق الاقصى نقلت هذا النظام ولكنها عدلته بما يتلاءم مع طبيعة الحياة فيها ، وان العلاقات لم تكن محصورة في نطاق الجوانب التجارية بل تعدتها الى الجوانب الانسانية حيث كان السلاطين يستضيفون اصحاب المنزلة ممن يكونون على ظهر السفينة .

هذه الجوانب الانسانية في العلاقات التجارية هي التي سمحت لتجار اليهود الموجودين باقليم بروفانس بفرنسا[٧٧] ان يشاركوا بتجارتهم مع دول العالم الاسلامي وبلدان الشرق الاقصى ، على الرغم من سيطرة التجارة العربية الاسلامية واساطيلها التجارية على بحار ومحيطات الشرقين الاقصى والاوسط ، واهم ما كان يجلبه هؤلاء التجار اليهود الى الشرق الخدم والغلمان والجواري والديباج والخز الفائق ، والفراء السمور ، وكانوا يركبون البحر من جنوب فرنسا الى الفرما (بور سعيد الحالية) ثم يحملون تجارتهم على ظهورهم الى القلزم (السويس) ثم يركبون البحر الشرقي (الاحمر) حيث يواصلون ابحارهم الى عدن او الى موانىء الهند في مراكب عربية ، وهناك يبادلون ما معهم من تجارة ويشترون السمك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك ثم يعودون من نفس الطريق وفي بعض الاحيان كان هؤلاء التجار اليهود يسلكون الطريق الثاني المؤدي الى الفرات حيث ينزلون في انطاكية ثم يتجهون برا الى الفرات حيث تنقلهم المراكب العربية الاسلامية من دجلة الى الابلة ومنها يبحرون في مراكب عربية أخرى أكبر من السابقة حيث يصلون عمان أو

الهند أو السند ، وكان هؤلاء يتكلمون العربية والفارسية والتركية الى جانب لغتهم الفرنجية .

ومن المرجح جدا عندي ان هؤلاء التجار من اليهود كانوا يبيعون تجارتهم ويشترون بدلا منها مايريدونه من تجارات موجودة في مراكز التجارة العربية الاسلامية التي كانت بمثابة مستودعات او مخازن كبيرة لبضائع وسلع الهند والصين وغيرها من بلدان الشرق الاقصى والموجودة في الأبلة وهرمز والبحرين وعمان وعدن حتى لا يتحملوا كثرة التكاليف ومشقة السفر في تنقلاتهم وسفرهم بالبحر في سفن عربية اسلامية لاسيما وان سفنهم كانت تأتي بهم فقط اما الى الفرما واما الى انطاكية .

كان من الطبيعي تحت ظروف المنافسة التجارية الشريفة ان لايستمر هؤلاء التجار اليهود في مزاولة تجارتهم ، فقد تمكن التجار العرب الشاميون من بسط سيطرتهم التجارية على حوض البحر الابيض المتوسط في القرن الثالث والرابع الهجريين (١٠٩٠م) فكسدت تجارة اليهود في منطقة الشرقين واستقروا بحوض نهر الرون وأصبحنا لانجد لهم في هذا العصر وما يليه من العصور الوسطى ذكرا او شأنا ، لان انتشار التجارة العربية الاسلامية ونموها اخرج التجار الاجانب من البحار التي سيطرت عليها سفن التجارة العربية الاسلامية ، لان اوربا لم يكن لها حتى ذلك الوقت أى سلطان على البحر المتوسط ، الذى اطلق عليه لفظ البحر العربي[٧٨] .

اثر العلاقات التجارية في بعض الجوانب الحضارية :

ترتب على اتساع رقعة الاتجار انفتاح مجالات واسعة أمام العرب والمسلمين كانت مغلقة امامهم من قبل ، فقد غطت التجارة العربية الاسلامية مساحة عظيمة من عالم العصور الوسطى حيث انتشرت من حاضرة الدولة الاسلامية (بغداد) عبر الخليج العربي وهو المنفذ الطبيعي على البحار

والمحيطات الى أقصى الصين شرقا ، ثم اتجهت الى الغرب فوصلت الى أقصى الشمال من شبه الجزيرة الايبيرية (الاندلس) ، وأصبح في مقدور التجار العرب والمسلمين ان يتنقلوا بين المدن والبلدان يبيعون ويبتاعون دون أن يحول بينهم وبين تجاراتهم حائل(٧٩) واصبحت الرحلة في سبيل التجارة او التجارة في سبيل الرحلة لاكتساب المعرفة اوسع آفاقا وأكثر أمانا واطمئنانا ومن الطبيعي ان هؤلاء الرحالة لم يكونوا ليمرون ببلد أو قطر دون أون يتعرفوا الى أهله ، ويقفوا على احوالهم وعاداتهم وتقاليدهم ومسلكهم مع الغرباء ، فدونوا كل ما رأوه وما عايشوه وقصوا كل ما وقع لهم من نوادر وحكايات وما قابلوه من عقبات وما تخطوه من صعوبات فنقلوا صورة واضحة عن كل جوانب الحياة وتأثرت المجتمعات العربية والاسلامية تأثيرا كبيرا في كثير من نواحي حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والصناعية ، وبالتالي تأثرت الحضارة العربية الاسلامية بهذه المؤثرات ولكنها مع كل هذا فقد أثرت بدورها على كثير من الحضارات الاخرى ، ومن ضمنها الحضارات التي كانت قد تأثرت بها من قبل .

فمما لاشك فيه ان حضارات عالم العصور الوسطى كانت متقاربة ومتأثرة كل بما سبقها او بما عايشها من حضارات نتيجة الاتصالات المختلفة بين الشعوب وخاصة الاتصالات التجارية والبعثات السياسية والاحتكاكات الحربية فحضارة الرومان مثلا تأثرت وأخذت كثيرا من حضارتي الاغريق والفرس ، كما ان حضارة الفرس كانت قد تأثرت بحضارة اليونان من قبل وكذلك بالنسبة للحضارة العربية الاسلامية التي تأثرت في بادىء أمرها بالحضارة الارامية ثم ما لبثت ان تأثرت بالحضارة اليونانية والفارسية والرومانية بل بحضارة الهند والصين وغيرها من البلدان التي اتصل العرب والمسلمون بها عن طريق التجارة والسياسة او الفتح والغزو(٨٠) ، ولكن الحضارة العربية امتازت بأنها مزجت كل هذه

التأثيرات الحضارية واخرجت منها حضارة تتمشى مع الروح والتقاليد والعادات والنظم التي تتمشى مع التشريع الاسلامي[٨١] .

ففي مجال الحياة الاجتماعية نجد ان نواحي ليست بالقليلة في عادات العرب في طعامهم وملابسهم وموسيقاهم وغنائهم قد تغيرت بسبب أختلاط العرب بالموالي[٨٢] الذين قامت على اكتافهم تطورات كبيرة في المجالات التجارية والزراعية والصناعية . فالاسواق التجارية كانت مراكز للبيع والشراء وملتقى كبار التجار حيث الصفقات بين تجار مسلمين وغير مسلمين ، عرب وغير عرب ، وكان التعارف يتم اثناء البيع او الشراء ، وكان كثير من الفرس والعرب يعملون في هذه الاسواق التي اختلطت فيها عناصر مختلفة من هنود وصينيين وظهرت عادات وتقاليد مجلوبة من أماكن قاصية او دانية ، فتأثرت جوانب من حياة العرب (والفرس والهنود والصينيين) الاجتماعية نتيجة هذا الاختلاط فقلدوها في معاشهم ، وحاكوها في سلوكهم وتصرفاتهم اليومية ، وانتقلت هذه العادات من الاسواق الى الامصار ثم الى البيوت والأسر والافراد حتى اصبحت جزءا لا ينفصم من حضارة المجتمع الذي انتقلت اليه .

فالمقدسي يذكر لنا ان أهل سيراف كانوا يمدون شراعات بين الاسطح لتقي التجار لفحة الشمس الحارقة اثناء مزاولة البيع والشراء وقد نقلت هذه العادة مع انتشار حركة التجارة في مدن الخليج كلها ثم ما لبثت ان انتقلت الى اسواق مدن البلدان الاسلامية الاخرى ، ثم استعملها أهل مصر على صحون مساجدهم عند صلاة الجمعة لتقي المصلين حرارة الشمس ، ثم استعملتها مساجد البصرة وشيراز كذلك ويرجح المقدسي ان أصل هذه الشرع يعود الى عصر الحضارة اليونانية في الشرق حيث كانوا يضربونها على حلقات ملاعبهم . ص٢٠٥ ، ٤٣٠ .

ومن أمثلة ذلك في مجتمعنا العربي بمنطقة الخليج نجد ان نظام المائدة قد تغير عن ذى قبل حيث تنوعت اصناف الطعام وكثرت انواع الفاكهة المستوردة من الصين والهند على المائدة اثناء الوجبة الواحدة بعد ان كان العربي لا يحب الا صنفا واحداً من الطعام على مائدته .

واستعمل العربي بكثرة اغلى الثياب المصنوعة في الهند وكان بعضها موشى بالذهب او الفضة واتخذت المرأة العربية في الخليج حليا لزينتها من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة وزينت بيتها بخزائن وزهريات من صنع الهند والصين ملأتها بما يطيب لها من نباتات عطرية(٨٣) .

وفي مجال العمارة نجد ان البناء في عصر صدر الاسلام كان بسيطا وكانت البيوت مكونة من دور واحدة ثم مالبث فن العمارة منذ القرن الثالث الهجري (٩م) ان تأثر من ناحية الشكل والزخرفة والرسوم وما ادخل عليه من حمامات رسمت قاعاتها وما غرس به من حدائق وبساتين ، وانتشر هذا الطراز في العالم الاسلامي العربي بصفة عامة وفي العراق بصفة خاصة وكان لمشاهدات التجار والرحالة العرب وما نقلوه من أوصاف للقصور والابنية التي زاروها أثر كبير على العمارة ، فالخليفة المتوكل على الله أحدث بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري ، وكان أصل هذا البناء يوناني شرقي واصبح هذا النمط متبعا في بناء القصور الكبيرة التي كان لها مقدم او ثلاثة أجزاء اوسطها الباب الاكبر ، والى جانبيه البابان الصغيران (ويسميان عند العرب الكمين) - الاكمام ولم يلبث الناس ان قلدوا هذا الطراز المعماري تيمنا بالخليفة المتوكل(٨٥) .

ولكن حفائر سامراء قدمت للأثريين طرازا آخر من هذا البناء حيث وجد ان الباب الاوسط يزيد على البابين الجانبيين في الارتفاع والاتساع، وهذا طراز هليني متأثر بالحضارة اليونانية في الشرق ، وهو مأخوذ من بوابات الاحياء وأقواس النصر ، وقد بنى احمد بن طولون واجهة قصره

في مصر على هذا النمط ولكنه جعل الابواب الثلاثة متساوية في الارتفاع والاتساع[٨٦] .

كما نقل طراز سامراء في بناء مئذنة مسجده التي مازالت قائمة تشهد على هذا التأثير الذي استحدثه العراق في معابد الفرس المعروفة باسم زاجورات[٨٧] .

ويذكر HELL ان كثيرا من هذه التأثيرات التي دخلت على فن العمارة في العالم الاسلامي كان مرده استخدام عمال بيزنطيين او من رعايا الشعوب التابعة للدولة الاسلامية ويتضح هذا التأثير في قبة الصخرة على مسجد عمر بن الخطاب التي بنيت في عهد الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان وتشير الدراسات التي أجريت على اوراق البردي ان هذا التأثير شمل المساجد والقصور ولكن ما ادخله العرب المسلمون على التأثيرات البيزنطية من عناصر فنية جديدة مثل الزخرفة بالكتابة ، والنقش والاشكال الهندسية جعل طرز البناء طرازا اسلاميا[٨٨] ويذكر بارتولد ان الفرس والنصارى كانوا يقومون ببناء المساجد وقصور الخلفاء ولهذا تأثرت هذه الابنية بفنونهم[٨٩] .

كذلك ادخل اهل سامراء على الحمامات العامة التي عرفها العرب والمسلمون عن الرومان نوعا من الزخرفة التي عرفوها عن الفرس قبل عهود الاسلام فبدلا من استعمال القاشاني الملون او المزايكو في تزيين ردهات الحمامات وغرفها مثلما استعملها اهل الشام ونقلوها عن حضارة اليونان في عصورها الاخيرة في الشرق[٩٠] نجد ان اهل سامراء كانوا يستعملون الصور في تزيين الردهات والحجرات واكثر ما رسموه في هذه الحمامات صورة العنقاء[٩١] ثم انتشرت هذه الظاهرة في حمامات المدن الاسلامية الاخرى مثل فارس والعراق والشام ويرجع السبب في انتشارها الى العلاقات التجارية التي ازداد نشاطها كثيرا بين دول هذه

المنطقة والتي لعب أهل الخليج فيها الدور الأول بسفنهم ورحلاتهم التجارية •

واستعمل العرب اسلوب الزخرفة والتطعيم بسن الفيل والذهب والفضة فقد استعمل خلفاء بني أمية هذا الاسلوب في قاعات جلوسهم ويروي المؤرخون بعض تفاصيل عن الشجرة الذهبية التي كانت تتوسط منظرة الخليفة والفيل الذهبي ذو العيون الياقوتية وروائع الفن الهندسي في زخرفة التنورات ، وقد اخذت هذه الجوانب عن الهند والصين ، ثم انتشرت في المشرق العربي الاسلامي وخاصة على عهد العباسين حيث عمت مساجد العالم الاسلامي ، ولكن أدخلت على هذه الفنون الزخرفية تعديلات تواكب المجتمع الاسلامي •

وفي الجانب الثقافي وكنتيجة لانتشار حركة التجارة العربية الاسلامية بين مدن الخليج وبلدان الشرق الاقصى نجد ان العرب اتخذوا اللغة الفارسية للتخاطب بها مع تجار هذه المناطق في الهند والصين وجزر جنوب شرقي اسيا ، والجاحظ (٩٢) يذكر لنا ان عامة أهل العراق كانوا يتحدثون بالفارسية رغم انهم عرب ، ويعلل ذلك انهم وجدوها خفيفة على لسانهم ولكني ارى ان السبب في تحدثهم بالفارسية هو مزاولة معظمهم ـ ان لم يكونوا جميعا ـ لاعمال التجارة واضطرارهم للتعامل مع التجار القادمين اليهم من الفرس أو الهند أو الصين وعقد الصفقات التجارية معهم في اسواق مدن الخليج ، فكان لابد لهم من التفاهم مع هؤلاء التجار بلغة يفهمونها وكانت هي اللغة الفارسية •

وقد ترتب على استعمال اللغة الفارسية في الاعمال التجارية والملاحية ان دخلت اعداد غير قليلة من المصطلحات البحرية والكلمات الفارسية في اللغة العربية مثل ناخدا (صاحب السفينة) ، ربان أو معلم

(قائد السفينة) وربما كان اصلها (بان) ، سرهك (مرشـد الميناء المسئول عن ارساء السفينة) ، ديدبان « حارس المركب » (٩٣) .

وليس معنى هذا ان اللغة العربية لم تؤثر بدورها هـي الاخرى في اللغة الفارسية واللغات الاخرى فقد دخلت كلمات عربيـة كثيرة الى لغات هذه الشعوب نتيجة الاتصال التجاري على وجه الخصوص بـل ان اللغة العربية والخط العربي فرضا نفسيهما على الفرس والرومان فكتبت الفارسية والتركية بالخط العربي ، كما دخلت مصطلحات وكلمات عربية كثيرة في لغات شعوب وسط أسيا وأوربا (٩٤) .

وربما يظن ظان ان الثقافة العربية تأثرت بثقافة اليونان اكثـر من تأثرها بأي ثقافة اخرى ، وردنا على هذا القول بالنفي الصريـح ، لان الثقافة العربية تأثرت حقيقة تأثرا كبيرا بالثقافة الفارسية ، لان دولـة الفرس انصهرت في الدولة الاسلامية ، ولان حياة الفرس الاجتماعيـة كانت تحت اعين العرب يعرفونها ويعايشونها فتذوقوا شيئاً منها على عكس الحياة اليونانية التي كانت نائية عن العرب ، ولم يحدث بنيهم وبين العرب اختلاط كما حدث مع الفرس كما ان نظم اليونان تخالف تعاليـم الاسلام فهؤلاء لهم نظمهم الاجتماعية والسياسية التي لم يعرفها العرب ، ولهذا نجد انه من العسير ان نجد كلمات او صطلاحات يونانية في الادب العربـي شعرا او نثرا ، ولا يمكن ان نجد شاعرا من اصل يوناني أو رومانـي انصهر في البوتقة العربية واخرج للثقافة العربية شيئا ، وعـلى العكس من ذلك نجد ان عددا غير قليل ممن اشتغلوا بالادب ، العربي ترجع اصولهـم الى الفرس ، كما تأثر مؤرخو العرب المسلمين في تلك العهود بطريقـة الفرس في تدوين الاحداث التاريخية ولم يتأثروا بالنمط اليوناني (٩٥) .

حتى في جانب التعليـم الاولى (الكتاب) ظهرت آثار العلاقات

التجارية لانه كان من نتائج تطور وازدهار التجارة في منطقة الخليج ان اصبح التجار في حاجة ماسة الى كتبة ومحاسبين يمسكون دفاتر حساباتهم (ز ماماتهم) ويخطون المراسلات الى التجار الذين يتعاملون معهم في بلدان اخرى ، وقد دفعهم هذا الاحتياج الى فتح كتاتيب خاصة لتعليم ابنائهم وابناء الفقراء الذين لا يملكون دفع ما يطلبه الملا أو الملوع (معلم الكتاب) من نفقات وقام كبار التجار بالانفاق من اموالهم الخاصة على هذه الكتاتيب التي كانت تقوم بتعليم علوم مبدئية في علم الخط والقرآن والحساب (٩٦) ومع ان حركة الازدهار كانت تسير بسرعة في المنطقة الا ان هذه الكتاتيب لم ترق الى مرتبة المدارس ، وظلت على حالها طوال فترة العصور الوسطى وجزءا من العصور الحديثة .

وفي محيط الزراعة نجد كذلك ان للعلاقات التجارية اثرا كبيرا حيث جلب التجار انواعا من الفاكهة أو الحبوب فوزعت في بلدان منطقة الخليج ونمت بها ولعبت دورا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدى العرب ، فعمان اول بلد عربي اسلامي زرع به النارنج والاترج (٩٧) الذي جلب من الهند ، ويحدد المسعودي (٩٨) الوقت الذى جيء به من الهند والبلاد التي انتقل اليها من عمان فيقول : « ... وكذلك شجر النارنج والاترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة (الهجرية) وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر » . كذلك جلب القطن وقصب السكر سنة ١٣٣ هـ من الهند (٩٩) وعرفت بعض الدول العربية الاسلامية وخاصة العراق هذه الزارعة ومنها نقلت الى صقلية وقبرص اثناء الحكم العربي لهما ، ومن صقلية نقل العرب الى اسبانيا زراعةالقطن ولا يزال يعرف في اللغات الاوربية باسمهالعربي (١٠٠). وقد اقام العرب معامل لتكرير السكر في جنديسابور ثم في سوريا

وفلسطين ومصر وشمالي افريقية واسبانيا بعد ان عمت زراعة القصب في كل بلدان العالم الاسلامي .

وفي محيط الصناعة نجد اثر التجارة واضحا ، فالصين عرفت صناعة الورق منذ بداية القرن الثاني للميلاد (١٠٥م) ولكنه لم يكن مصقول الصنعة لانهم كانوا يصنعونه من الحشائش كما يذكر القلقشندي[١٠١] ، وظلت الصين تحتكر هذه الصناعة والتجارة الورقية الى أن حاولت سمرقند سنة ٧٥٠م التحرر من حكم العرب لها ، وقام الصينيون بثورة عارمة ولكنها اخمدت ، ويقال ان العرب أسروا بعض الصينيين الذين كانوا يعرفون سر صناعة الورق فافضوا بها الى العرب ، وتأسس أول مصنع عربي[١٠٢] سنة ٧٥١ م ثم انتقلت صناعته الى بغداد سنة ٧٩٤م على عهد الرشيد ثم الى دمشق ومنها الى دمياط بمصر ولم يكد القرن العاشر الميلادي ينتصف حتى تعددت وتحسنت صناعة الورق وكثرت انواعه[١٠٣] ورخصت اثمانه ، وبذلك تحررت الكتابة من احتكار مصر للمادة التي كان يكتب عليها ونعني بها ورق البردي ، وذلك بفضل ما أدخله العرب على هذه الصناعة الهامة التي أحدثت انقلابا في مجال الثقافات والحضارات المختلفة من تعديلات وتحسينات حيث صنعوا الورق من بقايا المنسوجات القديمة (الخرق) وقد استلزم هذا مهارة وحذقا فنيا توفرت مقوماتها عند العرب .

وعن طريق التجارة تأثرت صناعة النسيج في بلاد الفرس فمدينة كازرون ، كانت اكبر مدنها لصناعة الكتان لدرجة انها كانت تسمى (دمياط الاعاجم) وكان الكتان ينقل بطريق البحر وكانت مراكز صناعته في اول الامر المدن الساحلية ومن ضمنها بطبيعة الحال مدن الخليج .

ويفهم مما ذكره المقدسي ان زراعة وصناعة الكتان نقلت الى فارس من مصر قبل ان تقوم فارس بزراعة الكتان عندها[١٠٤] .

ويذكر برتشنايدر [١٠٥] ان الهند كانت مركز زراعة القطن ، وان الصين لم تعرف زراعته حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، وكانت الهند منذ القرن الرابع الهجري (١٠م) تصدر ثيابا مصنوعة من قطن مشهور بالجودة يصنع منه ما يسمى بالسينيّات الى مدن الفرس وبلاد الصين لان القطن حتى ذلك الوقت (٤هـ) لم يكن يزرع بالعراق ولا بخراسان ولا بمصر كذلك[١٠٦] .

كذلك تأثرت صباغة المنسوجات والوان الملابس بفضل التجارة التي كان من اثرها توحيد شكل الملابس والوانها ، ذلك لان البلدان الاسلامية عرفت المادتين الاساسيتين في الصباغة وهما النيلة والقرمز ، التي استعملت اولاهما في الصباغة باللون الازرق وثانيهما في الصباغة باللون الاحمر ، وكان مصدر النيلة بلاد الهند بمدينة كابل[١٠٧] وما حولها ، وكانت ارمينية (اقليم ارارات) مصدر القرمز[١٠٨] .

ادى التوسع في العلاقات التجارية الى التحول من نظام المقايضة الى معرفة السكة (النقود) وتوصلت البلدان التجارية الى استعمالها في البيع والشراء ، وكانت العملة السائدة في بلدان ومدن الخليج العربي هي الدرهم والدينار[١٠٩] ، واستعملت الدراهم بكثرة لان الدنانير كانت قليلة الاستعمال أما الصين فكانت اول بلد في العالم يستعمل العملة الورقية وكانت عبارة عن قطعة من الكاغد بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وكل خمس وعشرون قطعة منها تسمى شست وتساوي دينارا واحدا[١١٠] .

كذلك عرفت انواع من المكاييل والموازين كانت الوحدة السائدة في المعاملات التجارية مثل المن الصغير (٢٦٠ درهما) والمن الكبير (١٠٤٠ درهما) وقد اختلفت موازين بعض البلدان مثل الهند التي كان المن

فيها يوازي ٣٠٠ درهما واصطخر التي كان المن فيها يوازي ٤٠٠ درهما. أما المكاييل فكانت تتضمن الجريب ويوازي ١٦٠ رطلا والقفيز ويوازي ستة عشر رطلا ، والرطل ١٣٠ درهما(١١١) .

وكان من نتائج العلاقات التجارية كذلك ان عرفت البلدان الاسلامية وخاصة بغداد نظام جوازات السفر الذي نقلته عن الصين ، والسبب في ذلك كما يرويه صاحب الاغاني ان هرون الرشيد ارسل قائدا على جسر النهروان يتصفح وجوه الناس الداخلين بغداد ، وان يأتيه بالمؤمل الشاعر، ومعنى هذا انه حتى القرن الثاني الهجري (٨م) لم يكن بالمشرق العربي نظام لضبط اسماء الغرباء قبل دخولهم من أبواب المدن ، وظل الحال على ذلك حتى القرن الثالث الهجري (٩م) عندما تكلم أحد الرحالة عن نظام جوازات المرور المعروف بالصين(١١٢) ، ولما استقرت الفكرة في الاذهان ادخل السلطان عضد الدولة نظام مراقبة ابواب عاصمة بلاده (شيراز) لاول مرة في القرن الرابع الهجري (١٠م) ويبدو انالناس تضايقوا من أمر هذه الجوازات لاننا نجد المقدسي(١١٣) يعبر عن هذا الضيق بقوله : « ومنع الخارج منها الا بجواز ، وحبس الداخل والمجتاز».

هناك نتيجة هامة وأثر بارز من آثار العلاقات التجارية في بعض الجوانب الحضارية ونعني به انتشار الدين الاسلامي في بعض جهات من بلدان الشرق الأقصى ، حيث تكونت جاليات عربية واسلامية واستقرت ونمت في كثير من اطراف الصين والهند ، وقد لعبت هذه الجاليات دورا بارزا نشطا في نشر الاسلام بهذه المناطق البعيدة ، كما كانت عاملا فعالا في تهذيب اخلاق الناس ، والحفاظ على اعراضهم وكرامتهم ، فحرمت الاعراض على الغرباء الا بالزواج وكانت قبل ذلك مباحة(١١٤) واصبح شرب الخمر محظورا بعد ان كان يحتسيه الكبير والصغير .

انفردت هذه الجاليات الاسلامية في مدن الهند والصين بسكناهم وكان لهم في كل مدينة حي يقيمون فيه مساجدهم لاقامة شعائرهم الدينية، وكانوا معظمين محترمين ، وكان لكل جالية رئيس منهم يتولى امرهم ، ويقيم القضاء فيهم ، وينظر في شؤونهم ومصالحهم وكانوا لايقبلون غير حكم المسلمين فيهم ، ولا يقبلون الا شهادة المسلمين(١١٥) عليهم •

هذه دراسة موجزة عن العلاقات التجارية واهميتها بين دول الخليج العربي وبلدان ، الشرق الاقصى اوضحت فيها ان العامل التجاري بكل جوانبه كان سببا في نقل بعض الجوانب الحضارية من هذه البلدان البعيدة الى العالم العربي الاسلامي ، وان دور الانسان العربي في تقبل هذه الجوانب الحضارية وهضمها وصهرها في البوتقة العربية الاسلامية واستخراج جديد منها للعالم يتميز عن سابقه من الحضارات السابقة بما يتلاءم مع البيئة العربية والشريعة الاسلامية يرجع الى قدرته الذاتية واستعداده الفطري وتوفر الامكانات ووجود الفرصة المناسبة لذلك •

وغرضي من وراء هذه الدراسة هو تبيان الحقيقة فأنه لا ضير مطلقا على أي حضارة ان تتأثر من حضارات سابقة عليها او معاصرة لها طالما هي تطور هذه الحضارات لمصلحة المجتمع الانساني نفسه بما يتمشى مع روح التقدم والازدهار ، وان الذين يتعصبون لحضارة ما من الحضارات وينكرون تأثرها بأي نوع من الحضارات لا يرفعون بتعصبهم هذا من قيمة ما يتعصبون له ، بل على العكس من ذلك فهم يجعلونه كما لو كان نبتا شيطانيا ليس له جذور أو أصول يستمد منها الحياة • ومع اعترافنا بما للحضارات الاخرى من أثر في الحضارة العربية فاننا نقرر مطمئنين ان الحضاراة العربية الاسلامية قد أثرت في كثير من جوانب الحضارات الاخرى مما نلمس أثره الى يومنا هذا •

هوامش وتعليقات

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٥ ·
(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٨ ·
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٢ ·
(٤) ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٦٦ـ٢٦٧ ·
(٥) المرجع السابق ص ٢٧١ ·
(٦) الأباضية : فرقة من الخوارج تبعوا عبدالله بن اباض المري ·
(٧) المسعودي : مروج جـ ١ ص ١٤٩ ·
(٨) المقدسي : ص ٤٦٦ ·
(٩) ابن حوقل : ص ٥٥ ، ابن بطوطة : ص ٢٧٣ ·
(١٠) مفرده (سبخة) وهي أرض ذات نز وملح ·
(١١) البلخي : Al-Balkki : Description of the Province of Fars in Persia at the beginning of the Fourtienth Century. Trans. by G Le Strange, PP. 41-43, Royal Society, London 1912.

(١٢) المقدسي : ص ٤٢٦ـ٤٢٧ ، ياقوت : جـ ٣ ص ٢٩٤ـ٢٩٥ ·
(١٣) نقولا زياده : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص ١٤٨ ·

✶ الأصطخري : مسالك الممالك ص ١٣٨ وما بعدها ·
✶✶ آدم ميتز : الحضارة العربية ص ٤٣٩ ، بزرك بن شهريار : كتاب عجائب الهند ص ٩٨ ·
(١٤) ياقوت : جـ ٣ ص ٢٩٤ وما بعدها ·
(١٥) المسعودي : مروج جـ ١ ص ١٠٧ـ١١٢ ، ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٦٠ ·
(١٦) ياقوت : جـ ٤ ص ٣٧٣ ·
(١٧) لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ٦٢٨ـ٦٢٩ ·
(١٨) المرجع السابق جـ ٦ ص ١٩٤١
(١٩) لوريمر : نفسه جـ ٦ ص ١٩٨٨ـ١٩٩١ ·
(٢٠) ياقوت : جـ ٤ ص ٣٧٣ ·

(٢١) لوريمر : نفسه ج ٥ ص ١٧١٨ ـ ١٧١٩ ، ج ١ ص ٣٨٥ـ٣٨٧ ، ٤٢٩ ٠

(٢٢) حسن سليمان محمود : الكويت ص ١٣٩ ، الطبري : ج ١ ص ١٧٤ ، القزويني : اثار البلاد ص ٧٧ـ٧٨ ويقول ياقوت (ج ٤ ص ١٥٠) عنهم انهم روافض سبائيون لا يكتمون ذلك ٠

(٢٣) المقدسي : ص ٩٣ ٠

(٢٤) راجع ما ذكره ابن بطوطة (الرحـلة ص ٢٧٩ـ٢٨٠) عن ملابس الغواصين وطريقة نزولهم الى البحر ، وما يحملونه معهم من أشياء لوضع اللؤلؤ فيها وقد نقل د٠ نقولا زيادة (ص ٢٣٢) نقلا عن ناصري خسره « سفرنامه ص ٩٢ » ٠

★ ان سلاطين الاحساء كانت تأخذ نصف ما يستخرجه الغواصون ، ولكني أميل الى الرأي القائل بأن السلاطين كانت تحصل على الخمس لانه يتفق ونظام الضريبة (الاخماس) في الاسلام ٠

(٢٥) جورج حوراني : العرب والملاحة ص ١١٤ « مترجم » ٠

(٢٦) حسن سليمان محمود : ص ١٣٨ ٠

(٢٧) ابن بطوطة : ص ١٨٥ـ١٨٦ ٠

(٢٨) القزويني : آثار البلاد ص ٣٠٩ ٠

(٢٩) اليعقوبي : البلدان ص ٢٣٨ ، ٢٥٠ ٠

(٣٠) حسن محمود : ص ٤٠ ٠

(٣١) القزويني : ص ٢٨٦ـ٢٨٧ ٠

(٣٢) البلاذري : فتوح ق ٢ ص ٤٣٨ ٠

(٣٣) ابن بطوطة : ص ١٨٩ ٠

(٣٤) ياقوت : ج ٤ ص ٧٤ـ٧٥ ٠

(٣٥) الجهشياري : الوزراء ص ٧٣ ، ابن بطوطة ص ١٨٩ـ١٩٠ ٠

(٣٦) الاصطخري : ص ٣٣ـ٣٤ ٠

(٣٧) المقدسي : ص ١١٨ ٠

(٣٨) ياقوت : ارشاد الاريب ج ١ ص ٧٧ ٠

(٣٩) احمد بن ماجد : ثلاث أزهار ص ١٧٩ ٠

(٤٠) Bell; Aphrodito papyri (J.H.S.) P. 115; Der Islam, 1953.

(٤١) Grohmann, A; Arabien, München 1963

(٤٢) ابن رسته : الاعلان النفيسة ص٩٥ ٠

(٤٣) البلاذري : ص ٤١٩ ٠

(٤٤) الطبري : تاريخ ج٣ ص ٣٤٨

(٤٥) راجع كل ما كتبه كل من بوري ، وكوزماس انديكوبلوستس عن هذا الموضوع :

(a) Bury, J.B.; History of the Later Roman Empire, London 1932.

(b) Cosmas Indicopleustes; Christian Topography.

(٤٦) مؤرخ لاتيني عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي ، راجع حوراني ص ٩١ ـ ٩٢ ٠

(٤٧) Bell; Aphrodito papyri, P. 115; Der Islam, II

(٤٨) معلقة طرفة بن العبد : الأبيات من ٣ـ٥ ، وكلمة (عدولية) نسبة الى عدوله وهي قرية بجزر البحرين ٠ ياقوت ج ٣ ص ٦٣٣ ٠

(٤٩) البلاذري : ص ٥٣٠ ٠

(٥٠) يسميها النجارون البحريون التقفيصة أو العيدان ٠

(٥١) عبدالرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي ص ٢٤٥ ٠

(٥٢) Duden Bild-Worter-Buch 38

(٥٣) Wilson, Arnold; The Persian Gulf, P. 134. Oxford 1928.

(٥٤) يوجد حاليا ما هو قريب من هذا الوصف ومخصص كذلك لنقل البضائع من الموانيء الى المدن الداخلية عن طريق الانهار ويسميه البحارة ماعون (والجميع مواعين) ٠

(٥٥) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه المراكب ارجع الى المصادر الآتية: الطبري ج ٣ ص ٩٥٢ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٤٧٧ ، آدم ميتز : الحضارة ج ٢ ص ٣٩٤ ، ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٧٥ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، الجهشياري : الوزارة ، حوراني : ص ١١٥ ، احمد بن فضلان : رسالة بن فضلان

عبدالامير محمد أمين : القوى البحرية ، الاصطخري : مسالك ،
المسعودي : مروج ،
Lorimer, G.G.; Guid of Gulf, Part II, p. 2321.

(٥٦) القرآن الكريم : سورة هود ١١/٣٧/ ، ٤١ ٠
(٥٧) القرآن الكريم : سورة القمر ٥٤/١٣ـ١٤ ٠
(٥٨) سورة النحل ١٦/١٤ ٠
(٥٩) الاصطخري : ص ٣٤ـ٣٥ ٠
(٦٠) حوراني : ص ١٠ ٠
(٦١) المسعودي : جـ ١ ص ٢٣٤ ، جـ ٣ ص ٦ وما بعدها ٠
(٦٢) Chau-Ju-Kua; Chines and Arab Trade, P. 137

(٦٣) الاصطخري : ص ٢٤ـ٢٥ ، المقدسي ص ١٨٠ ، ٢٠٣ ٠
(٦٤) الطبري : جـ ٣ ٠
(٦٥) آدم ميتز : جـ ٢ ص ٢٧٠ـ٢٧١ ٠
(٦٦) راجع انتكاسة التجارة في الخليج العربي أديسون : تجارة العصور الوسطى ص ٥٧ ٠
Adeson; Medieval Commerce, P. 57, New York Archibald, Lewis; Naval Power and Trade in the Miditerranieean, A. D. 500-1100, P. 171, New Jersey 1951.

(٦٧) ابن خرداذبة ص ٦٤ـ٦٩ ، آدم ميتز ص ٣٧١ ٠
(٦٨) المسعودي جـ ١ ص ١١١ـ١١٢ ، ١٥٢ ٠
(٦٩) المسعودي جـ ١ ص ١٥٠ ، ياقوت جـ ١ ص ٣٤٣ ٠
(٧٠) آدم ميتز ص ٣١٤ نقلا عن سلسلة التواريخ « طبعة ٠ "Renaud"
ص ٣٦
(٧٣) ابن بطوطة ص ٦٢٧ـ٦٢٩ ٠
(٧٤) المرجع السابق ص ٢٥٩ـ٢٦٠ ، ٣٣٩ ٠
(٧٤) المرجع السابق ص ٢٥٩ـ٢٦٠ ، ٣٣٩ ٠
(٧٥) المرجع السابق ص ٦٢٩ ٠

(٧٦) المروزي : أبواب الصين ص ١٠ ، ابن بطوطة ص ٢٥٤ ٠
(٧٧) كان المسلمون يطلقون في القرن الثالث الهجري (٩ م) على التجار

اليهود « تجار البحر » فقط وكان يقال لهم « الرهدانية أو الرذانية» راجع الهمداني ص ٢٧٠ وابن خرداذبة ص ١٥٣ وما بعدها .

(٧٨) آدم ميتز : ص ٤٣١ـ٤٣٢ .

(٧٩) نقولا زيادة : ص ١٤٧ـ١٤٨ .

(٨٠) محمد كرد علي : ص ١٨٠ .

(٨١) الخربوطلي : ص ٧٤ـ٧٥ .

(٨٢) كريمر : الحضارة ص ٧٨ ، الخربوطلي ص ١٠١ .

(٨٣) Wilson, Arnold; The Persian Gulf, PP. 105-106

وكذلك نقولا زياده ص ٢٤١ .

(٨٤) الأصطخري : ص ٨٣ .

(٨٥) المسعودي ج ٤ ص ٨٧ ، اليعقوبي ص ٢٦٦ .

(٨٦) المقريزي : الخطط ج١ ص٣١٥ .

(٨٧) احمد فكري : مساجد القاهرة ـ المدخل ص ١١١ ، ٢٣٧ـ٢٣٨ .

(٨٨) Hell., J.; The Arab Cevilisation, pp. 70-71; Geirut 1973..

(٨٩) بارتولد . ف : الحضارة ص ٢١

(٩٠) Sarre U. Herzfeld; Erester Vorlaufiger Bericht über die Ausgrabungen von Samarra' S. 24, Berlin 1912.

(٩١) المسعودي : ج ٣ ص ٢٩ .

(٩٢) جوستاف لبون : حضارة العرب ص ٦١٤ .

(٩٣) الجواليقي : المعرب تحت حرف الدال ، والراء ، والنون ، وكذلك قاموس دوزي ، ـ Persich, Deutsch-Worterbuch

(٩٤) Oxford Dictionary; New English Dictionary on Historyical Principles. and Taylor, W. ; Arabic Words in English S. P.E. Tract No. 38.

(٩٥) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١٣٩ ٠

(٩٦) عبدالمجيد مصطفى : ص ٣١٣ وما بعدها ، حسن محمود : ص ٢٥٢-٢٥٣ ٠

(٩٧) راجع وصف هذه الفاكهة عند ابن حوقل ص ٢٢٨ ٠

(٩٨) المسعودي : جـ ٢ ص ٤٣٨-٤٣٩ ، المقريزي : جـ ١ ص ٢٨ ٠

(٩٩) جوستاف لبون : ص ١٦٩ وما بعدها ويرى ابن حوقل (ص ٢٢٣، ٣٢٨) انه حتى القرن الرابع الهجري (١٠م) لم يكن القطن يزرع بالعراق ولا بخراسان ولا بمصر كذلك ٠

(١٠٠) بارتولد : ص ٤٧٥ ٠

(١٠١) القلقشندي : جـ٢ ص٤٧٥ ٠

(١٠٢) يرى جوستاف لوبون وجورج يعقوب ان العرب هم أول من صنع الورق ، وانهم أول من استعمل الكاغد بدلا من الرق ، ويستدلان على ذلك بالمخطوطة التي عثر عليها في مكتبة الاسكوريال بمدريد المدونة سنة ١٠٠٩م على ورق مصنوع من القطن ، ونحن لا نميل الى هذا الرأى اذ الثابت حتى الآن ان صناعة الورق بدأت في الصين سنة ١٠٥م ، وان العرب لم يعرفوا صناعته الا بعد ما يزيد عن ستة قرون ، ولكنهم تمكنوا من تطوير هذه الصناعة ، وادخال تحسينات وتعديلات جذرية عليها منذ القرن ٣ هـ (٩م) حتى ظن البعض ان العرب هم اول من أقام هذه الصناعة ٠

(١٠٣) أدم ميتز : جـ٢ ص٢٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، وربما كان هذا القول من قبيل التعميم بدليل أن أوراق البردي العربي ظلت مستعملة في الكتابة الى حوالي القرن ٦ هـ (١٢م) ومجموعات البردي المختلفة بها العديد من الوثائق التي يرجع تاريخها الى هذا القرن ٠ راجع بحثنا عن اوراق البردي العربي ضمن مجموعة هذه البحوث

(١٠٤) المقدسي : ص٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٤٤٢ ٠

(١٠٥) Bretschneider Medieval researches. I, PP. 70-71.

(١٠٦) ابن حوقل : ص ٢٢٣ ، ٣٢٨ ٠

(١٠٧) الاصطخري ص١٨٨ ـــ ١٩٠ ٠
(١٠٨) عباس العزاوي : النقود العربية في العراق ٠
(١٠٩) ابن بطوطه : ص ٦٢٩ ٠
(١١٠) الاصطخري : ص١٥٦ ٠
(١١١) الاصفهاني : الاغاني ج١٩ ص ١٤٧ ٠
(١١٢) آدم ميتز : نقلا عن سلسلة التواريخ ص ٤٢ (طبعة Renaud)
(١١٣) المقدسي : ص ٤٢٩ ٠
(١١٤) ابن خرداذبه ص ٦٦ــ٦٧ ٠
(١١٥) ابن حوقل ص ٢٢٥ وما بعدها ، وابن خرداذبه ص ٧٥ ٠

المراجع العربية

١ ـ ابن الاثير : ابو الحسن عز الدين بن الاثير الجزري .
الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) بيروت سنة ١٩٦٧ .

٢ ـ ابن بطوطه : ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي (شمس الدين) .
رحلة ابن بطوطة ـ بيروت سنة ١٩٦٤ .

٣ ـ ابن حوقل : ابو القاسم محمد .
كتاب صورة الارض بيروت (بدون) .

٤ ـ ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله .
المسالك والممالك صورة مصورة على نسخة ليدن سنة ١٨٨٩ .

٥ ـ ابن خلدون : عبدالرحمن .
المقدمة ، القاهرة سنة ١٩٢٢ .

٦ ـ ابن رسته : ابو علي احمد بن عمر .
الاعلاق النفيسة ، ليدن .

٧ ـ احمد امين .
فجر الاسلام ط ٤ النهضة المصرية القاهرة سنة ١٩٦٦ .

٨ ـ احمد بن فضلان .
رسالة ابن فضلان ـ المجمع العلمي العربي ـ دمشق سنة ١٩٥٩ .

٩ ـ احمد بن ماجد .
ثلاث ازهار في معرفة البحار تحقيق ستوبوفسكي ترجمة د . محمد منيرموسي عالم الكتب ـ القاهرة سنة ١٩٦٩ .

١٠ ـ أحمد فكري (دكتور) .
مساجد القاهرة (المدخل) القاهرة سنة ١٩٦١ .

١١ ـ آدم ميتز .
الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري (جزءان) ترجمة ابوريده ط ٤ بيروت سنة ١٩٦٧ .
١٢ ـ الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي .
مسالك الممالك ليدن سنة ١٩٢٨ .
١٣ ـ الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد .
كتاب الاغاني (٢١ جزءا) دار الفكر سنة ١٩٧٠ .
١٤ ـ بارتولد ، ف .
تاريخ الحضارة الاسلامية ـ ترجمة حمزة طاهر ـ المعارف سنة ١٩٤٣ .
١٥ ـ بدوي : عبدالرحمن (دكتور) .
دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ـ الانجلو مصرية سنة ١٩٦٧ .
١٦ ـ يزرك بن شهريا .
كتاب عجائب الهند .
١٧ ـ البغدادي : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق .
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع القاهرة سنة ١٩٥٥ .
١٨ ـ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر .
كتاب فتوح البلدان (ثلاثة اقسام) ، النهضة بمصر سنة ١٩٦٥ .
١٩ ـ الجواليقي : ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد الخضر .
المعرب من الكلام الاعجمي دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩ .
٢٠ ـ جوستاف لبون .
حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة سنة ١٩٤٨ .
٢١ ـ حسن سليمان محمود (دكتور) .
الكويت ماضيها وحاضرها ـ الاهلية بغداد سنة ١٩٦٨ .

٢٢ ـ حوراني : جورج فضلو (دكتور) •
العرب والملاحة في المحيط الهندي ترجمة السيد يعقوب بكـــر ـ القاهرة ١٩٥٨ •

٢٣ ـ الخربوطلي : علي حسني (دكتور) •
العرب والحضارة ـ الانجلو مصرية ـ القاهرة سنة ١٩٦٦ •

٢٤ ـ زياده : نقولا (دكتور) •
الجغرافيا والرحلات عند العرب بيروت سنة ١٩٦٢ « دار الكتاب اللبناني » •

٢٥ ـ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري •
تاريخ الرسل والملوك (١٠ أجزاء) ، المعارف سنة ١٩٧٠ •

٢٦ ـ طرفة بن العبد •
معلقة طرفة : (ديوان) صادر في بيروت سنة ١٩٦١ •

٢٧ ـ عباس عزاوي •
النقود العربية في العراق بغداد (••) •

٢٨ ـ عبدالامير محمد امين (دكتور) •
القوى البحرية في الخليج العربي في القرن ١٨ م بغداد سنـــة ١٩٦٦ •

٢٩ ـ عبدالعزيز الرشيد •
تاريخ الكويت ـ بيروت سنة ١٩٧١ •

٣٠ ـ عبدالمجيد مصطفى •
دراسات عن الكويت ، القاهرة سنة ١٩٦٤ •

٣١ ـ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود •
آثار البلاد واخبار العباد ـ صادر بيروت سنة ١٩٦٩ •

٣٢ ـ القلقشندي : ابو العباس احمد ٠
صبح الاعشى في صناعة الانشاء (١٤ جزءا) دار الكتب المصرية سنة ١٩١٩ ٠
٣٣ ـ لوريمر ج ـ ج ٠
دليل الخليج ـ القسم الجغرافي (٧ أجزاء) ترجمة مكتب سمو امير قطر الدوحة ـ (بدون) ٠
٣٤ ـ المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ٠
مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ أجزاء) التجارية بمصر سنة ١٩٦٤ ٠
٣٥ ـ مظهر : جلال ٠
حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي ، القاهرة (بدون) ٠
٣٦ ـ المقدسي : ابو عبدالله محمد بن ابي بكر ٠
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، الطبعة الثانية ليدن سنة ١٩٠٦
٣٧ ـ المقريزي : احمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد ٠
الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار) صادر في بيروت (بدون) ٠
٣٨ ـ الهمذاني : ابو بكر احمد بن محمد المعروف بابن الفقيه ٠
مختصر كتاب البلدان ، ليدن سنة ١٨٨٥ ٠
٣٩ ـ ياقوت : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ٠
معجم البلدان (٥ اجزاء) صادر في بيروت سنة ١٩٥٧ ٠
٤٠ ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ٠
كتاب البلدان طبعة دى جويه ـ ليدن سنة ١٨٩٣ ٠

المراجـــع الاوربية

Europäische Hilfsquellen

1. Adeson; Medieval Commerce, P. 57, New York 1961.
2. Archibald, Lewis; Naval Power and Trade in the Mediterranean, A.D. 500-1100, P. 171, New Jersey 1951.
3. Al-Balkki; Description of the Provence of Fars in Persia at the beginning of the Fourtienth Century. Trans. by Le Strange, G., PP. 41-43 Royal Asiatic Society. London 1912.
4. Bell; Aphrodito papyri (J.H.S.) 115, Der Islam, II 1953.
5. Bretschneider; Medieval researches, 1, S. 70-71.
6. Bury, J. B.; History of the later Roman Empire, London 1923.
7. Chau-Ju-Kua; Chines and Arab Trade in the 12th. and 13th. Centuries. Trans. F. Hirth. W. Rochill, 1914.
8. Duden - Bild - Worterbuch, 3 B.
9. Grohmann, A.; Arabien, München 1963.
10. Hell, Joseph; The Arab Civilization, Beirut 1973.
11. Indicopleustes, Cosmas; Christian Topography.
12. Oxford Dictionary; New English Dictionary on Historical principles.
13. Persisch-Deutsch-Wörterbuch. Berlin 2 Ausgabe.
14. Sarre und Herzfeld; Erester vorläufiger Bericht über die Ausgrabungen Von Samarra', S. 24, Berlin 1912.
15. Taylor, W.; Arabic Words in English, S.P.E. Tract No. 38.

سامي خوندة في منفاه في جزيرة هنجام

الدكتور محمد حسين الزبيدي

كلية التربية ـ جامعة بغداد

مقدمـــة ....

بعد ان فشلت الثورة العراقية الكبرى في تحقيق اهدافها في الحرية والاستقلال أستمرت الحركة الوطنية في معارضتهـا للانتداب والمعاهدة بطرق سليمة . وأعتقد زعماء هذه الحركة انه لابد من تنظيم صفوفهـم وتكتيلها في تنظيمات سياسية تقودهم نحو الهدف المنشود فقرر زعمـاء الحركة تشكيل احزاب سياسية علنية تكـون أداة لمقاومة المستعمرين . وتقدم هؤلاء بطلباتهم الى الحكومة في طلب الموافقة على تكوين الاحزاب فوافقت على طلبهم واجازتهم وبذلك تألف الحزبان الوطنيان هما :

١ ـ الحزب الوطني العراقي ... ومؤسسوه :

جعفر أبو التمـن ، وأحمد الشيخ داود ، وحمدي الباجه‌جي ، ومولود مخلص ومحمد مهدي البصـير وعبدالغفور البدري وبهجت زينل .

وقد اجيز بتاريخ ٢ آب ١٩٢٢ (١) .

٢ ـ حزب النهضة العراقية : ومن مؤسسيه :

---

(١) جريدة المفيد ، ٨ آب ١٩٢٢ ، فاروق صالح العمـر : الاحزاب السياسية ص ٦٧ .

أمين الجرجفجي ، محمد حسن كبة ، ومهدي البير واحمد الظاهر وعبدالرزاق الازري •

وقد أجيز بتاريخ ١٩ آب ١٩٢٢ (٢) •

وعندما عزمت بريطانيا على عقد المعاهدة العراقية ـ البريطانية نشط هذان الحزبان في معارضة المعاهدة ومهاجمتها مهاجمة شديدة وعقد زعماؤهما أجتماعات متعددة مشتركة للاتفاق على سياسة موحدة ومواقف مشتركة• فزادت الحركة الوطنية في معارضتها ضد المعاهدة وتجلت بشكل واضح في الاجتماعات التي عقدت ، وعرائض الاحتجاج التي رفعت الى الملك والمندوب السامي ، وكتابة المقالات في الصحف اليومية وغيرها التي تعارض فيها تلك المعاهدة •

وقد حدث خلاف شديد بين المندوب السامي والملك فيصل بسبب السياسة غير الموالية للانكليز التي أتبعها الملك والتي لا تحقق أطماع بريطانيا في العراق ولاسيما بعد أن علم المندوب السامي البريطاني أن الملك فيصل يتصل بقيادة الحركة الوطنية والصحف المعارضة للسلطة البريطانية ويحرضها على مهاجمة المعاهدة ومقاومة ابرامها • وفي الحقيقة كان الملك فيصل يتصل بالمعارضة فعلا للاستفادة منها في الضغط على بريطانيا في تحقيق بعض المكاسب الوطنية، وقد أيد هذه الحقيقة الصحفي المشهور سامي خوندة فقال لي (عندما كانت تحدث أزمة بين الملك فيصل الاول والانكليز كان الملك فيصل يستعين بالصحف المعارضة يطلب منها مهاجمة الانكليز والانتداب ففي أواخر سنة ١٩٢٢ أرسل الملك في طلبي بصفتي رئيسا لتحرير جريدة

---

(٢) جريدة العراق ، ٩ آب ١٩٢٢ ؛ فاروق صالح العمر : نفس المصدر ص ٧١ • —

الرافدين وفي طلب الاخ علي محمود الشيخ علي بصفتة من الصحفيين اللامعين الذين يحررون في الجريدة وقال لنا : (أكتبوا في جرائدكم وتكلموا عن حقوق البلاد لاننا نستفيد من كتاباتكم ومطالبتكم في تحقيق مطاليب الشعب وتحملوا ما تلاقون من الصعوبات والاذى في سبيل بلادكم ووطنكم ، وان الامة لا تستطيع ان تحصل على مطاليبها بغير الأذى والتضحيات) [٣] وقد وجد الحزبان « الوطني العراقي ، والنهضة العراقية، في هذا الخلاف فرصة لمهاجمة المعاهدة ونقدها بشدة والاحتجاج ضد الانتداب البريطاني فوحدا مساعيهما ونسقا مواقفهما ، فعقدت قيادة الحزبين برئاسة السيد محمد الصدر اجتماعا [٤] فيمقر الحزب الوطني العراقي يومي ٢٠ ، ٢١ آب ١٩٢٢ ، وناقشوا الاوضاع الراهنة واحتمالات تطورها ووضع الحلول لها وقرروا القيام بمظاهرة سلمية يعربان فيها عن أماني الشعب ورغباتة وتقديم مذكرة الى الملك فيصل بمناسبة مرور عام على تتويجه يعرضان فيها مطاليب الجماهير • ثم انتخبت لجنة من أربعة أشخاص مثل الحزب الوطني العراقي فيها : جعفر ابو التمن ، وبهجت زينل ومثل حزب النهضة العراقية محمد حسن كبة ، واصف قاسم أغا وقد اوكل الى اللجنة هذه وضع مذكرة أحتجاج الى الملك عن وضع البلاد المضطرب على أن تعرض على اللجنتين التنفيذيتين في جلسة مشتركة • وقد وضعت اللجنة مذكرة وأقرت في جلسة مشتركة • وكانت المذكرة عنيفة وشديدة اللهجة [٥] وقد حملها جعفر أبو التمن ممثلا للحزب الوطني العراقي وأمين الجرجفجي ممثلا لحزب النهضة العراقية وقابلا الملك فيصل في

---

(٣) مقابلة تمت بيننا في منزلة في الوزيرية مساء يوم ٨ـ٨ـ١٩٧٨ م •

(٤) مهدي البصير : القضية العراقية ج٢ ص٤١٣ •

(٥) مهدي البصير : نفس المصدر السابق ج٢ ص ٤١٤ •

البلاط [٦] وقدماها له • وقد تعرضت المذكرة الى الالام والمآسي التـــي يكابدها الشعب العراقي من سوء الادارة الجائرة ، التي تمارسها السلطات الانكليزية بروح عدائية وبعيدة عن اماني البلاد وعن روح الاستقلال الذي ينادي به شعب العراق • وانهم أتخذوا سياسة التفريق والرشوة والأعمال غير المشروعة التي اضرت بالبلاد ومصلحتها وأكدت المذكرة عدم جدوى الشكاوي العديدة التي رفعت الى الملك والحكومة التي لم تسمح للامـــة شكوى • وقد أبعد الموظفون المخلصون الذي كان يؤمل منهم الخير للبلاد واستعيض عنهم باسوء الاشخاص وأتفههم •

ومما قالته المذكرة (انه بالنظر لان المجلس التشريعي لم يؤلف لحد الان ، وان حق مراقبة الوزارة هو عائد للامة رأسا لذلك فأن هيئتي الحزب الوطني العراقي وحزب النهضـــة العراقية رأتا ان الواجب الوطنـــــي يقتضي بأن تعرض الامور على الملك وطلبت منه اصـــدار ارادته بتنفيذ المطاليب التالية : ــ

١ ــ منع التدخل البريطاني في الشؤون الادارية •

٢ ــ تأليف وزارة من الوطنيين الاكفاء المخلصين لكي تطمئن الامـــة بأصلاح الحالة ، فيزول الاضطراب وتهدا الخواطر وتعم السكينـــــــه والراحة في البلاد •

٣ ــ ان لا تعقد اي معاهدة ولا تجري اي مفاوضة فيها قبل تكويـــن المجلس التاسيسي الذي ينتخب اعضاؤه بحرية تامة [٧] •

وفي يوم ٢٣ آب ١٩٢٢ يوم ذكرى تتويج الملك فيصـــل الاول قام الحزبان بمظاهرة سلمية كبيرة سارت في شوارع بغداد وهي تهتف بحياة

---

(٦) جريدة المفيد ٢٢ آب ١٩٢٢ ، كان البلاط الملكي يومها في بنايــــة القشلة الحالية وقد جرفه النهر مؤخرا •

(٧) جريدة المفيد ٢٣ آب ١٩٢٢ ؛ جريدة الرافدين : ٢٣ آب ١٩٢٢ •

الملك فيصل ، وبسقوط الانتداب البريطاني وتطالب بتشكيل حكومة وطنية مستقلة • وكان يتصدر هذه المظاهر جعفر ابو التمن والشيخ احمد الداود • وواصلت مسيرتها حتى وصلت البلاط فاستقبلها فهمي المدرس وادخل الزعماء الاربعة على الملك وبعد التحية والتبريك تقدم جعفر ابو التمن الى الملك ورجاه ان يخرج الى الجموع المحتشدة التي جاءت تحييه هذا اليوم ويستمع الى مطالبهم بخطاب يلقيه احد اعضاء الحزب الوطني في ساحة البلاط ، فاعتذر الملك عن الخروج معهم لانه على موعد مسبق مع المندوب السامي البريطاني (السير برسي كوكس) وطلب الملك من فهمي المدرس كبير امنائه القيام بهذه المهمة ، بالاستماع الى الخطب والمطاليب وتبليغها اليه فخرج فهمي المدرس معهم الى الشرفة المطلة على الجماهير المحتشدة • فوقف الشيخ مهدي البصير يخطب بأسم الحزب الوطني العراقي (٨) •

وقد استهل البصير خطابه بتقديم التهاني الى الملك بهذه المناسبة وأبدى سروره وأغتباطه بتبوؤ الملك فيصل العرش ومما ذكره في خطابة : انه كان يؤمل في هذا اليوم أن يكون مجلس النواب قد أنعقد والمؤسسات التي تمثل الامة تمثيلا تاما قد تألفت واظهر أسفه لعدم تحقيقها حتى الان وقد ذكر الملك والحاضرين بأن أبرام البيعة للملك قبل عام كان قد رافقها طلب بجميع المجلس التأسيسي خلال ثلاثة اشهر ولكن هذه المدن قدأنقضت وأنقضت سنة ولم يلب هذا الطلب • ثم أكد على أهمية جمع المجلس التأسيسي في سن المعاهدة المزمع عقدها مع بريطانيا ولكن يصبح كل ما في هذه الدولة حقا مكتسبا وأمرا واقعا لابد ان يتألف البرلمان لتكون

---

(٨) جريدة العراق ٢٥ آب ١٩٢٢ ؛ محمد مهدي البصير : القضية العراقية ج ٢ ص ٤١٦-٤١٧ •

الحكومة مسؤولة امامه ثم ارجع كل الكوارث والالام الى تاخير عقد المجلس التأسيسي وحمل الوزارة السابقة مسئولة تأجيله . وفي نهاية خطابة طالب الملك بتأليف وزارة صالحة مخلصة حائزة على ثقة الشعب لتطمئن اليها القلوب وتسكن اليها الخواطر .

كما القى محمد حسن كبة خطبة ثانية بالنيابة عن حزب النهضة العراقية(٩) وطلب الى فهمي المدرس نقل محتواها الى الملك وفي هذه الاثناء حضر المندوب السامي السر برسي كوكس الى البلاط لتقديم التهاني الى الملك بمناسبة تتويجه . فلما وصلت السيارة الى مكان الاحتفال كانت الجماهير محتشدة فلم تستطع سيارته اجتياز الحشود الا بصعوبة بالغة وتقول مس بيل (١٠) بينما كان برسي كوكس يرتقي السلم نحو منصة الملك لتقديم التهاني هتف صوت من بين الجميع بشيء لم يصل الى سمعه ولم اتبينه انا . فأعقب ذلك عاصفة من التصفيق وقد دخلنا غرفة الاستقبال ونحن مرتبكون جدا ، وكان الانفعال يكاد يظهر على وجه الملك .. ولما رجعنا الى المكتب طلب الي برسي كوكس أن أتولى الامر في الحال لاهتدي الى ماحدث فاستلمنا الخبر الذي كنا نريده ، وهو أن الحزبين المتطرفين (الحزب الوطني وحزب النهضة) قاما بمظاهرة والجملة التي اثارت الاستحسان والتصفيق هي (فليسقط الانتداب) .

لقد اثار هذا الهتاف أستياء أعضاء الحزب الوطني العراقي والنهضة العراقية لاعتقادهم أن ذلك يضر بمقاصدهم الوطنية وذكر لي سامي خوندة

---

٩) محمد مهدي البصير : المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٩ ؛ البزاز : العراق من الاحتلال الى الاستقلال ص ١٤٦ .

(١٠) رسائل المس بيل ص٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

في لقائي معه[11] أن حسونا ابا الجبن هو الذي هتف بهذه العبارة بوحي من الانكليز حتى يتخذونها وسيلة لضرب الاحزاب الوطنية • أساء هذا الموقف السير برسي كوكس والقى تبعة ذلك على الملك كما أن المندوب أراد أستغلال هذا الموقف لضرب الحزبين الوطنيين فارسل في اليوم الثاني ٢٤/٨ أنذارا شديد اللهجة الى رئيس الديوان الملكي (رستم حيدر) يصف له ذلك المشهد ويحتج فيه بشدة على ما لقيه من معاملة غير لائقة عند حضوره ممثلا للملك بريطانيا في تقديم التبريك وحسبها أهانة شخصية له وهدد الملك فيصل بأنه أخبر لندن بالحادث • وطالب بالاعتذار اليه كما طلب بيانا بالاجراءات التي ينوي الملك أتخاذها ضد الخطيبين اللذين القيا خطبا مهيجة) •

وكذلك أدت هذه الاحداث الى اقالة[12] فهمي المدرس كبير الامناء من منصبه • وقد أكد لي سامي خوندة في مقابلة معه •• أن المندوب السامي أدعى أن فهمي المدرس لم يفسح له المجال في الدخول الى الملك• ولكن الحقيقة ، أن هناك اشخاصا يريدون أبعاد فهمي المدرس عن منصبه نضخموا الامر وجسموه • وكذلك كان المندوب السامي نفسه يرى ضرورة أخراجه من منصبه لاعتقاده أن فهمي له علاقة جيدة بالوطنيين ويبيح لهم أسرار البلاط • ويعتقد سامي خوندة أن لرستم حيدر ضلع في الامر وهو الذي اوغر صدر الانكليز عليه فأقالوه •

أعتذر الملك فيصل بكتاب أرسله الى المندوب السامي أعرب فيه عن اسفه وتأثره للحادث الذي وقع يوم ذكرى تتويجه • ثم أكد الملك أنه سيعمل كل ما هو ضروري لاصلاح الحادث حسب رغائب المندوب

---

(١١) في مقابلة معه في منزلة في ليلة ٨ـ٨ـ١٩٧٨ •
(١٢) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية ج١ ص٩٥ •

السامي • كما رجا الملك فيصل بأن لايبقى أثر لهذه الحادثة في ذاكـرة المندوب السامي التي لم توجه اليه شخصيا[١٣] ولكن المندوب السامي لم يقتنع بذلك •

وفي هذه الاثناء اصيب الملك فيصل بالتهاب الزائدة الدودية وقـرر الاطباء أجراء عملية جراحية مستعجلة • وفي صباح يوم ٢٥ أب ١٩٢٢ أجريت له العملية بنجاح ويقول الريحاني : وقبيل أجراء العملية وصل برسي كوكس ومعه كورنواليس مستشار وزارة الداخليـة فسلم وأخرج من جيبه أمرا قدمه للملك ليوقعه وهو أمر اعتقال سبعة من الزعماءالوطنيين ونفيهم من العراق ••• فقال الملك والامر بيده يخاطب السر برسي :ـ

بعد دقائق قليلة أكون بين أيدي هؤلاء الاطباء ، وقد لا أعـود مـن غيبوبتي الى الحياة فهل تطلب مني ياسير برسي أن يكون هذا الامر أخـر أعمالي في الدنيا ؟ هل تنتظر مني أن أنفي هؤلاء الناس ، أهل البلاد من بلادهم قبل موتي ؟ لا والله أنه غير ممكن ، قال هذا : ودفع الامر الـى المندوب السامي فوضعه في جيبه • وخرج من القاعة دون أن ينوه بكلمة واحـدة[١٤] •

وبعد أجراء العملية أصبحت البلاد بغير وزارة ولا رئيس دولة لان الوزارة النقيبة الثانية كانت قد أستقالت فلم تبق في البلد سلطة سـوى سلطة المندوب السامي فتولى السلطة بنفسه وبادر فـي الحال الى أتخـاذ اجراءات قمعية فاصدر بيانا في ٢٦ أب ١٩٢٢ اوضح فيـه حالة البـلاد الراهنة ، وبين فيه أن مسؤولية حفظ الامن والنظام هي مسؤوليةمشتركة

---

(١٣) الحسني : عبدالرزاق : الوزارات ج ١ ص ٩٦ •

(١٤) أمين الريحاني : فيصل الاول ص ١١٨ ـ ١١٩ •

بين الحكومة العراقية والمندوب السامي وطالما أن الوزارة قد أستقالت وأصبحت البلاد بغير حكومة كما أن الملك أصيب بالتهاب الزائدة الدودية وأن الوضع أصبح في حالة خطرة بسبب سلوك بعض السياسيين ومنشوراتهم في العاصمة ، لذلك فقد رأى المسؤولون عن حفظ القانون والنظام وجوب أتخاذ أجراءات سريعة للمحافظة على الامن •

وكذلك تعرض بيان المندوب السامي الى البيان المشترك الذي أصدرته هيئتا حزبي الوطني العراقي والنهضة العراقية في ٢٠-٢١ أب ١٩٢٢ فوصفه بانه يتضمن عداءا صريحا للحكومة والدعوة للاضراب ثم أعتبر المندوب السامي هذه الامور قد اضطرته الى اتخاذ التدابير الاتية [١٥] :

اولا : أقفال الحزب الوطني وحزب النهضة •

ثانيا : تعطيل جريدتي المفيد والرافدان والقبض على مديريهما سامي خوندة ، وابراهيم حلمي العمر وأبعادهم خارج العراق •

ثانيا : القاء القبض على الاشخاص الاتية اسماؤهم وابعادهم عن بغداد الى خارج العراق وهم :-

جعفر أبو التمن ، حمدي الباجهجي ، الشيخ محمد مهدي البصير ، وأربعة أخرون •

رابعا : الزام السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي (نجل العلامة مهدي الخالصي) بالخروج من العراق خلال ٢٤ ساعة •

أما الاربعة الاخرون الذين ذكرهم بيان المندوب السامي فهم أحمد الشيخ داود ، عبدالغفور البدري من هيئة الحزب الوطني العراقي (وقد

---

(١٥) عبدالرزاق الدراجي : جعفر ابو التمن : ص ١٩٧ •

أختفيا ولم تصل اليهما السلطة) وأمين الجرجفجي وعبدالرسول كبة من هيئة حزب النهضة العراقية اللذان أعتقلا ونفيا الى هنجام • ثم الحق بهما حبيب الخيزران رئيس قبائل العزة في لواء ديالى • أما ابراهيم حلمي صاحب جريدة المفيد فقد فر الى أيران والقى القبض على سامي خوندة صاحب جريدة الرافدان فنفى الى هنجام[١٦] أما السيد محمد الصدر والشيخ محمد مهدي الخالصي فقد سافرا الى أيران صيانة لمقامها الديني من نفيهما عن طريق القوة اذ غادرا العراق الى أيران في ٢٩ أب •

أما كيفية اعتقال جعفر أبي التمن ونفيه الى هنجام فقد كانت السلطات قد صادرت أوراقا كان نقيب اشراف سامراء قد زود بها الحزب الوطني العراقي لفتح فرع في سامراء وقد جرت المصادرة في محطة القطار حينما كان يريد السفر الى بلده فمنع من السفر • وقد راجع مقر الحزب الوطني العراقي في ٢٦ أب ١٩٢٢ وكانت اللجنة التنفيذية يومها مجتمعة وأخبرهم بما جرى فقررت اللجنة الاحتجاج على هذه التصرفات الشاذة لدى مدير الشرطة العام وعهد الى جعفر ابو التمن وحمدي الباجه جي ابلاغ مدير الشرطة العام بذلك القرار •

فذهب جعفر أبو التمن وحمدي الباجه جي الى دائرة الامن العام وعند خروجهما من الدائرة أركبا بسيار فيها ثلاثة من رجال الشرطة وارسلا الى الاعتقال[١٧] •

كما القي القبض على محمد مهدي البصير • وهكذا فقد أرسل المعتقلون جميعا الى جزيرة هنجام •

---

(١٦) الحسني : عبدالرزاق : الوزارات ج١ ص٩٩ •
(١٧) مهدي البصير : القضية العراقية ج٢ ص ٤٣٩

وأرسلت الطائرات لقصف القبائل المؤيدة للحركة الوطنية في المهناوية والشطرة والدغارة والمنصورية • وصادر المندوب السامي اراضي رؤساء العشائر الموالية للحركة الوطنية وسلمها الى المؤيدين للسياسة البريطانية • وأمر رؤساء العشائر المؤيدين للحركة الوطنية ان يسلموا أسلحتهم الى السلطة(١٨) وبذلك أستطاع كوكس أن يضرب الحركة الوطنية ضربة قاصمة •

وقد أخذت أفتش عمن بقي من هؤلاء الاشخاص الذين أبعدوا الى جزيرة هنجام فوجدت أن خمسة منهم قد توفي ولم يبقى منهم غير أثنان هما السيد سامي خوندة يسكن بغداد والشيخ حبيب الخيزران ويسكن نواء ديالى وكان الاتصال بالسيد سامي خوندة اسهل وأيسر وقد أستطعت الذهاب اليه مع صديقي الاخ أسماعيل الشيخ علي في ليلة ١٩٧٨/٨/٩ الموافق ليلة الخامس من رمضان ١٣٩٨ هجرية • في منزل جميل في منطقة الوزيرية من بغداد ، يسكن رجل تجاوز السبعين من عمره تبدو عليه علامات القوة والفتوة وقد فأجأني منظره الانيق • وقد كنت أظنه رجلا هدمته الايام والسنون وتركت أثارها فيه ولكن شيئاً من هذا لم يحدث وقادنا الرجل الى غرفة واسعة أنيقة تبدو عليها مظاهر الذوق في ترتيب أثاثها التي تحكي لك قصة تاريخها الطويل •

وبعد أستراحة قصيرة بدأت أسجل أجوبته عن الاسئلة الكثيرة التي أمطرته بها واليك خلاصتها :

ينتسب هذا الرجل الى قبيلة المهدية التي يسكن بغداد قسم منها وسميت المحلة (المهدية) باسمها وهي قبيلة من عشيرة العباد العربية

---

(١٨) الحسني : عبدالرزاق : الوزارات ج ١ ص ٩٦ ؛ البصير : نفس المصدر السابق ج٢ ص٤٢٦ •

المعروفة التي لعبت دورا بارزا في طرد الايرانيين عندما أصطدمت بالدولة العثمانية في عصر السلطان مراد الرابع وقد سكنت عائلته محلة قنبر علي مجاورة لخئولتها آل الوتري المعروفين • منذ ان سكن جدهم الاكبر الحاج ابو بكر العبادي المهدي بغداد بعد استردادها من الايرانيين على عهد السلطان مراد الرابع •

غير ان جده لابيه محمود خوندة كان يتعاطى الزراعة ، وقد سكن محلة جديد حسن باشا منفصلا عن أبناء عمومته • وبقي الاخرون يسكنون محلة قنبر علي ومحلة المهدية المجاورة لها •

وقد نال جده الخامس الحاج أبو بكر المهدي وابنه الملا معروف الرتبة العلمية (خوندة) حيث كانت الدولة العثمانية تمنح هذه الالقاب الى العلماء من رجال الدين • كما منحت الدولة العثمانية في عهد مدحت باشا جده معروفا أراضي واسعة على نهر ديالى سميت (العريفية) نسبة إليه (معروف) والان هي تابعة الى قضاء المدائن (سلمان باك) أداريا •

ولد سامي خوندة في ١٧ رمضان ١٣١٧ هجرية ١٩٠٠/١٢/٢٥ ميلادية الذي يصادف يوم عيد ميلاد السيد المسيح في محلة جديد حسن باشا •••

وقد سألته عن حياته الاولى فذكر انه :ـ

دخل المدرسة الابتدائية • ثم المدرسة الحميدية ـ وهي من المدارس الاولية وبعدها دخل رشدية عسكرية (متوسطة عسكرية) ثم دخل اعدادية ملكي ذات السبع سنوات وأستبدلت بمدرسة السلطاني ذات اثنتي عشرة سنة • وقد تخرج منها مع سبعة أخرين من زملائه قبل سقوط بغداد بيد الانكليز • وبعد ثلاثة شهور من تخرجه في كانون الاول ١٩١٦ بالذات دعى الى خدمة الاحتياط ويقول سامي خوندة : أنه سفرنا الى أسطنبول

وهناك التحقت بمدرسة المدفعية وتخرجت منها برتبة وكيل ضابط ثم ملازم •

وقد أرسلت قطعاتنا الى جبهة فلسطين واشتركت في الحرب ضد الانكليز في يافا ورام الله وجرحت مرتين وفي المرة الثانية ارسلت الى مستشفى في حيفا حين سقطت المدينة بيد القوات الانكليزية وأنا جريح في المستشفى العسكري فيها فأخذت أسيرا وأرسلت مع من أرسل من الاسرى الى الاسكندرية في مصر وبقيت تسعة شهور أسيرا في معسكرات الاعتقال هناك •

وفي ١٥ مايس ١٩١٩ عاد سامي خوندة الى بغداد وقد أثرت هذه الاحداث التي مرت به في شخصيته تأثيرا كبيرا وكانت نقطة تحول الى حياة جديدة يدخلها (خوندة) لاول مرة •

فيقول : ــ ولما عدت الى بغداد بدأت العمل السياسي السري وكان في ذلك الوقت قد بوشر بتأسيس حزب سياسي يضم العناصر الوطنية المعادية للانكليز وسمي (حزب حرس الاستقلال السري) • انضم اليه الشباب المثقف التي تشبعت روحهم بحب الوطن ومعاداة الاستعمار ولم يسمح لاحد بالانتساب اليه الا بعد تزكية • فانضممت اليه مع علي محمود الشيخ علي وقد رأس هذا الحزب السيد محمد الصدر واعضاؤه علي البزركان ، وجعفر أبو التمن ، ويوسف السويدي ، ومحمود رامز وجلال بابان وناجي شوكت ومحمد باقر الشبيبي ومحي الدين السهروردي وشاكر محمود وغيرهم وقد تضمن منهاجه مواد مهمة منها : ــ استقلال العراق التام وتأليف حكومة دستورية ملكية تحت ملوكية أحد أنجال الملك حسين ، وبذل الجهد للانضواء الى لواء الوحدة العربية والتعاون مع الجمعيات

العربية الاخرى[19] •

وقد أنضم الى الحزب رجال الدين والشيوخ ذوو الاتجاهات الوطنية مع عدد من الضباط العهديين (الذين ينتمون الى حزب العهد) والذين عادوا من سوريا الى العراق •

ويقول سامي : كان شعارنا يومها (العراق للعراقيين) • ومن أهم اعمال الحزب انشاء المدرسة الاهلية الثانوية (مدرسة التفيض الاهلية فيما بعد) وقد أنتخب مديرا لها علي البزركان أحد اقطاب حزب حرس الاستقلال ، وقد أتخذت مقر للحزب وكانت تعقد فيها الاجتماعات السرية والعلنية في يوم الخميس من كل أسبوع •

وقد اشارت المس بيل في مذكراتها الى هذه الاجتماعات السياسية فقالت (أن هذه المدرسة أصبحت مقرا للوطنيين المتطرفين[20]) في بغداد •

وقال سامي خوندة : في سنة ١٩٢٠ صدرت بعض الصحف العراقية مثل جريدة الاستقلال لصاحبها المرحوم محمد عبدالحسين الكاظمي[21] وجريدة الفرات[22] للمرحوم محمد باقر الشبيبي في النجف الاشرف وكانتا تنشران اخبار الثورة العراقية •

---

(١٩) راجع منهاج الحزبين في كتاب الاحزاب السياسية للدكتور فاروق صالح العمر ص ٥١ •

(٢٠) فصول من تاريخ العراق القريب ص ١٤٦ •

(٢١) صدرت في ٣ تشرين الاول ١٩٢٠ • ويقول الحسني أصدرت منها ثمانية أعداد فقط بعد أن غادر زعماء الثورة البلاد العراقية •

(٢٢) صدرت في ١٢ أيلول ١٩٢٠ وكانت تتحدث باسم زعماء الثورة العراقية واستمرت تنشر اخبار المعارك وقوبلت بحماس شديد وتوقفت بعد صدور عددها الخامس •

وفي بغداد صدرت جريدة الاستقلال البغدادية[٢٣] لصاحبها عبدالغفور البدري وكنت أنا وعلي محمود الشيخ علي ومحمد مهدي البصير والشاعر الرقيق باقر الحلي وأخوان أخرون نشترك في تحرير هذه الجريدة التي كان يرأس تحريرها المرحوم قاسم العلوي • وهنا برزت مواهب علي محمود وأمكاناته الصحفية في تدبيج المقالات القومية والوطنية ، وفي سنة ١٩٢١ تقدمت الى وزارة الداخلية وطلبت اجازة لاصدار جريدة تقف الى جانب الجرائد الوطنية وقد صدرت الاجازة بالموافقة على اصدار جريدة بعنوان الرافدان في ٢١ ايلول ١٩٢١[٢٤] • وعندما صدرت الجريدة أخذ علي محمود يشاركنا في كتابة المقالات السياسية العنيفة يهاجم فيها الاستعمار واعوانه وكان يومئذ تلميذ في مدرسة الحقوق •

وقال سامي خوندة : ومن ذكرياتي عن هذه الحقبة من الزمن ان علي محمود الشيخ علي كتب ذات يوم من سنة ١٩٢١ في جريدة الرافدان التي كنت مسؤولا عنها مقالا بعنوان (فرنسا ••• فرنسا) وقد هاجم فيها فرنسا وانتقد الاعمال الوحشية التي قام بها الجنرال غورو في سوريا عندما هجم بجنوده على دمشق واسقط حكومة فيصل وفي مساء اليوم الذي نشرت فيه المقالة طلب الملك فيصل حضوري وحضور المرحوم علي محمود الشيخ علي كاتب المقال ، بواسطة المرافق العسكري الرئيس توفيق

(٢٣) صدرت في بغداد في ٢٨ أيلول ١٩٢٠ وكانت تخدم الثورة العراقية وكانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع وطالبت باطلاق الحريات العامة ، فعطلتها الحكومة يوم ٩ شباط ١٩٢١ والقى القبض على صاحبها وجميع المحررين والقوا في السجن •

(٢٤) صدرات في بغداد يوم الاثنين ٢٦ أيلول ١٩٢١ وكانت جريدة مسايرة للشعور الوطني بكتاباتها الصارمة •

الدملوجي الى داره فذهبنا الى هناك وكان يسكن في قصر شعشوع المطل على نهر دجلة خلف البلاط الملكي السابق • وعندما قابلنا أخذ ينصحنا بعدم التعرض لسياسة فرنسا مهما اساءت الينا نحن العرب لان ذلك يسيء الى العلاقات السياسية التي بيننا • ويعرقل السبل التي من خلالها نصل الى خدمة البلاد • ولما أخذنا ندافع عن وجهة نظرنا في الموضوع قال : مؤشرا بيده اليمنى (أنكم مازلتم في بدء حياتكم السياسية ارجو أن تتريثوا فيما تكتبون وبعد أن شربنا القهوة خرجنا) وقال سامي خوندة أيضا :

في ثاني يوم من الاحتفال لتتويج الملك فيصل ٢٤ / آب ١٩٢٢ بينما كنت في مطبعة (دار السلام) الواقعة مقابل مدرسة الاعدادية المركزية الحالية أصحح مسودات خطاب الحزب الوطني الذي ألقي يوم ٢٣/آب • ألقي القبض علي السارجن (دين) وهو شرطي بريطاني مستخدم في شرطة لواء بغداد ومعه مفوض أمن عراقي أسمه (نوري العاني) ذهبا الى غرفة مفتش الشرطة (الميجر جرارد) وبعد مدة قليلة من الزمن نقلت على أثرها الى معسكر الهيدي (معسكر الرشيد) وأودعت سجن معسكر القوة الجوية البريطانية وبعد أن بقيت ثلاثة أيام في السجن الانفرادي لم أذق خلال الـ ٢٤ ساعة الاولى فيها طعاما • ثم سفّرت الى البصرة وأدخلت السجن العسكري في المعقل والتقيت هناك بالحاج محمد جعفر أبو التمن وحمدي الباجه جي والشيخ محمد مهدي البصير وجاءنا بعد ذلك المرحومون أمين الجرجفجي وعبدالرسول كبة ، والشيخ حبيب الخيزران فصار عددنا سبعة • وبعد أن بقينا في هذا السجن حوالي ٢٨ يوما حملتنا الباخرة (باندرا) الى المنفى الذي لا نعلمه ولا ندري الى أي جهة نحن محمولون اليها وقد وضعنا تحت حراسة شلة عسكرية صغيرة انكليزية بأمرة ملازم انكليزي واضاف سامي خوندة قائلا : ـ

وفي اليوم الثالث من ركوبنا الباخرة طلب اليّ رفاقي تقصي معرفة الجهة التي سنذهب اليها من بعض الجنود الانكليز المرافقين لنا أن أمكن وفي اليوم التالي بينما كنت أتخطى على سطح الباخرة مع المرحوم الشيخ مهدي البصير جاء أحد الحراس الانكليز المكلف بحراستنا فتكلمت معه بلطف مستفسرا منه عن الجهة التي هم ذاهبون اليها • فقال لي : غدا نودعكم الى (بوشاير) وذهب عني فرجعت فورا الى زملائي واخبرتهم بذلك وصرنا نسأل أنفسنا أين يقع هذا المكان • حتى قيض الله لنا أحد الخدم وسألناه الى اين تصل الباخرة غدا • فقال لنا : الى بند بوشير • وبذا أنحل لنا أول مجهول ثم قال خوندة : ما أن رست الباخرة في هذا الميناء حتى أستبدلوا الحراس المرافقين لنا في الباخرة من البصرة بجنود هنود وعلى رأسهم ضابط هندي برتبة (جمدار) أي ملازم • وقد سألته عن الجهة التي نحن ذاهبون اليها • فقال لنا (هنجام) وقد ملت الى الاعتقاد بأن الانجليز سوف يخفون عن أهلنا وذوينا الجهة التي سيرسلوننا اليها متقصدين في ذلك ممعنين في الانتقام لتجربة سابقة لي معهم عندما كنت أسير حرب في مصر في الاسكندرية حين كنت ضابط أحتياط برتبة ملازم مدفعي في الجيش العثماني وكنت جريحا راقدا في مستشفى حيفا في ٢٣/أيلول سنة ١٩١٨ وعلى هذا الاساس وبينما كنت في ضحى اليوم التالي على ظهر الباخرة التقيت صدفة مع رجل هندي مسلم عرفناه من لباسه فأبتسم بوجهي عندما تقابلنا معه وجها لوجه فابتسمت له وخاطبنا مستفسرا باللغة الانكليزية ومؤشرا على الشيخ البصير قائلا : من هذا الرجل فقلت له أن هذا أحد الشعراء المعروفين ورجل دين ونحن هنا سبعة أشخاص منفيون من العراق بيد الانكليز ونحن ذاهبون الى جزيرة هنجام للاعتقال بها •

وظل معنا نتجاذب اطراف الحديث الذي كان يدور حول مظالم

الانجليز في العالم كله لاسيما في الهند والعراق وغيرها • فرجوته عندئذ ان يسعفني بظرف وورق وطابع بريدي لاكتب الى أهلي رسالة من بريد الباخرة فرحب بالفكرة والطلب فأحضر لي ما أردت وكتبت الى عائلتي رسالة بتاريخ ٢٥/ أيلول سنة ١٩٢٢ من الباخرة (بانـدرا) وأرسلت الكتاب معنونا الى عمي الحاج رضا الريزه‌لي حتى لا تعرف السلطة البريطانية بانه مرسل مني الى جميل خونده وذلك بقصد التضليل التي أعتقد أنها كانت تراقب كل ما يصدر منا •

وعندما وصل هذا الكتاب الى أهلي كتب عمي وأخي ردا عليه بتاريخ ١١-١١-١٩٢٢ ذكروا فيه بأنهم عرفوا أتجاه سيرنا الى جزيرة هنجام التي ستكون محل أقامتنا الدائم • وقد جاءني هذا الكتاب بواسطة دائرة المندوب السامي البريطاني في بغداد وهي الدائرة التي تنظر في أمور المبعدين السياسيين • وتسلمته بعد وصولنا الى الجزيرة • وعلى أثر هـذا جاءنا القنصل الانكليزي العام في بندر (بوشهر) غاضبا • وهو الرجل المسؤول رسميا عن أمورنا • وسألنا من منكم كتب رسالة الى العراق وذكر فيها أنكم ذاهبون الى هنجام • وكنت أنا المترجم لما يقوله الانكليزي الى جماعتي فسألت رفاقي عما يريد القنصل معرفته فأجابوا جميعا بالنفي ومنذ ذلك الحين أصبحت تردنا الرسائل بواسطة هذه الدائرة الى هنجام بشكل علني • ومن المفيد أن نعطي فكرة عن جزيرة هنجام حتى يتسنى للقارىء أن يكون فكرة واضحة عنها •

تقع هذه الجزيرة في مدخل مضيق هرمز في الخليج العربي بمحاذاة الساحل الجنوبي لجزيرة قشم بالقرب من نقطة خارجو ويفصل بينهما مضيق اتساعه ميل واحد وهي تشكل قاعدة بحرية ممتازة لمراقبة التحركات البحرية • وقد عرفت لدى الجيل السابق من البحارة البريطانيين بأسم

أنجوم واحيانا باسم أنجر [٢٥] ويبلغ طولها خمسة أميال ونصف من الشمال الشرقي الى جنوب الجنوب الغربي وعرضها حوالي ثلاثة أميال •

وتتكون الجزيرة من مجموعة من التلال الوعرة التي تتناقص بالتدريج من الشمال الى الجنوب وأعلى قممها هو جبل المائدة ويبلغ أرتفاعه ٣٥٠ قدما ويبعد ميلا واحد عن طرف الجزيرة الشمالي • ومظهرها المتواضع من البحر يوضح حقيقة طبيعتها المتجانسة فهي عبارة عن صخور سوداء قاحلة تتخللها هنا وهناك خيوط حمراء وأخرى بيضاء •

أما مناخها : ففي الصيف تكون الحرارة فيها عالية جدا ولا يمكن أحتمالها الا بصعوبة بالغة وتزيد من وطأتها الرطوبة العالية ولاسيما في حزيران وتموز وآب التي يصبح فيها الجو خانقا لزجا فوق الاحتمال بالقرب من الشاطىء حيث تنبعث الروائح الكريهة الناتجة عن تعفن الحشائش البحرية •

يبدأ المطر في تشرين الاول ، وينتهي في مارس وتنبت في الجزيرة أشجار السنط وبعض الحشائش في موسم المطر • وفي جزيرة هنجام ثلاثة أماكن مأهولة هي : ـ

١ ـ محطة التلغراف البريطانية التي أعيد تأسيسها في الطرف الشمالي للجزيرة في شهر أبريل عام ١٩٠٤ بعد أن أهملت مدة ١٣ عاما وتقع أبنيتها على صخرة تبعد ربع ميل عن الساحل الشمالي للجزيرةويقع جنوب المحطة واد كبير عرضه ٥٥٠ ياردة وبه بئران أو ثلاثة تستعمل المحطة مياه أفضلها • ويبلغ عمق الماء حوالي ١٨ قدما ويتراوح طعمه بين الحلو والضارب للملوحة وتقع الى الشرق من محطة التلغراف قرية أسمها

---

(٢٥) لوريمر : دليل الخليج ج٢ ص٨٠٤ •

(مشة) تتكون من اكواخ قليلة يسكنها مستخدمو أدارة التلغراف من الاهالي الذين جلبوا من جاشك ولكنهم في الاصل من باسيدو ٠

٢ ـ قرية هنجام : هي أكثر الاماكن سكانا في الجزيرة وتقع في أرض منبسطة على الساحل في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة ويزرع السهل المجاور له جميعه وهي قرية عربية تماما وهي نظيفة وحسنة البناء ٠

وتتألف من (٢٠٠) منزلا وبها ١٨ دارا و ٦ بساتين ملأى بأشجار الفاكهة وترويها ابار على عمق ٢٠ الى ٢٥ قامة ٠ ومحاصيلها الرئيسية هي ألقمح والشعير والبصل واليقطين وينتمي عرب هنجام الى قبيلة بني ياس التي تسكن الساحل الغربي من الخليج وتعاملهم مع الساحل العربي وخصوصا مع دبي ٠ وهم يتمتعون بالرجولة والذكاء ولديهم روح الاصالة بالاضافة الى سخائهم المفرط ويزاولون مهنة صيد اللؤلؤ وهي تشكل أهم مصادر رزقهم ويتغيب رجال القرية عنها ويسافرون الى مغاصات اللؤلؤ العربية طيلة الموسم من شهر حزيران الى تشرين الاول كل عام ٠ ولا يعودون للقرية الا بعد أن يبيعوا ما جمعوه من اللؤلؤ الى التجار الهنود في ساحل عمان المتصالح أو في لنجة ٠ وتعمل نساء القرية أثناء هذا الموسم في ميناب والمناطق الاخرى لقطف التمور وجمعها ٠ ويعدن الى بيوتهن بنفس الوقت الذي يبدأ فيه أقاربهن بالعودة من صيد اللؤلؤ ٠ ولذا تصبح قرية هنجام مهجورة تماما في فصل الصيف باستثناء الكهول والطاعنين في السن

٣ ـ قرية غيل : وهي أمتداد لقرية هنجام وتقع على الساحل الغربي على بعد ثلاثة أميال جنوب غرب محطة التلغراف وثلاثة أميال شمالي غربي قرية هنجام وبها ثلاثون منزلا ويعتمد السكان في معيشتهم على صيد اللؤلؤ ٠ وبها بئر مياهها عذبة على بعد خطوات قليلة من شاطىء البحر ٠ ويوجد اربع حدائق مسورة على بعد مئة ياردة من شرق القرية ٠ وتزرع بها أشجار

الفاكهة والبصل وتوجد ثمانية أبار قليلة العمق بين الحدائق وهناك بحيرة أصطناعية بينها وبين القرية لتخزين مياه الامطار • وموارد المياه في غيل كثيرة جدا • وتحصل المراكب المحلية التي ترسو بين هنجام وقشم على المياه من هذه القرية بواسطة المراكب •

ولا توجد بالاضافة الى محطة التلغراف وقريتي هنجام وغيل أي مستوطنة أخرى ويوجد في الجزيرة مرسى مهم يدعى (خليج مشة) بين هنجام وقشم وتتردد عليه معظم مراكب المنطقة لتتزود بالمياه أو لتحتمي من رياح الشمال •

يتولى السلطة الرئيسية في الجزيرة شيخ قرية (هنجام) (٢٦) وحدثنا سامي خوندة عن حياته وحياة رفاقه المعتقلين في الجزيرة وكيف كانوا يقضون أوقاتهم فيها فقال : ـ

« تولى أمر اعاشتنا في هذه الجزيرة متعهد أسمه السيد أبراهيم كلداري وهو من سكنة بندر عباس لتقديم الطعام • وقد خصص لنا طباخ مع معاونه واربعة من الخدم يقومون بما يلزم من تأمين راحتنا من حيث المأكل والمشرب وغسل الملابس وتنظيف السكن وتنظيمة كما خصص لنا أثنان من الهنود يقومان بتنظيف الغرف صباح كل يوم • ولنا مطعم خاص في ساحة أحدى الغرف نتاول وجبات الطعام فيه ، أما نوعية الاكل فكانت من النوع الجيد جدا • وكان المتعهد نفسه يزورنا بين حين واخر للاطلاع على أعمال المشرفين على راحتنا •

وكان يزورنا القنصل الانكليزي في بندر عباس مستفسرا عن راحتنا ومتفقدا أحوالنا المعاشية ولا نذكر أن طلبنا منه في يوم ما شيئا يتعلق بالاكل والشرب وكنا نظهر امامه بعدم الاهتمام واللامبالاة ، وعلى الرغم

---

(٢٦) لوريمر : دليل الخليج ج٢ ص٨٠٥ ـ ٨٠٨ •

من هذا الاعتناء والاهتمام في اعاشتنا فقد منعت عنا الصحف والكتب منعا باتا • سوى أنني أذكر طلبت من القنصل الانكليزي في بندر عباس أن يزودنا بقاموس أنكليزي ـ عربي فجلبه لنا وكان قاموس صغير (قاموس الجيب) وبعبارة أخرى كنا منقطعين عن العالم الخارجي ومنعزلين عنه انعزالا كليا •

واضاف سامي يقول « وفي ليلة ٢٥ / كانون الاول في يوم عيد الميلاد رست باخرة حربية في ساحل الجزيرة فخرج بعض الجنود من الباخرة وقضوا ساعات تلك الليلة في الانس وشرب الخمر حتى صباح اليوم التالي • حيث اقلعت الباخرة الى جهة لا نعرفها وكانت العادة أن نذهب عصر كل يوم الى ساحل الجزيرة مشيا على الاقدام نشم النسيم ونروح عن أنفسنا عناء الغربة ومشقة العزلة •

وفي اليوم الثاني بينما كنا نتخطى على الساحل الذي رست فيه الباخرة عثرنا على بعض قصاصات من جريدة انكليزية فرأيت فيها عنوانا كبيرا يشير الى تشكيل الوزارة البريطانية الجديدة برئاسة بونارلو وانسحاب وزارة لويد جورج وأخذت القصاصات معي فقرأتها على رفاقي وعقدنا جلسة لمناقشة الموضوع والتطورات السياسية التي أوجبت التبدل الوزاري » وقال ايضا :

« بعد أن علم أهلي بمقر اقامتنا حاولوا أن يرسلو لنا ملابس ونقود وبعض اللوازم الاخرى فراجعوا مديرية الشرطة العامة التي كان يرأسها يومها المرحوم السيد اسماعيل الصفار بخصوص التوجيهات لارسال الملابس والفلوس لي ، فلم يتمكن من أجابة طلبهم فراجعوا الميجر جرارد المفتش الانكليزي في هذه الدائرة فرفض طلبهم ايضا وعندئذ رفع عمي بتاريخ ٢٨ / أيلول ١٩٢٢ عريضة الى المندوب السامي

البريطاني المستر كوكس طلب فيها المعونة في حل هذه القضيـة • وجاء جواب سكرتيرة المندوب السامي بتاريخ ٣/تشـرين الاول ١٩٢٢ برفض الطلب •

وهذا نص الجواب

٢ / تشرين أول ١٩٢٢ بغداد

من سكرتيرة فخامة المندوب السامي في العراق

الى جناب جميل أفندي خوندة المحترم

محلة جديد حسن باشا رقم ١-٧٧ بغداد

ردا على أستدعائكم المؤرخ ٢٨ أيلول ١٩٢٢ •

أفيدكم مع الاسف بالا يمكنني أن أتوسط في هذه المسألة والسلام

التوقيـع

كرترودبـل

السكرتير الشرقي لفخامة المندوب

السامي في العراق

وقد حدثنا سامي عن الحياة التي كانوا يحيونهـا وكيـف كانـوا يقضون أوقات الفراغ فقال :ـ

كنا نقضي أوقاتنا بالمطاردة الشعرية • وقراءة ما نحفظه من أشعار العرب وخطبهم وكنا نطلب من كل واحد منا أن يتحدث عن ماضيه وذكـر فيه من مفارقات ومواقف محزنة او مفرحة او غيرها • وكنا نقرأ أيضا فـي بعض الاحيان في كتاب (بند) أبن الخلفة كما كنا نلعب الورق تارة ونظم الشعر الهزلي تارة أخرى نروح به عن أنفسنا ونخفف به الم الاعتقال وكان

المرحوم الباجهجي والشيخ حبيب الخيزران ينظمان شيئا من الشعر الهزلي باللهجة العامية .

وفي مساء يوم الاثنين ٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ شهدت الشخص الذي يقوم بخدمتنا وتنظيف غرفنا مهتما للغاية بعمله وقد شاركه فيها أحد الجنود فسألت المنظف الذي اعرفه عن سبب هذا الاهتمام فقال لي (كب صاحب أية كه) أي سيأتي الصاحب الكبير فكررت عليه سائلا ما أسم هذاالصاحب فقال (كوكس صاحب) وعلى أثر ذلك عقدنا الاجتماع السياسي على عادتنا وتداولنا في الامر وأستحضرنا الاجوبة العديدة التي قد يسألنا عنها عند اجتماعه بنا وكانت جلسة سياسيا مضحكة وظريفة جدا .

وما أن حلت الساعة العاشرة صباحا من يوم الثلاثاء ٥ تشرين الثاني . تراءت لنا في الافق باخرة صغيرة بيضاء تسمى (منور) تستخدمفيالخليج العربي من قبل الموظفين الانكليز وما ان وصلت الجزيرة حتى خرج منها السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق . وكنا قد تظاهرنا له بعدم الاكتراث وتشاغلنا عنه بعدم معرفتنا بمجيئه حيث كانت جلستنا أعتيادية نلعب الورق ونتسامر فبادرنا بالسلام علينا وعندئذ استقبلناه بتعجب وسألنا عن راحتنا واذا كنا بحاجة الى شيء . فلم نطلب منه أي شيئا . فقال لنا :

(أن الحكومة العراقية تطلب عودتكم)

وكانت الحكومة يومها برئاسة عبدالمحسن السعدون (الوزارة الاولى) التي تشكلت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ واردف قائلا « تقرر أن يعود كل من سامي خوندة والشيخ محمد مهدي البصير وامين الجرجفجي وعبدالرسول كبة والشيخ حبيب الخيزران والتفت الى المرحومين : جعفر أو التمن وحمدي الباجهجي وقال لهما اما انتما سيطلق سراحكما على أن

تختارا الجهة التي تريدان الذهاب اليها » مؤقتاً فقالا له (رحمهما الله) أننا نفضل الذهاب الى مصر لان المصريين عرب مثلنا ويتكلمون بما نتكلم فأجابهما « بأن الهند أقرب اليكما من مصر والبواخر مستمرة بين البصرة وبومباي فأرى أن تذهبا الى هذا البلد » فلم يوافقا وبقيا مصرين على طلبهما ٠

ثم سألنا أيضا عن زمن وصول البواخر التي تمر بالجزيرة فقلنا له كل يوم احد من كل أسبوع قادمة من بومباى الى البصرة وكل يوم ثلاثاء من كل اسبوع تمر بنا قادمة من البصرة الى بومباي ٠ وبعد أن بقي عندنا ساعة تقريبا عاد الى الباخرة ثم الى البصرة ٠

وقال سامي : ومن الامور التى أذكرها فى هذه المقابلة لبرسى كوكس أن عبدالرسول كبة قال للمندوب السامي « أما تستحي بريطانيا ان تنفي رجلا كهلا مثلي جاوز الثمانين من عمره » فابتسم بوجهه وقال له ستعودون الى بغداد قريبا » وقد استنتجنا من حديثه معنا اننا سنرجع الى العراق قريبا غير ان ذلك لم يتحقق وبقينا على حالتنا هذه حوالي أثنين وخمسين يوما دون أن يرد الينا أى خبر بالعودة ٠

وبعد أن مضت هذه الايام زار المنفيين القنصل البريطاني العام فــى بندر عباس وهو المسؤول الرسمي عن المنفيين والمشرف على أحوالهم ومعه أوراق تعهد وطلب من خمسة من المنفيين وهم : عبدالرسول كبة وأمين الجرجفجي ، وحبيب الخيزران وسامي خوندة ومحمد مهدي البصير التوقيع عليها فوقع عليها بعضهم ووقعها الاخرون بعد تردد واخبرهم بان المندوب السامي سوف يطلق سراحهم بعد تقديم تعهد بمساندة سياسة الملك فيصل وحكومته المستندة على المعاهدة ٠

وقد سمح للمنفيين الموقعين على التعهد بالعودة الى العراق فغادروا هنجام في ١٠ شباط ١٩٢٣ ووصلوا البصرة بعد عشرة ايام ثم غادروها الى

بغداد عدا محمد مهدي البصير الذي بقى في البصرة ثم سمح له بالعودة الى بغداد في ٢٤ مايس ١٩٢٣ ولم يبق في جزيرة هنجام سوى جعفر أبو التمن وحمدي الباجه‌جي وبقيا على أمل السماح لهما بالذهاب الى مصر ولكن المندوب السامي البريطاني في القاهرة بين أن دخولهم الى مصر ليس مستحسنا • ومن الجدير بالذكر ان السبب الذي حدا بالمندوب السامي البريطاني في القاهرة ان لايوافق على السماح لجعفر ابو التمن وحمدي الباجه‌جي بالمجيء الى مصر يرجع الى ان السلطات المصرية قد اعتقلت في تلك الفترة سعد زغلول للمرة الثانية يوم الجمعة ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ ونفته وصحبه الى جزائر سيشيل (٢٧) • فاستعرت الثورة من جديد ضد سلطات الاحتلال البريطاني • واخذ حزب الوفد يقود هذه الثورة العارمة فاعتقلت السلطات عددا كبيرا من الوطنيين وعطلت بعض الصحف الوطنية وهي : الاخبار ، والمحروسة ، والنظام ، والامة ، والمقطم • وامام هذا الضغط الجماهيري الهائل اضطرت السلطات الى اخلاء سبيل هؤلاء المعتقلين من انصار سعد وقد استقال رئيس الوزراء عدلي يكن لفشله السياسي •

وعلى أثر هذه الاحداث الضخمة صدر تصريح ٢٨/فبراير/شباط ١٩٢٢ لتهدئة الوضع ولكن الحزب الوطني المصري رفض هذا التصريح

---

(٢٧) وهي جزائر نائية في ارخبيل ، تملكها بريطانيا في المحيط الهندي بالشمال الشرقي لجزيرة مدغشقر ويطلق اسم سيشيل على جزائر الارخبيل كله واهمها جزيرة (ماهي) التي نفي اليها سعد وصحبه وهم : فتح‌الله بركات ، عاطف بركات ، مصطفى النحاس ، سينوت حنا ، مكرم عبيد • وقد ابحرت فيهم احدى الناقلات الحربية يوم ٢٩ كانون أول ٩٢١ فاقلتهم الى عدن وبعد أن لبثوا بها قليلا نقلوا الى جزائر سيشيل في مارس وظلوا منفيين بها ثم نقل سعد الى جبل طارق مراعاة لصحته وغادر الجزيرة يوم ١٨ آب ١٩٢٢ • انظر : عبدالرحمن الرافعي : في اعقاب الثورة المصرية ج١ ص٣٠-٣١ •

لانه وجده لايحقق لمصر استقلالها ووحدتها مع السودان وسيادتها .

وظل الشعب المصري يعارض الاحتلال الانكليزي لبلاده بكل الوسائل وتشكلت حكومات واستقالت حكومات وظل الرأي العام المصري مضطربا قلقا على مصير البلاد وشمل القلق مصير الدستور ذاته اذ تلاحقت المؤامرات والتدابير للعبث به وتأخير صدوره وقد تشكلت وزارة يحيى باشا ابراهيم في ١٥ اذار/مارس/١٩٢٣ .وكانت مشكلة اصدار الدستور امامها . وبعد مناقشات طويلة استغرقت عدة اشهر من المعارضة صدر الدستور في ١٩ ابريل/نيسان ١٩٢٣ وفي غمرة هذه الاحداث رأت الحكومة البريطانية تحت ضغط الحركة الوطنية ان ليس من الحكمة ولا من حسن السياسة ابقاء سعد في الاعتقال وان استمرار اعتقاله يزيد في الثورة والهياج في مصر ويحول دون تهدئة الخواطر بل وربما كان سببا في كثرة الجرائم السياسية . فقررت الافراج عنه يوم ٢٧/اذار (قبل صدور الدستور) وكان معتقلا في جبل طارق وتبع ذلك الافراج عن بقية المعتقلين السياسيين في مصر وفي جزيرة سيشبل من جماعة سعد .

واخيرا سمح لحمدي الباجه جي بالعودة الى بغداد في بداية شهر نسان ١٩٢٣ بعد قرار الموافقة على عودته وبقي جعفر أبو التمن وحده في جزيرة هنجام رهن الاعتقال .

وقال سامي خوندة .

والذي اذكره في هذا الموضوع عندما تسرب خبر بقاء المرحوم جعفر أبو التمن وحيدا في جزيرة هنجام الموحشة . عم الحزن والاسى في نفوس الشعب العراقي .

---

(٢٨) الرافعي : عبدالرحمن : في اعقاب الثدرة المصرية . ص٥٤ .

وفي يوم لاأذكره جاءني احد المستخدمين في البلاط الملكي وأخبرني شفويا بوجوب مقابلة كبير الامناء فيه • فذهبت في اليوم التالي الى البلاط وبعد أن تكلمنا معه في أحاديث شتى نوهلي ضرورة المطالبة بعودة جعفر أبو التمن من منفاه في جزيرة هنجام حيث لايستحسن بقاؤه وحيدا فيها وفهمت من ذلك الحديث أننا يجب أن ننظم وفدا لمقابلة الملك فيصل ونعرض عليه هذا المطلب ملتمسين منه شموله بالموافقة على ذلك وبعد ذلك بايام قام الحزب الوطني المنحل بايفاد وفد لمقابلة الملك مكونا من المرحوم عبدالغفور البدري وداود السعدي وقاسم العلوى وسامي خوندة وطالب مشتاق وصادق حبة وأنور النقشلي وعند المقابلة كان أول المتحدثين قاسم العلوى والثاني صادق حبة والثالث (أنا) وكانت أقوالنا كلها تنصب على ضرورة عودة السيد جعفر أبو التمن وخطر بقائه في هذه الجزيرة النائية القاحلة وانه لايستحق كل هذه القسوة فوعدنا الملك خيرا وفعلا أطلقوا سراحه بعد ٢١ يوما من مقابلتنا الملك » • وعند هذا الحد انهى سامي خوندة حكاينه عن مسيرته الطويلة الى هنجام • ولكن حياته السياسية لازالت فيها صفحات اخرى ربما استطاع المؤرخون – من غيري – تسجيلها خدمة للتاريخ والحقيقة •

أن الامم المنهوكة التي أصابها الاستعمار بالضمور والنحول لاتحتاج لشيء مثل حاجتها الى قطرات المداد التي يريقها القلم في وجدانها فتنعشها وتبعث الدفىء في أوصالها والحياة في كيانها ووجدانها •

من أجل هذا كله يضع طغاة كل أمة القلم الحر في رأس القائمة التي يعدونها للنفي وللسجن والاعدام ويشاء ربك الا أن يجعل النفي والسجن والتشريد والاعدام مجال الحياة الذي تنمو وتترعرع فيه الاقلام الحرة وتأتي أكلها وثمارها •

المصادر التاريخية لتجارة الخليج العربي خلال العصور الوسطى الاسلامية

الدكتور لبيد ابراهيم احمد
استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الاداب ـ جامعة البصرة

مقدمـــة :

لم تكن اهمية الخليج الاقتصادية مقتصرة على الحاضر بل انها تمتـد الى اعماق التاريخ القديم للمنطقة • فالنصوص الاشورية والبابلية تحدثنا عن عظمة واهمية هذه المنطقة في العلاقات التجارية مع الدولتين الاشـورية والبابلية اللتين تعتبران من الدول الكبرى في تاريخنا القديم ، وعن طريـق هذه الصلات التجارية تحصل تلك الدول على منتجات وبضائع الخليج من احجار ثمينة ونحاس ورصاص وحديد وبخور ولؤلؤ ومسك وتمـور ، وكل ما هو ضروري للتطور الحضاري الذى شهده العـراق خـلال تلك الفتـــرات •

وفي المتحف العراقي ببغداد نماذج من قوارب شراعية معمولة مـن الفخار تذكرنا بتلك التي كانت تمخر عباب مياه الخليـج ، كما ان هنـاك اشكالا اخر من تلك القوارب والسفن الملائمة للتجارة الخارجية ، وهـي بدورها تعكس الحركة التجارية الفعالة للمنطقة في التاريخ القديم(١) •

وهناك نصوص ترجع الى فترات مختلفـة كفتـرة السـلالة الثالثـة لسرجون الاكدي وبعض الاشوريين من امثال سنحاريب واشور بانيبال تلقي

الضوء الواضح على متانة العلائق التجارية بينهم وبين مناطق الخليج العربي المختلفة • وفي كتاب التجارة الخارجية للفترة البابلية القديمة(٢) نصوص قديمة عن استيراد النحاس والعاج والاحجار الثمينة والتمور سواء كانت من انتاج مناطق الخليج العربي المختلفة او بضائع مستوردة من بلدان أخر الى منطقة الخليج •

ومما لاشك فيه ان نشاط العلاقات التجارية في المنطقة يرجع بالدرجة الاولى الى الاستقرار السياسي الملحوظ الذي شهدته المنطقة خلال فترة هيمنة الدولتين الاشورية والبابلية على اجزاء واسعة من الشرق • يضاف الى ذلك الحاجة الى استيراد المواد والبضائع نتيجة المتحولات والقفزات الحضارية التي شهدتها هاتان الامبراطوريتان •

اريد القول ان هذه العوامل مجتمعة ادت الى انعاش ملحوظ للمنطقة عموما كما ادت الى بروز عدد من المراكز والمدن احتلت مواقع تجارية واستراتيجية هامة واستفادت من هذا التطور الاقتصادي فاخذت تنمو بسرعة وذاعت شهرتها من امثال منطقة (دلمون) او تلمون و (مكان) او (مغان) او (مجان) •

ودلمون حسب ما اتفقت اقوال المختصين بالتاريخ القديم هي البحرين الحالية وكانت تعد من الاسواق العالمية المشهورة في عالم التجارة اذ كانت تجلب اليها البضائع المختلفة من افريقيا والهند فضلا عما تصدره من تمور جيدة ولؤلؤ واحجار ثمينة ونحاس ومواد غذائية • وفي هـذه المنطقة اشتهرت مدينة (جرها) او الجرعاء في حقل التجارة ، ويقول فؤاد جميل ان سكانها كانوا اغنى سكان العالم القديم ويرجع فضل ذلك الى التجارة ، فهم كانوا يصدرون البخور بكثرة الى بابل وكانت البخور من البضائع التجارية الهامة(٣) •

ويحدثنا المختصون ان مغان او مجان هي عمان الحالية التي لعبت دورا فعالا في الحركة التجارية القديمة بما تصدره من لؤلؤ وعاج واحجار ثمينة ، ويذكر ليمانز ان شهرتها متأتية باعتبارها مصدرا رئيسا للنحاس(٤).

استمرت اهمية الخليج العربي التجارية والاقتصادية بشكل بارز وفعال حتى مجيء الاخمينيين وتصارعهم مع اليونان حول السيطرة على مناطق نفوذ لهم مما ادى بدوره الى حالة من الارتباك والقلق الساسي في المنطقة بشكل عام وهذا بدوره شكل خطرا جسيما على النشاطات التجارية وتجارة الخليج خاصة ويبدو ان الخطوط التجارية خلال فترة القلق السياسي هذه قد تحولت من الخليج الى البحر الاحمر ، لكن هذاالتحول لايعني باية حال موت الحركة التجارية في منطقة الخليج ، وتتضح هذه الاهمية في المخطط الذي رسمه الاسكندر المقدوني اذ انه على الرغم من وضوح هدفه السياسي في السيطرة على الشرق والوصول الى الهند لكنه انما اراد ايضا السيطرة على منابع التجارة التي كانت خاضعة انذاك للتجار العرب ، وبذلك فانه اراد ان يضم المنطقة كي يوجه ضربة الى السيادة العربية على التجارة العالمية ويتجلى ذلك في تأسيسه المدن التي لها صفات وسمات تجارية(٥) وكانت منطقة الخليج العربي من المناطق البارزة في هذا المخطط .

غير ان الصراع الفارسي البيزنطي السياسي هو الاخر يعد عاملا من عوامل اضعاف النشاطات التجارية في منطقة الخليج العربي ، ومن الممكن القول انه بعد ان تم اكتشاف الرياح الموسمية والوصول الى الهند دون وساطة التجار العرب انكمشت مكانة الخليج التجارية الى حد ملحوظ وانتعشت الطرق التجارية على البحر الاحمر .

ومع هذا فان دور التاجر العربي في نقل التجارات عبر الخليج

العربي ثم الى منطقة البحر المتوسط ظل مستمرا ، فكانت مراكز امثال يتلوس ، وجرها ، وغيرها تمثل مراكز تجارية هامة • ففي جرها عثرت بعثة تنقيبية على بقايا لقبور تعكس الى حد كبير مكانة تلك المدينة(٦) •

وقد جاء الفتح العربي الاسلامي للمنطقة بتطورات بالغة الاهمية ليس فقط على الصعيدين الديني والسياسي بل وكذلك على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، فقد استطاعت الجيوش الاسلامية خلال فترة خلافة ابي بكر (رض) ان تدمر حركة الردة التي شهدها ساحل الخليج العربي الغربي وبذلك اخضعت سيطرتها للدولة الاسلامية ، وقد لعبت بعض القبائل العربية في منطقة الخليج كقبيلة عبدالقيس وبكر بن وائل دورا بارزا في المشاركة في فتوح العراق ، وقد تم للعرب السيطرة على منطقة الخليج زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) هذا من الجانب السياسي •

اما من الجانب الاقتصادي والتجاري ، فان منطقة الخليج العربي ظلت تشهد مرحلة انكماش واضحة ، وان الفعالية التجارية كانت متمثلة بالطرق التي تمر عبر البحر الاحمر الى البحر المتوسط سواء كانت بحرية أو برية عبر مكة الى منطقة البحر المتوسط وقد يرجع السبب الى ان موقع السلطة المركزية السياسي كان في المدينة ومكة خلال فترة الخلفاء الراشدين ثم في بلاد الشام زمن الامويين ، وكان لهذا الموقع السياسي اثر واضح في تركز العلاقات التجارية ووجهتها •

فالعلاقات التجارية اتجهت صوب هذه المنطقة ثم نحو الغرب • ولكن منطقة الخليج العربي شهدت للمرة الثانية تحولا واضحا فيمكانتها التجارية ، ودورها في عالم التجارة والاقتصاد برز بعد ان استقرت الدولة العربية الاسلامية واخضعت المناطق المختلفة الواسعة تحت سلطتها في زمن العباسيين • ان العباسيين كما هو معروف اتخذوا بغداد عاصمة لملكهم ،

وانهم شجعوا التجارة والاستيراد نتيجة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي .

ولهذا فأن اتجاه العباسيين نحو استيراد البضائع والمواد تلبية للاحتياجات الكبيرة للبلاط والطبقة الغنية من جهة والتطور الحضاري والعمراني الواضح من جهة ثانية ساعد على نشاط الحركة التجارية وتشابك العلاقات التجارية ليس مع المدن العراقية فقط بل ومع اقطار الخليج والعالم الخارجي ايضا . ان مجرد تصفح للكتيب المنسوب للجاحظ « التبصر بالتجارة » يرينا سعة العمليات التجارية وضخامتها فقد كانت تأتي الى بغداد مواد وبضائع لا تحصى من الهند والصين وافريقيا ومصر والحجاز واليمن والغرب . فمن الهند كان يؤتى بالتمور على اختلاف انواعها والفيلة والياقوت ، ومن الصين المنسوجات الحريرية والتوابل والحبر واواني الذهب والفضة ومن الجزيرة العربية الخيول ، من اليمن الجلود المدبوغة والروائح والصمغ والبن اما ماء الورد والمفروشات الكتانية فكان مصدرها بلاد فارس ومن عمان وساحل الخليج اللؤلؤ (٧) .

وقد اخذت العمليات التجارية المتعلقة بالمصارف ونشاط ومركز التجار واتساع علاقاتهم ، وكذلك بالتبادل البضائعي تسير سيرا سريعا بمرور الزمن ، وعلى الرغم من ان المجال هنا لا يتعلق بهذا الامر الا انه من الممكن القول بان منطقة الخليج العربي شهدت طفرات وقفزات واسعة في تشابك العلاقات التجارية مع الخارج لاستيراد الحرير والعاج والروائح والعبيد والذهب والفضة من اجزاء مختلفة من الامبراطورية الاسلامية .

ان الباحث في العلاقات التجارية الخاصة باقطار الخليج العربي يجد بان هناك العديد من الكتابات التي توضح عمق تلك العلاقة ومتانتها ، اذ

انه عن طريق البصرة مثلا كانت بغداد تتصل بالبحرين بحرا وبرا ، وكذلك تتصل باليمامة عن الطريق البري ، وبعمان عن طريق البر والبحر ايضا فضلا عن الطرق البرية والبحرية الاخر التي توصل بغداد بالحجاز واليمن والاجزاء الجنوبية والغربية الاخرى من الجزيرة العربية(٨) .

لقد استمرت هذه النهضة التجارية في منطقة الخليج العربي خلال قرون متعددة وحتى القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد تقريبا .

فكانت الحصيلة المهمة التي تولدت من جراء هذا التطور استعادة المراكز اهميتها ومكانتها وسمعتها التجارية التي كانت تتمع بها في الماضي القديم زمن الاشوريين والبابليين فضلا عن ظهور مراكز ومدن اخر برزت بسبب وقوعها على الطرق التجارية الآتية من الهند والصين وافريقيا الى بغداد ، اهمها مدينة البصرة ثغر الخليج ومدينة هجر وصحار ودبا ودارين ونزوة .. الخ ..

ولم يقتصر دور هذه المراكز التجارية والمدن على ما تقوم به كمناطق ترانسيت لنقل المواد والبضائع واخذ الضرائب على السفن المارة بها ، بل تعدته الى مرحلة المشاركة الفعالة في انتاج المواد التجارية وفي خلق العديد من التجار العرب الذين ساهموا مساهمة فعالة في العملية التجارية ، او عن طريق ما تنتجه من انتاجات اقتصادية زراعية وصناعية ، أو عن طريق النشاطات التجارية التي قامت بها .

ان هذه النهضة التجارية الكبيرة التي تولدت نتيجة للاستقرار السياسي والحاجة الماسة الى الاستيراد ولدفع الحركة الحضارية والعمرانية التي تشهدها المنطقة اعادت منطقة الخليج الى اهمتها السابقة القديمة وهيأت مجالا فكريا وعلميا واسعا يتمثل بالاشارات والنصوص والكتابات المركزة على منطقة الخليج العربي واهم المراكز والمدن الواقعة عليه ، وهي

في حقيقتها تمثل مصدرا رئيسيا للتحدث عن مكانة هذه المنطقة وسماتها الاقتصادية •

مصادرنا عن مكانة الخليج العربي التجارية :

ان اكثر ما يواجهه الباحث في التاريخ الاقتصادي للفترة الاسلامية في العصور الوسيطة ان كان في العراق أو في منطقة الخليج العربي على السواء مشكلة رئيسية تتمثل بقلة الوثائق على عكس ما هو موجود من وثائق عن الفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة بل وعلى العكس مما موجود من وثائق البردي ووثائق الجنيزة في مصر خلال العصور الاسلامية الوسطى ، تلك الوثائق التي امتدت زمنيا حتى فترات تاريخية اسلامية مبكرة ، والتي من نتائجها انها غيرت واثبتت العديد من الامور التاريخية في الكتب التاريخية المعروفة (٩) •

ومع هذا كله فان هناك عددا من وثائق الجنيزة قد تعدت حدود مصر فشملت المعلومات التي وردت فيها مراكز خليجية كالبصرة والبحرين مثلا • والمعروف ان الوثائق الجنيزة هذه عبارة عن رسائل متبادلة بين التجار المسلمين واليهود في اجزاء مختلفة من الامبراطورية بشأن الاعمال التجارية ، وانها حفظت حماية لاسم الله تعالى من التلف أو الضرر • وهي كما درسها واختص بها البروفسور كويتاين (Goitein) تتناول قضايا متعددة اهمها النواحي التجارية والاقتصادية كتسمية البضائع التي يحتاجها التجار في كل منطقة يتاجرون بها ، أو انواع ومقادير الضرائب المفروضة على التجارات والمصاعب التي يواجهها التجار في تنقلاتهم وغيرها من المواضيع الاقتصادية (١٠) •

ولكن القليل من هذه الوثائق متعلق كما قلت اعلاه بمنطقة الخليج وهي تحتاج الى جمع وتصنيف وترتيب ودراسة كي يمكن الاستفادة منها•

فهناك بضعة رسائل صدرت من عدد من الشخصيات في الخليج العربي وعدن الى اخوان لهم في القاهرة والهند بشأن امور تتعلق بمشاركاتهم التجارية وبارسال بعض البضائع كالكافور أو المواد الاخر[١١].

والى جانب وثائق الجنيزه القليلة هذه فان وثيقة اخرى تشير الى مكانة التجار في منطقة الخليج العربي والتي احتواها كتاب السجلات المستنصرية ، وهي عبارة عن الرسائل التي كان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يرسلها الى دعاته في شتى الارجاء لامور تتعلق بالدعوة الاسماعيلية ولكنها في نفس الوقت تعكس لنا امورا لها اهميتها في هذا المجال . ففي رسالة ترجع الى سنة ٤٨١ هـ ورد ما يلي : « ثم شفعت ذلك بما اعتمده المعروف باسماعيل بن ابراهيم الداعي كان بعمان من التخلي عن الخدمة والركان في طلب التجارة »[١٢].

وفي هذا الصدد يمكننا ذكر كلمة عن مصدر اخر لم تستكمل الاستفادة منه على الوجه الاكمل بالرغم من استمرار العمل فيه ذلك هو نتائج التنقيبات الاثرية في منطقة الخليج العربي . والمعروف ان العلماء الاثريين قد افادوا الى درجة كبيرة من النتائج المهمة التي تحققت بفعل التنقيبات التي جرت وتجري في مناطق مختلفة من الخليج بالنسبة للتاريخ القديم للمنطقة . فالبعثة التنقيبية العراقية التي قامت بتنقيبات في مستوطن الدربحانية في امارة رأس الخيمة في دولة الامارات العربية المتحدة قد عثرت على فخاريات ملونة ومخززة ومزججة ، وعلى اواني معدنية ونحاسية وعلى مجموعة من المسكوكات تقدر بمائتي مسكوكة بينها اربعة فضية والباقي نحاسية .

كما عثرت البعثة التنقيبية العراقية التي زاولت تنقيباتها في اقليم عجمان واقليم المنامة ، واقليم مصفوت على فخاريات واثار ومسكوكات[١٣].
كما تمت تنقبات أثرية في كاظمة في الكويت . وفي البحرين تم

العثور على فخاريات واثار ترجع ـ كما يرى الاستاذ جيفري بيبـــــي Bibby في كتابــــة (looking for Qilmon) [١٤]الى القرن الثاني عشر للميلاد •

وهناك اثار أخر وجدت في موضع (كلوا) ترجـــــع الى القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد • وهذه النتائج مجتمعة تحتاج الى دراسة وبحث لكونها تمثل صفحات مشرقة من تراث هذه المنطقة وبذلك يصبح من الميسور الاستفادة منها في الكتابة عن تاريخ المنطقة الاقتصادية • فالنقود مثلا تعد مصدرا حيويا ومهما لكل باحث في التاريخ الاقتصـادي لاية منطقة فهي تعكس امورا هامة تتصــل بالحيــاة التجاريــة والوضـع الاقتصادي لمنطقة الخليج العربي وسعة العلاقات التجارية مـــع الاقطـار الاخر ••• كما ان دراسة قطع الفخار والاواني المعدنية والزجاجيـــات تمثل بدورها قطاعا اقتصاديا واضحا متمثلا بالصناعات الموجودة في المنطقة• ان ابرز مثال عن شمولية الاستفادة مـــن اللقى والاثار الناتجة عـــن التنقيبات ، ماتم العثور عليه في البحرين • فلقد عثر عـلى مجموعة مـــن القبور القديمة وخاصة في مدينة جرها او الجرعاء حيث استطاع الباحثون في التاريخ القديم لهذه المدينة ان يستنتجوا من هـذه المكتشفات امـورا تتعلق برفاهية المدينة وغناها وكثرة الذهب والمعادن فيهـا وبأنهـا سـوق تجارية مشهورة[١٥] •

واذا ما كان استغلال الباحثين للوثائق واثار التنقيبـات فـي مجمل دراساتهم عن الحياة الحضارية والاقتصادية قليلا لمنطقة الخليج العربـي فانهم بالمقابل قد استفادوا فائدة غير قليلة من الاعمال المجيـدة والتأليـف الكثيرة التي الفها الكتاب المسلمون القدامى •

والحمد لله فان المكتبة العربية غنية بامثال هذه التأليف سواء كانت تاريخية او ادبية او جغرافية او كتب رحـلات كتبها مؤرخـون عـرب

مشهورون ولم يكن هدفهم التحدث عن اقليم من الاقاليم او جزء من الامبراطورية الاسلامية دون غيره من الاجزاء وانما كان هدفهم التحدث عن اجزاء الامبراطورية عموما بصورة متساوية وبمنهج متماثل تقريبا • وبالتأكيد فقد توفرت لنا معلومات كثيرة خاصة بمنطقة الخليج العربي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

فالمؤرخون الرواد من امثال احمد بن يحيى البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩/٨٩٢ واحمد بن واضح اليعقوبي المتوفي ٢٨٤/٨٩٧ وخليفة بن خياط المتوفي ٢٤٠ هـ/٨٥٤ والطبرى المتوفي ٣١٠/٩٢٢ ومسكويه المتوفى ٤٢١/١٠٣٠ وصاحب كتاب العيون والحدائق وابن الجوزى المتوفي ٥٩٧/١٢٠٠ وابن الاثير المتوفي ٦٣٠/١٢٣٢ ويوسف بن يعقوب بن المجاور المتوفي ٦٩٠/١٢٩١ ، وسليل بن رازق وغيرهم من المؤرخين ، يقدمون لنا صورا سياسية متفرقة عن الاحداث التي شهدتها الدولة الاسلامية عبر قرون عديدة بعضهم يذكرونها حسب السنوات • فالباحث في التاريخ السياسي للبحرين او عمان او العراق مثلا يجد بالتأكيد اخبارا ومعلومات متناسقة الى حد كبير في تلك المؤلفات الضخمة ، ومع هذا كله فان فائدتها قليلة عن الوضع التجارى والاقتصادى للخليج العربي خلال العصر الوسيط او عن المكانة الاقتصادية للمراكز التجارية الواقعة على الخليج من امثال البصرة والبحرين وعمان • غير ان هذا لايعني باية حال خلو تلك المصادر التاريخية من اية اشارة مفيدة عن تلك الامور اذ ان هناك روايات غير قليلة عن بعض الاحداث السياسية ولكنها تلقي بصورة غير مباشرة اضواء مختلفة عن امور اقتصادية مختلفة من امثال فرض انواع من الضرائب او الغائها ، وارتفاع وارد اية منطقة او انخفاضه ، والوضع المالي للدولة ، والوضع النقدى ، ومدى تشجيع الدولة للتجار او بالعكس مدى الاساءة اليهم والتضييق على نشاطاتهم ،

وارتفاع اسعار بعض المواد الغذائية او انخفاضها ، وندرة السلع وشحتها او وفرتها ، وذكرهم الجفاف وحوادث الطاعون والفيضانات .... الخ والامثلة عن هذه المواضيع كثيرة منها على سبيل المثال ان اليعقوبي يذكر في تاريخه ان الخليفة العباسي الواثق فرق على قوم من التجار اموالا جمة ، وبنى لقوم فاسقط ما كان يؤخذ ممن يرد من بحر الصين من العشر(١٦) ويذكر الصابي في كتابه الوزراء ، ومسكوية في تجارب الامم انه في سنة ٣٠١ هـ ابطل الوزير علي بن عيسى المكس بمكة والتكملة بفارس وسوق بحر بالاهواز وحصن مهدي ونهر السدرة .. الخ (١٧) ويشير ابن الجوزي في سنة ٥٥٥ هـ « اسقطت الضرائب وما كان ينسب الى سوق الخيل والجمال والغنم والبيع في جميع اعمال العراق (١٨) .

ان شحة المعلومات المفصلة المتعلقة بالاوضاع التجارية والاقتصادية في منطقة الخليج العربي لم تقتصر على الكتب التاريخية فقط بل وتعدتها الى الكتب الخاصة بالامور الادبية وكتب التراجم . فالهدف الرئيس لمثل هذه الكتب لم يكن مركزا على الشؤون الاقتصادية وانما على مشاركات الشخصيات الادبية والعلماء والمفكرين الذين يترجم لهم ، وكذلك عن اثارهم ومؤلفاتهم وعن جوانب شتى من حياتهم . ومع كل ذلك فاننا دون شك نجد في اعمال ضخمة ككتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني او معجم الادباء لياقوت الحموي ، او في العقد الفريد لابن عبد ربه حكايات ونصوصا تسلط اضوء هامة على بعض الامور الاقتصادية ويمكن ان تقدم لنا فائدة غير قليلة عن تلك الامور .

ومن الامثلة على مدى الاستفادة من هذه الكتب في الكتابة عن التاريخ الاقتصادي ما اشار اليه البروفسور برنارد لويس من اشارات طريفة لبعض النصوص الواردة في كتاب الاغاني ولبعض الاشعار وما

تعكسه من جوانب اقتصادية فضلا عن الاحوال الاجتماعية[١٩] • وهناك بالاضافة الى ذلك عدد غير قليل من تلك النصوص في امثال تلك الكتب الادبية تفيدنا في موضوع الاحوال الاقتصادية في الخليج العربي منها : يقول الاصفهاني في حديثه عن الرماح الخطية مايلي :

« رماح تنسب الى الخط وهي من جزيرة بالبحرين ترفأ اليها سفن الرماح »[٢٠] وفي مجال اخر يورد رواية عن تاجر قدم من هجر وكان « يبيع الخمر قدم بها من هجر »[٢١] • وفيما يتعلق بهجر ايضا يقول الاصفهاني ان شخصين اقبلا من البحرين ومعهما « انواط – اي جلل – من تمر هجر »[٢٢] • وفي رواية اخرى يشير الاصفهاني خلال حديثه عن العنبر فيقول « اختير عنبرها من شجر عمان[٢٣] » ويتحدث البكري في كتابه معجم ما استعجم عن قطر فيقول انها تشتهر بالابل الجياد ويستشهد بقول جرير :

لدى قطريات اذا ما تغولت

بنا البيد غاولن الحزوم القياقيا

ويذكر ايضا انها تشتهر بالخمر مستشهدا بالشعر الاتي :

تذكر ساداتنا اهلهم

وخافوا عمان وخافوا قطر[٢٤]

ان الاشارات المارة الذكر ربما ليست جديدة كل الجدة اذ اننا نجد امثالها بالكتب الجغرافية مثلا ، لكن المهم ان هذه الاشارات تثبت لنا تلك المعلومات وتعطيها وجها مصدريا جديدا •

ومما يجب قوله في هذا المجال ان المعلومات الجيدة والمفصلة الخاصة بالامور التجارية والاقتصادية لمراكز ومدن الخليج العربي

المشهورة تأتي بصورة خاصة من الكتب والمصادر الجغرافية • والحقيقة فان هناك مكتبة جغرافية اسلامية ضخمة يمكننا تصنيفها الى مايلي : مجموعة كتب المسالك والطرق وهي مجموعة من الكتب الفت عن طرق البريد والتجارة والنقل لابد لاي باحث عن التجارة في منطقة الخليج العربي وغيرها من المناطق ان يرجع اليها للتأكد من المسافات بين اجزاء الامبراطورية والطرق التي تربط بينهما من امثال : مسالك الممالك للاصطخري ومسالك الممالك لابن حوقل ومسالك الممالك لابن خرداذبه ومسالك الممالك للبلخي وغيرها • والمجموعة الثانية هي المعروفة بالكتب الجغرافية الوصفية وهي بدورها تقدم لنا صورا مختلفة عن النشاطات والاحوال التجارية وعن انتاجات المراكز والمدن الواقعة على الخليج العربي وعن العلاقات التجارية بين هذه المراكز والعالم الخارجي وتتطرق ايضا الى انواع الضرائب والمكوس المفروضة على التجار ومقاديرها ، فضلا عن تناولها لبعض الملامح الاجتماعية كتسمية القبائل العربية القاطنة في الخليج مثلا ، ومن بين هذه الكتب كتاب الاقاليم للاصطخري المتوفي سنة ٣٤٦/٩٥٧ وصورة الارض لابن حوقل المتوفي سنة ٣٦٧/٩٧٧ والخراج لقدامة بن جعفر وكتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي المتوفى سنة ٣٧٥/٩٨٥ ومروج الذهب ومعادن الجوهر لابي الحسن المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦/٩٥٧ ومعجم ما استعجم لابي عبدالله البكري المتوفى سنة ٤٨٧/١٠٩٤ ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦/١٢٢٨ • وهذه المجموعة مهمة لاي باحث في الامور الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية بشكل خاص •

اما المجموعة الثالثة فهي المتمثلة بكتب الرحلات ، وهي مجموعة لها قيمة عملية كبيرة اذ ان الاوصاف التي تقدم من قبل الرحالة لها من الواقعية والايجابية ، خلال فترة زيارة الرحالة الى هذه المدينة او تلك ،

قدر كبير • فملاحظات ومذكرات سليمان التاجر في الرحلة المشهورة برحلة السيرافي عن الطريق التجاري البحري عبر الخليج العربي الى الهند والصين لها اهميتها في المجال الاقتصادى والتجارى •

وملاحظات ناصر خسرو في كتابه سفرنامه عن البحرين خلال ايام القرامطة والبصرة ، لها قيمة علمية وعملية ايضا ، وكذلك الحال بالنسبة الى ملاحظات ابن بطوطه عن جزيرة (مصيرة) وعن عمان والبحرين والبصرة ، والمعلومات الواردة في كتاب الرحالة الصيني (جان جوكوا) المتعلقة بالتجارة العربية الصينية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، والمعلومات الواردة في كتاب شرف الزمان المروزي عن الصين والترك والهند •

ولعل من المفيد ان نستشهد بعدد من اقوال كل مجموعة من المجاميع الثلاثة المذكورة اعلاه بالنسبة للحياة الاقتصادية والتجارية في منطقة الخليج العربي فالاصطخرى في المسالك يذكر المسافات فيقول بين عبادان والبحرين مرحلة وبين البحرين وعمان حوالي الشهر(٢٥) ومن ملاحظاته الطريفة عن الطرق يقول ان طريق عمان طريق « يصعب سلوكه في البرية لكثرة القفار بها وقلة السكان وانما طريقهم في البحر الى جدة فان سلكوا على السواحل من مهره وحضرموت الى عدن»(٢٦) ويستمر قائلا « وكذلك مابين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب فيما بينهم بها »(٢٧) ويقول عن طريق عبادان ـ البحرين « واما مابين البحرين وعبادان فغير مسلوك وهو قفر والطريق فيها على البحر »(٢٨) •

والاصطخرى يفضل الطريق الساحلي بين البصرة والبحرين قائلا انه يبلغ (١٨) مرحلة « في قبائل العرب ومياههم مسلوك عامر غير انه

مخوف » [٢٩] ويكرر ابن حوقل في كتابه المسالك نفس المعلومات السابقة .

والاصطخري اضافة الى تلك المعلومات يقدم لنا اوصافا بعضها هام فيما يتعلق بالمنطقة فيقول عن (خارك) انها من بين الجزائر التي يضمها البحر [٣٠] ، اي الخليج . وعن جزيرة بني كاوان انها المعروفة بـ (لافت) وبها مدينة [٣١] . ويقول عن عمان انها « كثيرة النخيل والفواكه الجرمية - اي فواكه المناطق الحارة - من الموز والرمان والنبق . وقصبتها صحار وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب » ويتحدث عن اهمية صحار وعمرانها وغناها [٣٢] . اما عن البحرين فيقول ان مدينتها هجر وهي كثيرة التمور [٣٣] وابن خرداذبه يذكر الطريق من البصرة الى عمان مع ذكر المحطات والمراكز التي يمر بها المسافر [٣٤] . وهو في نفس الوقت يقدم لنا معلومات اقتصادية جيدة اذ يقول ان وارد اليمامة والبحرين كما جاء في سنة ٢٣٧ هـ ٥٠٠،٠٠٠ من العين و ١٠،٠٠٠ دينار وارتفاع عمان ٣٠٠،٠٠٠ دينار [٣٥] ويكرر المقدسي نفس المعلومات التي اوردها ابن خرداذبه .

ونشير من المجموعة الثانية الى ابن حوقل في صورة الارض اذ يقول عن (اوال) في البحرين انها جزيرة لابي سعيد بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم وبها اموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة [٣٦] وعن جزيرة (خارك) يقول ابن حوقل انها تقع مقابل جنابة وبه موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير الا ان النادر اذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة ، ويقال ان الدرة اليتيمة وقعت من هذا المعدن [٣٧] . ويذكر ايضا قوله .
« بعمان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ » [٣٨] .

وابن الفقيه الهمداني يذكر في كتابه البلدان نقلا عن رحلة سليمان التاجر عن الرحلة من البصرة الى عمان في سفن تسمى بالسفن الصينية فيقول « فاذا عبى المتاع استعذبوا الماء الى موضع يقال له مسقط وهو اخر عمان ... وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق وجزيرة ابن كاوان » (٣٩) .. ويشترك ابن الحائك الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب بوصف البحرين ومدينة القطيف فيقول عنها انها « سوق بني محارب عن عبدالقيس ومنازلها ما دار بها من البحرين فالقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن وهي ساحل » (٤٠) . وهناك معلومات مهمة في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي منها انه يتكلم عن اللؤلؤ فيقول « المعادن اللؤلؤ في هذا الاقليم بحدود هجر يغاص عليه في البحر بازاء اوال وجزيرة خارك » (٤١) .. ويتحدث عن البحرين فيقول انها كثيرة النخيل وعامرة وهي معدن البحر (٤٢) . اما عن مدينة صحار بعمان فيقول انها قصبة عمان « ليس على بحر الصين اليوم بلد اجمل منه عامر اهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات ... اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر .. دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » (٤٣) .

وللبكري في معجم ما استعجم اقوال كثيرة عن قرى ومدن الخليج العربي ومنها انه يقول عن دارون او دارين بانها مرفأ سفن الهند يأتيها انواع الطيب فيقال مسك دارين وطيب دارين وفيها خمر (٤٤) .

ويشير الى قطر بانها بين البحرين وعمان واليها تنسب الابل والجياد (٤٥) . واخيرا فانه لابد من الاستشهاد ببعض ما قاله ياقوت الحموي وابو الفداء في تقويم البلدان عن بعض مراكز الخليج العربي فيقول عن الاحساء انها بلدة ذات نخل كثير (٤٦) . والقطيف على خط البحر وفيها مغاص اللؤلؤ وفيها نخيل ايضا .

«وللقطيف خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة»(٤٧) ويكرر ما سبق قوله المقدسي عن صحار ، ويذكر مسقط بقوله انها من نواحي عمان مما يلي اليمن على ساحل البحر (٤٨) • وعن (دبا) في عمان يقول انها مدينة قديمة مشهورة وتعتبر سوقا من اسواق العرب (٤٩) •

ويشير ابو الفداء الى ظفار فيقول انها « مدينة على ساحل خور ••• ولا تخرج المراكب من ظفار في هذا الخور الا بريح البر ••• وظفار قاعدة بلاد الشحر ويوجد في اراضيها كثير من نبات الهند مثل النارجيل » (٥٠) •

ومن المجموعة الثالثة والاخيرة نذكر رحلة سليمان التاجر الذي يصف الطريق من سيراف الى مصر فيقول « ومراكب اهل سيراف اذا وصلت في هذا البحر المقيا من عن بحر الهند فصارت الى جدة اقامت بها ونقل ما فيها من الامتعة التي تحمل الى مصر في مراكب القلزم اذ كان لا يتهيأ لمراكب السيرافيين سلوك ذلك البحر » (٥١) • وهي اشارة توضح نشاط الخليج العربي التجاري مع مصر في الوقت الذي يقدم فيه وصفا دقيقا للطريق الذي يربط البصرة بسيراف ثم مسقط في عمان ثم الى الهند المراكب الصينية (٥٢) •

وتحدث الرحالة المروزي عن العلاقة التجارية عبر الخليج العربي الى الصين ومدينتهم المشهورة (خانفو) فيقول ان اكثر من يقصدها من التجار الفرس والعرب والفرس يأتون اليها من سيراف والعرب من البصرة (٥٣) •

والرحالة الصيني (جان جوكوا) يشير الى الصادرات التي تصدر من بعض اقطار الخليج العربي من حبوب الى حيوانات الى تمور وفواكه ولؤلؤ كما ويبين نشاط العلاقات التجارية مع الصين عبر الخليج خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (٥٤) •

وللرحالة ابن بطوطة اوصاف مهمة فيقول عن البحرين انها « مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين واشجار ... وبها حدائق النخل والرمان والاترج .. يزرع فيها القطن » (٥٥) ويقول « ثم سافرنا الى مدينة هجر .. وهي التي يضرب بها المثل فيقال كجالب التمر الى هجر وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها .. » (٥٦) .

ويقول عن عمان انها « خصبة ذات انهار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة .. » (٥٧) وعن استخراج الصمغ في عمان يقول « وعندهم شجر الكندر وهو رقيق الورق اذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغا وذلك الصمغ هو اللبان وهو كثير جدا هناك » (٥٨) ويذكر ان الارز يجلب اليهم من ارض الهند وهم (اي اهالي مدينة قلهات) اهل تجارة ومعيشتهم مما يأتي اليهم في البحر (٥٩) .

الهوامش

١ ـ انظر :

Leemans ; Foreign Trade in Old Babylonian Period (1960) p. 2' 4' 5'

طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠ .

٢ ـ Leemans, op. cit. p. 2, 121,
Phillips; History of Oman (1964) pp. 1-8.

كذلك طه باقر : علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب ، مجلة سومر ، المجلد ٥ ج٢ (١٩٤٩) ص ١٣٣ ـ ١٣٦ .

٣ ـ فؤاد جميل : الخليج العربي في مدونات المؤرخين والبلدانيين الاقدمين مجلة سومر مجلد ٢٢ ـ ١٩٦٦ ص ٥٢ ، ٥٤ ، محمد أمين واصف . الجرعاء أو الجرعة ، مجلة لغة العرب ج٧ (السنة الرابعة) ص ٤١٧ ـ ٤١٩ ، صفحة من تاريخ الخليج العربي ، مجلة لغة العرب (السنة الثانية) ج١ ص١٢٥ .

٤ ـ Leemans, op. cit p. 2

٥ ـ انظر اسد رستم : تاريخ اليونان ص٣١ ، ارنولد ولسن : الخليج العربي (ترجمة د . عبدالقادر يوسف) الكويت ص ١٢١ .

٦ ـ جزيرة تيلوس وارادوس : مجلة لغة العرب (السنة الرابعة) ج٧ ص ٤٢٠ ، رزوقي عيسى : قبور غريبة ، لغة العرب ص ٢٧٤ .

٧ ـ كتاب التبصر بالتجارة المنسوب للجاحظ في مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٢ (١٩٣٢) ص ٣٢٦ ـ ٣٥١ .
وعن انتعاش الخليج في عالم التجارة زمن العباسين انظر كتاب التبصر بالتجارة المنسوب للجاحظ ، في مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٢ (١٩٣٢) ص ٣٢٦ ـ ٣٥١ ؛ المقدسي : احسن التقاسيم فيمعرفة الاقاليم ص١٣٨ ، ٤٠٥ ، جورج فضلو حوراني . العرب والملاحة في المحيط الهندي (ترجمة د . يعقوب بكر) ص

١٧٣ ـ ١٧٤ ؛ ارنولد ويلسون · الخليج العربي ص١٢١ـ١٢٣ ·
د · عبدالعزيز الدوري تاريخ العراق الاقتصادي

Thompson : Economic and Social history ot The Middle Ages (1928) p . 355 .

٨ ـ ابن حوقل المسالك والممالك ص ٢١ ، ٣٥ ، ٣٨ ، الاصطخري ، الاقاليم (١٨٣٩) ص١٥ ؛ ابن الفقية الهمداني : البلدان (ليدن) ص٣٠ ؛ ابن رسته : الاعلان النفيسة ص١٨٠ ، ١٨٤ ؛ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ص ١٥١ · وعن الطرق بين البصرة واقطار الخليج العربي د · عبدالجبار ناجي : البصرة واقطار العربي : مجلة الخليج العربي جامعة البصرة ١٩٧٣ ص ١٤٣ ·

٩ ـ انظر

Bernard lewis; sources for the Economic History of Middle East in Islam in history (London 1973) p. 83.

١٠ ـ عن هذه الوثائق انظر :

Goitein; studies in Islamic history and institutions (1966) p. 238; idem the Commercial mai service in Medieval Islam in JAOS (1964) idem article (Geniza) in E1. (2) idem Commercial and family partnerships in the countries of medieval Islam, in (Islamic studies) 1964 p. 315.

١١ ـ انظر :

S. shaked; A tentative bibliography of Geniza douments (1964) p. 78, 102, 106, 117.

١٢ ـ السجلات المستنصرية (تحقيق عبدالمنعم ماجد) (١٩٥٤) ص ١٦٨

١٣ ـ ربيع القيس : تحريات وتنقيبات اثرية في دولة الامارات العربية المتحدة (الخليج العربي) ؛ منير يوسف طه : تنقيبات في مستوطن الدربحانية في امارة رأس الخيمة ـ دولة الامارات العربية

المتحدة ، في مجلة سومر مجلد ٢،١ ، ص٢٨٣ ـ ٣٠٩ ، مجلد ٣١ ص ٧٥ ـ ١٥٥ ٠

١٤ ـ انظر :

J. Bibby; looking for Dilmum (1969) p. 107.

١٥ ـ رزوق عيسى : قبور غريبة قديمة ، مجلة لغة العرب ، السنة الثانية ج٧ ص٢٧٤ ٠

١٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ ، ص ٥٩٠ ٠

١٧ ـ الصابي ، الوزراء ص ٢٨٥ ، مسكويه : تجارب الامم ج١ ص ٢٨ ٠

١٨ ـ ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص١٩٤

١٩ ـ Bernard lewis : op . cit . p . 90

٢٠ ـ ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني (١٩٣٨) ج١٠ ص٣٠٣ ٠

٢١ ـ نفس المصدر ج٦ (١٩٣٥) ص ١٢٨ ٠

٢٢ ـ نفس المصدر ج٢ (١٩٢٨) ص٣٨٩ ،ج٣ (١٩٢٩) ص٥٤ ٠

٢٣ ـ الاغاني ج١٦ (١٩٦١) ص ٢٥٩

٢٤ ـ البكري : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا (١٩٤٩) ج ٣ ص ١٠٨٢ ٠

٢٥ ـ الاصطخري : مسالك الممالك ص٧٩ ٠

٢٦ ـ الاصطخري الاقليم ص ١٥ ؛ ابن حوقل : المسالك ص ٣٥ ٠

٢٧ ـ الاصخري : الاقليم ص ٥ ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ص ٤٧ ٠

٢٨ ـ الاصطخري ، الاقاليم ص ٥ ؛ ابن حوقل المسالك والممالك ص ٣٥ ، صورة الارض ص ٤٧ ٠

٢٩ ـ ابن حوقل : المسالك ص ٣٥ ٠

٣٠ ـ الاصطخري : المسالك ص ٧٠ ٠

٣١ ـ ن٠م٠ ص ٧٠ ٠

٣٢ ـ ن٠م٠ ص٢٧ ٠

٣٣ ـ ن م٠ ص٢٣ ٠

٣٤ ـ ابن خراداذبه : المسالك والممالك ص ٦٠ ، ١٩٣ ٠

٣٥ ـ ن٠م٠ ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ؛ المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٠٥ ٠

٣٦ ـ ابن حوقل : صورة الارض (بيروت) ص ٣٣ ٠

٣٧ ـ ن م٠ ص٥٢ ٠

٣٨ ـ ن م· ص٥٢ ·
٣٩ ـ ابن الفقية الهمداني : البلدان (١٨٨٥) ص ١١ ·
٤٠ ـ الهمداني : صفة جزيرة العـــرب ، تحقيق الاكوع (١٩٧٤) السعودية ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ·
٤١ ـ المقدسي : المصدر السابق ص ١٠١ ·
٤٢ ـ ن·م ص٩٣ ـ ٩٤ ·
٤٣ ـ ن·م· ص٩٢ ـ ٩٣ ·
٤٤ ـ البكرى : معجم ما استعجم ج٢ ص٥٣٩ ·
٤٥ ـ ن·م· ج٣ ص ١٠٨٢ ·
٤٦ ـ ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٩ ·
٤٧ ـ ن·م· ص ٩٩ ·
٤٨ ـ ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٥٢٩ ·
٤٩ ـ ن·م· ج٣ ص٣٦٩ ·
٥٠ ـ ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٣ ·
٥١ ـ مسلسلة التواريخ (باريس ١٨١١) ص١٣٦ ـ ١٣٧ ·
٥٢ ـ ن م· ص ١٥ ـ ٢١ ·
٥٣ ـ المروزي : شرف الزمان : في الصين والترك والهنـــد · لندن ١٩٤٢) ص ١٠ ·
٥٤ ـ Chau - Ju - kua
chinese and Arab trade in the 12th and
13 th centuries (1914) p. 133 - 134
٥٥ ـ ابن بطوطة : رحلة (مصر ١٩٦٤) ج١ ص١٧٧ ·
٥٦ ـ ن · م
٥٧ ـ ن·م· ج١ ص١٧٢ ·
٥٨ ـ ن·م· ج١ ص١٦٩ ·
٥٩ ـ ن·م· ص١٧١ ·

ـ الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية ـ
في منطقة الخليج العربي
خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (*)

الدكتور عبدالامير محمد أمين
استاذ التاريخ الحديث ـ كلية التربيــة
جامعة بغــداد

دخلت انكلترا مجال الاستكشافات الجغرافية والتجارة العالميـــة في اواخر القرن السادس عشر وكانت بهذا متأخرة عن سواها مـــن الاقطار الاوربية (١) • فقد سبقتها في ذلك اقطار اخرى مثل اسبانيـــا والبرتغال • ولم تكن الحكومة الانكليزية تملك القوة التي تمكنهـــا من اخذ المشاريع التجارية والاستكشافية على عاتقها ، كما فعلت حكومتا اسبانيا والبرتغال قبل ذلك بقرن • كما لم يكن بمقدور التجار الانكليـــز القيام بتلك المشاريع بشكل فردي نظرا للصعوبات الهائلة والمخاطر الجسيمة التي كانت تكتنف سبل التجارة في ذلك الوقت ، ونظرا للاموال الطائلة التي تتطلبها التجارة مع اقطار نائية في الشرق وامريكا •

لقد جاءت الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية لتقوم بمهمـة التجارة في بقاع العالم المختلفة موفرة بذلك على الحكومة الانكليزيـــة

(*) سبق ان نشر جزء من هذا المقال في مجلة كليـــة الاداب عام ١٩٦٣ ونظرا لاعتقاد الكاتب باهمية الموضوع فقد عمد الى اضافـــة معلومات جديدة اليه ونشره مرة اخرى في هذا العدد الخاص بالخليج العربي ، ليستفيد منه اكبر عدد ممكن من القراء •

(1) W.H. Price, The English Patents of Monopoly, Boston: 1906.

والافراد العناء والجهد الجسيمين • والواقع ان الشركات الاحتكارية الانكليزية تمثل حلا وسطا بين المشاريع التجارية الحكومية كتلك التي قامت بها اسبانيا والبرتغال والمشاريع التجارية الفردية التي عرفها الانسان في كل العصور •

كما ان الشركات التجارية الاحتكارية تمثل من ناحية اخرى نموذجا وسطا بين النقابات الحرفية « اصناف Gilds » التي سادت المدن الاوربية خلال القرون الوسطى ، وبين الشركات بمفهومها الحديث (٢) • فهي من ناحية القيود والضوابط على الممارسات التجارية شأنها بذلك شأن النقابات الحرفية في العصور الوسطى ، وهي في الوقت نفسه تملك قدرا كبيرا من الاستقلال وحرية العمل وتمارس اعمالها بشيء من المرونة بعيدة عن التقليد والجمود (٣) •

وبينما حصلت النقابات الحرفية على رخصها من سلطات المدن وكانت منزلة كل منها واهميتها لا تتخطى حدود المدينة التي هي فيها ، فان الشركات التجارية الاحتكارية ، حصلت على وثائق امتيازاتها من التاج الانكليزي نفسه • وكانت النظرة الى كل شركة منها على اساس انها « مشروع قومي National Enterprise وانها تخدم « هدفا قوميا National Objective » • ولذا حظيت الشركات التجارية باهتمام الدولة ورعايتها ، وقد وفرت لها الحكومة المناخ الملائم للعمل والربح في الداخل ، وساندت مشاريعها في الخارج بكل ما اوتيت من قوة ومقدرة (٤) •

---

(2) W. H. Woodward, The Expation of British Empire (1500-1870) Cambridge 1899.

(3) Ibid.

(4) C.A. Herrick, History of Commerce and Industry, New York 1935. pp. 207-218.

ولعل اهم ميزة حصلت عليها تلك الشركات التجارية من الحكومة الانكليزية هو حقها في احتكار التجارة الانكليزية في بقعة معينة من بقاع العالم دون السماح لمنافس لها سواء كان هذا المنافس شركة تجارية انكليزية اخرى او فرد انكليزي يقوم بالتجارة لحسابه الخاص • وتنفيذا لحق الاحتكار هذا خولت الشركات التجارية في اغلب الاحيان صلاحية متابعة المخالفين والمتجاوزين من الانكليز افرادا وجماعات ومحاكمتهم وابعادهم عن مناطق احتكار الشركات وارجاعهم الى انكلترا لينالوا العقاب هناك • وفي حوالي ١٦٠٠ ، لم تكن هناك سوى فرنسا واسبانيا والبرتغال مفتوحة الابواب لجميع التجار الانكليز دونما مانع أو احتكار [٥] • اما بقية بقاع العالم فكانت كما ذكرنا موزعة بين الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية ، تماما كما تقتسم شركات السكك الحديدية الكبرى القارة الامريكية واوربا في هذه الايام •

ولعل الجدول التالي يعطي فكرة عن تلك الشركات التجارية الانكليزية وعن مناطق امتيازها وطبيعة تجارتها [٦] •

---

(5) C. Day, A History of Commerce, New York : 1924, pp. 202-204.

(6) Herrick, P. 216.

اسم الشركة	سنة الحصول على الامتياز	منطقة الامتياز	صادرات الشركة	واردات الشركة
١ ـ التجار المغامرون Merchants Adventure	١٥٠٥	الاراضي المنخفة والمانيا	الصوف والاقمشة الصوفية	منسوجات ، شراب صابون ، مصنوعات اخرى
٢ ـ روسيا Russia	١٥٥٣	روسيا	ـــ	ـــ
٣ ـ ارض الشرق Eastland	١٥٦٨	النروج ، السويد بولنده ، وبروسيا	ملابس ، قصدير رصاص ، وبضائع شرقية معادة التصدير	نحاس ، حديد ، خشب فرو ، قنب ، جلود ، سمن ، سمك ، شمع عسل
٤ ـ الشرق الادنى Levant	١٥٨١	تركيا ، سوريا واسيا الصغرى	الملابس الصوفية قصدير ، رصاص وحديد	قطن ، موهير ، اعشاب طبيعة ، قهوة
٥ ـ الهند الشرقية الانكليزية	١٦٠٠	الهند ، بلاد العرب فارس	الملابس الصوفية المعادن ، بعض المصنوعات	التوابل، القطن ،العطور الاحجار الكريمة ، النيلة الحرير ، الاخشاب ، النادرة

وعلى الرغم من ان المجال التجاري الذي تملك فيه الشركة حق الاحتكار منصوص في وثيقة الامتياز الممنوحة لها من قبل التاج الانكليزي فان مشاكل كثيرة وخلافات متكررة قد حدثت بين تلك الشركات والسبب في ذلك يعود الى تداخل مناطق الامتياز والجهل العام السائد في تلك الايام بمدلول وحدود الاماكن والاقطار والممالك التي ذكرت في الامتيازات .

وكان العراق بل الامبراطورية العثمانية وايران ومنطقة الخليج العربي من الاماكن المهمة للصراع بين ثلاث شركات احتكارية انكليزية هي شركة روسيا (The Russia Company) وشركة الشرق الادنى (The Levant Company) وشركة الهند الشرقية الانكليزية (The English East India Company) وان موضوع هذه الشركات ومصالحها المتضاربة على اهميته لم يحظ باهتمام الباحثين ، ولم يتسن للقارىء العربي الاطلاع عليه وتفهمه .

لقد كان الهدف الرئيسي من تأسيس كل من هذه الشركات الثلاث استيراد الحاجات الشرقية كالتوابل على اختلاف أنواعها والعطور والجواهر والحرير والقطن ، من مواطن انتاجها الاصلية وخاصة من الهند بدلا من الاعتماد على بقية الاوربيين كالبرتغاليين والهولنديين لتموين السوق الانكليزية بها وكانت الطرق التجارية الموصلة الى الشرق خلال معظم القرن السادس عشر محتكرة من قبل بقية الاوربيين ، فطريق رأس الرجاء الصالح الذي أصبح أهم الطرق التجارية الموصلة للشرق خلال القرن المذكور كان قد احتكره البرتغاليون ولم يكن الانكليز في وضع يستطيعون فيه تحدي البرتغاليين وقد دفعتهم هذه الظروف الى البحث عن طريق جديد فتوجهوا في بحثهم أول الامر الى شمال شرقي اوربا علّهم يجدون هناك ممراً يوصلهم الى الشرق وان محاولاتهم في هذا الشأن التي قام بها

بعض المغامرين الانكليز في بداية العقد السادس من القرن السادس عشر لم تتكلل بالنجاح اذ لم يكتشف الممر المنشود (٧) ، ولكنها أدت الى تعرفهم على بلاد روسيا • وعلى أثر هذا تأسست شركة انكليزية خاصة عرفت باسم شركة روسيا وقد منحتها الحكومة الانكليزية سنة ١٥٥٥ الحق المطلق في المتاجرة مع روسيا (٨) • وما ان استقرت اعمال الشركة في روسيا حتى عاودت المسؤولين فيها فكرة ايجاد طريق للشرق • وفي هذه المرة لم يبحث الانكليز عن ممر شمالي للشرق بل حاولوا فتح باب المتاجرة مع الهند عبر روسيا وايران • وبين سنة ١٥٦١ أرسل الانكليز ست حملات لهذا الغرض كانت الاولى منها بقيادة الرحالة الانكليزي انتوني جنكنسون Anthony Jenkinson (٩) ولقد اخفقت جميع هذه الحملات بسبب المصاعب الكبيرة التي كانت تكتنف الطرق البرية في ذلك الوقت ثم ان النجاح الذي حققه الانكليز في نهاية القرن بفتح باب التجارة المباشر مع الشرق على يد شركتين انكليزيتين اخريين وهما شركة الشرق الادنى وشركة الهند الشرقية ، صرف نظر الانكليز لفترة طويلة عن مشروع فتح تجارة مع الشرق عبر روسيا •

ففي نهاية القرن السادس عشر نجحت شركة الشرق الادنى في فتح

(7) R. Hakluyt (ed.), The Princeple Navigations, Voyages, Traffiques and Discoveries of the English Nation, London; 1926, Vol. I, p. 254.

(8) Ibid., p. 318.

(٩) وللاطلاع على تفاصيل هذه الحملات راجع
E.D. Morgan And C. H. Coates (ed.), Early voyages and travels to Russia and Persia, London, 1886; George N. Curzon, Persia and the Persian Question, London 1892, Vol. II.

باب المتاجرة مع الامبراطورية العثمانية . وكانت هذه الشركة قد تأسست اثر النجاح الذي حققه بعض التجار لدى السلطان اذ قد حصلوا منه سنة ١٥٨٠ على براءة « امتياز » تكفل للتجار الانكليز الكثير مـن التسهيلات في ارجاء الامبراطورية العثمانية (١٠) . ان هذا النجاح دفع هؤلاء التجار الذين حصلوا على البراءة المذكورة الى تأسيس شركة تجارية باسم شركة الشرق الادنى ودفعهم كذلك الى مطالبة الحكومة الانكليزية بمنح الشركة امتياز المتاجرة مع بلاد السلطان فاستجابت الحكومة الانكليزية لهذا الطلب ومنحت الشركة سنة ١٥٨١ الحق المطلق في التجارة مع ارجاء الامبراطورية العثمانية المختلفة (١١) . وفي سنة ١٥٩٢ جددت الحكومة الانكليزية امتياز الشركة ولم تكتف هذه المرة بمنحها الحق في احتكار التجارة مع بـلاد السلطان وحسب بل منحتها احتكار التجارة البرية مع الهند عبر هذه البلاد واحتكار استيراد الزبيب وبعض أنواع الشراب الى انكلترا (١٢) . ومنذ التاريخ المذكور (١٣) استمرت الشركة في تجارتها مع الشرق (١٤) لمدة

---

(١٠) للاطلاع على النص راجع : Hakluyt(ed.) III, pp. 57-62.

(11) Ibid, pp. 64-72.

(12) Ibid, pp. 370-387.

(١٣) لمعرفة المزيد عن تاريخ الشركة راجع :
M. Epstein, The Early History of the levant Company, London, 1908; A. wood, A History of the levant Company, London, 1935.

والكتاب الاخير هو خير ما كتب حول الموضوع .

(١٤) كان مقر ادارة الشركة في انكلترا ، وفي الخارج كان يشرف على شؤونها السفير الانكليزي في القسطنطينية وكان لهذا السفير مهمة مزدوجة فهو ممثل للشركة يرشح بواسطتها ويتسلم راتبه منها وهو في الوقت نفسه ممثل للحكومة الانكليزية في بلاط السلطان . والى جانب هذا السفير كان هناك قناصل ونواب قناصل يشرفون

تزيد على قرنين • وكانت صادراتها من انكلترا تشتمل على الاقمشة الصوفية بالدرجة الاولى يلي ذلك بكميات قليلة النحاس والقصدير ، اما وارداتها الى انكلترا فتشتمل على الحرير الخام والقطن والصوف والتوابل والاعشاب الطبية والزبيب(١٥) • وقد كان الحرير الخام يؤلف المادة الاساسية لواردات الشركة(١٦) • وايران هي البلاد الرئيسة لانتاج هذه المادة ، اذ كانت تكثر في المناطق الشمالية خاصة في منطقة غيلان وكان التجار الارمن يقومون بدور الوسيط بين الشركة والايرانيين ، فهم يحملون الاقمشة الانكليزية الصوفية من حلب والقسطنطينية الى شمال ايران ويقايضون بها الحرير الخام الذي يحملونه الى الاماكن المذكورة اذ تبتاعه منهم الشركة وتصدره الى أوربا • ان اعتماد الشركة على الحرير الايراني اكسب ايران أهمية خاصة بالنسبة الى شركة الشرق الادنى • ودفعتها رغبتها في حماية تجارتها في ايران الى الاشتباك ، كما سنرى ـ بسلسلة من المنازعات مع كل من شركة الهند الشرقية وشركة روسيا • ولما كانت صادرات الشركة يتألف معظمها من الاقمشة الانكليزية الصوفية

على شؤون الشركة في حلب والاسكندرية وغيرها من المدن العثمانية ، وقد اعطيت الشركة منذ سنة ١٦٠٥ صلاحية مطلقة في تعيين القناصل ونواب القناصل الانكليز في أقسام الامبراطورية العثمانية المختلفة راجع :

(١٥) للوقوف على المزيد من تجارة الشركة راجع : Epstein, p. 124. Transactions of the Royal Historical Society. 4th Ser. Vol. 5, p. 17; D. Macpherson, Annals of Commerce, Manufactures, Fishers and Navigation, London, 1805;

وللفترة التي تلت سنة ١٦٩٧ راجع :

State of Trade of Great Buitain by C. Whit Worth, London, 1776.

وورداتها تشتمل على الحرير والقطن والصوف وكل واحدة من هذه المواد تدخل في احدى الصناعات الانكليزية المهمة ، فقد حظيت الشركة بتقدير كبير لدى الرأي العام الانكليزي اذ اعتبرت تجارتها ذات نفع للصناعة الانكليزية بعكس تجارة شركة الهند الشرقية •

أما شركة الهند الشرقية هذه فهي ولاريب أهم الشركات الانكليزية التي قامت بالتجارة مع الشرق وقد قدر لها ان تلعب دورا خطيراً جداً في تاريخ السياسة والاقتصاد الانكليزي • ويكفي أن نقول هنا انه على يد هذه الشركة نفسها تم تأسيس الامبراطورية البريطانية في الهند • حصلت شركة الهند الشرقية على امتيازها من الملكة اليزابيث سنة ١٦٠٠ • وكان ضعف البرتغال في هذا الوقت عاملا مهما شجع الانكليز على الاتصال المباشر مع الشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح ، أما مجال الشركة التجاري فكان يشمل الهند والاقطار المحيطة بها "The East Indies" وكانت صادرات الشركة تتكون من الاقمشة الصوفية الانكليزية بالدرجة الاولى يليها بالاهمية الحديد والنحاس والقصدير بكميات قليلة ، اما وارداتها من الشرق فكانت تشتمل على التوابل بمختلف انواعها والحرير والقطن والصوف والنيلة والاعشاب الطبية[١٧] ، وتمتاز تجارة شركةالهند

---

(16) Gerald B. Hertz "The English Silk Industry in the Eighteenth Century," "The English Historical Review, Vol. 24, 1909, pp. 710-724

لقد اوضح الكاتب انه في سنة ١٧١٥ كان بين كل ٤٦٥٠ رزمة من الحرير الخام اعتادت انكلترا استيرادها ٢٥٠٠ يأتي لها من الشرق الادنى و ١٣٠٠ من ايطاليا والصين والهند •

(17) Bal Krishna, Commercial Relations Between India and England, London, 1924.

الشرقية بزيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات زيادة كبيرة الامر الذي اضطر الشركة الى ارسال كميات كبيرة من الفضة والذهب سنوياً الى الشرق لدفع قيمة مشترياتها من الاسواق الشرقية •

ان قلة الصادرات بالنسبة الى الواردات وتصدير الفضة والذهب سبب نقداً عنيفاً للشركة في انكلترا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر • فقد كان المذهب التجاري "Marcantilism" سائدا في هذا الوقت وكان هذا المذهب يؤكد على ان تنمية الصناعة الوطنية يجب ان تكون من الاهداف الرئيسة للتجارة الخارجية ويؤكد كذلك على اهمية زيادة الصادرات وتقليل الواردات والاحتفاظ بالفضة والذهب وعدم تصديرها خارج البلاد (١٨) • حاولت الشركة اسكات اصوات المعارضة والمنتقدين لتجارتها ببذل المزيد من الجهد لزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية وخاصة الاقمشة الصوفية ، تلك السلعة التي كان يشتغل بمادتها الاولية وصناعتها وتجارتها نسبة كبيرة من الشعب الانكليزي والتي اعتبر تشجيعها لقرون عديدة من الواجبات الوطنية المهمة (١٩) ، ولسوء حظ شركة الهند

(18) W. Conningham, The Growth of English Industry and Commerce in Modern times, Cambridge, 1907, Vol. II, pp. 463-471; E. Lipson, The Economic History of England, London, 1942. Vol. III, pp. 13-62; Paul Mon-toux, The Industrial Revolution in the Eighteenth Century. London, 1961, pp. 99-105.

(١٩) للاطلاع على معلومات وافرة عن أهمية الصناعات الصوفية في التاريخ الانكليزي راجع :

James Bischoff, A Comprehensive History of the Woolen and Worsted Inlustries 2 Vols. London, 1842; E. Lipson, The History of The Woollen and Worsted Industries, London, 1921; Lipson, The Economic History of England, Vol, II, pp. 10-93.

الشرقية انه لم يكن هناك طلب كبير على هذه السلعة بالذات في الاسواق الهندية نظراً لحرارة الطقس في هذه البلاد ولفقر السكان[20] ، لهـذا نرى إن الشركة منذ بداية تاسيسها تتلفت الى الاقطار المجاورة للهند علها تجد مخرجا لها من هذا المأزق .

وقد وجدت شركة الهند الشرقية في ايران مخـرجا لها . فبرودة الطقس من جهة[21] والعادة الاجتماعية المحليـة التـي كانت تتطلب من الوجيه الايراني ، الالتحاف بملابس جيدة وسميكة من جهة أخـرى ، جعلت ايران خير سوق للاقمشة الانكليزية الصوفية[22] . وفي الوقـت

---

(20) F. Robinson, The Trade of The East India Company From 1709-1813, Cambridge, 1912, pp. 66-67.

(٢١) منذ البداية وجدت الشركة صعوبة كبيرة في تصريف الاقمشـة الصوفية في الهند . وفي سنة ١٦١٤ تلقت سلطات الشركـة في لندن تقريرا من مستخدميها في الشرق يوضح ان ايران هـي القطر الذي يجب الالتفات اليه لتصريف مثل هذه الاقمشة ، فان فصل الشتاء ، في هذه البلاد ، يمتد الى ما يقارب من ستة اشهر . وخلاله يستهلك الرجال والنساء والاطفال الكثير من الاقمشـة الصوفية . راجع :

J.A. Saldanha, Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With the Persian Gulf, With a Summary of Events, 1600-1800, 1908. p. ii.

(22) India office, Marine Records, Vol, 891, August 15, 1790. Report on the Commarce of Arabia and Persia By Samuel Monesty and Harford Johnes.

وفي هذا التقرير وصف شيق للملابس التي اعتاد الوجيـه الايراني ارتداءها وقد بين كاتبا التقرير ان الاقمشـة الانكليزية ، هي الوحيدة التي يمكن ان تلائم الذوق الايراني

الذي بدأت فيه شركة الهند الشرقية محاولاتها لتصدير الاقمشةالانكليزية الى ايران كانت مثل هذه الاقمشة قد وجدت طريقها فعلا الى الاقسام الشمالية من بلاد الشاه ، وقد سبق أن بينا ان الاقمشة الصوفية التي كانت تجلبها شركة الشرق الادنى الى اجزاء الامبراطورية العثمانية المختلفةكان ينقل قسم منها الى ايران لمقايضته بالحرير الخام وهذا يعني ان أي نجاح تحققه شركة الهند الشرقية في ايران سيكون على حساب شركة الشرق الادنى الى حد ما .

والواقع ان شركة الشرق الادنى كانت قد شعرت بوطأة منافسةشركة الهند الشرقية حتى قبل ان تبدأ الشركة الاخيرة تجارتها مع ايران .ففي سنة ١٦٠٥ لوحظ كساد في أعمال شركة الشرق الادنى وقد عللت الشركة هذا الكساد في أعمالها بأنه نتيجة لكثرة ما استوردته شركة الهندالشرقيةمن توابل وحرير الى الاسواق الانكليزية(٢٣) . اما وقد قامت شركة الهند الشرقية بالمتاجرةفعلا مع ايران سنة١٦١٦ ، فقد زاد تململ شركةالشرق الادنى واحتجاجها خاصة بعد أن جعلت شركة الهند الشرقية من بندر عباس على الخليج العربي مركزاً رئيساً لاعمالها في ايران ومنطقةالخليج سنة ١٦٢٢ وبدأت سفنها تتاجر مع البصرة منذ سنة ١٦٣٥ ونجحت في بيع كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية سنوياً في ايران ومنافسة شركة الشرق الادنى في شراء الحرير الايراني وتصديره الى انكلترا وقد اتهمت شركة الشرق الادنى شركة الهند الشرقية بان تجارة الاخيرة في منطقة الخليج وايران ما هي الا تجاوز على مجالها التجاري ولم تكتف شركة الشرق الادنى بهذا الاتهام بل انها ضمت صوتها الى اصوات المعارضين لتجارة شركة الهند الشرقية وبدأت تهاجمها على أساس ان تجارتها غير

(23) Epstein, p. 156.

ذات نفع للاقتصاد الانكليزي ، وهنا انبرت شركة الهند الشرقية تدافع عن تجارتها وتفند حجج المنتقدين والمعارضين فأكدت ان تجارتها ذات نفع عميم للبلاد ، فلها الفضل وحدها دون سواها في انخفاض اسعار البضائع الشرقية في الاسواق الانكليزية لكثرة ما تستورده الشركة من هـذه البضائع ، هذا ويكفي الشركة فخراً أن تقـول انهـا استطاعـت ان تنافس بقية الاوربيين منافسة ناجحة في ميدان التجارة مع الشرق(٢٤) • بل ذهبت الشركة الى أبعد من هذا فأدعت ان وجودها واستمرار تجارتها مع الشرق لهو خير ضمان لبقاء شركة الشرق الادنى نفسها قبل غيرها اذ ان انسحاب شركة الهندالشرقية من ميدانالتجارة مع الهند ومنطقةالخليج العربي سيترك الهولنديين سادة لهذه التجارة ، وان هذا سيعطيهم مـن القوة والنفوذ ما يمكنهم من طرد التجارة الانكليزية في أماكن كثيرة من العالم خاصة في منطقة البحر الابيض المتوسط حيث تتاجر شركة الشرق الادنى(٢٥) • ولم ينته الجدل بين الشركتين الى نتيجة ما وبعد ان سادت العلاقات بينهما فترة من الهدوء في منتصفالقرن السابع عشر تجددالنزاع بشكل لم يسبق له نظير من قبل في نهاية القرن المذكور •

جاء النزاع الاخير نتيجة لسياسة تجارية توسعية جديدة كانت قـد تبنتها شركة الهند الشرقية في ايران خلال العقدين الاخيرين من القرن

---

(24). T. Mun, A Discoures of Trade From England into East Indies, London. 1621.

ان المؤلف من الشخصيات البارزة في تاريخ الشركة • وكتابـه المذكور هو خير ممثل لوجهة نظر الشركة ومن أحسن ما كتب دفاعا عن مصالحها •

(25) Calender of the Court Mintes Etc. of the East India Co. 1635-1639. p. 272. Oxford, 1907.

السابع عشر ، وكان سير جوسيه تشايلد Sir Josiah Childe. على رأس الشركة في هذا الوقت ، وتشايلد هذا من الشخصيات التي لعبت دورا هاماً في تاريخ الشركة • وقد عقد العزم منذ ان انتهى اليه زمام الشركة ،على توسيع تجارتها وتملكته رغبة كبيرة في توسيــع تجارة الشركة خاصة مع ايران(٢٦) • فقد اعتقد ان هناك امكانيات كبيرة لزيادة مبيعات الشركة من الاقمشة في ايران ، وخاصة في المناطق الشمالية من هــذه البلاد ، اذ كانت هذه المناطق لاتزال تستورد كميات كبيرة من الاقمشة الانكليزية التي تجلبها شركة الشرق الادنى الى الشرق •

وتمشيا مع سياسة شركة الهند الشرقية الجديدة ارسلت الشركة في سنة ١٦٩١ كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية الى بندر عباس مع تعليمات مشددة الى وكيل الشركة (The Agent) هناك بضرورة بذل جميع الجهود الممكنة لبيع هذه الاقمشة المرسلة ، وقد أمرت الوكيل بالذهـاب شخصه الى اصفهان ، عاصمة ايران في ذلك الوقت للاشراف بنفسـه على بيع الاقمشة الصوفية في تلك المدينة ولكي يهيىء أمر السكن لبعض الشبان الذين تعتزم الشركة ارسالهم من انكلترا الى ايران لتعلم اللغـة الايرانية والارمنية ليكونوا مؤهلين لادارة اعمال الشركة(٢٧) •

هذا وقد اعتقدت الشركة ان كسب ثقة التجار الارمن وتضامنهم من

---

(٢٦) قد اشتدت هذه الرغبة بعد سنة ١٦٨٨ أي بعد الثورة الجليلـة في انكلترا ، وكان لموقف الحكومة غير الودي من الشركة ، لمـا عرف عنها من محاباة الحكومة قبل الثورة ، سبب مهم في تقوية هذه الرغبة فأرادت الشركة استرضاء الحكومـة الجديدة واستدرار عطف الرأي العام بزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية •

(27) J. Bruse, Annals of The Honourable East-India Company, London, 1810, Vol. III, p. 108.

العوامل المهمة لنجاح هذه السياسة الجديدة • والواقع ان نشاط الارمن ونجاحهم التجاري وسيطرتهم على التجارة بين حلب وايران والهند ومنطقة الخليج العربي كل هذه بهرت الشركة وجعلتها ترغب في محالفتهم وحاولت أول الامر اغراءهم بان سمحت لهم سنة ١٦٩٠ بحمل بضائعهم من بندر عباس الى اوربا على ظهر سفن الشركة[٢٨] • ثم بذلت كل مافي وسعها لاقناعهم على حمل حرير غيلان الى اصفهان والمقايضة باقمشة شركة الهند الشرقية في العاصمة الايرانية بدلا من نقله الى حلب ومقايضته بأقمشة شركة الشرق الادنى[٢٩] • ان سياسة شركة الهند الشرقية الجديدة هذه • لاتترك مجالا للشك في انها كانت ترمى الى القضاء على تجارة شركة الشرق الادنى في ايران قضاء تاما •

لقد كانت شركة الهند الشرقية في وضع تستطيع فيه منافسة شركة الشرق الادنى بنجاح فمن جهة نرى أن تكاليف نقل الاقمشة التي تجلب بوساطة شركة الهند الشرقية عن الطريق البحري المباشر الى بندر عباس وتنقل من هناك الى شمال البلاد ، أقل من تكاليف نقل الاقمشة التي تأتي بها شركة الشرق الادنى الى حلب وغيرها من اجزاء الامبراطورية العثمانية وتنتقل من هناك الى ايران [٣٠] ، وكذلك تدخل أقمشة شركة الهند الشرقية ميناء بندر عباس معفاة من أية ضريبة ، بينما كانت شركة الشرق الادنى ملزمة بدفع ضريبة على الاقمشة التي تجلبها عند دخولها أي ميناء من

---

(28) J. Lorimer, Gazeteer of The Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, India, 1908, Vol., I Part 1, p. 618.

(29) Ibid.

(30) Bruce, Vol. II, p. 618.

موانيء الامبراطورية العثمانية[٣١] • ان هذا جعل باستطاعة شركة الهند الشرقية بيع أقمشتها بأسعار أرخص من تلك الاسعار التي اعتادت شركة الشرق الادنى البيع بها ، أضف الى هذا ان الشركة الاخيرة كانت تمر في ظروف هي في غاية الحراجة ، فان الحرب التي كانت دائرة بين انكلترا وفرنسا في ذلك الوقت كانت وبالا على أسطول الشركة وتجارتها في البحر الابيض المتوسط • فقد خسرت الشركة سنة ١٦٩٣ من السفن والحمولة على يد الفرنسيين ، ما قدرت قيمتها بأكثر من نصف مليون باون استرليني وقد ظن ان الشركة لن تستطيع تموين أسواقها في الشرق بالاقمشة وغيرها من البضائع لسنين عديدة بعد هذه الكارثة[٣٢] •

وكانت الكارثة الاخيرة مشجعة لشركة الهند الشرقية على الاجهاز على غريمتها وطردها من السوق الايرانية • لقد تلقى تشايلد انباء الكارثة بسرور تام وود لو كانت القاضية على تجارة شركة الشرق الادنى ليس في ايران فقط بل في ارجاء الامبراطورية العثمانية ايضا لكي تحل شركة الهند الشرقية محلها[٣٣] • هذا وفي سنة ١٦٩٣ حصلت شركة الهند

---

(٣١) ان اعفاء شركة الهند الشرقية من دفع الضرائب على بضائعها الواردة الى بندر عباس يرجع بالاصل الى ذلك الاتفاق الذي تم سنة ١٦٢٢ بين الايرانيين والانكليز لمهاجمة هرمز وانتزاعها من يد البرتغاليين وقد تم بمقتضاه اعفاء الانكليز من الضرائب في هرمز في حالة نجاح العمليات العسكرية ضد البرتغاليين ، هذا وعندما هجرت هرمز وأخذت بندر عباس محلها كمركز رئيسي لتجارة الخليج العربي احتفظ الانكليز بهذا الاعفاء في الميناء الجديد •

راجع : Lorimer pp. 24-30, 35-36.

(32) Sir Shafaat Ahamad Khan, The East India Trade in the XVII Century, p. 248.

(33) Ibid.

الشرقية على تجديد لامتيازها من الحكومة الانكليزية • ولكن هذا الامتياز جاء مشتملا على فقرة جديدة تلزم بتصدير ما يبلغ قيمته ١٠٠،٠٠٠ باون استرليني سنويا من المصنوعات الانكليزية الى الشرق(٣٤) ، مما حفز الشركة للمضي قدما في سياستها التجارية التوسعية في ايران تنفيذا للفترة المذكورة • وفي السنة نفسها ارسلت كميات كبيرة من الاقمشة الى ايران مع هذه التعليمات الى مستخدميها في الشرق :

١ – جمع أكثر ما يمكن جمعه من الحرير الخام • ٢ – زيادة مستخدمي الشركة في ايران بحيث يصبح الملاك يشتمل على عشرة مستخدمين • ٣ – ان تحتفظ الشركة بمحل تجاري في اصفهان في صورة دائمة • ٤ – ان يترك للوكيل الخيار في أن يبقى مقر الشركة الرئيسي في ايران في بندر عباس أو نقله الى اصفهان • وقد عبرت الشركة مرة أخرى عن رغبتها في اعداد مستخدميها في ايران اعدادا يؤهلهم للقيام بواجباتهم التجارية فأوصت بان يقضي المبتدئون منهم فترة تدريب يعيشون خلالها في بيوت التجار الارمن في اصفهان(٣٥) • وفي رسالة لاحقة عبرت الشركة عن اعتقادها بانه اذا ما اديرت اعمال الشركة في ايران بحكمة فان هذا قد يؤدي الى تحويل ذلك الطريق العتيد لتجارة الحرير بين حلب وايران نحو الجنوب ومن الممكن ان تصبح اصفهان مركزاً لهذه التجارة ومضت تقول :

« يجب ارسال كل الحرير الذي يحصل عليه في اصفهان الى بندر عباس حيث يشحن من هناك الى أوربا • ان هذا سيجعل شركة الهند

(34) Lipson, The Economic History of England, Vol, II. pp. 285-286.

(35) Bruce. Vol. II. pp. 140-141.

الشرقية وسيلة لزيادة الملاحة والدخل القوميين.لهذا فان جميع الاجراءات يجب ان تتخذ لبيع أكثر ما يمكن بيعه من الاقمشة الصوفية التي سبق ان أرسلتها الشركة الى ايران لتمكين سلطات الشركة من ارسال كميات كبيرة أخرى من هذه الاقمشة في السنوات القادمة . وبهذا فقط تستطيع الشركة القيام بالتزاماتها الجديدة ، تلك الالتزامات التي نص عليها في وثيقة الامتياز التي حصلت عليها الشركة مؤخرا »(٣٦) .

لقد كان تأثير سياسة شركة الهند الشرقية في شركة الشرق الادنى بليغا . وفي سنة ١٦٩٦ كتب احد تجار الشركة الاخيرة في حلب الى لندن يقول : « لقد ارسلت شركة الهند الشرقية كميات كبيرة من الاقمشة الى ايران لدرجة انها ستدمر تجارة هذه المدينة [حلب] وانها سوف ترغمنا على ترك التجارة والاياب الى الاوطان » . واضاف يقول ان شركة الهند الشرقية « نجحت في اغراق السوق الايرانية باقمشتها وقد كانت هذه السوق تعتمد في تموينها بهذه الاقمشة على ازمير وحلب »(٣٧) . وفي رسالة أخرى كتب التاجر نفسه يقول « ان التجارة الانكليزية في تركيا تكاد تكون في حكم المنتهية »(٣٨).وعلى كل حال ان شركة الشرق الادنى لم تقف مكتوفة الايدي . انها هاجمت شركة الهند الشرقية بعنف واستعدت الرأي العام الانكليزي والحكومة الانكليزية ضد غريمتها « لم تجد سوقا ملائمة لبضائعها في الهند فاتجهت نحو ايران ذلك القطر الذي كان يمون سابقا بما نرسله نحن من اقمشة الى القسطنطينية والى ازمير خاصة مما كنا نرسله الى حلب »(٣٩) . ان صرخات شركة الشرق الادنى

---

(36) Ibid. p. 161.
(37) Lipson, Economic History of England, Vol, II, p. 348.
(38) Ibid, p. 349.
(39) Ibid, p. 286.

واحتجاجاتها لم تذهب سدى فقد استمعت الحكومة الانكليزية لشكواها واحيل موضوع النزاع بين الشركتين الى لجنة خاصة لدراسته وقد اوصت اللجنة سنة ١٧٠٠ بعدم السماح لشركة الهند الشرقية بارسال اقمشة صوفية الى ايران اكثر مما كانت ترسله سابقا(٤٠) • والواقع انه ليس بين ايدينا من أدلة تثبت ان الشركة المذكورة كانت قد التزمت بهذه التوصيـــة •

وعلى كل حال فبالرغم من الضجة التي سببتها شركة الهند الشرقية لسياستها التجارية التوسعية في ايران ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها لضمان النجاح لهذه السياسة فان الشركة لم تحصل على الثمرة المرجوة • فمن ناحية ان الكارثة التي أحاقت بشركة الشرق الادنى سنة ١٦٩٣ لم تكن قاضية كما كان يمني تشايلد نفسه اذ سرعان ما فاقت الشركة من صدمتها وسرعان ما أخذت بضائعها تتدفق على اسواق الشرق الادنى وبدأ سيل من الاقمشة يرد على ايران من حلب • فكانت النتيجـــة ان أغرقت السوق الايرانية بالاقمشة الانكليزية الأمر الذي ادى الى قيام منافسة عنيفة بين الشركتين مع انخفاض اسعار هذه السلعة وقد عاد هذا بالضرر البليغ على الشركتين معا (٤١) •

اما جهود شركة الهند الشرقية في التحالف مع التجار الارمن فلم تكلل بالنجاح • والواقع أن مصالح هؤلاء في التجارة القائمة بـــين حلب وايران كانت أعمق بكثير من مما أدركته سلطات شركة الهند الشرقية • ومنذ سنة ١٩٦٣ بدأ عمال الشركة يظهرون ارتيابهم مـــن ولاء الارمن وصدق نواياهم تجاه شركةالهند الشرقية • في سنة ١٦٩٥ ادعى مستخدمو

(40) Ibid.
(41) Lorimer, p. 75.

الشركة بان البعض من تجار الارمن اخذوا يضعون العراقيل في وجه مقايضة اقمشة شركة الهند الشرقية بالحرير (٤٢) . وفي احدى المناسبات اظهر المسؤول عن اعمال الشركة في اصفهان استياءه الشديد من تصرفات بعض هؤلاء التجار الامر الذي اضطر الوكيل في بندر عباس الى الذهاب بنفسه الى اصفهان لتسوية الامر . وقد وصل الامر ببعض التجار الارمن الى محاولة اقناع الحكومة الايرانية لمنع تصدير الحرير من بندر عباس (٤٣) . يتضح من هذا ان تشبث شركة الشرق الادنى بمصالحها في ايران ومقاومتها لتحدي شركة الهند الشرقية واخفاق الشركة الاخيرة في كسب التجار الارمن الى صفّها ، كان من العوامل الرئيسة لاخفاق السياسة التجارية التي تبناها تشايلد في ايران ، أضف الى هذين العاملين ، ان شركة الهند الشرقية نفسها فقدت حماسها للسوق الايرانية فاستمرار الاضطرابات في البلاد وتعسف الحكومة الايرانية تجاه الشركة كثيرا ما حد من تصريف الاقمشة الصوفية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم تعد الشركة بحاجة كبيرة الى الحرير الايراني وذلك لانها استطاعت تطوير انتاج الحرير في البنغال في الهند وقد أخذ حرير البنغال يتدفق على الاسواق الانكليزية منذ بداية القرن الثامن عشر بوساطة الشركة باسعار أقل بكثير من اسعار الحرير الايراني (٤٤) . ان قلة أكتراث شركة الهند الشرقية للسوق الايرانية وضع حدا للنزاع بينها وبين شركة الشرق الادنى لفترة من الزمن والواقع ان وضع الشركتين في ايران عاد تقريبا الى ما كان عليه قبيل سنة ١٦٩٠ واستمر بهذا الشكل الى منتصف القرن الثامن

(42) Ibid.

(43) Ibid, pp. 76-77.

(44) Bal Krishna, pp. 140-141.

عشر وفي هذا الوقت بالذات ظهر منافس جديد لكلتا الشركتين وكـــان ذلك المنافس هو شركة روسيا •

ذكرنا فيما سبق ان شركة روسيا حاولت فتـــح باب المتاجرة بـين اوربا وايران عبر روسيا منذ بداية تأسيسها في منتصف القرن السادســـ عشر ، وكيف ان جميع محاولاتها في هذا الشأن باءت بالفشل • لقد جددت الشركة رغبتها في القيام بمثل هذه التجارة في نهاية القرن السابع عشـــر وتقدمت الى الحكومة الانكليزية بطلب امتياز يخولها القيام بهذا • وقـد رفضت الحكومة الانكليزية هذا الطلب على أساس أن مثل هذه التجـارة قد تؤدي الى تدمير تجارة شركة الشرق الادنى (٤٥) • ولكن قدر لمشروع الشركة الانتعاش بعد فترة من الزمن ، فقد اظهر بطرس الاكبر وخلفاؤه رغبة كبيرة في تشجيع العلاقات التجارية بين روسيا وانكلترا • وفي سنة ١٧٣٤ عقدت معاهدة تجارية بين الحكومة الانكليزية وروسيا وجاء فـــي احدى فقراتها ، ان الحكومة الروسية تسمـــح للتجار الانكليـــز بارسال بضائعهم من والى ايران عبـــر روسيا (٤٦) • وقد حاول التجار الانكليز في روسيا الاستفادة من تلك المعاهدة فوفد بعضهم عـــلى ايران للتعرف على الاحوال التجارية هناك • وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين احد المغامرين الكابتن جون التن "Cap. John Elton" • لقد جاء هذا الى ايران سنة ١٧٣٩ وحظى بمقابلة رضا قلي ميرزا ابن نادر شاه ، الفاتـــح

---

(45) Lipson, The Economic History of England, Vol, II, p. 349.

(46) J. Hanway, An Histarical Account of The British Trade over The Caspoin Sea : With a Journal of Travels Through Runsia into Persia, etc, London, 1753, Vol, I. pp. 47-48.

الايراني الشهير وحاكم ايران في هذا الوقت ، وحصل منه على بعض الامتيازات للتجارة الانكليزية المزمع القيام بها عبر روسيا (٤٧) • عاد التن الى روسيا سنة ١٧٤٠ ووصف للتجار الانكليز في بطرسبرج الامكانيات الكبيرة لتطوير التجارة الانكليزية مع ايران ، وقدم بهذا الشأن مذكرة شيّقة (٤٨) الى ادوارد فنج "Edward Finch" السفير البريطاني في روسيا ، أوضح فيها أهمية القيام بمثل هذه التجارة والفوائد الكبيرة التي سيجنيها الانكليز منها خاصة فيما يتعلق ببيع الاقمشة الانكليزية الصوفية في المناطق الشمالية من البلاد وقد أكد « ان جميع الايرانيين من أعلى الطبقات الى أوطئها يحبون ويفضلون الاقمشة الصوفية الانكليزية الغالية على مصنوعات بلادهم الحريرية الرخيصة فهم مثلا لا يلبسون مطلقا الجواريب الا اذا كانت مصنوعة من الصوف » • وبيّن التن أهمية مدينة مشهد عاصمة نادر شاه ليس لكونها محلا مهما لاستهلاك الاقمشة الصوفية فقط بل كمركز مهم ممكن ان توزع منها هذه الاقمشة الى بخارى وكابل وقندهار والهند والتبت ، كما ان تكاليف نقل الاقمشة عبر روسيا الى هذه المناطق ، أقل من تكاليف نقلها اليها بوساطة الطرق الاعتيادية التي تسلكها كل من شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى • يضاف الى كل هذه الفوائد المترتبة على بيع الاقمشة الصوفية أكد التن ان هناك حرير غيلان الذي يمكن الحصول عليه وتصديره الى اوربا عبر روسيا •

أرسل فنج هذه المذكرة الى لندن وما ان اطلعت عليها سلطات شركة روسيا حتى صممت على تبني المشروع ووضعه موضع التنفيذ (٤٩) • وهنا

(47) L. Lockhart, Nādir Shah, London, 1938, p. 175, 287.

(48) Hanway. pp. 30-33.

(49) Ibid.

هبت شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى للدفاع عـــن تجارتيهما في ايران في وجه هذا التهديد الجديد وكان رد فعل شركة الشرق الادنى خاصة عنيفا جدا فحاولت شركة روسيا التفاوض معها من أجل حل مقبول لدى الشركتين وبدأت المفاوضات فعلا بينهما حول هذا الشأن غير أنه لم يتم التوصل الى نتيجة ما واخيرا في سنة ١٧٤١ سمح البرلمان الانكليزي لشركة روسيا بالقيام بالمتاجرة مع ايران عبر روسيا وتم ذلك في وجـــه معارضة شديدة من شركة الشرق الادنى [٥٠] • وباشرت شركة روسيا اعمالها التجارية حالا فأقامت مركزا تجاريا في مشهد وبدأت اقمشتهـــا تصل الى اجزاء مختلفة من شمال ايران ووسطها •

أما شركة الهند الشرقية فكان رد الفعل عندها أقل من ذلك الـذي بدا من شركة الشرق الادنى وذلك لان أعمالها التجارية كانت قد تقلصت كثيراً في ايران خاصة في الاقسام الشمالية من هذه البلاد ، فان الفوضـى السياسية التي اعقبت الغزو الافغاني في ايران سنة ١٧٢٢ حدّت الكثـير من نشاط الشركة التجاري حتى أن الشركة أغلقت مقرها في اصفهان سنة ١٧٣٥ [٥١] • اضف الى ذلك ان الشركة قد اوقفت منذ زمن ليـــس بالقليل جميع مشترياتها من الحرير الايراني واعتمدت على حرير البنغال في تموين أسواقها في اوربا اعتمادا تاما [٥٢] ، والحقيقة ان « صــوف كرمان » كان قد حل محل الحرير مادة رئيسة لواردات الشركة مـــن

---

(50) Wood, p. 146.

(51) India Office, Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Gombroon Diary March 28, 1735.

(52) N. K. Sinha, Economic History of Bengal, Calcutta, 1956, pp. 109-111.

ايران [٥٣] • وكانت هذه المادة بعيدة عن منافسة شركة روسيا نظرا لأن منطقة كرمان ، مركز تجارة هذا الصوف ، كانت قريبة نسبيا من الخليج وبعيدة من مراكز نشاط شركة روسيا ويصعب عمليا على الشركة الاخيرة تحويل تجارتها نحو الشمال •

ومهما يكن من امر فان شركة الهند الشرقية لم تقف مكتوفة الأيدي تماما تجاه تحدي شركة روسيا فما أن أخذت اقمشة الشركة الاخيرة تصل الى ايران حتى أعادت شركة الهند الشرقية فتح مقرها في اصفهان وذلك في صيف ١٧٤٢ [٥٤] • وقد كتب وكيل الشركة في بندر عباس على اثر ذلك يقول بان اعادة المقر في اصفهان وضع حدا لمبيعات شركة روسيا من الاقمشة الصوفية في هذه المدينة [٥٥] ، هذا وعندما اقترح الوكيل على رؤسائه فتح مقر تجاري آخر للشركة في مدينة مشهد أجيب طلبه واعتبرت هذه الخطوة « وسيلة قد يمكن بها احباط مشروع شركة روسيا » [٥٦] •

وعلى كل حال كان نجاح شركة روسيا محدودا اذ تعثر مشروعها

---

(٥٣) ان ما يعرف بصوف كرمان ، ما هو في الحقيقة الا شعر الماعز • لقد اشتهرت هذه المادة في انكلترا بصلاحيتها لصناعة القبعات وللاطلاع على معلومات أكثر عن صوف كرمان وتجارته راجع :

Wi Milburne, Oriental Cemmerce, London, 1813, Vol. I. p. 135; A. G. Raynal, A Philosophical and Political History of The Settlements and Trade of The Europeans in The East and west Indies, London, 1798, Vol. I, p. 271.

(54) Gombroon Diary, Augst 6, 1742.

(55) Ibid. January, 29, 1744.

(56) Ibid. Letter From Bombay dated April 1744.

بصعوبات كثيرة منذ بدايته ، وكانت تصرفات التن الطائشة سببا رئيسا لذلك التعثر . فقد التحق التن بخدمة شركة روسيا ورجع الى ايران سنة ١٧٤٢ ولكنه بدلا من ان يخدم مصالح الشركة شغل نفسه بمشاريع لا تمت بصلة لتلك المصالح . فقد بادر فور وصوله الى مسح الساحل الجنوبي الشرقي من بحر قزوين تلبية لرغبة نادر شاه . ولم يكتف بهذا حسب بل دخل في خدمة الشاه واخذ على عاتقه مهمة بناء اسطول ايراني في بحر قزوين ، المشروع الذي اعتبرت روسيا فيه تهديدا مباشرا لها واحتجت لدى الحكومة الانكليزية مطالبة ايقاف التن عند حده وقد انكرت شركة روسيا ان تكون لها اية علاقة بمشروع بناء اسطول ايراني في بحر قزوين وعبرت عن اعتقادها بان الانباء التي وصلت عن تصرفات التن لا تخلو من المبالغة والتهويل (٥٧) . ان أقوال الشركة هذه لم تقنع روسيا واستمرت في احتجاجها مما اضطر الشركة الى ايفاد جون هانوي "John Hanway" لمعرفة جلية الامر (٥٨) . ولسوء حظ الشركة ان هانوي أكد صحة الانباء المتعلقة بالتحاق التن بخدمة الشاه واقدامه على بناء اسطول له . وأخفقت جميع جهود هانوي لاقناع التن بترك خدمة الشاه (٥٩) . وزاد استياء روسيا واحتجاجها عندما انجز التن أول سفينة لنادر شاه (٦٠) . واخيرا نفذ صبر الحكومة الروسية ففي سنة ١٧٤٦ اتخذت قرارا الغت بموجبه جميع الامتيازات الممنوحة للتجار الانكليز والمتعلقة بنقل بضائعهم من ايران واليها عبر روسيا والتي تضمنتها

---

(57) Lockhart pp. 287-290.

(58) Ibid.

(59) Hanway. Vol, II, p. 34, 47.

(60) Lockhart. p. 287.

معاهدة سنة ١٧٣٤ وقد طلبت من جميع التجار الانكليز في روسيا تصفية اعمالهم في ايران حالا ومن كان منهم في ايران فعليه الانسحاب فورا من هناك اذا رغبوا في الابقاء على تجارتهم في روسيا (٦١) • وهكذا كانت نهاية المشروع •

ولعل آخر وجه من اوجه النزاع بين الشركات الانكليزية في بلادنا والبلدان المجاورة هو ذلك الذي ظهر في العقد السابع من القرن الثامن عشر بين شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى •

كان النزاع الاخير نتيجة لزيادة نفوذ شركة الهند الشرقية في ولاية بغداد (العراق الحديث) وتهديدها لمصالح شركة الشرق الادنى • ان استمرار الاضطرابات في بندر عباس وما حولها بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ اضطر سلطان شركة الهند الشرقية الى اتخاذ قرار يقضي بنقل المقر الرئيسي للشركة من الميناء الاخير الى البصرة • وتم هذا الانتقال سنة ١٧٦٣ (٦٢) • وفي الوقت الذي اتخذت فيه هذه الخطوة كان قد طرأ تغير جوهري على طبيعة الشركة في الهند أثر تأثيرا عميقا في سياسة مستخدميها في الشرق • فقد اصبحت الشركة على الرغم من احتفاظها بطابعها التجاري مؤسسة سياسية جبارة تمتلك بيدها مقدرات الجزء الاكبر من شبه القارة الهندية • ان هذا اكسب مستخدمي الشركة الكثير من الثقة بالنفس والطموح • وكانت سياستهم في البصرة مثلا لذلك • فما أن

---

(61) Ibid.

(٦٢) وللوقوف على معلومات أوفر حول تطور الاحداث في الخليج العربي بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ راجع :
Abdul Amir Amin British intrests in The Persian Gulf. 1747-1778, (Unpublished Ph. D. Dissetation, University of Maryland, 1962).

استقر المقام بوكيل الشركة في البصـــرة حتى بادر الى محاولة الحصول على امتيازات جديدة من السلطان تكفل للشركة نفوذا سياسيا وتجاريا في الميناء (٦٣) • فقد طلب من السلطان الاعتراف بوكيل الشركـــة قنصلا انكليزيا في البصرة • ولم يكن لوكيل الشركة في منطقة الخليج العربـــي حتى هذا الوقت اية صفة عدا كونه مستخدما لشركة الهند الشرقية • كما طلب من السلطان الاعتراف بالبصرة ميناءاً مشمولا بالامتيازات الاجنبيـــة "Capitulations" وذلك انه على الرغم من وجود مقر دائم لشركة الهند الشرقية في البصرة منذ سنة ١٧٢٣ ، فان الميناء لم يعترف به رسميا انه مشمول بهذه الامتيازات (٦٤) • وتقدم الوكيل بهذه الطلبات الـــى السلطان بوساطة هنري كرنفل "H. Grenville" السفير الانكليزي في القسطنطينية وبعد كثير من الصعوبات والمفاوضات الطويلة التـــي كلفت الشركة كثيرا من المال نجح السفير في الحصول على براءة قنصلية "Consulary Berat" من السلطان فاعترف الاخير بموجبها بوكيل شركة الهند الشرقية قنصلا انكليزيا في البصرة وبالبصرة ميناءاً مشمولا بالامتيازات الاجنبية (٦٥) ، وقد أرسل السفير هذه البراءة الى وكيل الشركة مـــع

---

(63) Ibid. p. 136.

(٦٤) ذلك الصنف من الاتفاقيات التجارية التي عقدتها الدول الاوربيـــة مع البلدان الآسيوية والافريقية والتي أصبح للاوربيين بموجبهـــا امتيازات اقليمية خاصة في هذه البلدان •

J. C. Hwrewitz. Diplomacy in The Near and Middle East, New York, 1958. Vol, I, p. I.

وقد سبق للانكليز وان حصلوا على مثل هذه الامتيازات من السلطان سنة ١٥٩٣ Hakluyt Vol, I. p. 36.

(65) Factory Records, Persia and The Persian Gulf, Vol, 16.

كتاب وصف فيه للوكيل الجهود التي بذلها للحصول عليها وعبر عن أمله بأن تحقق للشركة فوائد جلى (٦٦) • ومع أن هذه البراءة لم تكن تحتوي على امتيازات تجارية مهمة جديدة للشركة فانها كانت ذات أهمية سياسية خاصة • فلأول مرة يصبح وكيل الشركة في منطقة الخليج العربي ممثلا للحكومة الانكليزية بالاضافة الى وظيفته ممثلا لشركة الهند الشرقية • ان هذا عزز مركز الوكيل وزاد من اعتباره في اعين السلطات التركية في ولاية بغداد • وبالتالي كانت عاملا من عوامل تقوية النفوذ الانكليزي في هذه الولاية •

ولعل أكثر من هذه البراءة أهمية في تقوية هذا النفوذ ضعف الاتراك في البصرة وحاجتهم الماسة لمساعدة الانكليز ، وذلك لتزايد قوة قبيلة كعب تحت قيادة شيخ سلمان وتهديدها المستمر للبصرة • والواقع ان الاتراك بين سنة ١٧٦٣ و سنة ١٧٧٣ كانوا معتمدين اعتمادا كليا على اسطول شركة الهند الشرقة في الدفاع عن البصرة في وجه اسطول كعب القوي (٦٧) • ان هذا أدى الى ازدياد النفوذ الانكليزي بشكل لم يسبق له نظير من قبل • وهذا بدوره شجع مستخدمي شركة الهند الشرقية على التدخل في الشؤون الداخلية لولاية بغداد • وارادوا من وراء ذلك تعزيز مركز الشركة التجاري في الولاية ، وليس أحسن مثلا على سياسة مستخدمي الشركة هذه من تدخلهم سنة ١٧٦٤ في أمر خطير كاختيار

---

(66) Ibid, Letter From Grenville to the Est India Company's agent at Basrah, April, 5, 1764.

(٦٧) للوقوف على الدور المهم الذي لعبته قبيلة كعب في تاريخ منطقة الخليج العربي في هذا الوقت بالذات راجع :

Amin, Chapters, 4-5.

الوالي ومحاولتهم عرقلة التجارة القادمة الى بغداد عبر الصحراء ، تلك التجارة التي كان لشركة الشرق الادنى مصالح حيوية فيها . فبعد عزل علي باشا سنة ١٧٦٤ وبقاء كرسي الباشوية شاغراً توسط وكيل الشركة لدى السلطان لتعيين متسلم البصرة (والي البصرة) آنذاك محمد كهيه ، واليا لولاية بغداد أو فصل البصرة عن ولاية بغداد وجعلها ولاية مستقلة. وقد اعتقد الوكيل بأنه في الحالة الاولى سوف لا ينسى الوالي الجديد فضل الشركة عليه وفي الحالة الثانية سوف يستطيع الانكليز زيادة سيطرتهم على شؤون البصرة ، ولم ينجح الوكيل في مسعاه فقد عين السلطان عمر باشا والياً لولاية بغداد ومن ضمنها البصرة (٦٨) . ان فشل الوكيل دفعه الى محاولة اقامة علاقات مباشرة مع عمر باشا الوالي الجديد وتوطيد النفوذ الانكليزي عن طريقه . لذلك قرر تأسيس مقيمية "Residency" للشركة في بغداد وعين روبرت كاردن احد مستخدمي الشركة في البصرة مقيما هناك "Resident" . وأعطى كاردن تعليمات مفصلة حول كيفية ادارة شؤون المقيمية (٦٩) . لقد اوصى بان يكون علاقات شخصية مع عمر باشا وان يراقب بدقة الاحداث الجارية في بلاطه وأهم من هذا ، ان يبذل كل ما في وسعه من جهد لحمل الباشا على وضع حد لتجارة شركة الشرق الادنى وتجارة بقية الاوربيين عبر الصحراء . لقد جاء هذا التهديد لمصالح شركة الشرق الادنى في وقت كانت الشركة تمر فيه بظروف دقيقة ، هي أحوج ما تكون فيها الى تأمين تجارتها هذه ، فقد كانت تواجه منافسة شديدة في حلب والقسطنطينية وازمير من بقية التجار الاوربيين خاصة الفرنسيين ، اذ أصبح باستطاعة هؤلاء حمل كميات كبيرة من الاقمشة الصوفية الى الشرق وذلك لسلامة

---

(68) Ibid.

(69) Ibid, pp. 137-140.

النقل في البحر الابيض المتوسط بعد انتهاء حرب السبع سنوات ١٧٥٦ – ١٧٦٣ (٧٠) .

لقد وجدت الشركة ملاذا من هذه المنافسة في بغداد . فقد قدر سنة ١٧٦٧ ان ما يقارب من ٦٠٠ رزمة من الاقمشة الصوفية تعود معظمها الى شركة الشرق الادنى ، قد حملت الى بغداد عبر الصحراء (٧١) . من هذا يتضح خطورة سياسة مستخدمي شركة الهند الشرقية بالنسبة لمصالح شركة الشرق الادنى في ولاية بغداد . ان موقف شركة الشرق الادنى من هذه السياسة كان حازما . انها لم تناقش حق شركة الهند الشرقية في الحصول على هذه الامتيازات الجديدة في هذا الجزء من الامبراطورية العثمانية وحسب ولكنها ناقشت أيضا حق تلك الشركة في المتاجرة في منطقة الخليج العربي بصورة عامة وفي البصرة بصورة خاصة وقد اثارت لذلك ادعاءها القديم بان المنطقة برمتها تقع ضمن مجالها التجاري . لقد كان النزاع بين الشركتين عنيفا . والفت لجنة خاصة تضم أعضاء من كلتا الشركتين لتسوية الخلاف ، ولكن اللجنة لم تتوصل الى نتيجة واضحة (٧٢) . هذا ومع ان شركة الهند الشرقية دافعت عن حقها في الحصول على امتيازات جديدة في ولاية بغداد وأعادت تأكيدها على حقها في المتاجرة في البصرة وفي منطقة الخليج العربي فانها ارادت ان تتجنب

(70) Abdul-Karim Gharaybey, English traders in Syria, 1747-1791 (Unpublished ph. D. Dissertation, University of London 1950), p. 170.

(71) India office, Bombay Public Consultation. Vol. 28, Letter From Basra April 18, 1765.

(٧٢) للاطلاع على تفاصيل هذه المفاوضات راجع :
Factory Records, Persia and The Persian Gulf, Vol, 21,

بقدر المستطاع المشاكل مع شركة الشرق الادنى اذ أن تطور الخلاف بين الشركتين قد يؤدي الى تدخل الحكومة الانكليزية وخلق مصاعب هما في غنى عنها • لهذا أمرت مستخدميها في الشرق بتجنب كل ما يثير النزاع مع شركة الشرق الادنى وأوصتهم بان لا يتقدموا الى السلطان بطلب اي امتيازات جديدة وأمرت الوكيل بعدم قبول البراءة القنصلية والاحتفاظ بوظيفته كمستخدم لشركة الهند الشرقية فقط ، وامرته كذلك بسحب المقيم الانكليزي من بغداد حالا (٧٣) ، والظاهر ان شركة الشرق الادنى اقتنعت بهذه الاجراءات اذ لم يثر الخلاف مرة اخرى •

وكان ذلك خاتمة للنزاع بين شركة الهند الشرقية وشركة الشرق الادنى والواقع ان الربع الاخير من القرن الثامن عشر شهد تدهورا خطيرا في تجارة الشركتين في منطقة الخليج العربي وايران والامبراطورية العثمانية • فقدت منطقة الخليج العربي وايران الكثير من أهميتها التجارية بالنسبة لشركة الهند الشرقية حتى ان الشركة اتخذت قرارا سنة ١٧٧٧ بسحب جميع مستخدميها من البصرة وغلق مقرها التجاري هناك ولم تعدل عن قرارها هذا الا بعد نشوب الحرب بين انكلترا وفرنسا (حرب الاستقلال الامريكية) وامتداد نار الحرب بين الدولتين الى الهند ، الامر الذي أدى الى ابقائها على بعض مستخدميها في البصرة وذلك للاشراف على نقل الرسائل من والى الهند عبر الصحراء عن طريق بصرة حلب ـ قسطنطينية(٧٤) ولم تكن شركة الشرق الادنى بأسعد حالا من غريمتها ، فان تجارتها هي الاخرى تقلصت في جميع الارجاء التي اعتادت الشركة المتاجرة معها •

---

(73) India office, Despatches to Bombay, Letter to Bombay, dated March 22, 1760.

(74) Amin, pp. 180-190.

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب

دكتور حسن احمد محمود

الفترة الممتدة من عام ١٤١٥ الى عام ١٥١٧ من أهم الفترات في تاريخ شبه جزيرة العرب فقد أحاطت بها عواصف هوجاء وتعرضت لتهديدات خطيرة كان من الممكن أن تغير وجه التاريخ الاسلامي في مطلع العصر الحديث •

فقد ضعفت دولة المماليك الجراكسة وتمركزت مظاهر هذاالضعف في عهد السلطان الغوري وكانت دولة المماليك تبسط سيطرتها على البحر الاحمر وتحمي الحرمين وتدافع عن ذمار المسلمين وتتمركز في جدة وتتخذها قاعدة بحرية وبرية وكان ضعفها معناه اقتحام البحر الاحمر من بابه الجنوبي •

وكانت القوة الناشئة ـ قوة الاتراك العثمانيين ـ توجه جهدها كله الى الاناضول وشبه جزيرة البلقان ، ثم بدأت تتجه الى الشرق الاسلامي متحدية النفوذ الصفوي في ايران ومناوشة النظام المملوكي عند اطراف الشام توطئة للاندفاع نحو مصر وتقويض هذا النظام من أساسه وترك باب البحر الاحمر مفتوحا على مصراعيه يتدفق منه أي تيار غريب ، قبل أن تتمكن هذه الدولة العثمانية من وراثة نفوذ مصر في هذا الجانب الحيوي من عالم الاسلام وكانت جزيرة العرب تمر بفترة انقسام خطيرة وتفتيت للقوى السياسية فيها ، تلك القوى التي كانت من الممكن أن تسهم في حماية البلاد ودفع الخطب عنها •

فقد كان الطاهريون في اليمن أشد ما يكونون انشغالا بالتصدي

للطامعين في العرش خصوصا في عهد الظافر عامر آخر سلاطين بني طاهر ، كما ازدادت ثورات القبائل وتزايدت مطامع القوى الزيدية . حتى أن حب البقاء دفع بعض سلاطين هذه الدولة المتهاوية الى محالفة اعـــداء العرب المسلمين امساكا لما بقي من رمقهم . وقد اتسم موقف هـؤلاء الطاهريين الاواخر بالعداء السافر للبحرية المصرية التي كانت تخوض معركة البقاء مع الخطر البرتغالي .

خلال هذه الفترة التي أشرت اليها ظهر البرتغاليون ، وأفلحوا فـي الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، ودخلوا مياه المحيط الهنـدي وهددوا مراكز تجارة التوابل وامتدت اطماعهم الى الخليج العربي وسواحل بلاد العرب الجنوبية وتطاولوا الى اقتحام البحر الاحمر وتهديد ثغر عدن والتشوف الى الشمال بتهديد ميناء جدة ، حتى اذا ازاحـوا النفوذ الاسلامي من هذا البحر امكنهم أن يعبثوا بمقدسات الاسلام وتراثه الغالي في مهبط الوحي .

وهذه فترة اذن حافلة بالاحداث الجسام التي وقعت فيها وهي أشـد ماتكون غموضا رغم أهميتها . وهي في حاجـة الى مزيد مـن البحث اعتماد على الدفين من مصادر تاريخ اليمن في هذه الفترة التي لازالـت مخطوطة لم تنشر .

لهذا آثرت أن اختار قطاعا واحدا أو جانبا واحدا من هذه الاحداث العاصفة وهو التهديد البرتغالي لبلاد العرب فأعرض له عـرضا سـريعا منبها الاذهان الى ضرورة دراسته من جديد دراسة واعية متأنية في ضوء المصادر العربية المخطوطة ، ومشيرا الى مصادر الدراسة هذه واهميتهـا والمعلومات الجديدة التي يمكن أن نستنبطها رغم أن تلميذي الدكتـور محمد عبدالعال أحمد علي والدكتور عبدالعظيم حامـد خطاب قـد مسا الموضوع مسا رفيقا ، لان الاول في الرسالة التي حصل بها على درجـة

الدكتوراه في الاداب عام ١٩٧٦ تعرض لتاريخ اليمن في العهدين الرسولي والطاهري ، في حين حصل الثاني على الدكتوراه عام ١٩٧٥ ، وفصل القول من عصر قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام •

عرض سريع لمراحل التهديد البرتغالي اعتمادا على أوثق المصادر العربية :

استئثار البندقية بتجارة البحر الابيض ومصر والشرق الادنى بالاتفاق مع النظام المملوكي في مصر دفع جنوه الى أن تلتمس طريقا آخر مهما كلفها من ثمن خصوصا بعد أن ثارت الحرب بينهما وطردت جنوه من ساحل سوريا واستمر الصراع بينهما في القرن الرابع عشر حتى عقد صلح تورينو عام ١٣٨١ •

فكانت جنوه أولى من حاول الطواف حول ساحل افريقية في سنة ١٢٩١ ، أبحر اوجولينو دي فيفالدو • ugolino di vivaldo من أهل جنوه بسفينتين ، غير انهما غرقتا قبالة الساحل الافريقي ، وقد واصل أهل جنوه جهدهم في اكتشاف بعض اجزاء الساحل الغربي لافريقية في مواجه جزر كناريا •

لكنه في نهاية القرن الخامس عشر فقدت جنوه سيادتها بعد أن أستولى عليها شارل الثامن ملك فرنسا في سنة ١٤٩٤ •

وقد تبنت البرتغال نفس الفكرة التي راودت احلام الصليبين طوال العصور الوسطى وأحلام أهل جنوه وهي اعداد أسطول مسيحي في المحيط لوقف التجارة مع مصر عن طريق عدن •

وقد حدث ذلك في عهد هنري الملاح (١٣٩٩ - ١٤٦٠ م) وقد

بارك البابوات هذا الاتجاه ، فجعل البابا مارتن الثاني (١٤١٧ - ١٤٣١) البلاد المكتشفة منحة دائمة للتاج البرتغالي ، وغفر خطايا من يستشهد خلال هذه الرحلات • كما أرسل البابا نيقولا الخامس (١٤٤٧ - ١٤٥٥) رسالة الى هنري الملاح يحثه فيها على الاتصال بالمماليك المسيحية في الشرق لمحاربة المسلمين •

ثم تمكنت البرتغال في عهد ملكها خوان الاول من الاستيلاء على ميناء سبته في سنة ٨١٨ هـ/١٤١٥ وأقطعها لابنه الامير هنرى الملاح •

وقد استخدم البرتغاليون كل ميراث العرب من العلم من معرفة بالمرشدات الملاحية والخرائط البحرية بفضل ما كان لهم من نشاط ملاحي في المحيط الهندي وجزر الملايو وبحار الصين ، فضلا عن البوصلة والاسطرلاب ، وافادوا من كتابات الادريسي وابن بطوطه وغيرهم •

وسعيا وراء الحصول على الخبرة العربية بأي ثمن استخدموا التجار اليهود الذين لجأوا الى البرتغال وكانوا على معرفة باللغة العربية ، وتظاهروا بالاسلام وتوافدوا على مصر وكان على رأسهم الفونسو دي بايفا : Al Fonso Paiva وبيرو دي كوفيلهام Pero de Covilham وقد أبحروا من السويس الى عدن ثم الهند ثم اتجهوا مرة أخرى الى هرمز وزيلع ، وقد حصلوا على خرائط عربية عن المحيط الهندي والتيارات البحرية والرياح الموسمية ، ثم وضعوا ذلك كله في يد البرتغاليين المتشوفين الى الشرق

وقد سلك البرتغاليون مراحل عدة تحقيقا لاهدافهم نوجزها فيما يلي : تمكن بارتلميو دياز من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٨٧/٨٩٢ ، لكنه قطع الرحلة بسبب تمرد البحارة • وفي هذه الفترة استفاد البرتغاليون من الملاحين العرب وما لديهم من معرفة بالمحيط

الهندي ، خصوصا الملاح العربي احمد بن ماجد الشبلي (السنلہ الباهر ٨ر٧) • ويصف الهزوالي في كتابه البرق اليماني الدوران حـــول افريقية بقوله « ان وصولهم اليها بعد عدة محاولات كان المفشل فيها من نصيبهم ، غير أنهم استعانوا ببحار عربي يقال له أحمد بن ماجد أرشدهم الى الطريق الصحيح للهند ، بأن أمير البحر البرتغالي أسكره ثم سأله عن طريق البحر فقال لهم لاتقربوا الساحل وأوغلوا في البحر فان الامواج لاتأتي لكم •• »

ثم تمكن فاسكو دي جاما في سنة ٩٠٣/١٤٩٧ في عهد ملك البرتغال دوم مانويل (٩٠١/٩٢٨ ١٤٩٥/١٥٢١) من الوصول الى موزمبيـق ثم ابحر الى ممباسا ومالندي ثم اتجه شرقا مع الرياح الموسمية فوصـل بعد ثلاثة وعشرين يوما الى قاليقوط • ثم كانت حملة بـــدرو الفاريز كابرال الذي أفلح في اقامة مركز برتغالي في قاليقوط ٩٠٧/١٥٠١ •

التهديد البرتغالي لبلاد العرب :

وضح هذا التهديد سافرا عندما جاء كابرال الى أمير قليقوت برسالة يحرم فيها على العرب الاقامة داخل حدود مملكته ، ويعرض عليه شـراء مايبيعه للعرب بثمن أفضل (زين الدين : تحفة المجاهدين فـــي بعض احوال البرتغاليين ـ لشبونه ١٨٩٨ ص٣٧) •

ثم أسفر البرتغاليون عن وجههم تماما في عام ٩٠٧/١٥٠١ حـين أغرق الاسطول البرتغالي في ميناء قاليقوت سفن التجار المصريين ومنهـا سفينة تابعة للسلطان الغوري كانت على وشك الابحار الى جـده وكانت محملة بالتوابل وترتب على ذلك قلة البضائع الهندية الواصلة الى مصـر والشام ، حتى أن سفن البندقية لم تستطـع أن تحمل فـي العـام التالي ٩٠٨/١٥٠٢ من موانيء مصر والشام سوى نصف القدر الذي تعـودت أن تحمله من قبل •

ثم غدت الاطماع البرتغالية أشد ضراوة عندما ولى فاسكو دي جاما نائبا للملك وحاكما لكلوه في شرق افريقيا ، فقد بدأت المواجهة الصريحة بين البرتغاليين على سواحل الهند • وكان عليه امتثالا لامر حكومته أن يغلق البحر الاحمر والخليج العربي لمنع وصول تجارة الشرق الى مصر وضمان الا تصل السفن المصرية الى الهند حتى تتمكن البحرية البرتغالية من احكام قبضتها على تجارة الهند •

وفي سنة ٩٣٠/٤٩٠م١٣٥ تعرض أسطول المماليك لهزيمة قاسية وأعقب ذلك مهاجمة جاما هرمز واستيلائه على سبع سفن عربية وقتل من بها وترك بعض سفنه بالقرب من باب المندب لاغلاق البحر الاحمر ، ومنع وصول السفن اليه أو خروجها منه كما ترك بعض السفن أيضا عند جزر كوريا وموريا للقيام باعمال القرصنة ثم مضى التخطيط البرتغالي الى خطوات أبعد عندها تولى فرانسيسكو دا الميدا منصب نائب الملك في الهند سنة ١٥٠٥/٩١١ وصدرت له الاوامر بأن يتم استكشاف الساحل الهندي وأن يوطد الادارة البرتغالية في كلوه وأن يحكم السيطرة على المحيط وأن يحول دون تسرب تجارة التوابل الى البحر الاحمر • وقد أبحر من البرتغال في ٢٣ مارس ١٥٠٥ على رأس اسطول عظيم واصطحب معه عددا من الجنويين والبنادقة والالمان وكان ماجلان بين ضباطه •

وفي طريقه الى الهند عمل على تدعيم القواعد البرتغالية في شرق افريقية فأنشأ في اغسطس ١٥٠٥ قلعتين في ممباسا وحرص ملك البرتغال على شد أزر دا الميدا فعززه بحملة بحرية أخرى أبحرت من البرتغال في ابريل ١٥٠٦ ومن ثم أخذ دا الميدا يقطع الطريق على السفن العربية ، وأجبر السفن التي تعبر المحيط الهندي على ضرورة الحصول على تصريح بالمرور في هذه المياه وفرضوا الرسوم العالية وصادروا كل سفينة لا تحمل

هذا التصريح وبذلك تمت السيادة البرتغالية في المحيط الهندي وأضحت التجارة الهندية موردا رئيسيا للدولة ، كما أمرت الحكومة البرتغالية بوضع جزء من دخول أية سفينة آتية من الهند الى مياه هذا البحر وتعقب البرتغاليون السفن العربية فأسروا وأحرقوا وأغرقوا كما نهبوا بضاعتها وقتلوا ملاحيها فلم يجرؤ المسلمون على الظهور أمام الساحل الهندي .

ولم يقتصروا على احتكار التجارة انما عملوا على غزو المسلمين في أعالي البحار ودخلت سفنهم الى البحر الاحمر والخليج العربي دون انتظار للرياح الموسمية لان السفن البرتغالية كانت أكثر استعدادا لعبور المحيط والتوغل في المياه البعيدة .

بل اضطر تجار عدن الى شراء ما يلزمهم من متاجر شرقية منهم ، وباتت الامور وكأنما قد استقرت لهم في شواطيء الهند وعلى المداخل العربية (زين الدين : تحفة المجاهدين ص ٤٠) .

وقد استولى داكونها سنة ١٥٠٦ على جزيرة سوقطرة الواقعة الى الجنوب الشرقي من عدن والتي تتحكم في الطريق البحري المؤدي الى البحر الاحمر ، واتخذت الجزيرة قاعدة لشن الغارات البحرية على سواحل حضرموت وعمان وهرمز .

محاولة البوكيرك الاستلاء على عدن والسيطرة على البحر الاحمر :

ثم وقع النزاع بين السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري وبين القوى البحرية المصرية التي أرست في جزيرة كمران ، وما أعقب ذلك من تدخل الحملة المصرية في شئون اليمن وانصرافها عن المضي في تحقيق ما بذلته مصر من جهود لحماية الهند والبحار العربية من التدخل البرتغالي ، وما انتهى اليه أمر مهاجمة مدينة زبيد والاستيلاء عليها ونهبها واستيلائها على المدن الساحلية ، وأمتلأت بلاد اليمن بالفتن والمذابح (الديبع : بقية المستفيد ورقة ٥٥ أ - ٥٥ ب) .

وكان البرتغاليون يرقبون باهتمام هذا الصراع بين القوى الاسلامية، فلما رفع الحصار المصري عن عدن وعاد الاسطول المصري الى جده قام البرتغاليون في سنة ٩٢٣/١٥٠٧ بمظاهرة بحرية فحشدوا ستة وثلاثين مركبا بقيادة الادميرال لوبو سواريز دي البرجاريا Lopo Soures de albergoria وبعثوا بها الى عدن فلما وصلت عدن أعلن البرتغاليون مساعدتهم لشعب عدن ضد المصريين ، بل أقدم الامير مرجان الظافري على الاحتفاء بمقدم العدو وأجابهم الى ما طلبوه من ربابنه عرب للمشاركة في غزو جده لكنهم وجدوا الاسطول المصري في الميناء، فعادوا من حيث أتوا على أن البرتغاليين خشية رد الفعل المصري لم يحققوا اهدافهم العدوانية وأخلت حملة سواريز جزيرة كمران بعد أن خربت ميناء زيلع •

رد الفعل المصري في مواجهة الخطر البرتغالي

وحماية البحر الاحمر والذود عن المقدسات الاسلامية

أدرك جميع الذين تعرضوا لهذا العدوان مكانة مصر التي صدت العدوان الصليبي وسيطر اسطولها على البحر الاحمر كله شرقه وغربه من ميناء جده الى عدن بل حتى باضع وزيلع وسواكن ، فقد كان العثمانيون في مرحلة الاتجاه الى الشرق وكانت الدولة الصفويه مشغولة بنزاعها العقيدي ولم تكن تملك اسطولا في الخليج يدفع القوى الاجنبية•

ومنذ أن فطن أمير قاليوت الى اطماع كابرال اتجه الى السلطان الغورى طلبا للمساعدة ، وقد أشار ابن اياس والنهراولى الى ما قام به ملوك الهند من ارسال الرسل الى السلطان الغورى لاغاثة المسلمين من عبث البرتغاليين ونهبهم اموال الناس (ابن اياس حـ ١٩٨/٤) ، اذ بالغوا في ايذاء المسلمين والاستهزاء بهم ، ويشير زين الدين في تحفة المجاهدين الى أن البرتغاليين امتهنوا المصاحف وداسوها باقدامهم واحرقوها وحاولوا

تنصير بعض المسلمين ، واغرائهم بالمال والنساء وقتلوا الحجاج ، أو باعوهم عبيدا نساء واطفالا ولم يأنفوا من قتل العلماء .

وتوالت كتب ملوك الهند في ربيع الاول ٩١٦/١٥١٠ ، كما وصلت كتب من السلطان عامر بن عبدالوهاب صاحب اليمن يطلب امداده بالالآت والمدافع للوقوف في وجه البرتغاليين ، وقد أرسل الغوري الطواشي بشير (ابن اياس ج ٤/١٨٢) الى سلاطين الهنـــد وملوكهـــا في كجرات وقاليقوت لتجميع القوى .

ولم يكن اهتمام المماليك بهذا العدوان الخطير تحدوه نزعة اسلامية فحسب أو مجرد رغبة في الجهاد انما دفاعا عن تجارة الهند الدافقة الـــى البحر الاحمر ، وما كانت تحصل عليه الدولة المملوكة من أرباح طائلـة من تجارة التوابل ، وقد فرض السلاطين في الدولة المملوكيـــة الظرائب على التجارة الآسيوية المارة في اراضي الدولة ، بل فرضوا نظاما احتكاريا قاسيا حتى أصبحت التوابل تباع للتجار الاوربيين في الاسكندرية ودمياط بسعر يفوق أربعين مرة ثمنها المستورد .

ووضح الخطر في عام ٩٠٧/١٥٠١ ، حين أغرق الاسطول البرتغالي بعض سفن التجار المصريين ومن بينها سفينة تابعـة للسلطان الغوري كانت على وشك الابحار لجده وكانت محملة بالبهار ، ثم تمادى العدوان البرتغالي الى أن بلغ ما ذكرناه من اغلاق البحر الاحمر في وجه تجار الهند بـــل تهديد بلاد العرب نفسها (زين الدين : تحفة المجاهدين ص٤) .

مظاهر الاستعداد المملوكي لخوض المعركة :

حرص المماليك على صد أي عدوان قد يتعرض له ميناء جده فقرروا بناء استحكامات عسكرية في المدينة لحمايتها من الهجوم ، ووضعت قوات مملوكية في ميناء ينبع حتى لا تدهمه قوات معادية .

وقد اجتهد الامير المملوكي في تحصين المدينة فهدم كثيرا من بيوت الناس ، مما يقارب موضع السور لوضع الاساس ، واستخدم عامة الناس في البناء ليتم انجازه بسرعة وضيق على البنائين ، والحجارين وتم بناء السور والابراج في أقل من عام • وكان لهذا السور الحصين بوابتان في الجهة الشرقية وله ستة ابراج وتم ذلك في ذي الحجة سنة ١٥٠٧/٩١٢ (انظر الوصف في مجلة .B.S.O A.S مجلد ٢١ ج ٢ صفحات ٢٥٥ - ٢٧٦ - مخطوط حسن القرى في اودية أم القرى الورقة ٩ أ،٩ب)•

وبذل السلطان الغوري جهدا كبيرا في الحصول على الاخشاب اللازمة والخبرة الفنية الكافية في شئون الملاحة ، وحصل من البندقية على كميات من الاخشاب ، وقامت ترسانة السويس والروضة وبولاق والجزيرة الوسطى باعداد السفن •

ولما تم اعداد الاسطول عين السلطان الغوري الامير حسين الكردي قائدا للحملة وخرجت تلك الحملة في سنة ١٥٠٥/٩١١ واشترك فيها عدد كبير من المماليك السلطانية وعدد من أولاد الناس (ابناء المماليك) الذين يجيدون استخدام الاسلحة النارية كما انضم الى هذه الحملة عدد من المغاربة الذين لهم خبرة في القتال البحري واستخدام المدافع •

واتجهت هذه الحملة المكونة من خمسين سفينة الى ميناء جده (ابن اياس : بدائع الزهور جـ٤ ص٩٦ - النهروالي ، البرق اليماني ص١٠ - يحيى بن الحسين : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ج ٢ ص٦٣١ ، مرعي حماد : نزهة الناظرين ص ١٦١) ولم يبحر الامير حسن الكردي من جده الا بعد استعداداته العسكرية وقد استعان بالاموال التي تم تحصيلها من جده من رسوم تجارية لتقوية الحملة وامدادها بالاموال اللازمة •

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٥٠٧/٩١٢ ، أقلع الاسطول المملوكي

متجها الى عدن فوصلها في ١٥٠٧/٩١٣ (يحيى بن الحسين : ابناء الزمن ص ١٣ الديبع ، بغية المستفلد ٤٣ب ، تاريخ ثغر عدن جـ١ ص١٥) •
ثم خرجت الحملة في يناير سنة ١٥٠٨ الى الهند وأرسى الاسطول عند ساحل كوجرات واتحدت أساطيل المسلمين برعاية الامير حسن الكردي ، وباغت الاسطول البرتغالي الى قرب شول ، وقد أفاض مؤرخو اليمن في تفاصيل الحملة المصرية ، ودارت معركة شول في ربيع الثاني ٩١٤/ يوليو ١٥٠٩ ودمر الاسطول البرتغالي وكان يقوده لورنزودا الميدا ، وانتصر الاسطول المتحالف نصرا بينا ، ويفيض ابن اياس في وصف الغنائم الكبيرة التي حصل عليها المسلمون نتيجة انتصارهم في معركة ديو ١٥٠٩/٩١٤ ، ويفيض زين الدين في تحفة المجاهدين (ص٤١) في تفاصيل هذه المعركة ويذكر ان الاسطول البرتغالي قام بمفاجأة الاسطول المصري من الخلف وحدثت معركة بحرية انتصر فيها البرتغاليون وقتلوا الكثيرين من بحارة حسن الكردي •

ويشم زين الدين (تحفة المجاهدين ص ٤١) ، رائحة الخيانة التي أدت الى هذا المصير اذ تم اتصال سري بين البرتغاليين وبين مالك اياس نائب ديو بدليل أن البرتغاليين لم يعرضوا لسفنه بسوء بل ركزوا الهجوم على السفن المصرية ، ومما يؤكد خيانة مالك اياس حاكم ديو انه سلم للبرتغاليين كل الذين كان الامير حسن الكردي قد قبض عليهم وحبسهم من البرتغاليين ، كما أرسل للاسطول البرتغالي المؤن والذخائر حتى لقد هرب أمير البحر المصري من ديو لاجئا لدى سلطان كجرات خشية أن يسلمه أمير ديو للبرتغاليين • وقد أصابت هذه الهزيمة المقاومة المملوكية والاسلامية في الصميم واستشرى الخطر البرتغالي بعد نصرهم في ديو على النحو الذي بيناه •

لكن هذه الهزيمة لم تثن عزيمة الغوري عن اعادة الكرة مرة أخرى

وشرع في انشاء اسطول جديد مزود بالوسائل التي تمكنـــه من الابحار لمسافات بعيده .

وأشار ابن اياس (بدائع الزهور جـ٤/٢١٢) الى ما قام به السلطان الغوري من استعراض ما تم تجهيزه من سفن في صفر ٩١٧/ ابريل ١٥١١، كما بالغ المماليك في تحصين جده اكثر من ذي قبل فتم بناء البرج السابع من ابراج تحصينات السور الواقع في جهة البحر ، بل رحل الامير حسن الى الهند يستنصر ملوكها للقيام بجهد مشترك لايقاف العدو عند حده .

بل استنجد الغوري بالسلطان بايزيد العثماني وناشده المعاونة فـــي اعداد ما تحتاجه مصر من سفن ، وفي شوال سنة ١٥١١/٩١٦ وصلت عدة سفن عثمانية تحمل الاخشاب والحديد والبارود والبنادق والمكاحـــل والمجاديف والسهام والحبال والمراسي (ابن اياس جـ ٢٠١/٤) .

وخرجت الحملة متتابعة الى قاعدة جده ١٥١٥/٩٢١ ، وتجمعت القوة البحرية كلها في جده وظلت بها طوال شهر رمضان ، ثم أبحرت بعد عيد الفطـــر في ١١ شـوال ٩٢١ / ١٨ نوفمبـر ١٥١٥، بقيادة الامير حسن الكردي يساعده الامير سليمان العثماني الى عـــدن وبلغت جزيرة كمران في ١٧ ذي القعدة من نفس السنة .

وكانت الظروف كلها مهيأة لان تجد الحملة كافة التسهيلات فـــي كل الموانىء الاسلامية التي تمر بها .

لكن الحملة انصرفت عن غرضها الاساسي وانتهى الامر الى صراع مرير بين الجراكسه وبين السلطان اليمني عامر بن عبـــدالوهاب ، وكان ذلك وصمة عار في تاريخ ذلك الصراع التاريخي العنيف ، والتساؤل الذي يحتاج الى اجابة مقنعـــة بل الى اعادة بحث واستقصاء هـــو كل كانت

هذه الكارثة بسبب سوء تصرف قامت به القوات البحرية المصرية في جزيرة كمران وكان الغوري قد أوصى بضرورة ملاطفة أهل اليمن والتودد لهم أم بسبب سوء ظن أو سوء تصرف من جانب المسئولين في اليمن • هل ثمة خيانة أو تآمر ؟

ويبدو مما كتبه يحيى بن الحسين (ابناء ابناء الزمان ص ١١٢ ، والديبع : بغية المستفيد ٤٣ب ، وقرة العيون ص١٤٨ • وبامخرمه : تاريخ ثغر عدن ج١ / ١١٧) ان تعليمات السلطان الغوري الى قواد البحرية كانت تقضي بالمحافظة على مشاعر الناس والاستئذان عند الدخول الى الموانىء وشراء ما يلزم من الطعام والمؤن •

على كل حال استنادا الى أوثق المصادر يمكن أن نبرز الاتجاهات الآتية :

١ ـ أن خلافا قد وقع بين الامير حسن الكردي والريس سلمان العثماني ، وقد أدى هذا الى انقسام في الاسطول فتوجه سلمان الى زيلع ومنها الى جده في حين عاد الكردي الى جده مارا بالموانىء اليمنية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الاحمر (بامخرمه : قلادة النحر ج٣/١٢٠٢)•

وعلى هذا النحو لم يمكن الاسطول المصري مواصلة التقدم الى الهند لتنفيذ المهمة الاساسية التي خصص لها •

ووضح هذا الموقف الخياني للريس سلمان العثماني عندما استولى العثمانيون على مصر وقضوا على دولة الجراكسه ، فانفرد سلمان بقيادة الاسطول المرابط في جده بعد أن نفذ أوامر السلطان سليم بالقبض على الامير حسن الكردي واغراقه في البحر الاحمر امام جده (النهوالي الاعلام ص١٢٨ ـ البرق اليماني ص ٢٦ ـ ٢٧ ـ الطبري اتحاف فضلاء الزمان ص٥٨ ب ، ٥٩ (أ)) •

٢ ـ الموقف الخياني للسلطان اليمني في عدن وزبيد ، فقد امتنع السلطان عامر الثاني عن الوفاء بعهده للغوري بتقديم المساعدات الى الاسطول ورفض أن يتخذ الاسطول المصري قواعد له في اليمن ، واحتجازه السفن الواردة بالمؤن ومنعها من الوصول الى الاسطول المصري في كمران •

وهذا الموقف دفع قادة الاسطول الى تحقيق ما يريدون عن طريق القوة • وأدى ذلك الى توجيه جزء من القوات المعدة أساسا لمحاربة البرتغاليين للقيام بالسيطرة على بعض الموانىء اليمنية ، ثم تطورت الامور الى غزو لليمن لضرب الطاهريين الذين تسببوا في عرقلة الاسطول المصري عن مواصلة القيام بمهمته الاولى •

ولا يخفى أن عدن بموقعها الاستراتيجي نقطة ارتكاز لتأمين الاسطول المصري في المحيط الهندي ولم يكن في امكان قادة الاسطول التوجه الى الهند دون السيطرة عليها •

٣ ـ الاتصال بالبرتغاليين والتواطوء معهم اما خوفا أو خيانة خصوصا تلك الاتصالات المشبوهة بين الامير مرجان حاكم عدن ، وسواريز قائد الاسطول البرتغالي الامر الذي دفع الاسطول الى الوصول الى سوقطرة عام ١٥١٧ وبدأت المحادثات مع الامير مرجان الذي رحب بالبرتغاليين ، وقدم لهم الضيافة العظيمة ، وطلبوا ربابنه يسيرون بهم الى جده فأجابهم الى طلبهم بل لم يتردد في تلبية جميع مطالبهم حتى لقد عرض عليهم مفتاح المدينة •

وقد غادر سواريز عدن وعبر بأسطوله في ١٧ مارس سنة ١٥١٧ ، ووصل الى مشارف جده مع حلول فصل الربيع حين تهب الرياح الشمالية ولم يستطيع الوصول بسبب شدة الرياح وفشل البرتغاليون للمرة الثانية في دخول جده •

ومن الجدير بالذكر أن هذه الحملة البرتغالية أقلعت الى جده في وقت يدعو للريبة • بل وفقا لتخطيط قد يكون مديرا لاستغلال ظروف مواتيه ، فقد كان العثمانيون قد استولوا على مصر وقضوا على دولة الجراكسه لولا أن الاسطول المصري كان رابضا في جده بقيادة الريس سلمان العثماني وكان الجراكسه قد أتموا استحكامات المدينة لتحقق للعدو ما أراد •

انظر : يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٦٥٨ •

زباره : ائمة اليمن جـ١ ص٣٩١ •

الهزوالي : الاعلام ص ١٢٨ •

الطبري : اتحاف فضلاء الزمن ص ٥٨ ب ٩١ • أ •

بامخرمه : قلادة النحر جـ٣ ص ١٢٠ •

هكذا أسدل الستار على الحقبة التي أشرت اليها باختفاء الجراكسة واستيلاء العثمانيين على مصر ، ثم اليمن ، وتفتت القوى المسيطرة على اليمن وتناحرها ، واخفاق مشروعات البرتغاليين في البحر الاحمر وتغير موازن القوى في اوروبا بعد فتوحات العثمانيين وانتصارهم على الصفويين واعادة فتح الطريق الدولي المفضي الى الشرق الاقصى واتجاه الاسباب الى العالم الجديد واستهلال العصر الحديث في اوربا •

الولايات المتحدة الامريكية وسلطنـة مسقط وعمان أثناء الحرب العالمية الثانية

« دراسة للمفاوضات بين الطرفين حول استخـدام الولايات المتحـدة لتسهيلات جوية في أراضي سلطنة مسقط وعمان »

دكتـور
رأفت غنيمي الشيخ
استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
جامعتي عين شمس وقطـر

كانت الولايات المتحدة الامريكية منذ فجر استقلالها الذي أعلـن في الرابع من شهر يوليو عام ١٧٧٦م ، راغبة في ابرام معاهدة وديـة وتجارية مع دول أوربا وفي فتح التجارة الموصدة في وجهها ، وازالـة جميع العقبات والقيود المعرقلة لنشر تجارتها ، فصدر قرار الكونجرس الامريكي في الثالث والعشرين من شهر مايو ١٧٨٣ م بناء على توصيـة جون آدمز John Adams مبعوث السلم الامريكي ، بعقدمعاهدات تجارية مع دول أوربا البحرية وشمال افريقيا (١) .

وحقيقة ان مثل هذه المعاهدات لم تشمل آنذاك أقطار الشرق العربي عامة وأقطار الخليج العربي بصفة خاصة ، فانها على أية حال تمثل بداية لنشاط الولايات المتحدة الامريكية ـ بعد استقلالها ـ مع اقطار العالـم العربي ، في الوقت الذي كانت فيه هذه الاقطار تخضع للدولة العثمانية ، وان كانت السيادة العثمانية على كثير من هذه الاقطار العربية اسميـة حيث بدت السلطة العثمانية ضعيفة أمام العصبيات المحلية .

ويجب ان يكون واضحا ان الاهتمام الامريكي بالاقطار العربية عامة واقطار الخليج العربي خاصة جاء متأخرا عن اهتمامات الدول الاوربية الاخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وانجلترا ، حتى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، ولانها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بسياسة مؤسسها جورج واشنطن George Washington الداعية الى العزلة Non entanglement وهي السياسة التي سارت عليها الولايات المتحدة لمدة تزيد على قرن من الزمان (٢) •

ونتيجة لذلك جاء الاهتمام الامريكي بالمنطقة على استحياء ، ويتمشى مع امكانيات الدولة الجديدة ، ومع رغبتها في التفرغ للبناء الداخلي دون تدخل من الغير ودون أن تنغمس في مشكلات الاخرين ، كما أشار الى ذلك الرئيس منرو Monroe في تصريحه الشهير عام ١٨٢٣ م ومن ثم كان الاهتمام الامريكي بالمنطقة متواضعا بالنسبة لنشاط الدولة الاوربية المشار اليها سابقا •

وانطلاقا من خضوع أقطار الوطن العربي للسيادة العثمانية كانت اتصالات الولايات المتحدة الامريكية مع تلك الاقطار تتم عن طريق الآستانة حتى عام ١٩١٨ م ، وعن طريق لندن وباريس بعد عام ١٩١٩ م الى أن استقلت الاقطار العربية ، في الوقت الذي كانت فيه كل من طهران والرياض عواصم لدول ذات استقلال سياسي (٣) وتتم معها الاتصالات الامريكية بصورة مباشرة •

ومن الطبيعي ان تكون أقطار العالم العربي مجهولة للامريكيين فيما عدا ما قرأوه في الكتب مثل « ألف ليلة وليلة » وتاريخ فراعنة وادي النيل، كما أن سكان تلك الاقطار كانوا يجهلون كل شيء عن الامريكيين ، ولذلك جاء الاهتمام الامريكي لاقامة جسر من التعارف المتبادل بين الطرفين •

ومن الامور الجديرة بالملاحظة أن علاقات الولايات المتحدة الدبلوماسية بأقطار الشرق الاوسط بدأت مع ايران وتركيا قبل ان تبدأ مع الاقطار العربية وما يذكر في هذا المجال أن أول وزير - دبلوماسي - أمريكي يصل الى طهران لتمثيل الولايات المتحدة الامريكية في بلاط الشاه في المدة من **١٨٨٣** الى **١٨٨٥**م وجد كثيرا من المسئولين الايرانيين لم يسمعوا من قبل بالولايات المتحدة قبل انشاء المفوضية الامريكية في ايران ، بل ان الشاه نفسه سأل عن كيفية السفر الى أمريكا (٤) وقد تطور الاهتمام الامريكي بالاقطار الخليجية طوال القرنين التاسع عشر والعشرين من النشاط التجاري فالنشاط التبشيري فالاستثمار في مجال النفط ثم الاهتمام بالجوانب الاستراتيجية وكان أبرز نشاط تجاري للولايات المتحدة في النصف الاول من القرن التاسع عشر تلك الاتفاقية التجارية التي عقدتها مع السلطان سعيد سلطان مسقط وعمان وزنزبار بشرق أفريقيا ومع ذلك فان هذا الاهتمام الامريكي المبكر لم يتخذ لا في الخليج العربي ولا في شرق أفريقيا خطوات عملية أخرى (٥) أكثر من النشاط التجاري المحدود باعتبار هذه الجهات بعيدة جدا عن واشنطن مما يؤثر على فعالية هذا النشاط (٦) واستمراره وتطوره •

وكان انشاء الارسالية العربية في البحرين أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر وجها اخر للنشاط الامريكي في الخليج ، فلقد بدأت هذه الارسالية - والتي تتبع مذهب الاصلاح الديني الهولندي Dutch Reformed Church بمركز في البحرين يشرف عليه مبشرون أمريكيون ثم صارت لها مراكز في كل من البصرة بالعراق ، والكويت ، ومسقط • واتخذت من وسائل التأثير كتقديم الخدمات التعليمية والطبية ، وبيع الكتاب المقدس وغيره من المطبوعات المسيحية باللغتين العربية والفارسية ركائز لنشاطها •

حتى اذا ظهر النفط في منطقة الخليج استحوذ على الاهتمام الاكبر للولايات المتحدة التي أرادت فتح المنطقة دون قيود أمام الاستثمارات الامريكية في هذا المجال الحيوي • وعندما قامت الحرب العالمية الثانية اتجهت الولايات المتحدة الى التفاوض مع المملكة العربية السعودية للحصول على تسهيلات جوية في منطقة الظهران ، ثم مع سلطنة مسقط وعمان للحصول على تسهيلات جوية في أراضي السلطنة •

بداية العلاقة
بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان

بدأت العلاقات الرسمية بين الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة مسقط وعمان في عهد السيد سعيد بعقد اتفاقية للصداقة والتجارة وقعها عن الولايات المتحدة الكابتن ادموند روبرتس Edmond Robertes مع السيد سعيد سلطان مسقط وعمان في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م ، وكانت أول معاهدة عقدها حاكم عمان مع دولة كبرى مباشرة ، وكانت تلك المعاهدة هي المثل الذي احتذى في معاهدتي عمان مع بريطانيا في سنة ١٨٣٩م وفرنسا في سنة ١٨٤٤م (٧) • وظلت سارية والمفعول حتى سنة ١٩٥٨م حين أبطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين (٨) •

وقد أعطت هذه المعاهدة للامريكيين في ممتلكات السلطان العربية ، مسقط والافريقية ــ زنزبار ــ امتيازات لا يتمتع بها غيرهم باستثناء البريطانيين ، فصار التجار الامريكيون الذين يزورون موانيء السلطنة لا يدفعون أكثر من ٥٪ رسوما على البضائع التي يجلبونها الى تلك الموانيء ، وان يعفوا من أية ضرائب أخرى على الصادرات أو الواردات ومن

رسوم الارشاد الملاحي أيضا . ومنح القنصل الامريكي حق الفصل في القضايا بين رعايا دولته .

وقد كان وقع هذه المعاهدة في الولايات المتحدة طيبا وتمت مصادقة كل من الرئيس الامريكي اندرو جاكسون Andrew Jaokson ومجلس الشيوخ دون ابطاء لانها لم تحمل الولايات المتحدة أية التزامات نحو سلطنة مسقط وعمان كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة احدى القوى الاسيوية التي تفخر بامتلاكها أسطولا أكبر من الاسطول الامريكي اذ كان مؤلفا مما لايقل عن ٧٥ سفينة كل منها مزودة بعدد من المدافع يتراوح مابين ٤ الى ٥٦ مدفعا ، كما لاحظ روبرتس أيضا أن السفن العمانية التجارية كانت تصل حتى الهند وسيلان وجاوه(٩) .

وعلى الجانب الاخر فان السلطان سعيد شعر بأهميته أكثر وبقدرته على الدخول في اتفاقية مع دولة كبرى ، مما جعله يميل الى كسب المزيد من رضا الامريكيين بمنحهم امتيازات تجارية خاصة في شرق أفريقيا على أن يقفوا بجواره ويساعدوه بالسلاح والرجال لاخضاع ذلك الاقليم لسيادته(١٠) . ولم يغضبه عدم تجاوب الامريكيين لمطالبه هذه .

وقد أثارت هذه المعاهدة ثائرة البريطانيين الذين اعتقدوا أن للولايات المتحدة أطماعا في شرق أفريقيا ، ورغم أن الحكومة البريطانية لم تكن مقتنعة بوجود نشاط استعماري أمريكي في أفريقيا ، فان الادميرالية البريطانية أمرت الكابتن هـ . هارت H. Hart قبطان السفينة «أيموجين» التابعة للاسطول الملكي بتقييم طبيعة الاتصال الامريكي في تلك القارة ، وفي فبراير ١٨٣٤ م وصل هارت الى زنزبار ، وفي حين أنه أكد لحكومته تزايد حجم التجارة الامريكية ، فقد كان باستطاعته في نفس الوقت أن يؤكد لها أن الامريكيين لم يكونوا يفكرون باستيطان شرق أفريقيا(١١)

ورغم ذلك التأكيد فقد أظهر هارت للسلطان سعيد عدم قبول النشاط الأمريكي المتزايد في ممتلكات السلطنة • ومن ثم فانه اذا كان سعيد مازال يفكر بكسب المساعدة الامريكية فان وصول السفينة البريطانية «ايموجين» كان بمثابة تحذير له بأن الحكومة البريطانية ستنظر بعداء الى مثل هذه الخطوة ولذلك فان السلطان فاوض الكابتن «هارت» حول معاهدة رسمية مع بريطانيا كانت جوهريا مقتبسة من المعاهدة الامريكية(١٢) •

عملت المعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان على ازدهار التجارة الامريكية في ممتلكات السلطنة الافريقية أكثر من ازدهارها في مقر السلطنة بالخليج العربي ، فتزايد عدد السفن الامريكية التي ترسو في زنزبار والتي تحمل قماشا قطنيا أمريكيا متينا سرعان ماشاع استعماله في شرق أفريقيا والخليج والجزيرة العربية الى جانب بيع البارود وفي المقابل تحمل زنزبار العاج ، وصمغ الكوبال الذي يستخدم في تحضير الطلاء ، والقرنفل وغير ذلك من منتجات تلك المنطقة •

ونتيجة لازدياد النشاط التجاري الامريكي في ممتلكات السلطنة بشرق أفريقيا فقد اختارت الحكومة الامريكية أحد رعاياها ويدعى المستر ويتشارد وترز Richard Waters عام ١٨٣٦م ليكون أول قنصل أمريكي في زنزبار تلاه خمسة قناصل اخرين من «سليم» بولاية مساتشوستس عينوا ـ أيضا ـ في زنزبار التي غادرها آخرهم سنة ١٨٩١م(١٣) •

وأما في مسقط فقد عينت الحكومة الامريكية مواطنا أمريكيا اخر يدعى هنري ب • مارشال Henry B. Marshall قنصلا للولايات المتحدة في عاصمة السلطنة منذ ١٥ فبراير ١٨٣٨م ، وقد تسلم عمله بمسقط منذ منتصف شهر أكتوبر حيث استقبله ابن السلطان بحفاوة نظرا

لوجود السلطان في زنزبار العاصمة الثانية للسلطنة ، ولم يمكث مارشال في مسقط أكثر من تسعة أشهر وانتقل الى بومباي تاركا المواطن العربي سعيد بن خلفان مترجم روبرتس سابقا نائبا للقنصل في مسقط ، الذي ظل يمارس هذا الدور حتى وفاته في يونيو ١٨٤٥ م • وبعدها ألغيت القنصلية من مسقط الى عام ١٨٨٠م حين عين المستر ما جبور Magbour وهو تاجر بريطاني قنصلا للويات المتحدة الامريكية في مسقط ، وفي عام ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلا لها أيضا في عمان(١٤) •

ولقد كانت التجارة الامريكية مع مسقط قاصرة على شراء كميات كبيرة من التمر (البلح) ونقلها الى الولايات المتحدة الامريكية من ميناء مسقط ، وظلت هذه المادة تمثل ركنا أساسيا في التجارة بين الطرفين حتى الحرب العالمية الاولى(١٥) •

ولعل هذا يفسر لنا انشغال السلطان واهتمامه بشرق أفريقيا حيث الامكانيات أكثر ، كما يفسر لنا ازدهار التجارة الامريكية في ممتلكات السلطان بشرق أفريقيا أكثر من ممتلكاته في الخليج العربي •

وقد ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر حين بدأت تظهر علامات فتور بين الطرفين منها رغبة السلطان في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٣٣م والتي تنص على أن من حق التجار الامريكيين دخول كل الموانى الخاضعة للسلطان ورفض حكومة الولايات المتحدة الاستجابة لطلب السلطان ، الى جانب الخلافات حول مدى سلطة المحكمة القنصلية الامريكية ، وامتداد التجارة الامريكية في شرق أفريقيا دون تحديد للمدى الذي تصل اليه ، بالاضافة الى الوضع القضائي للرعايا الامريكيين الذين يقترفون جرائم قتل ضد المواطنين العرب أو يختلفون

١

مع التجار الهنود المعروفين «بالبونايان» والمشمولين بالحماية البريطانية .

ولقد لعب القنصل الامريكي تشارلز وارد Charles Ward الذي تسلم مهام وظيفته في زنزبار بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦م دورا في سوء العلاقة بين السلطان والولايات المتحدة مما أدي الى قطع العلاقة بين البلدين في يوليو ١٨٥٠ م واعتقد وارد أن القنصل البريطاني في زنزبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة والسلطنة وتوقع تفكك السلطنة بعد وفاة سعيد ، كما توقع أن الصراع سيدور بين ولديه وبعد أن ينهك كل منهما الاخر في القتال تتدخل الحكومة البريطانية بحجة حماية المصالح البريطانية أو تحت ستار أية ذريعة أخرى لتضع حدا للنزاع وتفرض حمايتها على البلاد(١٦) .

ولكن الولايات المتحدة أرادت ألا تفقد صداقة السلطان فأرسلت الكومودور أوليك مندوبا يحمل رسالة من الرئيس الامريكي للسلطان وغادر وارد السلطنة الى أمريكا وعندما وصل أوليك الى زنزبار في أول ديسمبر ١٨٥١م عرف من التجار الامريكيين مدى صداقة السلطان وحسن معاملته لهم ، وأنه لم يسىء للعلم الامريكي كما ادعى وارد ، وأنهم يتمتعون بامتيازات في السلطنة تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الاجانب .

وتوالى القناصل الامريكيون في السلطنة واستمرت التجارة الامريكية مزدهرة بالسلطنة لاكثر من نصف قرن تحت حكم السلطان سعيد ،حتى أن هذه التجارة فاقت التجارة البريطانية في ممتلكات السلطان ، وحتى بعد انقسام السلطنة بين ابني السلطان سعيد ماجد في زنزبار وثويني في مسقط وعمان فقد بقيت مسقط وعمان بعيدة عن أي نزاع استعماري لان سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية ، بينما وقعت زنزبار فريسة للاستعماريين

البريطاني والالماني ، ورغم أن العلاقات بين كل من الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة مسقط وعمان خلال الفترة الممتدة من الاتفاقيةالتجارية لعام ١٨٣٣م ، ولمدة مائة عام لم تكن تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أي من الطرفين ، الا ان وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في العلاقات الدولية(١٧) .

وليس أدل على ذلك مما أشار اليه تقرير عن السياسة الامريكية الخارجية عام ١٩٤٦م نحو امارات الخليج العربي وسلطنة مسقط وعمان ، بأنه في الوقت الذي تعترف فيه بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في مشيخات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني ، فان سياستنا نحو هذه المنطقة تعتمد على ان الوضع البريطاني الخاص في هذه الامارات لن يؤدي الى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية او مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة . وأن سياستنا نحو سلطنة مسقط وعمان تستند على واحدة من أقدم معاهداتنا التي مازالت نافذة المفعول وهي معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م(١٨) .

ويضيف التقرير مؤكدا على أهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان مشيرا الى أن الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشار اليها والتي احييت في مارس ١٩٣٤ م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية أمريكية خاصة لمسقط ، وفي عام ١٩٣٦ م استقبل الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور آل بوسعيد سلطان مسقط وعمان كضيفه الخاص (١٩) واختتم التقرير مقارنا بين تلك المعاهدات التي وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من القرن التاسع عشر وبين المعاهدة العمانية البريطانية فالامارات العربية الخليجية تعهدت

لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠م بمساعدة البريطانيين للقضاء على «القرصنة» ووضع حد لدخول السلاح والرقيق الى بلادهم وعن طريق سلسلة من المعاهدات أعطى الشيوخ (حكام الامارات) للبريطانيين حق استغلال أراضيهم مقابل الحماية البريطانية ، وفيما بين عامي ١٩١٣ ، ١٩٢٣ ربط حكام الامارات الخليجية أنفسهم اكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات للبحث عن البترول في اراضيهم لاية دولة أخرى دون موافقة وقبول البريطانيين .

بينما وافق سلطان مسقط وعمان في عام ١٩٢٣م على مجرد استشارة الوكيل السياسي البريطاني وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطنته ، ومن ثم تمتع السلطان بقدر اكبر من حرية الحركة حرم منها غيره من حكام الامارات العربية الخليجية الاخرى الذين تمتعوا بحماية الحكومة البريطانية وان كانت بلادهم ليست محميات بريطانية(٢٠) .

العلاقات أثناء الحرب العالمية الثانية

أولا : مع المملكة العربية السعودية

اتضح لنا أن سلطنة مسقط وعمان كانت تتمتع باستقلال محدود نمتاز به عن غيرها من امارات الخليج العربية ، رغم وجود نفوذ بريطاني في السلطنة ، ومن هنا ففي الوقت الذي دخلت فيه الولايات المتحدةالحرب الى جانب انكلترا وفرنسا ، واحتاجت الى قواعد حربية في الاراضي العربية ساعدت السلطات البريطانية في تقديم هذه التسهيلات للقوات المسلحة الامريكية ، ومن ثم اتجهت انظار المسئولين العسكريين الامريكيين الى اراضي المملكة العربية السعودية وبعض مناطق في سلطنة مسقط وعمان .

وفيما بين شهري مارس وسبتمبر ١٩٤٢م دارت اتصالات بين كل من الولايات المتحدة الامريكية والحكومة البريطانية والمملكة العربية السعودية بقصد الحصول على تسهيلات جوية بعبور الطائرات الامريكية في سماء بعض مناطق المملكة وكان ذلك راجعا الى حاجة الحلفاء لنقل قواتهم العسكرية الى الشرق الاقصى لمتابعة الحرب مع اليابان ، واحتياجاتهم الى قاعدة كبيرة في منتصف الطريق ، والى تسهيلات جوية ومرور الطائرات في اجواء الاقطار الواقعة في طريق الوصول الى الشرق الاقصى ، فوقع اختيار الامريكيين على الظهران قرب آبار النفط السعودية(٢١) .

وقد شارك في هذه الاتصالات كل من المستر ويليس welles القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكية ، والوزير الديبلوماسي الامريكي في القاهرة المستر كيرك Kirk والدبلوماسي الامريكي في المفوضية الامريكي بجدة المستر موس Moose وقد بدأت برسالة المستر ويليس الى المستر كيرك - المسئول عن العلاقات الدبلوماسية مع المملكة العربية السعودية الى جانب مصر رغم وجود وزير مفوض في جده يذكره باهتمام وزارة الحربية الامريكية بانشاء مطار أو أكثر في المملكة العربية السعودية وأن هذا الطلب الامريكي يجيء بعد زيارة المستر كيرك للمملكة العربية السعودية وتسليم الملك عبدالعزيز رسالة ودية من الرئيس روزفلت في فبراير ١٩٤٢ م ، وارسال بعثة زراعية للمملكة ، وانشاء مفوضية أمريكية في جدة في نفس الشهر أيضا .

واضافت رسالة المستر ويليس بأن وزارة الحربية الامريكية ترى أن استخدام المجال الجوي السعودي وأراضي المملكة مناسبة لنزول الطائرات قصيرة المدى بين الخرطوم وكراتشى ، بل وأيضا اكثر أمنا من الطريق عبر القاهرة . وتشعر الوزارة أن أية اتفاقات مع حكومة المملكة العربية

السعودية بخصوص اقامة منشئات عسكريـــــة ، أو اتفاقات دفاعية ، أو انشاءات لقواعد جوية يجب أن تتم بمعاونة المملكـــة المتحدة ، حيث أن المملكة العربية السعودية تقع في منطقة مسئولية الدفاع البريطانية • وعلى هذا فيقترح حث هيئة القيادة الحربية البريطانية لتأخذ على عاتقهـــا القيام باجراءات ضرورية وعملية من اجل انشاء قواعد جوية بالمملكـــة العربية السعودية لصالح الجيش الامريكي ، وأن وزارة الحربية الامريكية لن توصى بتقديم مساعدة للمملكة العربية السعودية بمقتضى قانون الاعارة والتأجير Lend - Lease في شكل مواد حربية ، ولكن ليس لديهـــا مانع من تقديم أية مساعدات مالية كما تقرها وزارة الخارجية وتراهـــا ضرورية ومطلوبة (٢٢) •

ورد المستر كيرك على وزارة الخارجية الاميركية بأن زيارته للمملكة العربية السعودية كانت زيارة تقليدية لتقديم رسالة ودية ، وحيث أنـــه لم تصل من وزارة الحربية تفصيلات محددة عن الاقتراحات الخاصـــة بخطوط الطيران الجوية في سماء السعودية وانشاء قواعد جوية في اراضـــي المملكة ، فأنني تجنبت اثارة هذه الموضوعات اثناء لقائي بالملـك عبدالعزيز وحديثي معه • وانني علمت قبل مغادرتي القاهرة في طريقي الى جدة أن الوزير الدبلوماسي البريطاني بجدة قد تقدم لوزير المالية السعوديـــة ـ عبدالله سليمان ـ بمذكرة حول موضوع خطوط الطيران والقواعـــد الجوية فـــي تلك المنطقة ، وسمعت أيضا أن « كاسوك » CASOC شركة استاندارد كاليفورنيا العربية للبترول
California Arabian Standar Oil Comp
قد بعثت برسالة الى الملك ترجو السماح لشركة طيران PAN'AIR بالتحليق فوق الاراضي السعودية بما يحقق المصالح البترولية للطرفين •

واضاف كيرك في رسالته أنه بينما كان يتحدث مع وزير الماليـــة

السعودي أدهشه وزير المالية حين تطوع من تلقاء نفسه بالقول بأنه ليس لدى المملكة العربية السعودية ما يمنع من تحليق طائرات الولايات المتحدة في سماء المملكة أو حتى انشاء مطارات على الساحل ، وقدم مناطق معينة باعتبارها صالحة لهذا الغرض ، وقد اشار بصفة خاصة الى « البركة » في الجنوب « والضبّة » في الشمال والاولى في طريق الخط المباشر من الخرطوم الى البحرين ، والاخرى تساهم في تقصير الطريق الى العراق وايران والهند (٢٣) ٠

وأجاب وزير الخارجية الامريكية المستر هل Hull على رسالة المستر كيرك بأن وزارة الحربية الامريكية تقترح بذل الجهود الدبلوماسية للحصول على موافقة السعودية على عبور خطوط طيران محدود دون توقف عبر وسط شبه الجزيرة العربية من الخرطوم الى البحرين ، ومن الخرطوم الى البصرة ، وكلا الطريقين لتجنب المناطق المحرمة ، وتشمل الحق في الهبوط الاضطراري ٠ واقترح ايضا مسألة الهبوط بالمطارات لطائرات الاستطلاع قصيرة المدى (٢٤) ٠

وعندما رد كيرك على وزير الخارجية أشار الى رأي المستر موس Moose الوزير المفوض الامريكي بجدة بأن مسألة خطوط الطيران دون توقف أمر ممكن وأما تأمين مطارات للهبوط الاضطراري فأمر مع صعوبته ولكن يمكن تحقيقه ، وان الحكومة البريطانية تقدم للملكة العربية السعودية هذا العام مساعدة قدرها ٣ ملايين جنيه بينما من المفهوم أن كاسوك CASOC لن تتقدم بمساعدات اضافية ومن ثم يجب علينا أن نساهم مع البريطانيين في تقديم المساعدة اللازمة للسعودية ٠

وأضاف كيرك أنه يرى أن يقوم المستر موس حاملا تعليمات باستطلاع الرأي النهائي لحكومة المملكة العربية السعودية فيما يتعلق

بالطرق الجوية المحددة والتسهيلات التي تحتاجها وزارة الحربية ، وان تكون مباحثاته مع عبدالله سليمان وزير المالية ، وانه يجب أن تتناول اتفاقات حول مطارات النزول اكثر من مجرد السماح بالطيران دون توقف في سماء الاراضي السعودية (٢٥) .

وما لبث وزير الخارجية Mull أن أجاب بأن شركة CASOC تقدر مبلغ المساعدة البريطانية للمملكة العربية السعودية هذا العام بما يقرب من أربعة ملايين جنيه استرليني ، وتذكر انها ـ الشركة ـ رصدت لهذا الغرض مبلغ ثلاثة ملايين دولار على أقساط كل قسط ٥٠٠ الف دولار كل شهرين (٢٦) .

واقترح كيرك في رسالة اخرى بأنه تبعا للوضع الخاص الذي تتمتع به بريطانيا في المملكة العربية السعودية ، وانه قد سبق للوزير الدبلوماسي البريطاني في جدة (بيرد Bird) أن ناقش مسألة خطوط الطيران والمطارات في المملكة العربية السعودية ، فأنه ـ كيرك ـ يوصي بأن يقوم « موس » بالتعاون مع « بيرد » في التفاوض حول هذه المسألة ، وان اي اجراء غير هذا سوف يؤدي الى الاضطراب والتأخير (٢٧) .

ثم ابرق كيرك الى وزير الخارجية بما قام به المستر موس في جدة بأنه في ٢٨ يوليو تسلم الوزير الدبلوماسي البريطاني رد الملك عبدالعزيز بواسطة وزير ماليته برجاء ابلاغ الرد للمستر موس ، فحوى الرد أن الملك يقبل بأن يسمح للبريطانيين باستخدام الطرق الجوية دون توقف من الخرطوم الى البحرين مارة شمال الخط المباشر من البركة الى البحرين ، ومن الخرطوم الى البصرة ومارة الى الشمال من الخط المباشر من الضبة الى البصرة وانه لن يعترض على استخدام الطائرات الامريكية لهذه التسهيلات الممنوحة للبريطانيين . وانه طلب أن يبقى الموضوع في أقصى درجات السرية (٢٨) .

وحسم الامر في برقية الوزير المفوض الامريكي بجدة مستر موس الى وزير الخارجية الامريكية والتي حملت رد الحكومة السعودية النهائي ـ ذلك العام ـ على المطالب الامريكية ، وقد حمل الرد الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودي ، الذي عبر عن رغبة الملك في التعاون مع الحكومة الامريكية ، وأن الملك وافق على الطيران دون توقف في سماء المملكة العربية السعودية في الخطوط التالية :

أولا : من البحر الاحمر الى «بحاره أو بحره Bahare مرورا بجنوب « بيرك » وببيشه ومن ثم باتجاه شمالي شرقي تاركا « سوليل » الى الجنوب والشرق ، ثم باتجاه شرقي كبير ماراً وسط الطريق بين سوليل وافلاجا أو الافلاج « Aflaja » وثم باتجاه أكثر شمالا الى « بحارة » تاركا الحوطة « الهفوف » (الحوطة Hauta) «والعقير » الى الشمال .

ثانيا : من العقبة مارا عبر منتصف النقطة لوادي « السرحان » مارا شمال الجوف Jauf وجنوب « قريات » Qariyat وثم باتجاه اكثر أو أقل بخط الى وادي « البصرة » .

واقترح ان تطير الطائرات فرادي أو في مجموعات صغيرة وان تطير على ارتفاعات كبيرة كلما أمكن . واعلن الشيخ يوسف ياسين أنه يمكن للطائرات البدء فورا باستخدام هذه الطرق . وفي رأيي ـ موس ـ أن رد الملك قد جعل البريطانيين والامريكيين يعاملون معاملة واحدة[٢٩] .

وكان هذا بداية للتفكير في اقامة قاعدة جوية بالظهران تحقق هدفين الاول حماية حقول البترول التي تمتلكها الشركات الامريكية والهدف الثاني تسهيل عمليات نقل المعدات والقوات الامريكية الى ميدان الشرق الاقصى للحرب ضد اليابان ولكن في هذا العام ـ ١٩٤٢ م ـ لم

تحصل الولايات المتحدة من المملكة العربية السعودية اكثر من تسهيلات المرور في خطوط طيران محددة عبر اراضيها حتى عقدت اتفاقية بين الطرفين لانشاء مطار عسكري في الظهران في ٢٧ - ٨ - ١٣٥٤ هـ (٦-٨-١٩٤٥ م) .

وهكذا تحددت التسهيلات التي منحتها المملكة العربية السعودية للطائرات الامريكية للتحليق فوق أراضيها من الغرب الى الشرق أى من ساحل البحر الاحمر الى ساحل الخليج العربي على امتداد الاراضي السعودية في خطين اثنين هما : -

الخط الاول يبدأ من بلدة البركة الواقعة على ساحل البحر الاحمر مقابل المدينة المنورة ويمر بكل من بلدة بيرك (البرك) وبيشة وسوليل (أو سليل أو السليل كما تعرف احيانا) وتقع في منتهى وادي الدواسر ، وافلاجا أو الافلاج كما ينطقونها ، ثم بحارة (أو بحرة) فالهفوف حتى شمال العقير .

ويبدأ الخط الثاني من العقبة الى مدينة الضبة (أو ضبّا) الواقعة على ساحل البحر الاحمر ، الى الشمال من الخط الاول ، ويمر هذا الخط بمنتصف وادي السرحان ، فشمال الجوف ، ثم الى الجنوب من قريات (الواقعة في طرف وادي السرحان من الشمال الغربي قرب الحدود الاردنية الحالية) ، حتى وادي البصرة على الخليج العربي .

ثانيا : مع سلطنة مسقط عمان

وبينما المفاوضات دائرة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الامريكية لحصول الاخيرة على تسهيلات جوية بأراضي المملكة ، بدأت ومنذ أغسطس ١٩٤٢ م مفاوضات مماثلة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان ورغم أن للولايات المتحدة علاقات خاصة بسلطنة

مسقط وعمان تحكمها اتفاقية التجارة والصداقة لعام ١٨٣٣ م ، الا انه صار لبريطانيا منذ وفاة السيد سعيد سلطان مسقط وعمان وزنزبار عام ١٨٥٦ م واقسام ولديه ماجد وثويني ممتلكاته مركز خاص ونفوذ قوي في السلطنة •

وقد حاولت الحكومة الامريكية منذ عام ١٩٣٠ م احياء نفوذها في السلطنة بعقد معاهدة جديدة بين الطرفين الا ان الحكومة البريطانية وقفت للمحاولات الامريكية بالمرصاد ، ومع ذلك فقد ظهرت نشاطات أمريكية في السلطنة تمثلت في اتساع نشاط البعثة التبشيرية الامريكية في مجال الصحة والتعليم في كل من مسقط ومطرح ، حتى أنه عند افتتاح المستشفى الجديد التابع للبعثة في مطرح عام ١٩٣٤ م قام الوزير المفوض الامريكي في بغداد بافتتاح هذا المستشفى أثناء زيارته لمسقط احتفالا بمرور مائة عام على توقيع المعاهدة المسقطية الامريكية (٣٠) •

كما تمثلت النشاطات الامريكية في السلطنة وقبل الحرب العالمية الثانية في التطلع للتنقيب عن البترول في السلطنة ، ولما كانت شركة البترول الانجليزية الايرانية قد بدأت منذ عام ١٩٢٤ م بالتنقيب عن النفط في السلطنة فلم تواجه بمنافسات تذكر من جانب الشركات الامريكية اذ كانت المنطقة خاضعة للنفوذ البريطاني • وفي عام ١٩٣٧ م بدأت شركة بترول عمان وظفار المحدودة وهي فرع من شركة نفط العراق وبها رأسمال أمريكي ـ في التنقيب عن البترول بموجب اتفاق وقعته الشركة مع سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان •

وقد حاولت شركات البترول الامريكية استخدام أحد الرعايا الايطاليين ويدعى باستوري Pastori ، واحد البولنديين ويدعى الكونت بروك Prorok للحصول على امتياز للتنقيب عن النفط في سلطنة مسقط وعمان لصالح الشركات الامريكية الا ان الوكيل البريطاني

في مسقط تشكلت في نشاطهما ومن ثم رفض التصريح لهما بالاقامة في مسقط • وقد ظهر أن باستوري كان يعمل لحساب بثعة ايطالية أمريكية مهتمة بالتنقيب عن النفط كما اوضحت تحريات الوكيل البريطاني على أن بروورك كان بدوره عميلا لشركة الزيت العربية الامريكية التي كانت لا تكف في خلال الثلاثينيات عن محاولاتها للحصول على عقود امتيازات في الساحل الجنوبي الغربي من الخليج (٣١) •

ومعنى هذا أن سلطنة مسقط وعمان صارت تتبع في سياستها الخارجية « النصيحة البريطانية » وهذا يعني أن الولايات المتحدة في محاولاتها التفاوض مع السلطنة بشأن التسهيلات الحربية يجب أن تأخذ في اعتبارها الوضع الخاص لبريطانيا في السلطنة والذي يستلزم دخول بريطانيا كطرف في اى مفاوضات تجريها الولايات المتحدة مع السلطنة • وقد دارت هذه المفاوضات من خلال الوزير المفوض الامريكي في نيودلهي، وسكرتير حكومة الهند للشؤون الخارجية ووزير الخارجية الامريكية واستغرقت الفترة من يونيو الى نوفمبر ١٩٤٢ م •

وتبدأ اثارة هذا الموضوع في رسالة بعث بها الوزير الامريكي في نيودلهي The Officer in Charge الى وزير الخارجية الامريكية جاء فيها أنه منذ يونيو ١٩٤٢ م بعث ببرقية الى البعثة الدبلوماسية الامريكية بالقاهرة ويعود ليؤكد ما جاء بها من أن سكرتير حكومة الهند المسئول عن ادارة الشئون الخارجية قد سبق واقترح بطريقة غير رسمية أنه من المستحسن لحكومة الولايات المتحدة القيام باتصالات دبلوماسية مع سلطان مسقط من أجل الحصول على تسهيلات من السلطنة لصالح القيادة الجوية الامريكية •

واضافت الرسالة بأنه تبعا لما قاله سكرتير حكومة الهند ، فأن السلطان الذي كان في الماضي حياديا ومن السهل اثارة شكوكه عند

تعامله مع البريطانيين صار متعاونا ، ومن اجل هـــذا السبب ، فأي مندوب امريكي يذهب الى هناك يجب اختياره بدقة • وهذا ينطبق بصفة خاصة عند الذهاب الى « صلالة » حيث يتخذها السلطان مقرا لاقامته في الصيف ، وملجأ له حين كان في الماضي يبحث عن ملجأ بعيدا عن البريطانيين •

ومضت الرسالة الى القول بأنه طبقا لمعلومات سكرتير حكومة الهنـــد عن الاثر الذي احدثه عند السلطان وصل أربعة موظفين من شركـــــة بان امريكان للطيران Pan American Airways بدون سابق انذار الذين قرروا انهم جاءوا لعمل ترتيبات ضرورية للتسهيلات الارضية •

وتضيف الرسالة بأنه تنفيذا لتوجيهات وزارة الخارجية الامريكيـة المؤرخة في ٣ يوليو ١٩٤٢ م ، فأنني سألت سكرتير حكومـــة الهند اذا كانت حكومة الهند لديها الرغبة لاعطاء الممثل البريطاني في مسقط تعليمات للتباحث مع السلطان بهذا الخصوص نيابة عن الحكومة الامريكية وبعـد عدة أيام تلقيت اجابة مشجعة فسطرت مذكرة الى السكرتير في ٨ يوليو ١٩٤٢ م أعبر عن الرغبة في الحصول على موافقة السلطان على التسهيلات لجيش الولايات المتحدة شبيهة بتلك التسهيلات المعطاة حاليـا للبريطانيين بحيث تشمل هذه التسهيلات استخدام المطارات في مسقط بواسطة الطائرات العاملة في خدمة جيش الولايات المتحدة واقامة الاشخاصـــ سواء كانوا عسكريين أو مدنيين ، اللازمين لخدمة الطائرات ، ولانشاء ولتشغيـــل محطات اللاسلكي والارصاد الجوية •

وتمضي الرسالة الى القول بأن هناك ثمة تأخير من جانب حكومـــة الهند في ارسال التعليمات للممثل البريطاني في مسقط نظـــرا لضرورة التشاور مع السلطات العسكرية البريطانية في القاهرة بخصوص تسهيلات اللاسلكي والارصاد الجوية المطلوبة كما أن الصعوبة أيضا حدثت عنـــد الحصول على وسيلة نقل جوية للوكيل البريطاني السياسي مـــن مسقط

الى صلالة . والمعتاد وجود موظف صغير مساعد للوكيل السياسي في صلالة Salala

وعلى أية حال ـ كما جاء في الرسالة ـ فأنني تلقيت الآن مذكرة مؤرخة في ٢١ اغسطس ١٩٤٢ م من السكرتير المقيم لحكومة الهند تصف نتائج مباحثات الوكيل السياسي ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ومعطيا اهتماما لملاحظات السكرتير المقيم بهدف تقديم المساعدة المطلوبة وكما ستلاحظ وزارة الخارجية فان صاحب العظمة السلطان قد وافق على التسهيلات المطلوبة ولكن تحت خمسة شروط بموجبها يتوقف عليها اعطاء التسهيلات . ويعتقد السكرتير المقيم لحكومة الهند أن هذه الشروط عادية ومعقولة ، وقرر أن الوكيل السياسي البريطاني ، ومساعد الوكيل السياسي ، سوف يكونان مسئولين اذا رغبت وزارة الخارجية الامريكية عن تدبير أمور الاشخاص الامريكيين كما يقومون بالنسبة للسلاح الجوي الملكي البريطاني (٣٢) .

واختتمت الرسالة بطلب تعليمات برقية حول ما اذا كانت شروط السلطان مقبولة من عدمه لدى وزارة الخارجية الامريكية ، وانه يجب أن يكون مفهوما انه لن تكون هناك صعوبات في سبيل الحصول على التسهيلات المطلوبة في مسقط على أساس مؤقت ، وأرفق الوزير المفوض الامريكي في نيودلهي برسالته هذه ثلاثة مرفقات هي : ـ

جاء بالمرفق الاول انه في السادس من شهر يونيو ١٩٤٢ م تم ابلاغ المستر ميريل بأن حكومة الهند قد تلقت علما بأن قيادة الدفاع الجوي للولايات المتحدة عازمة على انشاء محطات للتوقف في مطارات بأراضي مسقط للطائرات التي تستخدم خطوط الطيران المارة بجنوب الجزيرة العربية في كل من « صلالة » « ورأس الحد » وربما مصيرة وقد اشير الى وجود اتفاقية للصداقة والتجارة بين حكومة الولايات المتحدة الامريكية وسلطان مسقط المعقودة في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣ م واقترح انه

من المناسب لتنظيم ذلك أنه قبل ارسال القوات الامريكية التي ستعسكر في المطارات بأراضي مسقط بأن تعمل حكومة الولايات المتحدة الامريكية على الحصول على الموافقة الكاملة لصاحب العظمة السلطان •

وكان واضحا انه تحقيقا لذلك فان الحكومة البريطانية كانت مهتمة وأخذت على عاتقها مهمة الحصول مسبقا على موافقة صاحب العظمة سلطان مسقط على بناء مطارات ، وأيضا استخدام الطائرات لها ، ووجود فنيين أرضيين من أجل صيانة وحماية هذه المطارات • وكان مفهوما أن مستر « ميريل » قد خاطب وزارة الخارجية بذلك •

وانه قد وصلت الان معلومات من « صلالة » بأن أربعة رجال من شركة بان أمريكان للطيران قد وصلوا هناك وقرروا أنهم جاءوا من أجل انشاء محطة مرحلية لخدمة خطوط طيران بان أميريكان بين الخرطوم وكراتشي ، وان رجالا اخرين من الشركة سيفدون خلال أيام قليلة ومعهم معدات لاسلكية وانهم يتوقعون نقل ركاب لهم صفة الخصوصية حسبما تسمح بذلك الاولويات في سجلات الرحلات الحكومية ، وانهم يرغبون في التفاوض مع سلطان مسقط بخصوص بناء معسكر ، واستخدام عمال محليين ، وتدبير المؤن والامدادات اللازمة •

وجاء بالتقرير أن سلطان مسقط شعر بالقلق من وصول هؤلاء الاشخاص المفاجيء — دون سابق انذار — وفي نفس الوقت أصر على أن هؤلاء الرجال يجب أن يتم الحاقهم بسلاح الجو الملكي البريطاني وأن يرتبطوا بقوانين سلاح الجو الملكي البريطاني •

ان التقرير المقدم من رجال شركة بان أمريكان للخطوط الجوية في صلالة والذي يحمل رغبة الشركة بنقل ركاب خصوصيين اذا سمحت بذلك سجلات الرحلات الحكومية انما يخالف ما أكده — تعهد به — الكولونيل لويس جونسون Louis Johnson

الممثل الشخصي للرئيس روزفلت في الهند ، في الاجتماع الذي عقد بادارة الشئون الخارجية في السابع والعشرين من أبريل ١٩٤٢م بأن شركة طيران بان أمريكان انما تعمل تحت ظل ادارة وملكية حربية كاملة وان عملياتها تتقرر كليا عن طريق وزارة الحربية الامريكية ، وأن ذلك لم يحدث شيء منه للان ومن ثم فانه سوف يؤدي او قد يؤدي الى تأكيد أو اثبات أو ترتيب حقوق تجارية (٣٣) •

وجاء بالمرفق الثاني رسالة من الوزير المفوض الامريكي بنيودلهي الى السكرتير المقيم لحكومة الهند المسئول عن ادارة الشئون الخارجية • يشير فيها الى المباحثات التي دارت حديثا بوزارة الخارجية بخصوص استخدام الطائرات وهيئة الموظفين Psrsonnel في دائرة اختصاص جيش الولايات المتحدة في مطارات «صلالة» رأس الحد ، «مصيرة» و «مسقط» ، ومذكرة السكرتير المقيم الموضحة للموضوع بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٢م تؤكد هذه الامور •

وأن لديه الان ما يمكن اضافته وهو أن حكومة الولايات المتحدة تطلب من حكومة الهند ان تقوم بجهد مكثف لابلاغ الممثل البريطاني في مسقط ليفاتح صاحب العظمة سلطان مسقط في هذا الموضوع لصالح حكومة الولايات المتحدة • وهذه الرغبة من الحكومة الامريكية تهدف الى الحصول على موافقة صاحب العظمة على تسهيلات لجيش الولايات المتحدة مشابهة لتلك التسهيلات الممنوحة للبريطانيين ، تلك التسهيلات التي تشمل استخدام مطارات مسقط بواسطة طائرات تحت مسئولية جيش الولايات المتحدة ، واقامة اقل عدد ممكن من الاشخاص ، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين ، اللازمين لصيانة الطائرات وتشغيلها ، ولاقامة وتشغيل محطات للارصاد الجوية واللاسلكي •

وأن المعلومات المتصلة بالمهمة الجديدة كما وردت من وزارة الحربية الامريكية والاتية قدمت من أجل امكان الاستفادة منها في تقديم تعليمات لممثل بريطانيا العظمى •

فالبريجادير جنرال فيتزجرالد Brigadir General Fitzgerald من جيش الولايات المتحدة قد تعين ليتولى قيادة العمليات الجوية Ferry في الشرق الاوسط وأفريقيا ، وسيكون تحت اشرافه وادارته المباشرة عمليات شركة بان أمريكان للطيران في هذه المناطق • وان الخدمة المقترحة تعتبر ذات أهمية قصوى لاتصالها بنقل المعدات الحربية الاساسية الى كراتشي ، وفي طيران طائرات النقل ، وعودة الملاحين الجويين •

وانطلاقا من ترتيبات متفق عليها مع وزارة الحربية الامريكية ، فأن شركة بان أمريكان للطيران سوف تشغل رحلات جوية من الخرطوم الى كراتشي لنقل معدات عسكرية واشخاص عسكريين ، وفي الحالات التي يكون فيها الفضاء مهيأ ، وعلى أية حال ، وبعد اتمام عملية نقل المعدات الحربية الاساسية ، فانه من المرغوب فيه أن يسمح للطائرات بنقل أي مسافرين غير رسميين تكون سفرياتهم معينة كضرورة ملحة يقررها ممثلو الولايات المتحدة في المنطقة •

وفي عرض هذا الموضوع على حكومة الهند ، أبلغت بأن أوضح التأكيدات الكبيرة على أهمية هذه الخدمة ـ المهمة ـ الجديدة للدفاع عن الهند(٣٤) •

واما المرفق الثالث برسالة ميريل Merrell فجاء موجها من السكرتير المقيم لحكومة الهند الى المستر ميريل ، بانه ورد له تقرير من

وكيل صاحب الجلالة البريطانية السياسي في مسقط يتعلق بنتيجة مباحثاته ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، وأنا أقرر الوضع المناسب لمعلوماتك .

* وافق صاحب العظمة السلطان بأن يمنح حكومة الولايات المتحدة تسهيلات للقوات الجوية التابعة لجيش الولايات المتحدة مشابهة لتلك التسهيلات الممنوحة حاليا للحكومة البريطانية ، وتشمل بالتحديد استخدام المطارات في أراضي مسقط بواسطة الطائرات العاملة ضمن خدمات جيش الولايات المتحدة ، والاذن بانشاء مباني في « صلالة » و « مصيرة » و « رأس الحد » (وتشمل خورجاراما أو جرَمه Jarame) وعمل محطات نزول لاسراب الطائرات في تلك الاماكن . ومنح الاذن أيضا بنزول أقل عدد ممكن من الاشخاص اللازمين لتشغيل وصيانة هذه الطائرات ، وانشاء وتشغيل محطات لاسلكي وأرصاد جوية ضرورية لسلاح الجو التابع للولايات المتحدة لتدعيم مثل هذه الخدمات القائمة آنذاك والعاملة بواسطة سلاح الجو الملكي البريطاني Royal Air Force والاتفاقات (الامتيازات) الممنوحة من قبل صاحب العظمة تشمل اكثر من ذلك باعفاء من الرسوم الجمركية كل من البترول وزيوت التشحيم اللازمة لطائرات سلاح الجو التابع للولايات المتحدة الامريكية ، وأيضا للامدادات ، التي يتم تخزينها ، والصالحة التي ترد الى أراضي مسقط واللازمة لتشغيل هذه الطائرات .

* وقد قرن السلطان تحقيق هذه التسهيلات بشروط معينة وهي كما جاءت في كلماته :

(١) يشترط أن توضح الامور لنا مثل : على من تقع المسئولية ومن يجيب على أي سؤال يثار بخصوص تصرف الاشخاص الامريكين ... الخ .

(٢) الاقرار ببيع الآتي للسلطنة اعترافا بما قدمته بمنح هذه التسهيلات :

(أ) ٢٠٠ بندقية و ٢٠٠٫٠٠٠ صندوق من الذخيرة .

(ب) ٢ مدفع ماكينة بقطع غياره وذخيرة كافية .

(ج) ٢ مدفع يدوي بقطع غياره وذخيرة كافية .

(د) ٢ سيارة لوري حجم متوسط والتي تستخدم بواسطة العسكريين .

(هـ) بعض المهمات الطبية كما يقدرها أصدقاؤنا بالحكومة البريطانية .

(٣) التعهد بدفع تعويض عن أية أضرار يتسبب فيها الموظفون الامريكيون أو الطائرات وتصيب ممتلكاتنا ، أو الاشخاص أو ممتلكات رعايانا .

(٤) التعهد بأن الموظفين الامريكيين يقبلون ويلتزمون بكل قوانيننا وأحكامنا المحلية ، كما هي أو ما يتم وضعه ، في تصرفاتهم خاصة تلك التي تتصل بتعيين الحراس لمعسكراتهم أو لاشخاصهم .

(٥) والتعهد بأن حراس المعسكرات الامريكية وحراس الاشخاص الذين نمدهم نحن بهم يجب أن يقبلوا وأن تدفع لهم رواتب .

ومن المحتمل أن أجد مناسبا اضافة بعض الايضاحات حول هذه الشروط في ضوء الخبرة التي اكتسبتها حكومة الهند في علاقاتها مع سلطان مسقط .

★ بالنسبة للشرط الاول (١) فان الحقيقة المؤسفة أن شكوك السلطان المتوارثة في الاجانب قد تدعمت بتصرفات معينة جعلت صاحب العظمة يعترض على هيئة موظفي شركة بان أمريكان للطيران الذين كانوا

لفترة ما في «صلالة» تحت اشراف وادارة غير كافيين • وينصح الوكيل السياسي بأن صاحب العظمة يتمسك بالاهمية العظمى لهذا الشرط ، وأنه من الضروري ارضاءه تماما بالالتزام بهذا الشرط • وأن حكومة الهند ستكون سعيدة أن تقدم مساعدتها في هذا الامر ، وأنه اذا رغبت حكومة الولايات المتحدة ، فانهم سيكونون مستعدين لاعطاء تأكيد للسلطان بأن وكيلهم السياسي ومساعد الوكيل السياسي في مسقط سوف يمثلان سلاح الجو التابع للولايات المتحدة ، تماما بنفس الدرجة التي يمثلان بها سلاح الجو الملكي البريطاني في علاقاتهم بالسلطان •

والشرط رقم (٢) يتفق مع العادات المألوفة للحكام العرب عند اعطاء تسهيلات في أقطارهم لقوى أجنبية ، وأن حكومة الهند لاتشك أن حكومة الولايات المتحدة سوف تقنع بمطالب صاحب العظمة السلطان • واذا أرادت حكومتك ورغبت في تلقي مقترحات حول نوع وكمية الامدادات الطبية التي تكون مقبولة لدى السلطان فان حكومة الهند ستكون مستعدة تماما لكي تحصل على تقرير من الوكيل السياسي وفي ضو الظروف والاحوال المحلية • ويمكن الاضافة هنا أنه بالنسبة لتأكيدات الوكيل السياسي فان الامدادات بالاسلحة وبسيارات النقل ، والمهمات الطبية ، تلك التي طلبها السلطان يمكن أن تتطلب بعض التأجيل وأن السلطان أبلغه بانه لايعتبر امدادهم بأي حال من الاحوال كشرط مسبق لاعطاء التسهيلات المطلوبة •

والشروط رقم ٣،٤،٥ تؤخذ كأسباب تؤدي الى مصاعب خاصة • ان رجال سلاح الجو الملكي البريطاني قد قبلوا قوانين محلية معينة في سلوكهم في أراضي مسقط وبالنسبة لمسألة تعيين الحراس للمعسكرات والاشخاص فهذه لم تكن باهظة من الناحية العملية كما أن هناك أوامر

صارمة بالنسبة لافراد السلاح الجوي الملكي البريطاني الموجودين في مطارات جنوب الجزيرة العربية في أراضي مسقط •

وبالنسبة للشرط الخامس فان الوكيل السياسي في مسقط سوف يعطى تعليمات لاستخدام نفوذه لضمان الا يلجأ السلطان الى مطالب غير معقولة فيما يتصل بعدد الحراس المحليين الذين يطلب استخدامهم أو بالنسبة للاموال التي ستعطى لهم •

ويطلب السكرتير المقيم معرفة ما اذا كانت شروط صاحب العظمة السلطان مقبولة لدى حكومة الولايات المتحدة من عدمه ، فاذا كان الامر كذلك ومطلوب التوقيع على اتفاق مع السلطان فيجب اخطار الوكيل السياسي البريطاني بمسقط حتى يخبر السلطان بذلك[٣٥] •

وجاءت خاتمة الموضوع ـ موضوع التسهيلات الجوية العسكرية الامريكية بأراضي مسقط ـ في رسالة برقية بعث بها وزير الخارجية الامريكي الى المستر (ميريل) وجاء فيها • لقد أبلغت وزارة الحربية وزارة الخارجية بأنها سوف ترد على الشروط العديدة التي فرضها سلطان عمان كما جاءت في المرفق رقم ٣ في الرسالة المشار اليها • وفيما يختص بالشرط الاول تقرر وزارة الحربية بأن البريجادير جنرال فيتزجرالد القائد العام لجناح أفريقيا والشرق الاوسط ، وقائد النقل الجوي بجيش الولايات المتحدة الامريكية ، مع أركان حربه في أكرا وساحل الذهب البريطانية هو الشخص الذى يمكنه الاجابة على أية أسئلة تتصل بتصرفات الاشخاص الامريكيين • وعلى أي حال فاذا رغب السلطان في وجود شخص في أو قريب من أرض عمان فان وزير الحربية سوف يطلب من فيتزجرالد تعيين ضابط له صلاحية من قيادته •

وبالنسبة للشرط الثاني ، تقرر وزارة الحربية ، أنها في مركز

يسمح لها بتقديم وتسليم الأمدادات العسكرية للسلطان خلال فترة زمنية معقولة وأن على حكومة الهند ـ أن يطلب منها ـ لتعيين نوع وكمية المهمات الطبية لتقديمها • وتعتبر وزارة الحربية الشرط الثالث معقول تماما وتقرر أن الشرطين الرابع والخامس مقبولين مع المحافظة على الأوامر الحكيمة الصارمة فيما يتصل بالنقاط التي يعسكر فيها الامريكيون ومن ثم فانها اذا فسرت بطريقة معقولة فلن تكون هناك عقبات ي الوقت الحاضر •

وفي ضوء ما سبق ، فان على البعثة أن تطلب من حكومة الهند لتوجيه وكيلها السياسي في مسقط في أن ينقل عن هذه الحكومة ـ الامريكية ـ التأكيدات أو الضمانات الضرورية للسلطان (٣٦) •

وعند هذا الحد توقفت الوثائق الامريكية ، بقبول السلطات الامريكية لشروط سلطان مسقط وعمان ازاء منح تسهيلات جوية في أراضي السلطنة للطائرات الامريكية خلال معارك الحرب العالمية الثانية ، واستعانة المسئولين الامريكيين بزملائهم البريطانيين في الهند من اجل اعطاء السلطان الضمانات التي طلبها •

ومن الجدير بالذكر أن المناطق التي كانت مثار مفاوضات بين الطرفين من أجل التسهيلات الجوية للطائرات الامريكية باراضي سلطنة مسقط وعمان تركزت على الساحل العماني المطل على البحر العربي مثل سلالة (أوزلالة أو صلالة وهو الاسم الغالب) وجزيرة مصيرة ، وخورجاراما (أو جرما) ومثل رأس الحد عند مدخل خليج عمان •

الهوامش والمصادر

١ ـ د · محمود حلمي مصطفى : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الباشوية المصرية رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠م ـ غير منشورة ·

Samuel F. Bemis : Diplomatic History of the United States, p. 176.

2. Brock, W. R. The Character of American History (1965).

3. The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East (1964), p. 1.

4. De Nova, J. A. : American interests and policies in the Middle East 1900-1939, p. 7.

٥ ـ د · رأفت الشيخ : أفريقيا فى العلاقات الدولية ، القاهرة ١٩٧٥ص ١٦٣ ·

....

6. Coupland, R. : Exploitation of East Africa, p. 336.

٧ ـ لوريمر ، ج ، ج : دليل الخليج ، القسم التاريخي جـ٢ ص ٧٢٨/٧٢٧ ·

٨ ـ د · ريتشارد ستيفنس : أستعراض لبداية العلاقة الامريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة مسقط وعمان (١٨٣٣ ـ ١٨٥٦م) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد يوليو ١٩٧٧م ـ ص١٢٥ ·

٩ ـ نفس المرجع ـ ص ١٢٦ ·

١٠ـ لوريمر : نفس المرجع ـ ص٧٢٨ ·

11. Coupland : op. cit., p. 374.

١٢ـ د · ريتشارد ستيفنس : نفس المرجع ـ ص١٢٧ ·

١٣ـ نفس المرجع ـ ص١٢٨ ·

١٤ـ لوريمر : المرجع السابق ـ ص٨٠٨ ٠
15. De Nova : op. cit. p. 40.

١٦ـ د ٠ ريتشارد ستيفنس : نفس المرجع ـ ص١٣٢ ٠

١٧ـ نفس المرجع : ص١٣٤ ٠

18. U.S. Documents, Memorandum prepared in the Department of State (Secret), Washington, March 15, 1946, No. 790.00/4-946-current U.S. policy toward the Arab Principalities of the Persian Gulf and the Gulf of Oman.

19. Sanger, R. H. : Arabian Peninsula, (1954), p. 194.

20. U.S. Documents, Memorandum prepared in the Department of State. op. cit.

٢١ ـ د ٠ صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربي،ص٢٧٧٠

22. U.S. Documents, The Acting Secretary of State (Welles) to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, April, 15, 1942 - 9 p. m., No, 890 F. 7962/3 a: Telegram.

23. U.S. Documents, The Minister in Egyp t(Kirk) to the Secretary of State, Cairo, May, 19, 1942 - 7 p. m. (Received May 21-5 : 51 p. m.) No. 890 F. 7962/s: Telegram.

24. U.S. Documents, The Secretary of State (Hull) to the Minster in Egypt (Kirk), Washington, July 7, 1942 - 8 p. m. No. 890F. 7962/11 a : Telegram.

25. U.S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the Secretary of State, Cairo, July 14, 1942 - 5 p.m. (Received July 15-5 : 47 p. m.) No. 890 F. 7962/13 : Telegram.

26. U. S. Documents, The Secretary of State (Hull) to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, July 18, 1942 - 7 p. m., No. 890 F. 51/51 : Telegram.

27. U.S. Documents, The Minister in Egypet (Kirk) to the Secrety of State (Hull), Cairo, July 24, 1942 - 5 p.m. (Received 6 09 p.m.), No. 890 F. 7962/16 : Telegram.

28. U. S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the Secretary of State (Hull), Cairo, July 31, 1942 - 10 p.m. (Received July 31 - 6:03 p. m.) No. 890 F. 7962/18 : Telegram.

29. U.S. Documents, The Charge in Saudi Arabia (Moose) to the Secretary of State (Hull), Jidda, August 29, 1942 - 6 p. m. (Received August 31 - 9 : 02 a.m.), No. 890 F. 7962/27 : Telegram. (Repeated to Cairo).

٣٠ـ د ٠ جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥م ، ص٣٦٣ ٠

٣١ ـ نفس المرجع ص٩٠٥ ٠

32. U.S. Documents, The Officer in Charge at New Delhi (Merrell) to the Secretary of State (Hull), New Delhi, August 23, 1942 (Received September 14, 1942) No. 26, No. 811. 248/720.

33. U.S. Documents, Enclosure 1, The Joint Secretary to the Government of India in the External Affairs Department (Weightman), to the American Office, in Charge at New Delhi (Merrell,), Aide-Memoire, (File copy not signed) Joint Secretary to the Government of India, New Delhi, 13 June 1942.

34. U.S. Documents, Enclosure 2, The American Officer in

Charge at New Delhi (Merrell) to the Joint Secretary to the Government of India in the External Affairs Department (Weightman), No. 20, New Delhi, July 8, 1942.

35. U. S. Documents, Enclosure 3, The Joint Secretary to the Governments of India in the External Affairs Department (Weightman) to the American Officer in Charge at New Delhi (Merrell), No. 7195-X142, New Delhi, 21 August 1942.

36. U. S. Documents, The Secretary of State (Hull) to the Officer in Charge at New Delhi (Merrell). Washington, November 4, 1942, 6. p. m., No. 811. 248/720 : Telegram.

من هم اقدم سكان الساحل العربي في الخليج منذ فجر التاريخ حتى ظهور الاسلام

هل يصح وجود الفينيقيين بين سكان الخليج كما يقول المؤرخون ؟

جعفر الخليلي

يمتد شاطىء الساحل العربي من الخليج في التاريخ القديم من مصب دجلة والفرات • وكان مصب هذين النهرين يقع بالقرب من (اور) الكلدانية القديمة ، وعلى مقربة من مدينة (الناصرية) الحديثة اليوم •

وكانت دجلة في الالف الثالث وما قبله ق•م• تصب وحدها في الخليج ، كما يصب الفرات وحده رأسا دون ان يلتقي النهران كما هما يلتقيان اليوم في (القرنة) ويصبان في شط العرب •

والخليج اليوم اقصر طولاً مما كان في العهود القديمة في ايام (السومريين) وما قبلهم لان دجلة والفرات قد غمرا بما يحملان من الغرين والترسبات ما يقرب من ٢٦٠ او ٢٨٠ كيلو مترا من شاطئيهما[١] •

اما مستوى سطح الخليج فقد هبط على رأى بعضهم زهاء ١٠ـ٥ اقدام خلال الفي سنة ، وقد تراجعت مياه البحر في هذه السنين[٢] ويتجه الساحل العربي المقابل للساحل الفارسي من الشمال الغربي الى الشرق حتى يبلغ امتداده نهاية (عمان) والغالب ان ارض هذا الساحل المجاورة

---

(١) العصور القديمة ـ الدكتور جيمس هنري بريستد ، خط الامريكانية بيروت ص ٨٠ •

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الدكتور جواد علي ط (١) ص ١١٦ •

للبحر مالحة ، ولا تخلو من السباخ ، وتقل فيها المياه العذبة باستثناء بقاع وجزر سنشير اليها فيما بعد ٠

وان ما وراء هذا الساحل من الغرب كثبان ورمال وتلال ، كما تتخللها سهول واودية تجري فيها مياه الامطار ، وفي السنين التي يكثر فيها المطر تظل المنحدرات والاودية والمنخفضات من الارض تحتفظ بالمياه لمدة قد تطول ، وتجعل امطار الربيع من سهولها ارضا صالحة للمرعى اذ تكثر فيها الحشائش والازهار والنباتات البرية الى ان يأتي الصيف على اغلبها فتجف الاودية ، وييبس النبات وهكذا حتى ترتبط بقلب جزيرة العرب من الغرب ٠

« اقاليم الجزيرة العربية »

قسم الجغرافيون العرب اقاليم الجزيرة العربية الى خمسة اقسام هي الحجاز ، ونجد ، واليمن ، وخصوا القسم الرابع بعمان والخامس بالبحرين التي يكاد اسمها وفي ايام العرب خاصة يشمل ساحل الخليج الجنوبي كله بل وما وراءه ، فقد قال هؤلاء الجغرافيون العرب ، ان اسم البحرين يشمل ساحل بحر الهند الذي سمي بالبحر العربي بين البصرة وعمان ، ومعنى ذلك ان هذا الساحل الذي تقوم اليوم عليه الكويت والحسا ، والقطيف ، ودولة قطر ، ودولة الامارات العربية ومدنها ودساكرها وسلطنة عمان كان كله يسمى باسم واحد ويسمى باسم البحرين في ايام العرب ٠

وقد روى ياقوت ان صاحب الزيج قد عد هذا الاقليم المسمى بالبحرين في الاقليم الثاني وقال ان طوله اربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة من المغرب ، وعرضه اربع وعشرون درجة وخمس واربعون

دقيقة ، كما روى ان هذا الاقليم عند قوم اخرين انه من الاقليم الثالث(٣) ويعرف المقدسي الاقليم الثاني بانه الاقليم الذي يكون فيه الظل اذا استوى الليل والنهار عند الظهيرة قدمين وثلاثة اخماس القدم وقال ان من المدن التي تقع في هذا الاقليم مكة ، ويثرب ، واسوان ، وبلاد النوبة ، وطائفة من بلاد السند والهند – وفي ضمن هذا يمكن ان يجيء ساحل البحرين •

واما الاقليم الثالث فقد عرفه المقدسي بان اوله حيث يكون ظل نصف النهار ، ثلاثة اقدام ونصفا وعشرا وسدس عشر قدما ، واخره حيث يكون ظل الاستواء فيه نصف النهار في وسط اربع عشرة ساعة ، ووقع وسطه من مدين شعيب في شق الشام ، وصارت بغداد ، وفارس ، وقندهار الهند ، والاردن ، وبيروت ، في حده الادنى ، كما تقع فيه الكوفة ، والبصرة ، وغيرها من المدن (٤) ، ومن الممكن على هذا التعريف ان نعد ساحل البحرين مشمولا بالاقليم الثالث مثلما عددناه مشمولا بالاقليم الثاني •

من اين يؤخذ تاريخ هذا الاقليم ؟

تاريخ هذا الاقليم القديم – اقليم الساحل العربي من الخليج – لايزال مجهولا من الوجهة العلمية ، وليس بامكان المؤرخين أن يصلوا الى شي يخص طبيعته الموغلة في القدم • كما ليس من السهل الوصول الى طبيعة سكانه القدماء واجناسهم ولا سيما في الالف الرابع قبل الميلاد وما قبله ، بل وكان من الصعب الوقوف تماما على تاريخه حتى في الالف الثالث والثاني ، ذلك لان طوارىء طبيعية بسبب التضاريس ، والتآكل من جهة ، وانحسار مياه الشواطىء من جهة اخرى دعت الى تغير معالم

---

(٣) معجم البلدان – ياقوت الحموي – مادة البحرين •
(٤) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم – للمقدسي •

هذه الارض من حسن الى سيء ومن اسوأ الى احسن ، ولم تكن هناك آثار ونقوش وكتابات الا الشيء الذي يكاد لا يذكر من الكتابات المتأخرة بعكس تاريخ العراق ، فارس ، ومصر القديمة الذي تألفت منه سلسلة تكاد تكون محكمة الحلقات عن تاريخ هذه الاقطار وامثالها ، ولم يأتنا عن هذا الاقليم الا اخبار مقتضبة لا تتجاوز الظنون والاحتمالات باستثناء النزر اليسير الذي حققته النقوش والالواح التي عثر عليها في الاطلال السومرية والاكدية والبابلية فجاء ذكر جوانب من هذا الساحل عرضا ، ويحصر المؤرخون المصادر المعول عليها لاستخراج تاريخ جزيرة العرب القديم اجمع ومن ضمنه تاريخ هذا الساحل في اربعة مصادر وهي : -

١ - النقوش والالواح •

٢ - التوراة والاساطير •

٣ - ما خلفه اليونانيون والسريانيون من الذكر في كتاباتهم ، واشعارهم ورحلاتهم وقصص الملاحم •

٤ - المصادر العربية التي دونت بعد ظهور الاسلام فحكت جانبا من تاريخ الجزيرة واخبار قبائلها وسكانها •

وما عدا هذا فكل ما يروى لا يخلو من التكهنات ، والحكايات ، والاساطير عن تاريخ جزيرة العرب وفي ضمنه تاريخ هذا الاقليم الذي الذي نحن بصدد الاحاطة بسكانه القدماء على قدر الامكان •

من اهم المصادر القديمة

ومن اهم المصادر القديمة التي يعتمدها المؤرخون ما كتبه (هيروديت) (٤٨٠ - ٤٢٥ ق•م) وتاريخ (ديودور الصقلي) في القرن الاول ق•م وجغرافية (سترابو) حوالي (٥٠ ق•م) وتاريخ

(فلاقيوس جوزيف) القرن الاول الميلادي ، واشعار (هوميروس) في الالياذة والاوديسة ، والتوراة التي تحوي الكثير من الاساطير ومنهــا (جنة عدن) التي دلت الآثار المكتشفة والكتابات على موقعها في الخليــج وفي (دلمون) وهي البحرين ، وان التوراة قد نقل خبرها من اخبار بابل فعينها في (عدن) ، وما كتبه ايزيب الملقب بابي التاريخ الكنسي والذي قصر كتبه على الاديان في القرن الرابع الميلادي .

ومن المصادر ايضا ما نقلوه من اخبار (سانخو نياتون) ومن غــير هذه المصادر [٥] ولكن المعول كله في تسجيل تاريخ الجزيرة العربيــة واقليم الشاطىء العربي من الخليج انما يكون على الاشارات والحكايات الواردة في النقوش والاثار والالواح كما مر ، وهو وان لم يكن كافيــا ولكنه قد يعطي فكرة عامة أو خاصة أو بعض فكرة على الاقل عن تاريخ هذا الاقليم .

أهم المصادر العربيــة

وان المصادر العربية التي ورد فيها ذكر يخص تاريخ اقليم الخليج العربي الجنوبي قبل ظهور الاسلام وبعده كثيرة ، وقد اورد عبدالرحمن عبدالكريم النجم في مقدمة كتابه (البحرين في صدر الاسلام واثرهــا في حركة الخوارج) اهم هذه المصادر من الكتب ، فذكر (البلاذري) و (الدينوري) و (اليعقوبــي) و (المسعودي) و « الطبري » و « ابن الاثير » و « ابن خلدون » وغيرهم مــن المؤرخين الذين ورد شيء من تاريخ (البحرين) بصفتها قاعدة هذا الاقليم ، في كتبهم .

ومن الكتب الجغرافية التي تناولت حدود البحرين ، أو وصفهـــا

---

(٥) تاريخ العرب قبل الاسلام ــ الدكتور جواد علي ، ص ٦ ــ ٨٥ .

ومناخها وسكانها ذكر (بلاد العرب) لغذة الاصفهاني وكتاب (المناسك) واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة المنسوب (للحربـــي) و (الاعلاق النفيسة) لابن رسته و (مسالك الممالك) للاصطخري وكتاب (البلدان) لابي الفقيه الهمداني و (كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي و (معجم البلدان) لياقوت الحموي ، كما ذكر من الرحلات (سفـــر نامه ناصر خسرو) ورحلة (بنيامين التطيلي) ورحلة (ابن بطوطة) •

ومن كتب الانساب جاء ذكر كتاب (جمهرة النسب) لابن الكلبي ، وكتاب (جمهرة انساب العرب) لابن حزم ، وكتاب (الانباه على قبائل الرواه) لابن عبد البر [٦] وغير ذلك من هذه الكتب التي يمكـــن اعتمادها في معرفة هذا الاقليم معرفة كافية عن العرب الذين سكنوه قبل الاسلام وبعده ، والتي اشار اليها الدكتور جواد علي في كتابه •

وهناك عدد من الكتب المتأخرة فيما يخصـــص التاريخ والرحلات والتحقيقات عند الرحالة الاجانب والمنقبين والجيولوجيين ، وكتب بالعربية منها كتاب (البحرين درة الخليج العربي) وكتاب (البحرين في صـدر الاسلام واثرها في حركـــة الخوارج) ، و (عروبة البحرين) وكتاب (البحرين من امارات الخليج العربي) وغيرها من الكتب التـــي جمعت الكثير من حلقات البحوث عن هذا الساحل في سلسلة واحدة كان لهـــا الفضل في تسهيل مهمة الباحثين •

واهم هذه الكتب المتأخرة المستوعبة لابحاث الباحثـين والمستشرقين

---

(٦) (أ) البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج ـ المقدمة •
(ب) العرب قبل الاسلام ـ ج (١) ص ٦ـ٨٥ •
(ج) لاحظ معجم الاعلام ، وفهرست الكتب المصنفة ، مـــن فهرست ابن النديم •
(د) معجم البلدان •

والمنقبين في جزيرة العرب جمعاء ومنها اقليم الساحل هـو (كتاب العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد علي •

أول من سكن هذا الاقليم

وندخل التاريخ على اضواء كل هـــذه المصادر لنتعرف بأول قوم وجدوا في هذا الاقليـــم ، فنرى اننا لا نستطيع أن نتجاوز الالف الثالث قبل الميلاد الا قليلا ، اذن من هم سكان هذا الاقليم في الالف الرابـع أو قبله من الاجناس ؟ •

لقد كثر البحث في الساميين ، والساميون شعب واحد نسبوا ابوتـــه الى سام بن نوح وتفرعت منه شعوب وقبائل متفرقة ، ولقـــد ردتهم الى الاصل السامي اشكالهم وهيئة جماجمهم ، وعاداتهم ، ووجود بعضـــ الجذور من اللغة (الام) السامية في لغتهم ، ولاول مرة وفيما يقرب مـــن منتصف القرن التاسع عشر الميلادي اطلق عليهم اسم (الساميين) لاول مرة حين وجد المؤرخون ما يجمع بينهم من اللهجات وجزور اللغة وتعريفها ، وقسموهم الى مجموعتين :

المجموعة السامية الشمالية •

المجموعة السامية الجنوبية •

والمقصود بالشمالية الكنعانية والفينيقية وبقية سكان الهلال الخصيب اما السامية الجنوبية فهي العربية والحبشية •

وفي موطن الساميين الاول بحوث واراء متضاربة ، منها ان موطـــن الساميين الاول هو ساحل البحرين ، وان جميع الشعوب السامية قـــد تسللوا من هذا الاقليم الى جميع الاقاليم ، ومن حملة هذا الرأي الباحث المستشرق (كيتاني) وبناء على رأيه هذا فان هذا الساحل كان موطنـــا للساميين منذ ابعد التواريخ والى ايام سام بن نوح واحفاده • !! غــــير

ان هذا الرأي يفنده البحاثون الاخرون ومنهم الباحث (موسل) ويروي ان موطن الساميين الاول هو الجنوب من جزيرة العرب المشخص باليمن ، ولا يوافق (موسل) هذا على هجرة الشعوب السامية والقبائل من شرق الجزيرة الى الشمال ويأتي بآراء اصوب من آراء (كيتاني) يرد فيها على (كيتاني) بكون أن رأيه هذا لا يستند على اسس طبيعية ، ولا جغرافية ، وانه مجرد رأي لا يمكن أن يكون حجة [7] .

و (موسل) هذا ممن ينكر انطلاق العبرانيين من جزيرة العرب ، وهو رأي تبناه الدكتور احمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صحيح انه ليس هناك من دليل على اعتبار اقليم الساحل العربي والشمال منه من ضفاف الرافدين على الاقل الموطن الاول الموغل في التاريخ للساميين ولكنه يصح ان يكون هذا الاقليم اي الساحل العربي من الخليج من المواطن القديمة جدا لسكنى الساميين الامر الذي حدا بمستشرق شهير مثل (كيتاني) ان يجزم بأنه الموطن الاول للساميين .

وليس لدينا من دليل على وجود السامية في هذا الاقليم قبل (السومرية) فاذا صرفنا النظر عمن سكن هذا الاقليم اولا ، أهم السومريون أو الساميون العرب ؟ فأننا لا نستطيع ان نصرف النظر عن الهجرة السامية من الجزيرة الى الجهات الاخرى ومنها هذا الاقليم بسبب الدواعي التي حتمت هذه الهجرة على الساميين وعلى العرب منهم ، والتي بلغت شدتها بين سنة (٢٥٠٠) و (١٥٠٠) قبل الميلاد ، وهذا ما يؤكد لنا ان الساميين والسومريين كانوا معا يوم امتد نفوذ السومريين على هذا الساحل دون الجزم كليا بأي الشعبين كان اول من سكن هذا الاقليم ، وان كان السومريون هم اول من يتحدث عنهم التاريخ في هذا الاقليم .

(٧) تاريخ العرب قبل الاسلام ج (١) ص ١٦٣ .

السومريون

والسومريون : جنس ابيض ولكنه لا يمت الى الآريين ولا الى الساميين ، ولم يستطع المؤرخون ان ينسبوهم الى جنس معين معروف لاختلاف هيكل جماجمهم واختلاف عاداتهم التي تلزمهم بحلق رؤوسهم ، ولبسهم الثياب القصيرة ، وكانت ثيابهم هذه من الصوف الخشن الذي ربما كانت تفرضه عليهم سكناهم الجبال ثم ظلت تلازمهم حتى بعد نزولهم الى رأس الخليج العربي من مواطنهم الجبلية في شرقي وادي الرافدين • وكانوا يستعملون الادوات الحجرية ، كما ظهرت صورهم في الاثار القديمة من العصر الحجري •

ونزل السومريون سهول العراق عند رأس الخليج فيما قبل اربعة الاف سنة قبل الميلاد ، ولما كانت ضفاف نهر دجلة عالية يتعذر سقي الاراضي منه بدون واسطة فقد نزلوا ضفاف الفرات ، وجففوا الارض وسورها ، ولما كان الفرات يحمل الشيء الكثير من الغرين والطمى في موسم الفيضان فقد تيسر لهم ان يفيدوا من هذه السهول •• والشواطي في زراعة الحبوب وعلى الاخص القمح الذي قيل ان بذوره قد جاءتهم من مصر ، وقد برعوا في الزراعة ، وتفننوا في الادوات التي تستعمل لهذا الغرض ، ونسب لهم المؤرخون ابتكار العجلات والدواليب المستخدمة في الاثقال والعربات ، وما لبثت ان انتشرت لهم قرى ودساكر على ضفاف الانهار ، واحسنوا العناية بتربية البقر والغنم ، ولم تقتصر اعمالهم على الزراعة وحدها ، وانما شملت التجارة والصناعة ودعيت منطقتهم باسم (سومر) •

والمهم في الامر ان حكام السومريين كانوا يرون أن من جملة وظائفهم تعهد الزراعة بانفسهم ، ويقول (بريستد) : « ولولا عناية

الحكام بالارض واشرافهم بالذات على اصلاحها لماتت الزراعة ومات يومها انسكان جوعا » •

وكما دلت الاثار على براعة السومريين وتفننهم في الزراعة والاستنبات فقد دلت الابحاث على براعتهم في البحث عن النحاس ، وعن طريق الحصول على هذا المعدن عرفوا كيفية خلطه بالقصدير والحصول على البرنز ، ولا يبعد ان يكون تمركزهم في البحرين التي كانت تسمى بـ (دلمون) ليس بسبب المياه الوفيرة والعيون الصالحة للشرب والزراعة بمختلف أنواعها وحده وانما للنحاس الذي اشتهر به البحرين (دلمون) كل الاثر في نزول السومريين بهذا الساحل فقد كانوا يتاجرون بالنحاس ويقايضون بمختلف انواع السلع مما يحصلون عليها من (دلمون) كالحجر والخشب ، والمعادن الثمينة ، ومن المواد التي كانوا يحملونها ويتاجرون بها قد شيدوا (الزقورة) الشهيرة ، لما جاء في رقعة الحضارة سومر وبابل •

وصيد اللؤلؤ كما يستبان قديم في البحرين ، ويستدل الباحثون على قدمه من وجود الاصداف المتحجرة التي ترجع الى عهود بعيدة ، ويقول (بلايتي) العالم : ان صيد اللؤلؤ قد عرف فيما قبل القرن الرابع ق•م• « وقد عثر على لوح حجري مسماري في منطقة (اور) الكلدانية ينص على أن كيسا يحتوي على (عيون السمك) قد جلب من أرض (دلمون) ـ البحرين ـ فاذا كانت هذه (العيون) تعني اللؤلؤ فان الانسان كان يسعى الى استخراج المحار منذ القدم وقبل ذلك الوقت • ولعل حباته الجوهرية البراقة كانت تستعمل لتزيين بشرة الحسان السمراوات من نساء سومر واكد واشور وبابل » (٨) •

---

(٨) البحرين من (امارات الخليج العربي) (مطبعة المعارف ببغداد) (ص) ٢٠ •

والحضارة وان كانت في النصف الاول من الالف الرابع قبل الميلاد حضارة واحدة موزعة في نواحي كثيرة من البحر الابيض الى افغانستان شمالا ، والى حوض نهر السند جنوبا [٩] فان لحضارة سومر طابعا خاصا ظهر جليا فيما ترك السومريون من آثار ، وان من المسلم به ان الحضارة السومرية قد شملت عددا غير قليل من المدن التي اسسوها على شاطيء الخليج فكانت مواقع هذه المدن تؤلف قوس دائرة يقابل شاطيء الخليج الشمالي والتقاء الماء بالارض ، وكانت تلك المدن قديما مدنا بحرية اما اليوم فهي مدفونة في رمال الصحراء ، ولما اجريت الحفائر في هذه المواقع العريقة في القدم بلغت كما ــ يقول ج . كونتنو ــ الى حقيقة يقينية هي ان الحضارة في فجر العصر القديم كانت سومرية ليس الا [١٠] ويضيف (كونتنو) فيقول : ان الضخامة التي بلغتها البحرية في الشرق القديم امر ثابت تدعمه اللوحات السومرية الخاصة بالملاحة ، ثم ان وفرة المصطلحات الفنية البحرية فيها دالة على الدرجة العالية التي بلغتها هذه الصناعة ، وتثبت وضوح هذه الاصطلاحات ، كما تدل سعة مراكب النقل على ان هذه السفن لم تكن مقصورة على الملاحة في القنوات بل كانت قادرة على الملاحة على طول الخليج [١١] .

وان هذا الذي استخرج من الالواح والنقوش وما سنورده فيما بعد يثبت ان ساحل هذا الخليج كان (سومريا) ، وان المدن والقرى التي قامت عليه كانت سومرية ، وان الساميين العرب كانوا من اقدم من

---

(٩) الحضارة الفينيقية ــ تأليف ج . كونتنو ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي ، شعيرة ، وتحقيق الدكتور طه حسين (ص) ١٧٢ .

(١٠) الحضارة الفينيقية ــ تأليف ج . كونتنو ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة ، وتحقيق الدكتور طه حسين .

(١١) المصدر المتقدم .

استوطنوا هذا الساحل ونزلوا مدينة (دلمون) التي سميت فيما بعد بالبحرين ، كما نزلوا سائر المدن السومرية الاخرى واوديتها وسهولها الخصبة ، وسكنوا هذه البقاع وبنى المتحضرون منهم حضارة زاهية على اسس الحضارة السومرية ، ولم يزالوا منذ القدم حتى اليوم هم سكان هذا الساحل واصحابه بعد ان دالت دولة السومريين وذاب شعبهم في الشعب السامي العربي أولا ، والشعب العربي مطلقا يوم عادت القواعد توحد لغتهم العربية وتقضي على اللهجات التي باعدت بينهم وبين لغة الام •

ويستدل من آثار السومريين والاكديين ان هناك قاعدة بين كل مدن الساحل ودساكره وقراه لها وحدها الاهمية الكبرى ، وقد عين الباحثون محلها في الموقع الذي كان يسمى (تدوكي) كما ورد هذا الاسم في الاثار السومرية والاكدية ، ثم جاء ذكر (دلمون) بعد ذلك في هذا الموقع أي (البحرين) وقد وجد في الكتابات المسمارية في اثار العراق من الاسماء والرموز ما يستدل به على ان (دلمون) كانت لا تزال قائمة في الالف الثاني قبل الميلاد كمدينة ذات شأن واهمية بين المدن المعروفة، ونعتقد ان هذه الاهمية التي كسبتها (دلمون) القديمة أو (البحرين) الحالية انما هي نتيجة كثرة عيون المياه في ذلك الزمن وكثرة البساتين والاشجار والنعمة الوافرة ووجود النحاس والاخشاب واستخراج اللؤلؤ حتى لقد نعتها السومريون بالفردوس ، وقال البعض ان المقصود بها جنة عدن •

ودلمون جزيرة تحيط بها المياه وقد ذكرها سرجون ٧٢٢ - ٧٠٥ قبل الميلاد ، كما ذكرها (آشور بانيبال) ، ويفهم من اقوالهما انها جزيرة في البحر وان المساحة التي ذكرها (سرجون) بين (دلمون) ومصب نهر الفرات تساوي ما كان بين البحرين ومصب الفرات ،

وهذا ما يفند اقوال الذين عينوا (دلمون) في مواقع اخرى غير البحرين.

ونقل محمود بهجت سنان عن (تاريخ العرب قبل الاسلام) : ان (هومل) قد اشار الى نص ارخ نحو سنة ٤١٧ ق.م وهو نص بابلي ورد فيه اسم ارض دعيت (بردسيو) وهي تقابل كلمة (بلداش) في العبرانية ، وكلمة فردوس في العربية . وان هذا الفردوس يقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب بين (ماجان) التي هي (مجان دبان) و (بيت نيسانو) التي هي في جزيرة (دلمون) ، وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في ان ماورد عن (جنة عدن) في التوراة انما اريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب ، وعلى سواحل الخليج ، وهذا ما يثبت رأي الذين يعتبرون (دلمون) هي البحرين ، لاسيما وقد جاء وصفها بانها جزيرة تحوطها المياه وبذلك يفند رأي الذين ينكرون ان تكون (دلمون) هي البحرين .

وفي اخبار سرجون الاكدي انه غزا (دلمون) واضاف الارضين المتاخمة الى ملكه ، وان سرجون نفسه يفاخر بانه وصل غابة الارز وجبل القصة (طوروس) وانه جعل سفن (ملوخا) - بلاد العرب - وسفن (ماجان) - عمان - وهي مورد النحاس ، وسفن (دلمون) - جزر البحرين - تلقي مراسيها عند الرصيف امام اكد مما يدل على ان لهذا الساحل سفنا كانت تمخر عباب الخليج العربي حتى تصل الى (اور) .

ويقول ابنه (مانشتوسو) ان سيطرته امتدت حتى مناجم الفضة ، وانه اخذ الحجارة من جبال البحر الادنى لعين (الخليج العربي) وذلك عام ٢٠٠٠ ق.م .

دلمون والفردوس

وفي كتاب (الواح سومر) ما يؤكد كون ان (دلمون) كانت تتمتع بكل الخيرات من ثمرات الارض ونعمتها حتى نعتت بالفردوس ، وهي

غاية ما تنعت به ارض مفعمة بالخير والبركات ، فقد جاء في قصيدة سومرية كانت مؤلفة من ٢٧٨ سطرا وهي منقوشة في لوح مؤلف من ستة حقول ، وهو محفوظ الان في متحف جامعة (بنسلفانيا) ويوجد نص مكرر للنص الاول في متحف (اللوفر) سبق ان تعرف عليه (ادوارد كيبرا) ، ويمكن ايجاز موضوع هذه الاسطورة السومرية عن (الفردوس) التي تدور حول الآلهة دون البشر على الوجه الاتي(١٢) .

« كانت بلاد (دلمون) ـ وهي المقصود بها البحرين ـ ارضا طاهرة مشرفة نظيفة ، ارضا معدة للحياة ، وكانت لاتعرف المرض ولا الموت ولكن مع هذا كان ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات ولذلك نجد اله الماء السومري العظيم (انكى) يأمر (ادتو) آله الشمس أن يملأها بالمياه العذبة النابعة من الارض ، وهكذا تحولت (دلمون) الى حديقة آلهية خضراء بالحقول الملأى بالاثمار والمروج والرياض ، وفي هذا الفردوس الآلهي جعلت الآلهة (ننخرساج) ثمانية انواع من النباتات تنمو وتزدهر ، وان (ننخرساج) هي (الالهة الام) عند السومريين ـ ولعلها الارض الام في اصلها ـ لم تفلح في ان تظهر هذه النباتات الى الوجود الا بعد عملية معقدة شملت ثلاثة اجيال من الالاهات ولدن كلهن من اله الماء » .

... القصيدة ان ولادتهن قد تمت بدون ادنى الم عند المخاض ، ولكن (انكى) وهو اله الماء السومري العظيم ـ اراد ان يذوق طعم تلك النباتات ، فأمر رسوله المسمى (ايسمد) وهو الاله الذي يمثل (بوجهين) ان يقتطف لــه تلك النباتات العجيبة ، حيث قدمها لسيده

---

(١٢) كتاب (الواح سومر) تأليف صموئيل كريمر ـ ترجمة الدكتور طه باقر ، ومراجعة الدكتور احمد فخري .

الذي اكل منها واتى عليها كلها بالترتيب ، ولما علمت (ننخرساج) ـ ام الآلهة ـ بالأمر ... غضبت ، ونطقت بلغة الموت على الاله (انكى) ولكيلا تغير في قرارها اختفت من بين الالهة .

والراجح ـ كما مرّ من قبل ـ ان يكون الفردوس الذي جاء ذكره في التوراة هو الفردوس السومري ، أي (دلمون) ، فهي اسطورة نقلتها التوراة من الاثار السومرية .

صفات دلمون

واقتبس (صموئيل كريمر) من القصيدة السومرية المنقوشة في اللوح صفات وصف بها (دلمون) باعتبارها ارض الخلود التي لايوجد فيها مرض أو موت ، وكان بعض ما اقتبس (كريمر) ما يلي :ـ

في دلمون لا ينعق الغراب الاسود .
ولا يفترس الأسد احدا
ولا يفترس الذئب الحمل
ولم يعرف بدلمون الكلب المتوحش الذي يفترس الجدي
ولا احد يقضي على العلة
ولا توجد في دلمون ارملة
وان الحمامة لاتحني رأسها
وليس فيها ـ أي في دلمون ـ ارمد يشكو من عينيه
ولا من يشتكي الصداع
حتى ان عجوز دلمون لايعتورها العجز
ولا تدرك الشيخ الشيخوخة
والمنشد لايعول بالرثاء[١٣]

---

(١٣) مقتبسة من (الواح سومر) ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

الساميون العرب والهجرة

يرى الباحثون في اصول اقوام الشرق الادنى ان اسلاف سكان الجزيرة العربية كانوا يتمتعون في الاصل بحضارة قديمة في الطرف الغربي الجنوبي من شبه جزيرة العرب ، وقد كانت بلادهم في تلك الازمان عامرة بانهارها الدائمة الجريان وبامطارها الغزيرة الدائمة الهطلان ، الا انها تعرضت الى تغييرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الاخير في حدود ٢٠٫٠٠٠ (عشرين الف سنة) قبل الميلاد الامر الذي ادى الى انحباس الامطار ، واندثار الانهار ، حتى اخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي الحالي مما اضطر الانسان والحيوان الى الهجرة ، ومنها اخذوا يتوزعون على اطراف الجزيرة وما يحاددها مما يلتمسون فيه لهم ولحيواناتهم الحياة الرفيهة من حيث الماء والزرع والمرعى في موجات متعاقبة ، وفي ازمان متقاربة حيناً ومتباعدة حينا اخر حسب مقتضيات المعيشة والضرورة التي تدعوهم الى الهجرة(١٤) فمنهم من توجه نحو بلاد الرافدين ، ونحو الفرات بصورة خاصة ومنهم من استقر في فلسطين وفي سوريا ولبنان ، وهناك من توجه غربا نحو طور سيناء واطراف وادي النيل الاسفل الشرقي •

وليس من شك وقد مرّ وصف طبيعة اقليم الساحل - ساحل الخليج العربي الجنوبي - وما يتمتع به من النعم حتى اطلق عليه السومريون وعلى قاعدته (دلمون) التي سماها العرب بعد ذلك بالبحرين اسم (الفردوس) المحفوف بالخير والبركات والمياه العذبة والاشجار والنباتات حتى جاز للاساطير ان تنسب لـه الامان من الشرور للانسان وللحيوان فتزعم هذه الاسطورة ان الامن وسعادة الانسان والحيوان بلغت درجة ان الاسد لايفترس احدا في هذا الفردوس ، وان الذئب لايفترس

(١٤) الملخص لكتاب (العرب واليهود في التاريخ) جعفر الخليلي ص٢٧ •

الحملان ، بل ولا يشيب المرء في (دلمون) ، ولن تهدد الشيخوخة حياة الانسان ... الخ[١٥] .

وفي معجم البلدان ، برواية للحسن عن رسول الله (ص) قوله : (من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان) ، وهذا دليل على ما كانت عليه عمان التي اعتبرت ضمن اقليم البحرين من الرخاء .

وكانت (اليمامة) التي الحقها البعض بالبحرين او بجوار اقليمها على الاقل قد قيل عنها انها « احسن بلاد الله ارضا ، واكثرها خيرا ، وشجرا ونخلا » .

واذا صعب علينا أن نعيّن تاريخ الهجرة السامية العربية الى ساحل الخليج لاول مرة لعدم وجود مصادر علمية يركن اليها فليس من الصعب ان نجزم بان دواعي الهجرة من جزيرة العرب قد ساقت طوائف من السامين العرب الى هذا الاقليم وتم اختلاطهم بالسومريين حتى ذاب بعضهم في بعض مثلما ذاب (السومريون) المجهولو الجنسية في الفرات بالبابليين الساميين وصار هذا الساحل موطنا للساميين العرب الذين تأثروا بحضارة السومريين منذ ابعد الاجيال التي لم تحددها المصادر العلمية بعد كما مرت الاشارة الى ذلك .

وهناك ادلة كثيرة على قدم الساميين العرب في هذا الاقليم ، ففي معجم البلدان عن الزجاجي ان (عمانا) انما سميت (عمانا) فلانها منسوبة لعمان بن ابراهيم الخليل ، اما ابن الكلبي فينسبها الى (عمان) حفيد ابراهيم الخليل .

وان (المشقر) حصن بناه (طسم) .

---

(١٥) الواح سومر ص ٢٤٥ .

وان اسم (اليمامة) التي نسبها بعض المؤرخين الى اقليم البحرين انما سميت باليمامة نسبة الى اليمامة بنت سهم بن طسم ، وان طسم وجديس كما يقولون هما من ولد الازد بن ارم بن لاوذ بن سام بن نوح وقد اقاما باليمامة ، وسواء كانت هذه الاخبار ضربا من ضروب الاساطير أو لم تكن فهي تصلح ان تكون دليلا لما كان يجول في الاذهان على الاقل .

واصل كلمة (هجر) التابعة للبحرين كما يجوزه ياقوت الحموي ان يكون من الهجرة ، واصل خروج البدوي من باديته الى المدن وهو بلغة حمير والعرب العاربة يعني القرية .

وفي تاريخ (العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد علي ان المنقبين على المقابر في البحرين عثروا على بعض الاسلحة البرنزية ، والمؤرخون يذهبون الى احتمال رجوع هذه القبور الى العصر البرنزي في الالف الثالث قبل الميلاد ، وان هؤلاء المدفونين قد وردوا من الاقسام الجنوبية الغربية من بلاد العرب حيث موطن الهجرات السامية .

وسادت اللغة السامية هذا الاقليم بعد ما زال العصر السومري ولكن اثارا من الحضارة السومرية وبعض النظم الادارية بقيت متغلغلة في سكان هذا الاقليم ومنها نظام الامارات وحكومات المدن المجزأة التي يمثلها الشيوخ والحكام والامراء حتى اليوم في الخليج وهو نظام سومري .

فمن ابرز ما كان يتميز به العصر السومري هو نشر فكرة الدولة أو الامارة في الادارة والحكم ، وقد لعبت هذه الدويلات والامارات ادوارا مهمة في طريقة نظام العصر السومري وطرق الحياة العامة بين المواطنين السومريين على امتداد نفوذ السومريين بحيث تناولت الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والصناعية وحتى السياسية . وحتى راح بعض

المؤرخين ينعت العصر السومري (بعصر دويلات المدن السومرية) (١٦) لذلك يسهل الجزم بأن ساحل الخليج العربي كان من بعض تلك الدويلات ... السومرية التي يستلزم نظامها ان يكون لكل مدينة حاكم ، وامير ، وشيخ مستقل أو غير مستقل تبعا للنظام السومرى ، اضافة الى كونه نظاما اخذ عنه نظام (البلديات) وتطور حتى عم اليوم جميع اقطار العالم .

اللغات السامية

يذهب المؤرخون المعنون في دراسة اللغات السامية واصولها وما يتعلق بها من الاشتقاقات والعرف ، وما يسودها من اللهجات الى ان كل هذه اللغات كانت في اصلها لغة واحدة هي التي انبعثت منها كل اللغات السامية والمسماة بلغة (الام) وان موطن هذه (الام) كان جزيرة العرب ، وقد اندثرت لغة الام ولم يبق منها الا اثار هي التي تدعى على انها كانت لغة واحدة في الاصل فتفرعت منها لغات كانت منها اللغة العربية ، ويرى البعض من الخبراء ان اللغة العربية التي يتكلم بها بدو الصحراء اليوم هي اقرب اللغات الى اللغة السامية الاصيلة ، بل هي نفسها (ام اللغات السامية) على الاطلاق ، مستندين ، الى بقاء هذه القبائل البدوية منعزلة عن الاختلاط بالشعوب والاقوام الاخر ، واختلف المؤرخون في اسم (العرب) وحتى صار يشمل كل جزيرة العرب ووجدوا ان هذا الاسم قد ظهر في الاثار البابلية ، أي في الالف الثاني قبل الميلاد ، ولكنه ظهر لاول مرة كأسم يشمل جميع سكان جزيرة العرب في القرن الثالث قبل الميلاد، اما قبل ذلك فقد كانت كل قبيلة من العرب تسمى بأسم مساكنها من الجزيرة أو اسم سلالتها ، اما الاسم الشامل قبل ذلك للعرب فقد كان

---

(١٦) ملخص كتاب (العرب واليهود في التاريخ) ، جعفر الخليلي .

(الاسماعيلية) نسبة الى اسماعيل بن ابراهيم ، ثم عمّ بعد ذلك اسم العرب كل سكان الجزيرة .

ونقل الدكتور جواد علي عن (فليب حتي) قوله : ان أول من ذكر العرب في أداب اليونان هو (اسكيلوس) ٥٢٥-٤٥٦ قبل الميلاد ثم تلاه (هيرودتس) في نحو ٤٨٤-٤٢٥ ق.م . وان لغة سكان الجزيرة العربية من العرب والاعراب فقد كانت لغة مختلفة في لهجاتها وحتى في الكثير من الفاظها وكلماتها بحيث تختلف لغة منطقة واحدة لقومية واحدة من الاقوام العربية حتي يكاد لايفهم بعضهم لغة بعض وهم سكان منطقة واحدة ، ومن هذه اللغات المختلفة واللهجات الخاصة كانت لغة سكان عمان من العرب الى ان توحدت لهجتهم ولغتهم بسبب التقارب بين القبائل والنازحين من كبد الجزيرة فبادت تلك اللهجات ، وقد كانت اللهجات المختلفة موجودة حتى عند ظهور الاسلام وعلى الأخص عند سكان الشرق الذي يشمل ساحل الخليج العربي اذ كانت لغته ولهجته تختلف كل الاختلاف عند ظهور الاسلام عن لغة ولهجات العرب من قلب الجزيرة العربية واليمن، وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : (ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا) .

حتى الخطوط التي استعملها العرب قبل الاسلام كانت خطوطا مختلفة واقلاما غير متشابهة ظهرت بعد اسماعيل(١٧) .

فاذا اختلفت اللغة السامية العربية في ساحل الخليج العربي ولم يستطع المؤرخون أن يعينوا طبيعتها الكاملة بناء على العوامل التي مرت على الجزيرة العربية وغيرت منها لهجاتها والفاظها ومعاني كلماتها ، فلا يعني ذلك ان السكان الاوائل لهذا الاقليم ، اقليم الساحل ، ليسوا من الساميين

---

(١٧) بلوغ الارب ـ الجزء الثالث ، ص ٣٦٩ .

العرب بعد كل ذلك الاختلاف الذي استعرضناه بايجاز في لهجات اللغة العربية نفسها .

الغزوات التي تعرض لها الساحل

لقد تعرض هذا الساحل لغزوات من دول وشعوب مختلفة قضت على حكمه نفسه وخضعت للقائمين بتلك الغزوات ولكن ليس لدينا أي دليل على ان تغييرا قد حدث في سكان هذا الساحل ، وان عنصرا قد حل محل الساميين العرب في هذا الاقليم ، فحين قامت دولة الاكديين التي اقتبست حضارتها من حضارة السومريين كتابة ولغة ، وبناء ، وصناعة ، حتى قويت فظهر فيها الملك (سرجون) الكبير الذي اغار على دويلات المدن السومرية واخضعها وأسس منها ومما جاورها مملكة موحدة قوية شملت معظم بلاد الرافدين فتلقب بملك (سومر واكد) ، ليس لدينا هناك حين اخضع مدن الساحل العربي لنفوذه اي دليل على تغيير القومية السامية العربية التي سكنت ساحل الخليج واتخذت منه موطنا لها ، فكان سرجون هذا أول زعيم في تاريخ الجنس السامي ، واول ملك اسس مملكة كبيرة ، وقد ورد في اقدم الاساطير السومرية ما يشير الى هذا الصراع بين ملوك دويلات المدائن ، ويؤكد (ديورانت) مؤلف كتاب (قصة الحضارة) ان النزاع بين السامية وغير السامية لعب دورا مهما في تاريخ الشرق كما ورد في (المختصر من كتاب العرب واليهود في التاريخ) وحين تم خضوع المدن السومرية كلها في الفرات لسرجون في الربع الاول من الالف الثالث قبل الميلاد ضم اليه اقليم ساحل الخليج ، فاخضع (دلمون) لنفوذ البابليين ، وقد ذكر (فراستوس وبلياتس) خضوع الساحل لسرجون ، وقال ان سرجون غزا (تولون) ، وتولون هذه اسم احدى جزائر (البحرين) وقال (كوردون تشايلد) ان سرجون ومن جاء من ابنائه وبالاخص حفيده المدعو (نارام سن) قد نهجوا نهج سرجون

في الفتوح وسيطروا على جميع البقاع من البحر الابيض المتوسط ، وكل هذا ليس الى جانبه ما يشير الى تغيير طبيعة سكان هذا الساحل وحلول سكان أخرين محل هؤلاء السكان •

ومن المخطوطات الاثرية ما يشير الى اسم ملك كان على (داعون) يسمى (يوبيري) في ايام سرجون الذي اخضع (البحرين) لحكمه ، فكان سرجون يفتخر بأن (يوبيري) هذا الذي يشبه السمكة في وسط مشرق الشمس – والمشرق هنا يعينونه بالنسبة لمركز بلادهم – بعيدا من البحر ، فيقول سرجون انه كان يخضع لنفوذي ويدفع لي الجزية كما تشير الاثار الى ان ملكا كان على البحرين اسمه (نابو بولاسور) ، وهذا دليل اخر على نظام (دويلات المدن) السومرية الذي يجعل لكل مدينة أو منطقة حاكما أو ملكا •

وكل هذا الخضوع الكامل من سكان الساحل للاكديين البابليين ليس فيه أي دليل على تغيير جنسية هذا الساحل ، بل بالعكس فان دفع الجزية من قبل (يوبيري) دليل على عدم سكنى الاكديين في هذا الساحل •

وما يقال عن خضوع الساحل العربي من الخليج وخضوع قاعدته (دلمون) اي البحرين للبابليين حكما فانه يقال عن خضوعه للاشوريين فقد روى عن سنحاريب الاشوري انه بعد أن اخضع بابل ودمرها واجرى الماء عليها ليزيل معالمها من الوجود ونكل بسكانها جهز اسطولا نهريا كبيرا ضخما وسار به في نهر دجلة وجابه الكلدانيين والعيلاميين ، ودخل باسطوله هذا الخليج عازما على ان يخضع (دلمون) لنفوذه ، وحين اخفق لجأ الى حيلة اشارت اليها النصوص المسمارية فقالت انه ارسل جماعة من الناس بدل جيشه يحملون رمادا للمحروقات البابلية مشيرا بذلك الى ان سطوته كبيرة ، وبطشه عظيم اذا جاءكم ولم تنضموا اليه فاثمرت هذه الحيلة لدى (دلمون) ، وعلم اهل دلمون ان مصيرهم سيكون مصير بابل اذا ما تمردوا

فانضمت (دلمون) تحت لواء الامبراطورية الاشورية التي اقامها سنحاريب العظيم (١٨) •

وهذا دليل اخر على عدم تغيير جنسية سكان هذا الاقليم اذ ان الخضوع للسلطة لا يدل على نزول الاشوريين في الساحل بحيث تتغلب كثرتهم على سكان الساحل القدماء فتتغير بذلك طبيعتهم كما تغيرت طبيعة السومريين سكان هذا الاقليم القدماء فذابوا في الساميين العرب •

وفي (تاريخ العرب قبل الاسلام) ان اسكندر المكدوني كان ينوي ضم الخليج وجزره الى سيطرته ، وكان يهم بان يسكنها باليونانيين من قومه ، والمقصود بالجزر هي جزيرة (تيلوس) التي قيل انها تعني (البحرين) ، وقد نزل قواد الاسكندر بالفعل في هذه الجزائر ، فقال اليونانيون انها كانت ارضا خصبة تحتوي على مزارع وعيون من المياه ، وكانت اوصافهم لا تنطبق على (المنامة) وهي البحرين التي عرفت باسم (اوال) المعبود الاكبر لهذه المنطقة •

واذا اعتبرنا محاولة الاسكندر غزوه لهذا الاقليم فهي الاخرى لم تترك على سكان هذا الاقليم ما يغير طبيعة سكانه القدماء وقوميتهم ، وقد ظلوا كما هم ساميين عربا مالكين لذلك الاقليم ومعمريه ، وبانيه ، ومؤسسي مدنه ، ومشيدي معابده منذ ان نزحوا من الجزيرة العربية بداوعي الهجرة ، او كانوا قبل الهجرة اذا صح وجودهم في هذا الاقليم قبل الهجرة •

وتمت للفرس السيطرة في عهد الساسانيين على هذا الاقليم وقاعدتيه (البحرين) و (هجر) في عهد (سابور ذي الاكتاف) ، وقام الفرس في هذا الاقليم بتنظيمات ادارية وحربية واقتصادية وكان منها الخندق الذي

---

(١٨) البحرين من امارات الخليج العربي ـ مطبعة المعارف ، بغداد ص١٣ •

يمتد فيما وراء الكويت حتى ينتهي عند البحرين خليج (كاظمة) ، وذلك بأمر (ذي الاكتاف) نفسه لكي يحفظ هذه المنطقة من غزو الاعراب والبدو ، وكبر عدد الجاليات الفارسية التي نزلت هذا الاقليم في عهد الساسانيين ، ومع ذلك فلم تفقد العروبة مزيتها ، ولم تترك عاداتها ، ولم تتغير جنسيتها منذ ان كانت لغتها لم تتوحد بعد مع اللغة العربية التي سادت بعد ذلك جميع انحاء الجزيرة ، ثم حين ظهر الاسلام خرجت اللغة العربية الى المناطق التي دخلت في الاسلام ، دعمت عموم المسلمين في ديارهم بفضل القرآن الكريم والصلاة والطقوس الدينية •

والديانات هل كان لها تأثير في تغيير طبيعة السكان ؟

واعتنق سكان هذا الاقليم منذ ان عرفتهم هذه البلاد عبادة الاصنام وقد اخذوها من السومريين أو ممن جاورهم من البابليين ومما كانوا عليه من قبل ، فتعددت اصنامهم فكان منها الآلهة (لخامو) الهة (دلمون) وكان منها الالهة (انزاك) التي عثر على اسمها في كتابة وجدت في البحرين ، وكانت (عشتار) ، ومن اشهر عبادات الوثنية كانت عبادة (اوال) وهو صنم سميت جزيرة البحرين باسمه ، و (المرّق) ، وهو الاخر صنم لا يزال يطلق اسمه على جزيرة المحرق في البحرين و (اوال) كانت تعبده بكر بن وائل ، وغير هذه الاصنام والعبادات الوثنية عبادات كثيرة كعبادة الخيل •

وانتقلت المجوسية عن طريق الجالية الفارسية الى هذا الاقليم ، فكان للمجوس عدد من بيوت النار ، واعتنق بعض القبائل العربية المجوسية ومنهم (تميم) ، وكان من اشهر من اعتنقها من ساداتهم (زرارة) و (حاجب بن زرارة) وليست المجوسية الديانة الوحيدة التي دخلت هذا

الاقليم ، وانما سبقتها اليهودية التي كانت شائعة بين قبائل عرب اليمن والحجاز ، وقد نشرها في البحرين (الحرث بن عمر الكندي) وهو جد (امرىء القيس) وابن اخت (تبع بن حسان) الذي قد يكون من اوائل من اعتنق اليهودية من العرب ، وكان (الحرث) هو القائم بالحكم يومذاك في البحرين [١٩] •

ودخلت المسيحية هذا الاقليم ، ومن اشهر من اعتنقها من عرب البحرين هم قبائل من تغلب ، وبكر بن وائل ، وعبدالقيس ، وكان (المنذر بن ساوي) ـ وهو عامل كسري على البحرين ـ نصرانيا ، وكانت للمسيحية مراكز دينية في البحرين ، وهجر ، ودارين •

يقول ابن الاثير : وكان سكان البحرين يتألفون من العرب والمجوس واليهود والنصارى ، وكانت ولاية البحرين للفرس [٢٠] وقد حكموها في العصر الساساني ، ثم عادوا فحكموها منذ سنة ٧٣٥ ـ ١٧٨٤ •

كل هذه التيارات المختلفة من العبادات والاديان كان لابد لها ان تحدث اثرها في الاقوام فتغير من اتجاهاتها ، وافكارها وحتى جنسيتها ، ولكن لا هذا ولا غيره من نفوذ الحكام وحتى من اختلاف عادات الساميين قبل أن تتوحد لغتهم العربية ومنذ عهد العرب البائدة الذين سكنوا هذا الاقليم والذين تسموا بـ (جاشم) فكان منهم بنو (اميم) بن (لاوذ) ، وطسم وجديس الذين سكنوا اليمامة وما حولها الى البحرين ، وقد ذكر (التتوني) ان سكان البحرين هم من عمالقة طسم وجديس وهم من العرب البائدة • ان كل تلك العوامل لم تستطع أن تغير للسكان قوميتهم وعاداتهم •

---

(١٩) البحر من درة الخليج ـ ص ٣١ •

(٢٠) الكامل لابن الاثير ـ ج (٢) ص ٢١٥ ـ دار صادر ودار بيروت •

وورد في تاريخ اليونان اسماء قبائل عربية غير معروفة كقبيلة (لانـي) التي كانت تقيم بين القطيف وقطر ، وقبائل (نحيطي) و (زرازي) فـي قطر وقبيلة (المائة) وغيرها من القبائل التي كانت تختلف في عاداتهـا وطريقة معيشتها ، وحتى في لهجاتها الامر الذي كان لابد أن يكون عامـلا من عوامل التفكك ويحدث تيارا اخر الى جانب التيارات الدينية فيفقـد الاقوام جنسيتهم وطبائعهم ويحول بين توحيد اللغة ، والجامعـة القومية ، ولكن مثل هذا لم نجد له اثرا في التاريخ لا اليوم ولا قبله ، وبقي هـذا الشعب السامي العربي في اقدم العصور والعربي السامي في عصوره الاخيرة عربيا بحتا باخلاقه وعاداته وتقاليده ولغته وادبه ودينه الاسلام ، فـي حين فقد الساميون العرب في شمال الجزيرة العربية كل مزاياهم العربيـة حتى جاء الاسلام فنزل العرب المسلمون في المواقع التي كـان الساميون يسكنونها ، واسسوا للعرب موطنا جديدا ، وكانت اللغات السامية العربية قد بادت واصبحت من الاثار التي يتدارسها العلماء واهل الخبرة .

فحين جاء الاسلام وجد ان جميع مدن الساحل وسكان بادية هـذا الاقليم كانوا عربا اقحاحا من حيث الطباع والعادات واللغة ، وأهم تلـك القبائل طوائف من (عبد القيس) وطوائف من (بني تميم) وطوائف من (الازد) واخرين من (بكر بن وائل) وقد تغيرت اسماء المدن القديمة الى اسماء عربية فسميت (دلمون) و (آوال) باسم البحرين والساحـل باسم (العروض) وتطورت السامية (الام) بحضارتها ولغتها وعاداتهـا حتى كانت قطعة صحيحة من جزيرة العرب ، وهذه ميزة انفرد بهـا الساحل العربي من الخليج وحق له ان يفاخر بكونه القطر الوحيـد الذي سكنه الساميون العرب وتطوروا وكان لهم وحدهم الفضل فـي الحضارة التي تأسست في مدن الساحل بعد السومريين .

هل ان للفينيقيين يدا في
حضارة الساحل ؟

يذهب المؤرخون الى ان حضارة الساحل العربي من الخليج مدينة للفينقيين في هذا الازدهار من البناء ، وتمصير المدن ، والتجارة ، وحتى في الديانة ، وحجتهم في ذلك ان (كيتاني) يذهب الى ان الفينيقيين قد انبعثوا من الخليج ونزحوا عن طريق البحر الاحمر الى شمال الجزيرة حيث استقروا في سواحل لبنان ، ويستند (كيتاني) في هذا الرأي على ما جاء في تاريخ هيرودتس اليوناني ، وحجة اخرى تقول ان مدينة بناها الفينيقييون باسم (اوفيرا) التي عرفت بما فيها من الذهب ، وان جزيرة في الخليج باسم (تيلوس) وهي (البحرين) ، وكذلك جزيرة باسم (ارادوس) ويذهبون الى ان سكان جزيرة (ارادوس) قدماء يعود العهد بهم الى بداية التاريخ وذلك لوجود مصايد اللؤلؤ فيها ، وان هذه الاسماء هي اسماء فينيقية •

ومن ادلتهم على وجود الفينيقيين في هذا الاقلبم ان (سترابون) وهو أحد الرحالة اليونانيين قال في رحلة عن ساحل هذا الاقليم : (انك اذا سرت في شواطيء الخليج رأيت هياكل تشبه هياكل الفينيقيين) •

وفي السنين الاخيرة قام المنقبون في البحرين بالتنقيب فعثروا على مقابر تتجه مداخلها الى الغرب فقالوا انها تشبه مقابر الفينيقيين ، ومن هؤلاء القائلين بذلك كان (سترابون) •

ومن الادلة التي يعتمدها المؤرخون هي ان اليونانيين قالوا أن في الساحل معابد من بقايا مدن فينيقية •

وان الالهة التي تسمى عشتار أو عشتروت ، أو عشتارت ، التي عبدوها هنا في ساحل الخليج كانت الهة فينيقية •

هذا اهم ما يعتمده المؤرخون في نسبة حضارة هذا الساحل الى الفينيقيين والفينيقيون وان كانوا ساميين عربا في الاصل فالراجح انهم لم ينبعثوا من هذا الاقليم بل وليس لهم أية صلة على ما يستنتج ـ بالبحرين •

اولا : لان الفينيقيين كنعانيون ، وقد تفرعوا من الكنعانيين الساميين في فلسطين (٢١) وقد سماهم اليونانيون باسم (فينيقيا) لاول مرة ، ويقول (ج • كونتنو) ان الراجح هو ان هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليوناني (فوينيكس) (٢٢) ، وقد سموا به وهم في مملكتهم بساحل لبنان ، فما الذي جاء بهم الى ساحل الخليج ، بهذا الاسم ؟ •

ثانيا : لو كان الفينيقيون من سكان الخليج فما هي الدواعي التي دعتهم للهجرة من هذا البلد الذي سمي باسم (الفردوس) لرخائه ووفرة النعمة فيه ؟ واذا سلمنا بان هناك دواعي لا تزال مخفية عنا فان هذا سينفي رأي المؤرخين القائلين بان الفنيقيين كنعانيون وقد انبعثوا من الكنعانيين في فلسطين واسسوا لهم في سواحل لبنان مملكة خاصة بهم وهذا ما يكاد يجمع عليه المؤرخون •

ثالثا : ان اسم (تيلوس) (ارادوس) وما شاكلها كانت اسماء يونانية على اغلب الظن ، فان لم يصح هذا الظن وثبت ان هذه الاسماء فينيقية فان اطلاقها من الفينيقيين على بعض الجزر والمواقع في الخليج لا يدل بأي وجه على استيطانهم في هذا الساحل ، لان اليونانيين يطلقون على النفوذ مثلا اسم (ارموس) وعلى موضع عند خليج ظفار من عمان اسم (سيكارو) وعلى (تبوك) اسم ثباجا أو (ثابا) و (سينوس جراليوس) وغير ذلك من الاسماء فهل يعني هذا ان اليونانيين قد سكنوا هذه البقاع

---

(٢١) الحضارة الفينيقية •

(٢٢) (الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ) جعفر الخليلي ص ٤٠ •

واستوطنوا فيها ؟ وكانت لهم في قلب الجزيرة العربية وفي الخليج ممالك ومواقع استيطان ؟

رابعا : ان عبادة عشتار لم تكن مقتصرة على الفينيقيين وحدهم وانما كانت معبودة بابل كالهة الحب الاسيوية فلماذا نجزم بأن ساحل الخليج قد اخذ عبادة (عشتار) من الفينيقيين ولم يأخذها من بابل ؟ ثم ان (عشتار) لم تكن معبودة الفينيقيين الوحيدة ، وانما كانت الهة لشمال فينيقية وهي واحدة من عدة آلهة فلماذا خصت بالبحرين من دون جميع الآلهة وهي ترمز عند الفينيقيين الى الخصيب ، وهي الالهة (الام) ، اما في بابل واشور فقد عرفت فوق كونها ، (الام) ، بانها الاهة الحروب والمعارك وهي نظيرة (افروديت) عند اليونان كالهة ، وان عشتار هي عشيقة (ادونيس) ، وان ادونيس هذا هو رب الزراعة والاشجار ، وهو المعبود في جميع انحاء فينيقية فلماذا لم يكن هو المعروف في البحرين ؟ أو لماذا لا يكون اسم (ادونيس) مقرونا بأسم (عشتار) على الاقل ؟ في حين ان عبادته وعبادة عشتار معا ترجع الى ابعد العهود عند الفينيقيين ؟ .

خامسا ـ المعروف ان كثيرا من عبادات اقليم الساحل العربي في الخليج قد اخذ من السومريين والبابليين والاشوريين بصفات واحدة ، واسماء مختلفة ، كما وجدت الى جانبها آلهات اخرى تسربت من المجاورين كان منها عبادة الخيل ، ولم تكن الخيل معروفة في بابل او في ساحل الخليج وانما نقل الكاشيون غير الساميين ، المندفعين من الجبال ـ الخيل الى بابل قبل الفي سنة قبل الميلاد ، فاتخذها سكان الخليج معبودا[٢٣]، وعبدوها اولا ثم استخدموها في الحرب والصناعة ، فهل يعني هذا ان

---

(٢٣) العصور القديمه ـ جيمس هنري بريستد ـ مطبعة الاميركانية ببيروت ص ١٠٢ .

الكاشيين قد حكموا ساحل الخليج لان الخليج اقتبس عبادة الخيل منهم ؟ هذا اذا كان هذا الاقليم قد اقتبس عبادة (عشتار) من الفينيقيين رأسا وبصورة ما ، ولماذا لا تعزوا اخذ ديانات هذا الاقليم في الاصل الى السومريين الذين تعددت الهتهم ، لاسيما وقد ورد في المخطوطات المسمارية على الاراقم اسم الاله (انزاك) اله بابل الولي هو نفس الاله (نبو) الذي كان يعبده سكان (دلمون) في ذلك العصر ، وغير هذا من اسماء الهة كثيرة قد اقتبسها هذا الاقليم من هنا وهناك ، ويقول (كونتنو) ان الفينيقيين انفسهم لم يخلفوا لنا فيما نعرف الى ايامنا هذه اي ايضاح عن موضوعات الديانات •

سادسا : ومن عقائد الفينيقيين تضحية الاطفال ودفنهم في اركان بيوتهم ، وجوزوا في حالات خاصة ان يضحوا بالحيوانات بدل الابن ، ويدفنوها في مقابر مستقلة ولم يوجد ـ على علمنا ـ في البحرين ما يستدل به على هذه العقيدة في الحفريات التي جرت في هذه القبور أو غيرها ، وكل ما وجد هو ان بعض المدافن لاجداث الادميين كانت تحوي الى جانبها عظام بعض الحيونات ، على ان مدافن الفينيقيين مدافن متنوعة مختلفة حسب عصورها ، وتنوع ديانة كل مدينة ومعبودها وليست لها صفة ثابتة لتقاس عليها المدافن التي وجدت في البحرين •

ولم يعثر المنقبون البلجيكيون الذين قاموا بالتنقيب في مقابر البحرين واثارها القديمة ، لا داخل القبور ولا في النقوش على اي اثر يستدلون منه على معرفة جنسية هذه الاجداث والمقابر ، وذلك لانعدام وجود أية كتابة أو شواهد على القبور مما يستعملها الفينيقيون في الغالب على قبور حكامهم أو شخصايتهم •

وهذه صورة لاكثر المدافن والقبور شيوعا عند الفينيقيين والتي عثر عليها في السواحل اللبنانية لنقارنها بالقبور التي تم العثور عليها في البحرين : ـ

كان الجثمان عند الفينيقيين يوضع في تابوت ، واحيانا تكون التوابيت فوق طبقة من الحصباء ، وتوضع حولها ادوات من الحلي والفخار ، ثم صار في عادتهم التحنيط للميت اذا كان هذا الميت ذا شان وقدرة عندهم ، ولاشك انهم كانوا متأثرين بالمصريين ، ويدل على ذلك كهف كشف في (بيلوس) وهي (جبيل) فيه عدة قبور وفي القبور توابيت يرجع عهدها الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وفيما يلي النص المنقوش على (شاهد) احد القبور كاحدى الوثائق التي تصور اهتمام الفينيقيين بالحياة فيما وراء الموت .

يقول هذا (الشاهد) المنقوش على القبر ما يأتي : ـ

(انا رتا بنيت) كاهن عشتارت ملك (الصيداويين) ـ اهل صيدا ـ أبن (اشحونزر) كاهن عشتارت ملك الصيداويين ، انا ثاو بهذا الصندوق، فايا من تكون ايها الانسان الذي يقع على هذا الصندوق ، لا تفتح قبري ، ولا تقلقني ، فليس لدينا فضة ، ولا ذهب ، ولا أي نوع من الزهريات ، بل مجردا وحيدا في هذا الصندوق فلا تفتح قبري ولا تقلقني ، فان ذلك أمر منكر عند (عشتارت) فاذا تجاسرت على فتح قبري ، وجرؤت على افلاقي فليأذن الرب بان لا يكون لك عقب بين الاحياء وتحت الشمس ولا مهد للراحة عند (الريفاييم) (٢٤) .

أما مقابر البحرين التي قالوا انها تشبه مقابر الفينيقيين ففضلا عن خلوها من (شواهد القبور) باستثناء (شواهد) وجدت في اطراف القطيف وعليها كتابات مبدوءه بعبارة (وكر وقبر) مما ليس لها شبه بشواهد

---

(٢٤) ملخصة من الحضارة الفينيقية تأليف (كونتنو) وترجمة محمد عبدالهادي شعيرة ، ومراجعة الدكتور طه حسين ص ١٥٢ الطبعة الثالثة .

الفينيقيين ، وكل ما وجد في قبور البحرين كانت عظاما بشرية ومثلها عظام حيوانات يظن انها دفنت حية مع اصحبها ، وبعض الحلي الذهبية والخزف، وكذلك وجدت في هذه المقابر جمجمتان بشريتان ، وان بعض الاجداث كانت قد تحللت واصبحت ترابا ، ومما عثر على بعض العظام دليل على انهم دفنوا وهم جلوس ، كما وجدوا اواني واسلحة برنزية استدلوا منها على قدم عهد هذه القبور وكونها تعود الى نحو الالف الثالث قبل الميلاد (٢٥) .

وهذه القبور مبنية على طراز واحد ، فمدخلها يواجه الغرب ، وان البناء مؤلف من طبقتين من صخور مكعبة عني بنحتها ، والطبقة السفلى اكثر ارتفاعا من العليا ، وتوجد على جانبي دهليز - يؤدي الى الشرق - جنبات كانت معدة لتوابيت حجرية يرص الواحد منها فوق الاخر ، والى جانب هذه الجنبات فجوات صغيرة من الواضح ان قضبانا خشبية كان من الممكن وضعها فيها كي تعلق عليها القرابين والنذور (٢٦) .

وعلى ان هذا الوصف يغاير وصف قبور الفينيقيين كما قدمنا مثلا منه فان دائرة المعارف الاسلامية تقول ان هذا النمط يتفق الى حد عجيب مع ما خلفه الفينيقيين مستندة الى رأي (سترابو) .

ثم تقول بعد ذلك : « وليس من السهل انكار ان الحضارة التي ظهرت اثناءها كانت وثيقة الصلة بالحضارة الفينيقية » .

ولكنها تعود فتقول :

« ولم يعثر للاسف في تلك البقعة على شيء يستدل منه على الاصل

---

(٢٥) وقد وقفت انا بنفسي على هذه الحفائر من مقابر البحرين سنة ١٩٦٥ م (جعفر الخليلي) .

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية ج (٣) ص ٣٩٣ .

التاريخي لهذه القبور » ، ثم تضيف قائلة « ولن نصل الى الرأي القاطع في هذه المسألة الا بدراسة منظمة لعدد اكبر من القبور التي فتحت الى الآن » •

وجاء في الجزء الاول من كتاب (العرب قبل الاسلام) ان تلالا عثر عليها في مواضيع متعددة من جزيرة العرب وفيها مقابر تشبه مقابر البحرين فهل يعني ذلك انها مقابر فينيقية ايضا ؟ فضلا عن ان هذه المقابر – مقابر البحرين – لا تشبه ، بأي وجه مقابر الفينيقيين •

وماذا كان للفينيقيين من ذكر في الخليج اذن ؟

والمعروف ان السفن التي كان بامكانها ان تمخر عباب البحر في تلك العصور كانت سفنا فينيقية ، وكان ملاحوها فينيقيين يعرفون مقتضيات البحار والاجواء وكيفية مراعاة الجري فيها ، لذلك استخدم (سنحاريب) ملك اشور الفينيقيين كما يقول المؤرخون ، فبنوا له اسطولا حربيا حين أراد القيام بحملته البحرية لمعاقبة القبائل النازلة على ضفاف الخليج ، وقد قام فعلا بهذه الحملة ولكنه اخفق وقفل راجعا ولقد مرت علينا كيفية استسلام البحرين لسنحاريب حين زار البحرين وفد منه يحمل كمية من رماد حرائق (بابل) بصفة انذار ، ومن الجائز ان يكون الملاحون الذين حملوات هذا الوفد في السفن كانوا من الفينيقيين •

ولا يمكن ان نغض الطرف عن حملة (سرجون) الاكدي واخضاعه جزيرة (تلوون) وهي احدى جزر البحرين التي جاء في (دائرة المعارف الاسلامية) انها كانت مسكونة بالناس منذ بداية التاريخ لوجود مصائد اللؤلؤ فيها وان اسم (تلوون) يرجع الى العصر الاشوري وهو يقابل اسم (تيلوس) الذي ذكره (تيوفراستوس) و (يلنياس) ، وذكر

اولهما اسم (ارد) ورسمه (ارادوس) [٢٧] •

ولا نسأل عمن أوصل هل الحملة من (اور) الى البحرين وباية واسطة وصلت ؟ ما دمنا نعلم ان صناعة السفن كان يحتكوها الفينيقيون وان من الجائز ان يكون (سرجون) أول من جلب من الساحل اللبناني صناعا فينيقيين فصنعوا له السفن التي يمكن ان تمخر البحار وتولوا لــه ملاحتها • وهذا لا ينبغي ان يمر دون ان نسأل عــن سفن الاسكندر وملاحيها ، وعمن اقتبس هؤلاء السفانون اليونانيون والملاحون صناعة السفن، فاذا صح لنا ان اقتباس اليونانيين ذلك من الفينيقيين فــلا يبعد ان يكون للفينيقيين أثر أو بعض اثر في تجوال سفن الاسكندر في الخليج •

وفي بعض النصوص التاريخية جاء ما يلي : ــ

« ••• وقد اظهرت الامبراطورية الفارسية قــدرة ممتازة في ايام اتساع سلطتها على التنظيم ، واستغلت خبرة (الفينيقيين) حين استولــت على مصر ومواطن الفينيقيين في الملاحة » ، فمن الممكن ان تكون هــذه الخبرة بعد ذلك قد استمرت وافاد منها الفرس في الخليج حتى فــي زمن الساسانيين •

وسواء كان هذا الذكر للفينيقيين وانتقال الصناعة والتجارة عــن طريق العراق الى بلادهم ، فان هذا لا يكفي ان يكون دليلا على ان يكون للفينيقيين اتصال سكن ، أو وجود فرض وموان تجارية كما يقول التاريخ اليوناني الذي انتشرت عنه وحده فكرة استيطان الفينيقيين بهذه الجزائر وحتى بناء المدن ، لان مثل هذا الاستيطان والبناء والحضارة ليلزمه استعداد كبير من السفن الذاهبة والآيبة من هذه الجزر •• واليهــا ، وموجات متعاقبة في الانتقال والهجرة الدائمة أو المؤقتة ، وكل هذا لم نعثر عــلى كيفية حصوله ، واغلب الظن ان هذه التجارة ، تجارة اللؤلؤ ، والخشب ،

---

(٢٧) دائرة المعارف الاسلامية ــ ج ٣ ، ص٣٩٣ •

والنحاس وغير ذلك كان يعبر الى الفينيقيين عن طريق سومر ، وبابل ، وآشور في سفن سومرية وبابلية وآشورية ، حتى وان كان صانعوا هـذه السفن وملاحوها من الفينيقيين ، وانه ليتعذر احتمال وجود سفن خاصة بالفينيقيين كانت تستطيع الوصول من شمال الفرات الى الخليج •

وكل هذا يضاف الى ان ليس في البحرين من الاثار ما نستطيع ان نعين به تاريخا ثابتا وذا لون خاص ، وان ما عثر عليه من القبور في البحرين ، والخطوط المسمارية ، والمعابد ، ليست بالاهمية التي يمكن استخلاص تاريخ علمي ثابت منها ، وذلك لقدم عهودها •

وعند ظهور الاسلام

وعند ظهور الاسلام كان هذا الاقليم تحت سيطرة الساسانيين الفرس ، ومع ان جالية كبيرة من الفرس كانت تنزل في البحرين وهجر بصورة خاصة فقد كانت حضارته في كل مدنه حضارة عربية بحتة موروثة من سكانه الساميين العرب ، بل وجد الاسلام ان الغالبية العظمى من المدن قد تغيرت اسماؤها الى اسماء عربية فلم يبق (لدلمون) و (تودلون) وحتى (آوال) وغيرها ذكر الا في الكتب اليونانية واصبحت اسماء تلك المدن اسماء عربية ، كالعروض الذي يشمل اليمامة والبحرين وقطر ، وكالبحرين ، والخط ، وكاظمة التي اسمها القديم (جوا) ، والمشقر ، والقطيف والمنامة ، والمحرق ، وقد جاء في كتاب (البلدان) لابي الفقيه المؤلف سنة ٢٩٠ هـ « ان من قرى البحرين الحوس ، والكثيب الاكبر ، والكثيب الاصغر ، وارض نوح ، والنار ، والمالحة ، والذرائب والبدي ، والخرصان ، والسهلة ، والجوهـر الوجير ، والطربال ، والمنسلخ ، والمرزي ، والمطلع ، والشط ، والقزحاء ، والرميلة والبحر ، والرجراجة ، والعرجة » ، وقال انها من ديار الازد ، ولم يبق من الاسماء الغريبة الا القليل مثل (ابرين) أو (يبرين) و (دارين)

وغيرها • وكانت اللغة العربية قد تكاملت قواعدها على مرور الزمان بما كانت تأتي به موجات الهجرة من سكان جزيرة العرب من القبائل موجة بعد موجة للتردح الى هذا الاقليم العامر بخيراته وعيون مائه وخصب مراعيه حتى إشتهر بالغنى والثروة ، وجاء ان العلاء بن الحضرمي العامل على البحرين بعث الى رسول الله (ص) مالا من البحرين قدره ثمانون الفا ، قالوا ما اتى رسول الله اكثر منه قبله ولا بعده [٢٨] ، وكانت البحرين من الغنى والنعمة بحيث سببت اتهام البعض من ولاتها بالرشوة ، حتى المشهورون منهم بالتقي والزهد وبكونهم من الصحابة ، ومن أولئك كان (ابو هريرة) ، وعن الفائق للزمخشري قال ان الخليفة عمر بن الخطاب (ض) استعمله على البحرين فلما قدم عليه قال ياعدو الله وعدو رسوله سرقت من مال الله ، واخذت منه عشرة الاف درهم والقاها في بيت المال قد قيل ان الخليفة ضربه بالدرة [٢٩] •

وروى محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال : (استعملني عمر بن الخطاب (ض) على البحرين فاجتمعت لي اثنا عشر الفا ، فلما قدمت على عمر قال لي : ياعدو الله والمسلمين ، أو قال عدو كتابه ، سرقت مال الله ، قال قلت : لست بعدو الله ولا المسلمين ، أو قال : لست بعدو كتابه ولكن عدو من عاداهما ، قال فمن أين اجتمعت لك هذه الاموال ؟ قلت : خيل لي تناتجت ، وسهام اجتمعت ، قال فاخذ مني اثني عشر الفا ، فلما صليت الغداة قلت : اللهم اغفر لعمر) •

فما بال القارىء بما قيل عن الآخرين ممن تولوا امارة البحرين التي كانوا يحدونها في الاسلام من جنوب البصرة الى عمان ، ويكفي للمثل على خيراتها الكثير ان يقال عن جزيرة (أوال) وحدها أن قطر هذه الجزيرة كان مسيرة يومين من كل جهة ، وبها نحو ٣٠٠ ضيعة ! وبها

---

(٢٨) الكني والالقاب ج (١) ص ١٧٢ •

(٢٩) معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ج (١) ص ٣٤٨ — ٣٤٩ •

كروم كثيرة للغاية ، ونخيل واترج وبها صحراء ومراع ، ومزروعها على عيون بها [٣٠] ، وهكذا قيل عن المدن الاخرى .

ولم تشتهر بقعة من بقاع النخيل بكثرة نخيلها وانواع تمورها كما اشتهرت هجر ، حتى ضرب المثل للخيبة اذا ما اريد نقل التمر الى هجر قائلين (كمستبضع التمر الى هجر) [٣١] وكل هذا وبعضه يشهد بوجود الدواعي التي اقتضت نزوح العرب من الجزيرة الى هذا الاقليم ، منذ ابعد العصور ، وان هذه الحضارة التي عمت هذا الاقليم لم تكن غير حضارة عربية بحته ورثها الساميون العرب من السومريين وجددوها وبنوا على اسسها حضارة ليس لها نظير في كل جزيرة العرب باستثناء بلاد اليمن ، فالقومية في هذا الخليج كما تنص عليها المصادر كانت قومية عربية لم تعرف البلاد سكانا غيرهم ، ولا بانين للمدن ، ومشيدين للقصور ، والقلاع ، ومزارعين ، وغواصين غير العرب منذ اقدم التواريخ حتى الان .

ولاقليم البحرين فضلا عن المحافظة ، على قوميته طوال هذه الاجيال ميزة ذات أهمية كبرى تستدعي الفخر وهي انها أول اقليم استجاب الدعوة الاسلامية بدون حرب ولا اضطهاد ودون اكراه ، حتى حاكم (هجر) ، و (مرزبانها) المدعو (سيبجت) وقد كان مجوسيا وفارسيا وعلى دين ملوكه الساسانيين قد قبل الدعوة الاسلامية دون الاهتمام بعدم قبولها من قبل سادته الساسانيين فأسلم هو واسلم معه المنذر بن ساوى امير البحرين من قبل الفرس ، وذلك في سنة ثمان للهجرة ، وكان الرسول (ص) قد وجه العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي بالدعوة الى الاسلام فقبلها هذا الاقليم واسلم جميع العرب وبعض العجم حين اسلم المنذر بن

(٣٠) (مجاني الادب في حدائق العرب ، ج (١) المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، اخرجه محمود بهجت سنان) .

(٣١) معجم الامثال للميداني .

ساوى و (سينجت) مرزبان هجر ، واما الذين لم يسلموا من المجوس والیهود والنصارى فانهم قبلوا مصالحة العلاء لهم ، وهذا نص المصالحة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي اهل البحرين ، صالحهم على ان يكفونا العمل ، ويقاسمونا الثمر ، فمن لا يفي بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » •

وقال قتادة : ولم يكن بالبحرين قتال فقد اسلم بعضهم وصالح بعضهم العلاء على انصاف الحب والثمر •

اشهر من عرفهم التاريخ
من اهل الرواية والحديث والزعامة والادب في البحرين

ولقد كان للبحرين بعد دخول الاسلام وانتشاره في ربوعه اثر غير منسي بمن خدم الاسلام والعروبة فيما روى ، وتتبع ، وانشأ وانشد ، وكان من القدامى من وردت اسماؤهم في امهات الكتب ، كتاريخ الطبري ، وابن الاثير ، والفهرست لابن النديم ، ومعجم البلدان ، فكان من اشهرهم في عمان داود بن عمان ، وابزون بن مهنبرذ النعماني الشاعر ، وابو هارون غطريف النعماني ، وابو بكر قريش بن حيان العجلي واصله من عمان كما يقول ياقوت وقد سكن البصرة وحدث بها •

وممن ينسب الى اليمامة جبير بن الحسن وقد روى عنه (الاوزاعي) ومن مشاهير البحرانيين في التاريخ : صعصعة بن صوحان العبدي ، ورشيد الهجري والحارث بن مرة الذي غزا السند في عهد الامام علي (ع) ومحمد بن معمر البحراني ، وغير هؤلاء الكثيرون من الذين نبغوا في القرون الاسلامية الاولى •

أهـــم المصادر

التي استند عليها البحث

ـــ العصور القديمة ـ للدكتور جيمس هنري بريستد ٠

ـــ الحضارة الفينيقية ـ تأليف ٠ ج كونتنو ـ ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة ، وتحقيق الدكتور طه حسين ٠

ـــ قصة الحضارة في سومر وبابل ـ لديورانت ٠

ـــ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ للدكتور جواد علي ٠

ـــ تاريخ العرب ـ لفليب حتي ٠

ـــ الواح سومر ـ تأليف صموئيل كرومر ، ترجمة الدكتور طه باقر ومراجعة الدكتور احمد فخري ٠

ـــ معجم البلدان لياقوت الحموي ٠

ـــ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ للمقدسي ٠

ـــ تاريخ التمدن الاسلامي ـ لجرجي زيدان ٠

ـــ بلوغ الارب ـ لمحمود شكري الآلوسي ٠

ـــ سفر التكوين ـ التوراة ٠

ـــ الفهرست لابن النديم ـ اعتماد على معجم الاسماء منه ، وفهرست الكتب المصنفة ٠

ـــ فجر الاسلام لاحمد امين ٠

ـــ ضحى الاسلام ـ لاحمد أمين ٠

ـــ البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج ـ تأليف عبدالرحمن عبدالكريم النجم ٠ ـ المقدمة ٠

— البحرين في امارات الخليج العربي •
— الكامل لابن الاثير •
— مجاني الأدب •
— عروبة البحرين •
— مجمع الامثال للميداني •
— المختصر لكتاب (العرب واليهود في التاريخ) ـ جعفر الخليلي •

الهجرة العمالية والتغير في مجتمع الخليج العربي بالكويت
دراسة سوسيو انثروبولوجية في تاريخ الحضر

دكتور محمد محجوب ★
استاذ الانثروبولوجيا الاجتماعية المساعد
بجامعة الاسكندرية

يرتبط التغير في بنية المجتمع الكويتي في نوع من التضايف بالهجرة والتغيرات الديموجرافية التي ترتبت على استثمارات النفط واعادة استثمار عائداته في المجال العمراني ، وتطوير أجهزة الخدمات والتطوير الاداري وبناء الدولة الحديثة ، وتحاول هذه الدراسة ان تعني برصد تلك التغيرات الجذرية التي تعرض لها المجتمع الكويتي - والتي تبرز الى حد بعيد أمثلة عديدة لطبيعة المشكلات التي تواجهها منطقة الخليج العربي في الجوانب السكانية والسياسية والاقتصادية ، وهي تعتمد على سلسلة من البحوث الحقلية التي قمنا بها فترة امتدت الى ست سنوات من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٤ ٠

وقد صدرت دراستنا للهجرة العمالية واثرها في تغيير بنية المجتمع الكويتي عن رؤية محددة لمكونات ذلك النسق المتكامل المتساند الذي يكون بنية المجتمع والتي تتمثل في عدد من الركائز الاساسية تضم الظروف

★ تعتمد هذه الدراسة على كثير من النتائج التي انتهينا اليها في كتابنا بعنوان « الكويت والهجرة دراسة للاثار الاجتماعية للبترول في الخليج العربي » ، المنشور في الهيئة المصرية العامة للكتاب - اسكندرية ١٩٧٧ ٠ مع مراجعة للنتائج الاحصائية الحديثة فيما يتعلق بتطور الزيادة السكانية ٠

الايكولوجية والتكوين الديموجرافي والثقافة بعناصرها المادية وغير المادية ، حيث تنعكس تلك الركائز في تكوين الانساق المجتمعية كالنسق الاقتصادي والنسق القرابي وانساق الضبط الاجتماعي بنظمها المتخصصة المتمايزة [١].

وحيث اتجهت دراستنا للهجرة والتغير في بنية المجتمع الكويتي الى التزام هذا الاتجاه البنائي الوظيفي الذي ينظر الى النظم الاجتماعية باعتبارها تكون نسقا متساند الجوانب ، والذي يفرض على الباحث السوسيو أنثروبولوجي عندما يتوفر على دراسة نظام اجتماعي معين ان يأخذ في اعتباره كل تلك العلاقات المعقدة التي تربطه ببقية النظم المتمايزة الاخرى في النسق الكلي ، فقد حدد هذا الاتجاه أيضا نوع المعلومات التي كان من الضروري الحصول عليها في دراسة الجوانب التقليدية في بنية المجتمع الكويتي ، فنحن مثلا في دراستنا للنسق الاقتصادي الحديث في الكويت لابد أن نعني بتاريخ هجرة القوى العاملة للاشتغال بالمشروعات الصناعية الحديثة واعادة استثمار الموارد الجديدة في تقديم الخدمات الاجتماعية المتقدمة ، كما كانت هناك حاجة الى جمع معلومات عما ينشأ عن تزايد أعداد المهاجرين والوافدين عن الحاجة الفعلية لسوق العمل ، وتأثير هذا على نظم الاجور والتعاقد وظهور البطالة بصورها المختلفة ، وما ينشأ عن ذلك من مشكلات اجتماعية لم تكن الكويت قد عرفتها في مرحلة ما قبل التغير .

كذلك فقد كانت هناك حاجة لابراز أنواع العلاقات التي تقوم الان بين الفئات السكانية المتنوعة مثلا فيما يتعلق بالعلاقات القائمة بين السكان

---

(١) انظر الفصل الاول بعنوان : « الاتجاه البنائي » في كتابنا « مقدمة في الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي » ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الاسكندرية ـ ١٩٧٧ .

الأصليين وجماعات الوافدين بأصولهم العرقية المتنوعة •• وبخاصة فيما يتعلق بموقف السكان في المجتمع الاصلي من الاعمال التقليدية التي كانوا يمارسونها وأسباب اندثارها ، والاشارة الى نوع الاعمال التي قل اقبال الكويتيين على الاشتغال بها وأسباب ذلك وارتباطه بتوفير القوى العاملة الاجنبية الرخيصة مثلا في أعمال الخدمة والاعمال الشاقة في البناء وفي انشاء الطرق ، والدور الذي لعبه هذا الوضع في استمرار بعض المشكلات التي ظهرت في المجتمع الكويتي الحديث مثل مشكلة التسلل ، والاشارة الى نوع الاعمال التي دخل عليها بعض التعديل أو التي أخذت وضعا جديدا ، وارتباط ذلك بتلاشي بعض الاسس التقليدية للتعاون والتضامن ، وكذلك الاشارة الى برامج توجيه القوى العاملة المحلية مثلا في مجال الاعمال التي لا تحتاج الى مهارات فنية عالية أو الاعمال التي تعطي لشاغليها مراكز اجتماعية ممتازة ، وصور تدخل الدولة لتحقيق التوازن في المنافسة التي تقوم بين القوى العاملة المحلية والوافدة التي تتمتع بالكفاءات والمهارات العالية ، أو التي لا تجد حرجا في القيام بالاعمال المبتذلة أو التي لم يعد الكويتيون يقبلون على الاشتغال بها لعوامل متعددة ، وهذا كله في نطاق دراسة النسق الاقتصادي في المجتمع الكويتي الحديث •

وقد اعتمدنا في جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بتلك الجوانب التقليدية والحديثة في المجتمع الكويتي على طرق متعددة ، كانت الطريقة الاولى بينها هي الطريقة الانثروبولوجية التي تتطلب الاقامة الطويلة في المجتمع والمشاركة بقدر الامكان في المناشط الاجتماعية المتنوعة وتسجيل الملاحظات والحصول على المعلومات اثناء المشاركة ـ الى جانب الاتصال بكبار السن والعارفين بالتقاليد الاجتماعية بين الجماعات العرقية والقبلية والمهنية المتمايزة • وانتهت هذه الطريقة بالباحث الى الحصول على معلومات كيفية حول عدد من المشكلات والاسئلة وبخاصة فيما يتعلق

بتلك الموجات من الهجرة التي تعرض لها المجتمع الكويتي في مرحلة ما قبل النفط ، وما تبع استثمارات النفط من تغيرات جذرية في البناء الديموجرافي في المجتمع الكويتي للحديث •

كذلك فقد أفادت تلك الطريقة الانثروبولوجية التقليدية في الحصول على معلومات بالغة الاهمية في التعرف على كثير من خصائص الايدي العاملة الوافدة ومجالات استثمارها في المشروعات الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة • كما أفادت في التعريف بطبيعة عملية الهجرة في المجتمع الكويتي الحديث وهل كانت دائماً هجرة خارجية أم كانت هناك بعض الهجرات الداخلية التي تعرض لها المجتمع الكويتي ذاته • وما هي الفئات العرقية والمهنية التي ينتمي اليها المهاجرون • ومظاهر التخطيط لتلك الهجرات وبخاصة في ما يتعلق بحماية العنصر الوطني في سوق العمل ، والظروف التي يعمل خلالها المهاجرون والمشكلات التي نشأت عن استخدامهم في تلك المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، والدور الذي لعبه هؤلاء المهاجرين في عملية التغير الاجتماعي ، وكيفية تقبل المجتمع الكويتي لتلك الهجرات الثقافية التي صاحبتها ، والى اي حد استمر هذا المجتمع في الانغلاق على نفسه ومدى تمثله لبعض النظم والمظاهر الثقافية التي جاءت اليه ، وهل كان هناك استواء في عملية التغير ام أن هذا المجتمع قد تعرض للتغير في بعض جوانبه بينما لا تزال بعض الجوانب الاخرى تحافظ على شكلها القديم •

وفي نهاية تلك الدراسة الانثروبولوجية الحقلية التي استمرت خلال عامين اعتمد الباحث على تطبيق استمارة بحث تضمنت ما يزيد على الثلاثمائة سؤال • وقد أفادت هذه الطريقة المقننة في الحصول على صورة كمية دقيقة وصادقة إلى حد بعيد للقضايا الكيفية والمعلومات الوصفية

التي أمكن الحصول عليها بالطريقة الانثروبولوجية التقليدية ، كما أفادت هذه الطريقة الاخيرة أيضا في تحقيق كثير من الفروض التي ارتبطت بالتأويلات الشخصية للباحث نفسه ولمصادر المعلومات من العارفين بأحوال المجتمع الكويتي التقليدي والحديث •

وقد تضمنت استمارة البحث التي اعتمد عليها في نهاية تلك الدراسات الحقلية اسئلة تدور حول بعض البيانات الاولية عن الاشخاص الذين تكونت منهم العينة والذين كانوا ينتمون الى الفئات العريقة والمهنية والثقافية المتنوعة من الكويتيين وغير الكويتيين ، كما تضمنت أسئلة عن السكن والخبرات المهنية وظروف العمل والاتجاهات نحو العمل الحالي والحالة الاقتصادية والهجرة والتنقل الاقليمي والحالة الصحية ، كما تضمنت بعض الاسئلة التي تهدف الى قياس بعض الاتجاهات الثقافية في ما يتعلق بقضاء أوقات الفراغ ومدى التوافق مع التغييرات الحديثة في المجتمع الكديتي ، وهي كلها موضوعات تتصل أشد الاتصال بمشكلة الهجرة والتغير البنائي في هذا المجتمع •

وقد صدرت دراستنا للهجرة والتغير في بنية المجتمع الكويتي - وبخاصة في مناطق الجهراء والاحمدي وجزيرة فيلكا ومنطقة أبرق خيطان - عن محاولة لاختبار القضايا التالية :

أ - لقد أدى التغير الاقتصادي الذي ترتب على ظهور النفط واستغلاله في المجتمع الكويتي الى وجود حاجة ملحة الى نوع من الايدي العاملة المزودة بخبرات ومهارات فنية وعلمية لم تتوفر في السكان الاصليين ، وذلك للعمل في مشروعات استغلال النفط وما قام حوله من صناعات وبخاصة في مجال صناعة البناء الى جانب العمل في مشرعات الخدمات التي حرصت الدولة على توفيرها في مجالات الصحة والاسكان والتعليم وغيرها من برامج الرعاية الاجتماعية • كما أوجد هذا التغير

الاقتصادي فرصا جديدة للعمالة التي كان من الممكن توفيرها من بين هؤلاء السكان الاصليين مثلا في مجال الخدمات أو الاعمال التي لا تحتاج الى درجة عالية من الكفاية والخبرة الفنية ، ولكن القوى العاملة المحلية التقليدية لم تستطع ان تكفي طلبات السوق المتزايدة من هذا النوع من العمالة أيضا - وذلك على الرغم من تحول الكثير من الاهالي عن تلك المهن التقليدية التي كانوا يمارسونها قبل النفط نتيجة لاضمحلال تلك المهن أو لاندثارها ، أو لانها أصبحت غير مجزية اقتصاديا واجتماعيا بما تتطلبه من مجهود شاق بالمقارنة الى الفرص التي توفرت في العمل بمرافق الدولة والمشروعات الصناعية الحديثة ، وقد ترتب على هذا كله ان تدفقت على المجتمع الكويتي هجرات عمالية من انحاء متفرقة من العالم وبخاصة من دول الشرقين الأوسط والاقصى •

ب - لم تتمثل ظاهرة الهجرة في المجتمع الكويتي الحديث فقط في ذلك الزحف الذي تتعرض له الكويت ممن يتوقعون وجود سوق رائجة لقدراتهم وكفاءاتهم وخبراتهم بجانب سلعهم الاقتصادية بل لقد أدى التغير الاقتصادي أيضا الى نوع من الحراك السكاني - أو الهجرة الداخلية - نحو التمركز في المدينة التي صارت مركزا للمناشط الاقتصادية الحديثة • كما ان هذا الحراك والتغير السكاني قد جعل النسق القبلي التقليدي غير قادر على القيام بوظيفته في امساك الوحدة والتماسك على الفئات العريقة والمهنية المتمايزة في المجتمع الكويتي الحديث الذي أصبحت فيه سلطة الدولة وحقوق المواطنة هي البديل للعصبية القبلية والاشتراك في المسئولية الممتدة والتضامن الاقتصادي والسياسي في النسق التقليدي •

ج - كذلك فقد أدت الهجرة العمالية الى هذا التنوع الهائل في الفئات العريقة والثقافية التي ينتمي اليها السكان في المجتمع الكويتي

الحديث ، وقد ترتب على هذا التنوع لاسباب متعددة ظهور نمط معين للتوزع السكاني والتخصص المهني ، كما أسفر هذا التنوع والتمايز بين الجنسيات المختلفة في المجتمع الكويتي عن نوع من التنافس والصراع الاقتصادي والاجتماعي بين هؤلاء المهاجرين من الجنسيات المختلفة في المجتمع الكويتي الحديث وهذا كله بجانب ان الاوضاع القبلية والعرقية التقليدية والتغيرات السكانية الحديثة قد ساعدت على ظهور كثير من المشكلات من أبرزها مشكلات التجنس والتوطن والتسلل [٢] ، وهي مشكلات لا يتيسر فهمها الا بالرجوع الى البناء القرابي والقبلي التقليدي والاسس التي تقوم عليها حقوق العضوية أو المواطنة في المجتمع الكويتي الحديث ، وما يرتبط بذلك من امتيازات اجتماعية واقتصادية جعلت الكثيرين ممن يرجعون الى أصول قرابية وعرقية مختلفة يسعون للتمتع بتلك الحقوق بطرق متنوعة مشروعة وغير مشروعة .

د ـ لقد فرضت الاوضاع السكانية والاقتصادية الجديدة في المجتمع الكويتي ان تعمل الدولة على تطوير نظم الحكم والادارة وتنظيم

---

(٢) لعبت الظروف السكانية والاقتصادية والسياسية المحيطة بالكويت دورا واضحا في ظهور مشكلة التسلل والمتسللين الذين بلغوا حوالي الثلث من العاملين بالقطاع الاهلي في احصاء اجرى عام ١٩٦٣ في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بدولة الكويت . ويتيح التجنس بالجنسية الكويتية للجماعات السكانية المقيمة والواردة الكثير من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية مما يجعل الجنسية الكويتية أملا يسعى اليه الكثيرون من الوافدين بالكويت . انظر الفصل الخاص بترتيب الفئات الاجتماعية في مجتمع التغاير السكاني بالكويت في كتابنا « الكويت والهجرة » للتعرف على وضع وحجم مشكلة التسلل وامتيازات التجنس بالجنسية الكويتية في المجتمع الكويتي الحديث .
محمد عبده محجوب : الكويت والهجرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .

علاقات العمل وحقوق المواطنة والاقامة بما يتمشى مع الاسس الدولية المقررة وما يحقق الحماية والامن لجميع السكان بفئاتهم المختلفة ، كما يحقق قدرا من الرعاية التي تساعد المواطن الكويتي على التمتع بظروف ملائمة في مجالات التنافس في سوق العمل ، وهكذا يمكن اعتبار الهجرة كعملية اجتماعية عاملا مؤديا ومصاحبا للتغير في المجتمع الكويتي الذي يعيش منذ بداية الاربعينيات من القرن الحالي فترة التغير الذي نشأ بصفة خاصة نتيجة لظهور النفط وما أسفر عنه من تغير في العلاقات التقليدية بين الامكانيات البشرية والموارد الاقتصادية •

وتبين دراستنا الحقلية للجوانب الاقتصادية والسياسية في بنية المجتمع الكويتي التقليدي ـ وبخاصة فيما يتعلق بالظروف الايكولوجية والمناشط الاقتصادية والتقليدية ، والملكية ونظم تبادلها وحمايتها في النسق التقليدي ، والوحدة السياسية والسلطة التقليدية ، والتقنين العرفي في امارة الكويت ـ عن عدد من الحقائق التي نوجزها فيما يلي :

لقد اتضحت مظاهر التنوع في المناشط الاقتصادية التقليدية وتاثرها بالظروف الجغرافية والايكولوجية ، فقد كانت هناك المناشط الانتاجية التي تنتج المحاصيل النقدية مثل الغوص بحثا عن اللؤلؤ ، وكانت هناك المناشط الاقتصادية الاستهلاكية التي تقوم بغرض توفير الحاجات الاستهلاكية للجماعة ، وقد تمثلت في صيد السمك والزراعة والرعي ـ هذا فضلا عن احتراف النقل البحري بالاساليب التقليدية ، وما ارتبط به ذلك النشاط من احتراف التجارة التي ادخلت موردا جديدا من موارد تراكم الثروة لا يعتمد على الاستغلال المباشر للمصادر الطبيعية •

ولقد كانت الاوضاع القبلية والسياسية التقليدية من العوامل المحددة لطبيعة حيازة الارض وحقوق ملكيتها واستغلالها • فلم يكن هناك نوع من التمركز الاقليمي للوحدات القبلية ـ في الصورة المعروفة في المجتمعات

القبلية الانقسامية التي يتناظر فيها التوزع القرابي القبلي مع التوزع الاقليمي ، وبالتالي ظهور نوع من السيادة القبلية في المناطق الاقليمية المتمايزة - ولكن فقد قام حق استغلال تلك الوحدات القبلية الارض وبخاصة ارض المراعي - على عنصر السبق وحده في وضع اليد ، كما توقف حق استغلال الاراضي الزراعية على تفويض السلطة المركزية للشيوخ - أو ممثليهم في المناطق الاقليمية بالامارة .

ولكن فقد عرف المجتمع التقليدي نظم الملكية الخاصة لموضوعات اخرى من موضوعات الملكية مثل المنقولات وقوة العمل وأدوات الانتاج - على الرغم من وجود مظاهر التعاون والتكافل الاجتماعي المختلفة التي كانت تعمل على اعادة توزيع موضوعات تلك الملكية على اعضاء المجتمع امتثالا لقيم اجتماعية معينة ، وذلك مثلا فيما يتعلق بتوزيع حصيلة الصيد أو القيام بعمليات « المفازعة » والتعاون التقليدي .

وقد انعكست في النسق السياسي التقليدي ملامح مركزية السلطة وتوزعها معا ، فقد كانت هناك الوحدات القرابية القبلية الثأرية التي تعتمد على قوتها الذاتية في الحفاظ على حقوقها وفي فرض احترام العرف القبلي بما يتفق ومصالحها الخاصة ومركزها الاجتماعي بين الوحدات الاخرى من نفس الفرع أو من نفس الدرجة ، وقد كانت هناك السلطة المفوضة في المناطق الاقليمية المتمايزة التي تحكم « بالسالفة » - العرف - وتلتزم بأوامر السلطة المركزية فيما يشجر بين السكان من منازعات . وكانت هذه السلطة تستطيع ان تستخدم القسم لتنفيذ « السالفة » أو القواعد التنظيمية في المناشط الاقتصادية والاجتماعية التقليدية ، وبخاصة فيما يتعلق بتنظيم علاقات العمل في النشاط الاقتصادي البحري في الغوص والسفر .

ولقد كان المجتمع الكويتي - وبخاصة فيما يتعلق بالحركة السياسية

التي قام بها مبارك الصباح والتي تمخضت عن ظهور ملامح الادارة الحديثة فيما يتعلق بتقنين السلطة واقامتها على أسس رسمية دون استنادها على العلاقات القرابية أو القبلية ـ مثالا ممتازا لتتبع مراحل النمو السياسي الذي يتخذه ظهور الدولة في المجتمعات التي لم تكن تؤلف دولة • ولقد استمر الازدواج والتعدد في النسق السياسي التقليدي في الكويت الى ان فرضته الظروف الاقتصادية والسكانية ، وبخاصة فيما أسفرت عنه من توافد الهجرات العمالية ، وما تعرض له المجتمع التقليدي ذاته من عمليات للحراك السكاني والهجرة الدخلية ، وقد فرضت هذه الظروف الجديدة أشكالا جديدة من التقنين والتنظيم سوف نحاول التعرض لها بالتفصيل في الصفحات التالية [٣] •

وقد كان للتغير الذي طرأ على مصادر الثروة في المجتمع الكويتي التقليدي وما استتبعه ذلك من تغيرات سكانية نشأت عن الهجرة الداخلية والخارجية ـ آثار هامة في الجوانب الاقتصادية والسياسية في ذلك المجتمع •• وبخاصة فيما يتعلق بنوعية المناشط المهنية للسكان ، ونظم الملكية وتقسيم العمل ، والسلطة والتقنين • فلقد أسفر التدهور الذي أصاب المناشط التقليدية عن تلاشي ذلك التنظيم الذي يقوم على الطوائف الحرفية لجماعات المشتغلين بالغوص والسفر ، وقد اجتذبت فرص العمل بالمشروعات الحديثة القوى العاملة المحلية في الزراعة والرعي والصيد ، وتحول الهدف من العمل عن مجرد توفير الحاجات الاستهلاكية للجماعة القرابية واعمال نظم التعاون والتكافل الاجتماعي التقليدية في توزيع المحصول الى العمل من أجل النقود ، وسيطرت القيم الصناعية الحديثة على عمليات الانتاج •

---

(٣) انظر الجدول التالي الذي يبين التركيب السكاني في كويت ما بعد النفط جدول رقم «١» •

Table One

جدول رقم-١-

Kuwait Population by General Censuses *								
Year	Sex	Population per sq km	Percent			Population		
			Total	Non-Kuwaiti	Kuwaiti	Total	Non-Kuwaiti	Kuwaiti
1957	M	7.8	64.0	35.3	28.6	132058	72904	59154
	F	4.4	36.0	9.7	26.4	74415	19947	54468
	T	12.2	100.0	45.0	55.0	206473	92851	113622
1961	M	11.9	62.4	36.1	26.3	200707	116246	84461
	F	7.1	37.6	13.5	24.1	120914	43466	77448
	T	19.0	100.0	49.6	50.4	321621	159712	161909
1965	M	16.9	61.3	37.2	24.1	286312	173743	112569
	F	10.7	38.7	15.7	23.0	181027	73537	107490
	T	22.6	100.0	52.9	47.1	467339	247280	220059
1970	M	24.8	56.8	33.1	23.7	419881	244368	175513
	F	18.9	43.2	19.9	23.3	318781	146898	171883
	T	43.7	100.0	53.0	47.0	738662	391266	347396
1975	M	32.1	54.7	30.9	23.8	543768	307168	236600
	F	26.7	45.3	21.6	23.7	451069	215581	235488
	T	58.8	100.0	52.5	47.5	994837	522749	472088

* State of Kuwait, Central Statistical Office; Annual Statistical Abstract; Edition XIV, 1977. p. 21.

ولما كان النسق التقليدي لتقسيم العمل يرتبط بالحاجات الاساسية والاستهلاكية للمجتمع الذي مطالبه تتميز بالبساطة ، فلقد اسفر التغير عن تعقد تلك المطالب واتساعها ـ وبالتالي اتسعت مجالات العمالة وظهرت الحاجة الى قوى عاملة في تخصصات دقيقة تحتاج الى كفاءات عالية لم تتوافر من داخل المجتمع التقليدي ٠

وقد أدت هذه الاوضاع الاقتصادية الجديدة الى ان تمثل القوى العاملة الاجنبية الغالبية في سوق العمالة والانتاج في المجتمع الكويتي الحديث (٤) ٠ وكان لظهور تلك الاسس الحديثة لتقسيم العمل ـ التي لا تعتمد على الفوارق الطبيعية أو الانتماءات العرقية أو القبلية وإنما تقوم على أساس من المعايير الموضوعية التي تتمثل في المستويات التعليمية والخبرة ـ الى ان تشارك القوى العاملة الوطنية بانصبة غير متكافئة في مجالات النشاط الاقتصادي المتنوعة على الرغم مما تبذله الدولة من جهد لتشجيع تلك الايدي العاملة الوطنية وتدريبها واعدادها بل والتنازل أحيانا عن بعض الشروط الموضوعية التي تشترطها فيمن تستخدمهم من المهاجرين ٠

ولقد تحولت نظم التكافل الاجتماعي التقليدية الى نظم تهدف الى حماية المصالح الوطنية للمواطنين في مجتمع التغاير السكاني ، وأصبح نظام الكفالة التقليدية عائقا من عوائق استقرار المهاجرين ومحاولتهم اقامة حياة مستقرة في المجتمع الكويتي الحديث ، وقد انعكس هذا على مدى حرصهم على الاسهام في تطوير ذلك المجتمع ـ بل لقد ارتبط مدى قيامهم بالعمل فقط بالقدر الذي يحفظ عليهم اقامتهم أو استمرار عقودهم دون محاولة الابتكار أو التغيير ٠

كذلك فقد تلاشت مظاهر التعاون التقليدي في المناشط الاقتصادية

---

(٤) انظر الجدول رقم : ٢ ورقم ٣

المتنوعة ، فقد تحول الناس عن نظام « المفازعة » في القيام بالمناشط التي تحتاج الى الكثير من الايدي العاملة ذات المستويات الفنية المتشابهة مثل بناء البيوت أو شق الطرق ، وقد سيطر العمل النقدي على سوق الانتاج الحديث ، وتولت الدولة المسئولية الكاملة في القيام بتقديم تلك الخدمات العامة التي كان الاهالي يتعاونون بوسائلهم التقليدية على توفيرها •

ومع ذلك فقد استمرت بعض القيم التقليدية فيما يتعلق بتوزيع الثروة الوطنية ، فقد استمر الاهالي ينظرون الى مصدر الثروة الجديدة ـ الذي يتمثل في النفط بنفس نظرتهم الى مصادر الثروة في المجتمع التقليدي • وفيما يتعلق بالارض مثلا فقد كانت ملكا للشيوخ ـ يمنحون حقوق استغلالها أو يتنازلون عن حقوق ملكيتها لمن يشأون عن طريق الايجار أو الهبة أو البيع ، وبالمثل فقد نظر الاهالي الى النفط باعتباره حقا للشيوخ الذين عملوا دائما على اعادة توزيع نتاج تلك المصادر للثروة على شعبهم • وتعتبر مشروعات « التثمين » والاسكان والرعاية الاجتماعية التي تقوم بها الدولة الآن بمثابة وسائل حديثة لاعادة توزيع الثروة في المجتمع، ولكن فقد تحولت النظرة الان وأصبح الاهالي يعتبرون ان استفادتهم من هذا المصدر العام للثروة بمثابة نوع من الحق الذي يطالبون به ، بل انهم ينظرون الى الوظيفة في المناشط الحديثة باعتبارها امتدادا لهذا الحق ، فالمعاش الشهري ليس بقدر العمل في الدرجة الاولى ، ولكنه بقدر الحق في التمتع بنصيب في هذا المصدر المشترك للثروة •

وبغض النظر عن التغير الذي كان سيطرأ على الكويت نتيجة للنفط ـ وبالتالي التغير في القيم ومحاولة الكويت بعد ان دخلت في عصر جديد أن تقتبس كثيرا من مظاهر الحياة السياسية والدستورية من الخارج وهي المظاهر التي تتلاءم مع الدولة الحديثة ـ فان وجود عشرات الالاف من الايدي العاملة الاجنبية التي تنتمي الى مجتمعات مختلفة وثقافات مختلفة ،

Table Two — جدول رقم -٢-

Kuwait Labour Force by Division of Economic Activities in Census Years 1957 and 1975

قوة العمل في الكويت حسب اقسام النشاطات الاقتصادية في ١٩٥٧ و١٩٧٥

Sections of Economic Activities / اقسام النشاطات الاقتصادية	1975				1957			
	غير كويتيين Non-Kuwaiti		كويتيون Kuwaiti		غير كويتيين Non-Kuwaiti		كويتيون Kuwaiti	
Agriculture, Hunting and Fishing / الزراعة والصيد	47.0	3531	53.0	3983	52.5	446	57.5	603
Mining and Quarrying / المناجم والمحاجر	63.4	3080	35.4	1779	77.6	4194	22.4	[illegible]
Manufacturing Industries / الصناعات التحويلية	75.7	22209	24.3	2258	84.4	5582	15.6	1029
Construction / التشييد والبناء	94.6	30500	5.4	1756	95.5	8025	4.5	378
Electricity, Gas and Water / الكهرباء والغاز والماء	72.0	5237	28.0	2034	–	–	–	–
Wholesale and Retail Trade	84.0	33232	16.0	6327	49.5	4073	50.5	4151
Transportations and Communications / النقل والمواصلات	70.9	11118	29.1	4567	57.6	2053	42.4	1513
Services / الخدمات	61.5	102537	38.5	64265	66.6	29219	33.4	14684
Activities not adequately defined / نشاط غير واضح	0.0	–	100	2	42.8	3590	57.2	4807
Total Activity / مجموع النشاط	70.9	211444	29.1	86971	66.8	57182	33.2	28373
Inactive / غير نشط	32.9	103840	63.6	151675	22.5	16610	61.5	45375
Total Population / المجموع	100	315284	100	238646	100	73792	100	73748

Table Three جدول رقم -٣-

Kuwait Government Civil Servants by Occupations Major Divisions and Nationality (*)

العاملون في الحكومة حسب أقسام المهنة والجنسية

1972

Major Divisions	Foreign N. جنسيات غير عربية		Arab Nations جنسيات عربية		Kuwaitis الكويتيون	
Professional Technical and Related Workers	6.0	1325	66.0	14389	28.0	6093
Administrative and Managerial Workers	0.7	2	10.0	32	89.3	285
Clerical and Related Workers	2.5	396	31.7	5089	65.8	10550
Sale Workers		—		—		—
Service Workers	5.6	1390	60.3	14855	34.1	8391
Agricultural, Animal Husbandry and Fishermen	1.4	22	75.2	1171	23.4	365
Production Workers and Transport Equipment Operators and Labourers	8.6	2200	56.6	14492	34.8	8903
Workers Not Classified	0.0	—	85.7	6	14.3	1
Total		5335		50014		34588

1976

Major Divisions	Foreign N. جنسيات غير عربية		Arab Nations جنسيات عربية		Kuwaitis الكويتيون	
المشتغلون بالمهن العلمية والفنية	6.8	2202	62.1	20082	31.1	10079
المديرون الاداريون ومديرو الأعمال	0.4	2	6.3	31	93.3	460
الموظفون التنفيذيون والكتابيون	2.7	574	30.6	6500	66.7	14181
المشتغلون بأعمال البيع	1.0	1	12.1	13	86.9	93
المشتغلون بأعمال الخدمات	5.0	1387	55.1	15285	39.9	11085
المشتغلون بالزراعة وتربية الحيوان والصيد	4.5	95	80.6	1721	14.9	318
عمال الانتاج والعمال العاديون	10.1	3276	57.3	18513	32.6	10553
غير مبين	—	—		—	—	—
الجملة	6.5	7537	53.4	62145	40.1	46769

(*) State of Kuwait, Centeral Statistical Office, Annual Statistical Abstract, Edition XIV, 1977, p. 109

والتي كان من الصعب امتصاصها في المجتمع القبلي التقليدي لانها جاءت من ثقافات أكثر تقدما ـ ونظرا لان عددها الهائل الذي يزيد عن عدد السكان الاصليين كان أيضا من العوامل التي تمنع ذلك الامتصاص ويمنع بالتالي من امكان خضوعهم للتنظيم القبلي ـ ولهذا كله فقد كان على الدولة وعلى المجتمع الكويتي ان يغير من نظمه السياسية لتتلاءم مع الاوضاع السكانية الجديدة •

وهذا يعني بقول اخر ان تغير النظم السياسية التقليدية أصبح ضرورة بعد ظهور النفط واستغلاله ليس فقط لمسايرة التغيرات الحديثة ـ ولزيادة اتصالات المجتمع الكويتي بالعالم الخارجي ـ ولكن ذلك التغير جاء لمواجهة الوضع الجديد الناتج عن التعقد السكاني أو التركيب السكاني الجديد والناشيء عن الهجرة • ومن هنا نستطيع ان نقول ان هجرة الأيدي العاملة الى الكويت كانت في حقيقة الامر عاملا من أهم العوامل في تغير النظام السياسي التقليدي ، وقد عرض أحد اقسام هذه الدراسة لمظاهر عديدة لعمليات التقنين والتشريع في جوانب متنوعة من المجتمع الكويتي الحديث ، وبخاصة فيما يتعلق بتنظيم علاقات العمل ، وحقوق المواطنة والاقامة ـ باعتبارها مظاهر للتغيرات في النظام السياسي في مرحلة بناء الدولة الحديثة في الكويت •

ولقد خلخلت التغيرات الاقتصادية من بعض الاسس المستقرة لترتيب الفئات الاجتماعية وتفاضلها في المجتمع الكويتي التقليدي ، فلقد كان الانتماء القرابي من العوامل المحددة للمرتبة الاجتماعية التي يحتلها الاشخاص والجماعات في نسق الترتيب والتفاضل ، وكان أعضاء نفس الوحدة القرابية يشاركون جميعا في نفس المرتبة الاجتماعية ، ويرث الابناء نفس المرتبة الاجتماعية التي يحتلها الأب ، كما تكون للزوجة نفس المرتبة التي يحتلها الزوج • وقد تميز المجتمع الكويتي التقليدي

بقوة وعمق الروابط القرابية التي لعبت دورا هاما في تحديد فرص العمل والمركز السياسي والامكانيات الاقتصادية للاشخاص • • ولكن التغيرات الاقتصادية قد أثرت في قوة الدور الذي صار الانحدار القرابي يلعبه في مجال تحديد المراتب الاجتماعية التي يحتلها الاشخاص في النسق الحديث • ومثال ذلك انه بعد ان كانت القوة الذاتية للجماعة القرابية القبلية هي التي تفرض لاعضائها المراكز السياسية الممتازة ، صارت هناك عوامل جديدة مثل التعليم والخبرات بالطرق الحديثة في العمل هي العوامل المحددة في اعتلاء تلك المراكز ، وهذا ما أدى الى التباين في ردود أفعال الجماعات القرابية والقبلية نحو التغيرات الحديثة متمثلة في ظهور البترول والفرص الجديدة للكسب والعمالة ، بناء على ما أصابه اعضاؤها من حظ من التعليم والمهارات الفنية التي تطلبتها السوق الجديدة للعمل ، وانعكس هذا كله في تغير الاسس التي يقوم عليها التراكم الاقتصادي للثروة وما يرتبط بها من مركز اجتماعي •

وكذلك فقد ترتب على التغير في المناشط الاقتصادية ومصادر الدخل المتنوعة والمتاحة لكل الكويتيين بفئاتهم القبلية والعرقية المتمايزة في النسق التقليدي ، وما صاحب ذلك التغير من نهضة تعليمية خلقت فرصا جديدة للحصول على مراكز ممتازة في نسق الادارة والانتاج في الكويت ما بعد النفط ، ان ظهر نسق جديد لترتيب وتفاضل الفئات الاجتماعية يتعدى كل حدوود التقاطع والتمايز التقليدية ويعيد ترتيب أعضاء المجتمع بحسب مراكزهم في النسق الجديد لتقسيم العمل وترتيب المهن على الأسس الصناعية والادارية الحديثة •

وقد تبين خلال الدراسة الحقلية مدى حرص أعضاء الفئات القبلية والعرقية التي احتلت مراكز دنيا في نسق التفاضل التقليدي على الاستفادة من تلك الفرص الجديدة • ولقد صار من المقبول اجتماعيا الآن ان يكون

مدير الوحدة الادارية كويتيا من « الفئة الثانية » يعمل تحت رئاسته موظفون كويتيون من « الفئة الأولى » وقد يكون الرئيس من « الصلب » ويعمل تحت رئاسته موظفون ينتمون الى تلك الفئات القبلية « الاصلية » ، وفي نفس الوقت اصبحت الفئة أو الطبقة المهنية الواحدة تضم اعضاء ينتمون أصول قبلية وعرقية مختلفة في مراتب التفاضل التي تحتلها في النسق التقليدي ٠

وهذه الظروف الحديثة فضلا عن انها قد غيرت من نمط العلاقات البنائية التي تربط بين الوحدات القبلية والعرقية المتمايزة في النسق التقليدي ـ بناء على مدى اسهام أعضاء تلك الوحدات في المناشط الحديثة واستفادتهم من برامج التعليم والتدريب والتزود بالخبرات الضرورية للحصول على مراكز الادارة في تلك المؤسسات الحديثة ـ فان هذه الظروف ذاتها تطلبت من هؤلاء أن يعيدوا تكييف أنفسهم مع الاوضاع التقليدية المستقرة أو تغيير تلك الأوضاع ذاتها ٠ ولا ينطبق هذا فقط على الشباب من الكويتيين ، ولكنه ينطبق كذلك على الشبان المهاجرين وعلاقاتهم بالمجتمعات التقليدية الاصلية التي أتوا منها ٠٠ وبخاصة اذا كان احد الاسباب التي تؤدي بهم الى الهجرة خارج الوطن تتمثل في عجز الموارد المحلية في تحقيق الاشباع لحاجاتهم أو الرغبة من الاسفادة من الامتيازات التي يمنحها المجتمع الجاذب للهجرة أو بسبب الفشل في الحصول على المراكز التي تتناسب مع توقعاتهم ونظرتهم الى كفاءاتهم الشخصية ـ وهي في الغالب كلها أسباب اقتصادية ٠

أما هؤلاء المهاجرون في سعيهم للحصول على الاجور والامتيازات المتعددة التي تتوفر في سوق العمل في الكويت ، فقد استطاعوا ان يغيروا ليس فقط من مستوياتهم الاقتصادية نتيجة لما يدخروه من الاجور المرتفعة التي يتقاضونها ، ولكنهم استطاعوا كذلك ان يغيروا من المراكز المهنية

التي كانوا يحتلونها في الوطن الاصلي ، فقد وفد الى الكويت الكثير من عمال الزراعة والعمال العاديين ، استطاعوا نتيجة للحاجة الملحة في سوق الاعمال الفنية والحرف الصناعية في الكويت ان يمروا بفترة تدريب قصيرة كانت في أغلب الاحوال أثناء ممارسةالعمل ذاته ، وان يصبحوا في النهاية عمالا صناعيين • وهذا التغير الذي تمثل في زيادة الثروة الفردية والتحول المهني قد جعل من العسير على هؤلاء العمال المهاجرين عند عودتهم الى مجتمعاتهم الاصلية ان يحتلوا نفس المراتب الاجتماعية التي كانوا يشتغلونها في تلك المجتمعات ، فالمزارع والراعي الذي هاجر الى الكويت ثم استطاع ان يتحول الى « سائق » أو « عامل صناعي » أو « حرفي » لا يستطيع العودة الى نفس مركزه في النسق الاقتصادي والاجتماعي في الموطن الاصلي ، وهذا يعني تأثر المجتمعات المحلية التي ينتمي اليها المهاجرون بأحداث السوق والتغير الاقتصادي في المجتمع الطارد للهجرة ذاته •

وقد أدت الهجرة والتغيرات الديموجرافية الى تغاير المكونات السكانية في المجتمع الكويتي وكان من أهم مظاهر هذا التغاير تمايز تلك الثقافات والتجمعات السكانية والثقافية للوافدين الذين كونوا منظمات غير رسمية • وتحتل تلك المنظمات غير الرسمية أهمية تتعدى حدود الخدمات الاقتصادية ، فهي تقوم بوظيفة الربط بين الافراد الذين ينتمون الى وحدات قرابية أو قبلية متمايزة في الموطن الاصلي ولكنهم يكونون في المهجر وحدة اكبر تتعدى كل حدود التمايز التقليدي في ذلك الوطن ، وتتمثل تلك الوحدة في الخضوع الى هيئة تقليدية واحدة للقضاء وتسوية المنازعات طبقا للطرق التقليدية التي تطبق في ذلك الموطن فيما لا يتعارض مع القانون المحلي في المهجر • كما تتعدى مبادىء التكافل الاقتصادي في المهجر كل حدود التمايز التي يقوم عليها التعاون والتكافل الاقتصادي

والتقليدي بين أبناء الوحدة القرابية أو القبلية الواحدة في الوطن الاصلي .

وقد احتفظت بعض جماعات المهاجرين بالسمات البنائية لتنظيم الحياة في أوطانهم الاصلية ، « فالمهرة » والبلوش يكونون في المهجر جماعات يقوم نسق التوزع المهني فيها على نفس الاسس التقليدية في الوطن .. ومع ان البعض منهم قد تخصص في المهجر في أعمال التجارة البسيطة والخدمة في الفنادق « وكصبيان » في البيوت أو اشتغل البعض الاخر كحمالين أو باعة متجولين أو حراس – وهي مناشط اقتصادية جديدة عليهم تقوم على الأسس النقدية ، ولكن فقد احتفظت جماعاتهم بوحدتها اللغوية . وتلك الوحدة اللغوية هي اطار للوحدة القرابية التي تشمل كل المهاجرين منهم . وقد انعكست تلك الوحدة في الكثير من المناشط والعمليات الاجتماعية في بلد الهجرة – وبخاصة فيما يتعلق بعمليات الضبط الاجتماعي وتسوية المنازعات التي تقوم بين الافراد والجماعات ، وذلك للمحافظة على وحدة وتماسك تلك الجماعات اللغوية والقرابية في الوطن الجديد ، كذلك ، فان تلك الوحدة اللغوية قد صارت اطارا لتكوين وحدات اقتصادية تعاونية في المهجر تقوم بتقديم التسهيلات والمساعدات للمهاجرين الجدد لتنظم لهم المأوى المؤقت وتعتمد على علاقاتها بالمجتمع الجديد في ايجاد العمل المناسب لهم .

وهؤلاء المهاجرون من أبناء الجنسيات أو الجماعات العرقية المتمايزة في الكويت لاشك انهم لا يمكن لاي منهم ان يغير من طبيعة انتمائه الى تلك الجنسية أو الجماعة العرقية التي ينتمي اليها الا بالحصول على الجنسية الكويتية وهي تخضع لشروط وظروف تجعل من العسير عليهم الحصول عليها . ومع ذلك فان الانتماء الى جنسية أو جماعة عرقية معينة لا يعني ان تكون تلك الجماعة اطارا لكل المناشط الاجتماعية للشخص ، فهو يسكن في بناية واحدة مع أشخاص ينتمون الى فئات أخرى متمايزة ، وهو

يعمل في المتجر أو الادارة الحكومية مع اناس لا ينتمون اليه بصلات اللغة أو الوطن الاصلي ، وقد يتكلمون لغة مشتركة هي اللغة الرسمية للدولة • كما انه يستطيع الزواج أو الاشتراك في النشاط الاقتصادي الخاص مع من يقدمون له الشروط الافضل بغض النظر عن طبيعة السلالة أو الموطن الأصلي الذي ينتمي اليه ، وهذا يعني باختصار ان انتماء الشخص الى فئة معينة من الفئات المتمايزة على أساس الجنسية أو الاصل العراقي ، لا يعزله عن التفاعل والدخول في علاقات متنوعة مع أعضاء الفئات الاخرى ، كما ان هذه الفئات لا تكون وحدة مهنية مغلقة فالمصريون والهنود والفلسطينيون يشتغلون معا في عديد من المهن المتنوعة والمختلفة في نسق التفاضل المهني ، وبالاضافة الى هذا كله فأن هناك ضرورة للتعاون الرسمي في المناشط الاقتصادية المختلفة •

ولكن هذه العلاقات لم تصل الى مدى العمق الذي يمكن معه مثلا تبادل الزواج فيما بينها ، فقد تبين انه فيما يتعلق بالتزاوج بين الجنسيات المختلفة بين أفراد العينة التي اعتمدت عليها الدراسة ان الكويتيين هم نسبيا فقط الذين ترتفع بينهم نسبة الرجال الذين يتزوجون للمرة الاولى بنساء ينتمين الى جنسية مختلفة عن جنسيتهم الحالية ، فقد بلغ عدد افراد العينة من المتزوجين ٦١ شخصا تزوج منهم تسعة وأربعون بزوجات كويتيات بينما تزوج الاثنى عشر الاخرون (حوالي ٢٠٪) بزوجات من جنسيات أخرى ممن ينتمين الى الجنسية العراقية أو السورية أو الايرانية أو المصرية أو من بدو الصحراء ، وكذلك نجد ان من بين الذين تزوجوا منهم للمرة الثانية وقد بلغ عددهم ١٤ شخصا ان احد عشر شخص قد تزوجوا بكويتيات بينما تزوج الثلاثة الاخرون من نساء عراقيات • ولكن الامر يختلف بين غير الكويتيين من المهاجرين فلم يتزوج احد أفراد العينة الذين بلغ عددهم ٩٦ شخصا ـ وكان بينهم ٢٤ شخصا قد تزوجوا

لمرة أو أكثر – لم يتزوج منهم أحد بزوجة لا تنتمي الى جنسيته الاصلية .. فيما عدا حالة زواج واحدة بين طبيب أردني الجنسية وطبيبة عراقية يدينان بالمسيحية .

ولعل من الظواهر الغريبة التي يتميز بها المهاجرون في الكويت انهم يحرصون – كما يحرص المجتمع الاصلي – على المحافظة على التمايز والتغاير الذي يفصلهم عن المجتمع الاصلي ، ولعل هذا الحرص هو الذي أسفر عن ذلك الاختلال الهائل بين نسبة الذكور والاناث بين المهاجرين حيث تصل نسبة الاناث بينهم طبقا لتعداد عام ١٩٦٥ الى ٣٠٪ فقط . (٥) ويفسر المهاجرون هذا الاختلال بأنهم لا يعتبرون أنفسهم مغامرين يحاولون بداية حياة جديدة خارج الوطن الاصلي ، ولكنهم في العادة قد دفعتهم الحاجات الخاصة أو الضرورة الاقتصادية الى الهجرة ، كانوا ضحايا للضغط السكاني المتزايد على الرقعة المحدودة من الارض الزراعية أو في مناطق الرعي مع قلة الفرص المحلية أو انخفاض مستويات الاجور في الوطن الاصلي ، أو دوافع العروبة والرغبة في المشاركة في بناء النهضة الحديثة في الكويت ما بعد النفط ، وهناك من تتعاقد معهم الدولة للعمل لفترات قصيرة في المشروعات الانشائية ، ولكن الجميع لا يتوقعون ان تكون معيشتهم في المهجر معيشة دائمة .. ولكنهم على العكس ينظرون الى تلك الحياة كحياة مؤقتة يحاولون فيها الحصول على أكبر قدر ممكن من المال في أقصر وقت ليعودوا الى الوطن رجالا أثرياء يدعمون عن طريق مدخراتهم التي جمعوها في الكويت مراكزهم الاصلة في الوطن .

ولقد كانت هناك عوامل موضوعية تدعم هذه النظرة الى طبيعة

---

(٥) انظر الجدول التالي رقم : ٤ .

Table Four جدول رقم ٤:

Kuwait Population by Localities in each Governorate by Sex Sensos 1975 *

Localities	Total Population						Non Kuwaitis						Kuwaitis					
	Total		Female		Male		Total		Female		Male		Total		Female		Male	
	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.	Per. %	Pop.
Kuwait City	100	78116	27.3	21340	72.7	56776	84.9	66339	23.4	15546	76.6	50793	15.1	11777	49.2	5794	50.8	5983
Total Suburbs of Capital Gov.	100	198240	47.4	93953	52.6	104287	28.1	55775	40.5	22563	59.5	33212	71.9	142465	50.1	71390	49.9	71075
Hawali Gov.	100	576589	46.8	270007	53.2	306582	60.0	346117	45.0	155756	55.0	190361	40.0	230492	49.6	114251	50.4	116231
Ahmadi Gov.	100	141256	46.4	65478	53.6	75778	38.6	54518	39.8	21716	40.2	32802	61.4	86738	50.5	43762	49.5	42976
Living Abroad	100	636	45.8	291	54.2	345	00.0	—		—		—	100	636	45.8	291	54.8	345
Grand Total	100	994837	45.3	451069	54.7	543768	52.5	522749	41.2	[illegible]	58.8	307168	47.5	472081	49.9	235488	50.1	236604

* State of Kuwait, Centeral Statistical Office; Annual Statistical Abstract; Edition XIV, 1977; PP. 23-5.

الهجرة العمالية في الكويت ، فلقد سبقت الاشارة الى ان الدولة ، وهي حريصة - ومحقة - في المحافظة على مصالح الكويتيين تفضل هؤلاء المواطنين في التعيين والترقية مما يضيق على المهاجرين فرص الترقي وتدعيم مراكزهم الوظيفية في المهجر ، بل هي حريصة على تكويت العمالة في الكويت في أقرب وقت ممكن وهي نشطة في ذلك عن طريق البرامج التدريبية للعمال الفنيين وانشاء المعاهد العلمية الخاصة باعداد المتخصصين في مجالات التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والاعلام وغيرها •

وهذا كله في نفس الوقت الذي يصعب على هؤلاء الحصول على الجنسية الكويتية مما يؤدي الى انهاء مدة اقامتهم في الكويت فور انتهاء اجال عقودهم التي تستمر لفترات قصيرة وهو ما يجعل غالبية المهاجرين وخصوصا من بين العمال العاديين والمشتغلين بأعمال التجارة والبيع ممن يدخلون الكويت بالطرق غير المشروعة - يفضلون ترك زوجاتهم وأولادهم في الوطن الاصلي ليقوموا بزياراتهم كلما حصلوا على اجازات أو عندما تنتهي عقود عملهم بالكويت ، وحتى اذا كان الوضع يختلف بالنسبة الى المشتغلين بالمهن العلمية كالمدارس والاطباء والمهندسين وغيرهم ممن يتمتعون بامتيازات في الاسكان والاجور تشجعهم على احضار زوجاتهم وأولادهم الى الكويت ، الا ان هناك الكثيرين منهم ممن يفضلون قضاء فترة التعاقد أو « الاعارة » بمفردهم حيث تظل الزوجة في الوطن للاشراف على مصالح الاسرة هناك ، وبخاصة حين لا يرغب الاباء في تغيير النظم التعليمية التي ينتظم فيها الابناء ، أو تكون هناك بعض المصالح الاقتصادية أو الالتزامات العائلية التي تتطلب بقاء الزوجة في الوطن •

ولعل تلك الظروف والاوضاع كلها تجعل من المشروع اطلاق لفظ النسق التعددي على النسق الاجتماعي في الكويت الحديثة • ليس فقط

لانه في داخل الحدود الاقليمية لذلك المجتمع تعيش بعض المجتمعات المتمايزة المنعزلة ، ولكن فقد قام بين تلك الجماعات المتمايزة أنواع من الاحتكاك أو التفاعل ، فالجماعات القبلية والعراقية المتمايزة ، حيث تنتقل من حياة البداوة الى التواطن بالقرب من المشروعات الصناعية والتجارية ومراكز الخدمات الحديثة ، وتتقابل في معاملاتها اليومية مع الفئات الكويتية الاصيلة الاخرى وغيرها من الاجانب أو من المهاجرين ، لا تستطيع تلك الجماعات ان تعيش في معزل عن الاحتكاك والتفاعل مع غيرها من الجماعات أو الفئات الاجتماعية ، فالجميع يشاركون في المناشط الاقتصادية وينتظمون تحت رئاسة واحدة في مجالات العمل - ويخضعون لنسق واحد من الجزاءات المقننة - كما يجدون أنفسهم مضطرين الى التعاون وتبادل الخبرات للتغلب على المشكلات في العمل وصعوباته ، وربما يلتقون في كثير من المناسبات الاجتماعية غير الرسمية فيما بعد أوقات العمل ، وهم بالاضافة الى هذا كله يشاركون في الاستفادة من مصادر مشتركة للخدمات .

وقد انتهت تلك الدراسات المتكاملة في المجتمع الكويتي الى عدد من الحقائق التي أبرزت انه على الرغم من ان موضوع هذه الدراسة وعنوانها هو : « الهجرة والتغير في بنية المجتمع الكويتي » الا ان معالجة هذا الموضوع بصورة شاملة قد فرضت التعرض لكثير من ملامح الحياة التقليدية والحديثة التي تبدو للوهلة الاولى على غير صلة بمشكلة الهجرة . وقد كان ذلك بغرض القاء مزيد من الضوء على هذه المشكلة ذاتها تبعا لطبيعة المنهج البنائي الوظيفي الذي ينظر الى البناء الاجتماعي باعتباره يتكون من مجموعة من الانساق والنظم التي يربط بينها نوع من التساند والذي يفترض انه لا يمكن للباحث الانثروبولوجي فهم الدور الوظيفي لاي نظام من النظم الا في علاقته ببقية النظم الاخرى في النسق الاجتماعي

الكلي • وقد ظهر لنا في نهاية البحث عدد من النتائج الهامة التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

أ ـ لقد ساعدت الظروف الايكولوجية على تنوع المناشط الاقتصادية التقليدية في المجتمع الكويتي ، فقد عمل السكان بالرعي والزراعة والصيد والغوص والسفر والتجارة ، وقد كانت السنة باعتبارها تمثل المدى الزمني لدورة الحياة الاقتصادية في المجتمع التقليدي تبرز نوعا من التكامل الذي يسيطر على تنوع المناشط الاقتصادية التي كان يقوم بها هؤلاء السكان •• فقد كان البدو يزاوجون بين الاشتغال بالزراعة المتنقلة أو زراعة الحدائق لتوفير المحاصيل الاستهلاكية معتمدين على مياه الامطار القليلة ، ثم ينتقلون في موسم الربيع بأغنامهم أو ابلهم الى المناطق التي يتوفر فيها العشب والمرعى ، ثم يعودون للتمركز حول مصادر المياه أو الجلبان في فصل الصيف ليذهب البعض منهم الى العمل في الغوص •

ب ـ وقد تنوعت أنماط استقرار الجماعات السكانية في ذلك المجتمع التقليدي ، فقد كان أهل الحضر الذين يقيمون في بيوتهم المبنية داخل سور مدينة الكويت أو خارج ذلك السور في المناطق القروية بالجهرة وفيلكا والفحيحل وغيرها وقد عمل هؤلاء بالصيد وزراعة الحدائق أو زراعة الخضروات في المزارع المستقرة والغوص والسفر والتجارة ـ بينما كانت هناك بعض الوحدات القبلية البدوية من أنصاف الرحل •• وقد قامت أنماط معينة من العلاقات التي تربط « أهل البدو » الحضر وبخاصة فيما يتعلق بتبادل المنافع الاقتصادية ـ كما قد انطوت تلك العلاقات في بعض الاحيان عن محتوى سياسي يتمثل في تعهد أهل البدو بتوفير الحماية والدفاع عن بعض تلك الجماعات الحضرية •

ج ـ وكان لظهور النفط وما استتبعه من الحاجة الى ايدي عاملة على درجات متفاوتة من الخبرة والمهارة في عمليات انتاجه ـ وما قام حوله من

صناعات ـ ان تعرض المجتمع الكويتي التقليدي لعملية هجرة سكانية داخلية واسعة تركت آثارا واضحة في سوق العمل ، فلم يعد السكان الكويتيون يشتغلون مثلا بتلك الاعمال التقليدية مثل الرعي أو الصيد ، وان استمرت بقايا تلك المناشط ذاتها فيما بعد التغير كما هو الحال بالنسبة للصيد والرعي أيضا فقد أخذت تلك المناشط وضعا جديدا ، وصار الكويتيون يستأجرون للقيام بها عمالا من الوافدين ، وتحول الهدف من المناشط عن مجرد توفير الحاجات الاستهلاكية واعادة توزيع المحصول على أساس تعاوني الى اعتبارها عمليات اقتصادية لتحقيق الربح النقدي ، كما تحول الغرض من تربية الحيوان مثلا الى مجرد توفير الحاجة الاستهلاكية وكتعبير عن الاصالة واستمرار التمسك بالاوضاع التقليدية ازاء وطأة التغير الذي يشعر به اعضاء المجتمع الكويتي الحديث •• وفضلا عن هذا فقد حدثت تغيرات في بعض المناشط الاقتصادية الاخرى مثل السفر فقد اعتمد النقل البحري الحديث على الاساليب الفنية المتقدمة في العمل ، واستخدمت في ذلك العمل وسائل تكنولوجية أكثر تقدما وتعقيدا ، وأصبح أغلب القائمين بهذه الاعمال من ذوي الخبرات الفنية من الوافدين •

د ـ وازاء تلك الظروف الاقتصادية • كان لابد من اعادة توزيع القوى العاملة المحلية على المهن والمناشط الاقتصادية التي تتناسب مع نوع الخبرة والكفاية التي يتمتع بها العامل الكويتي • وقد اجتذب قطاع الخدمات الحكومية وبخاصة في الاعمال الكتابية والشرطة والحراسة • تلك الايدي العاملة الشابة التي تركت العمل بالمناشط التقليدية •• اما لاندثارها ـ كالغوص والسفر باساليبه التقليدية ـ أو لقسوتها كالرعي والزراعة •

هـ ـ ولكن قد كونت قوى العمل الوافدة الغالبية العظمى للعمالة

في المجتمع الحديث • وقد شغل الوافدون كثيرا من المراكز الانتاجية في المناشط العلمية والفنية والادارية والحرفية التي تحتاج الى خبرات علمية ومهارات حرفية لم تتوفر في القوى العاملة المحلية ـ ولكن اذا كانت الكويت قد نجحت في اجتذاب المتخصصين في مختلف المجالات من العرب وغير العرب ، وأعطتهم رواتب مرتفعة تزيد كثيرا من مستوى الرواتب والاجور في دول الشرق الاوسط ، فهي قد اجتذبت في نفس الوقت ألوفا من العمال الغير مهرة المستعدين للاشتغال بأي عمل يدوي ولو كان من الاعمال الشاقة التي أصبح الكويتيون مهما كان مستوى خبراتهم يعزفون عن الاشتغال بها ويعتبرونها أعمالا لا تتناسب مع مرتبتهم الاجتماعية •

و ـ كذلك اسفرت تلك التغيرات الاقتصادية عن تغير في الاسس التي يقوم عليها تقسيم العمل وتوزيعه في المجتمع الحديث ، فقد كانت الوحدة القرابية في المجتمع التقليدي اطارا للتكامل بين الادوار الاقتصادية التي يقوم بها أعضاؤها في المجالات المتنوعة مثل الرعي وزراعة الحدائق والغوص ، أو مثل الصيد والزراعة والغوص والسفر أو في احتراف بعض الاعمال اليدوية والمزاوجة بينها وبين الزراعة القليلة وتربية الحيوان • وكان تقسيم العمل يقوم على بعض العوامل الذاتية والموضوعية التي استمرت في مرحلة ما بعد التغير ، مع الاختلاف في مدى تغلب كل منهما أو الاخرى في النسق الحديث عنه في النسق التقليدي ، فقد تلاشت مثلا الاسس العرقية التي كانت تقصر الاشتغال باعمال الحدادة ـ وما يتصل بها من الحرف اليدوية ـ على جماعات « الصلب » الذين احتلوا مركزا معينا في نسق التفاضل التقليدي وقد اصبحت معاهد التدريب على تلك الحرف اليدوية تجتذب الشبان من الفئات العرقية والقبلية المختلفة ، وان كانت الدولة الان تغلب بعض الاسس الذاتية في عمليات الاختيار المهني لحماية العامل المحلي واعطائه الفرصة للتدريب وزيادة كفايته الانتاجية ، الا ان

هناك بعض المهن الفنية والعلمية التي فرضت استجلاب من يقومون بها من خارج المجتمع الكويتي التقليدي أو الحديث ، وهذا يعبر في حد ذاته عن جانب من جوانب التغير في أسس تقسيم العمل وتوزيعه في المجتمع الحديث • وقد فرضت ادارة المشروعات الحديثة زيادة التخصص الدقيق في تلك الاعمال الجديدة التي تحتاج الى كفاءات عالية ، وأصبحت الدرجات العلمية وسنوات الخبرة معيارا موضوعيا أساسيا في تولى بعض الوظائف وبخاصة في المجالات العلمية والادارية •

ز ـ وقد اخذت بعض العمليات الاقتصادية التعاونية التقليدية وضعا جديدا في مرحلة ما بعد التغير ، فقد تغيرت مثلا الوظيفة الاجتماعية لنظام التكافل التقليدي الذي يتمثل في تحقيق نوع من الحماية الجماعية ضد الازمات الاقتصادية التي يتعرض لها أعضاء المجتمع ، وهي تتمثل في اعطائهم الفرصة لتعويض الخسارة والعودة الى سوق العمل ان تعرضت تجارتهم للخسارة ، أو ابتلع البحر سفنهم ، أو اتت النيران على تجارتهم ، وأصبحت عملية الكفالة في المجتمع الحديث تمثل نوعا من التفرقة أو التمييز بين الفئات السكانية في المجتمع ، بهدف حماية مصالح المواطنين الكويتيين في الدرجة الاولى ، وقد انعكس هذا على أوضاع الجماعات الوافدة من المهاجرين وفي مدى محاولتهم أو حرصهم على الاسهام في تطوير المجتمع الكويتي والافادة بخبراتهم في المجالات المختلفة •

ح ـ كذلك تغيرت النظرة الى المصادر الاساسية للثروة في المجتمع الكويتي فيما قبل التغير وبعده ، فقد كان استغلال الاراضي والزراعة ـ أو استغلال ماء البحر في الصيد والغوص والسفر ـ يرتبط في المجتمع الكويتي التقليدي برضاء الحاكم وموافقته فضلا عن الالتزام بدفع نصيب محدد من انتاج العملية الاقتصادية ، ولم يكن يخرج عن ذلك سوى أراضي الزراعة ، باعتبار ان ماء السماء هو الذي يقوم بالعملية الانتاجية كلها ،

وفيمابعد التغير كان المصدر الاساسي للثروة وهو النفط ينظر اليه ايضا باعتباره ملكا للحاكم الذي يحق له الحصول على عائدات انتاجه •

وقد تنازل الحاكم عن هذا الحق للارتفاع بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي للشعب في صورة مشروعات اجتماعية في مجال التعليم والصحة والاسكان والتنمية وغيرها ، واصبحت للحاكم الان مخصصات ثابتة في ميزانية الدولة التي تعتمد في الدرجة الاولى على هذا النفط ، ولكن حين عمد الحاكم الى اعادة توزيع الثروة على شعبه في صورة تلك الخدمات فقد ترتب على ذلك أن أصبح أفراد الشعب يرون ان لهم الحق في تلك الثروة العامة ، وقد تحكم هذا الحق في سوق العمل والانتاج بحيث صار التضخم الوظيفي مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي في المجتمع الكويتي الحديث •

ط ـ ولقد اسفرت الهجرة الخارجية في المجتمع الكويتي الحديث عن كبر حجم المجتمع وتضارب الثقافات التي تنتمي اليها جماعات المهاجرين ـ وكان التنافس في سوق العمل مجالا لتصادم المصالح ـ ومن ثم فقد نشأت الحاجة الى تعديل أجهزة الحكم والادارة التقليدية لتتلاءم مع الاوضاع الاقتصادية والسكانية الحديثة ، فلم يكن من الممكن اخضاع هؤلاء المهاجرين « للسالفة » التي كانت تحكم النشاط الاقتصادي التقليدي باعتبار ان العمالة الحديثة قد خلقت مشكلات جديدة ، وكان من الضروري ان تتطور نظم الادارة الاقتصادية نتيجة لكبر حجم المشروعات واختلاف نوعية القوى العاملة واتساع دائرة العلاقات الاقتصادية بالعالم الخارجي •

ى ـ كذلك فقد أسفرت الهجرة عن زيادة الاتصال بالعالم الخارجي وساعد ذلك على اقتباس النظم الحديثة في الحكم وادارة المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك هناك ضرورة للتحول عن التشريع الذي يعتمد على تقنين العرف الى التشريع الحديث الذي يخضع له كل السكان بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو المذهبية ـ الا فيما

يتعلق بالاحوال الشخصية ، والمسائل ذات الاتصال بالعقائد الدينية ـ وقد خضعت له كل الوحدات القبلية والعرقية المتمايزة في المجتمع الحديث كما خضعت له كل فئات المهاجرين ، فلم تعد تلك التشريعات تعتمد على فكرة الخضوع الى قوانين وأعراف الوطن الاصلي ولكنها اتخذت صورة القوانين الصورية التي يخضع لها كل من يقيم في حدود سيادة الدولة الاقليمية .

وبقول آخر فان الهجرة كانت العامل الاساسي في كثير من التغيرات السياسية فقد دفعت نتائجها الاجتماعية باعتبارها مثلا قد عملت على تفكك العلاقات الشخصية التي كانت تؤثر في التكييف القانوني والعرفي للجريمة، ولهذا فقد كان من الضروري ان تقوم قوانين لا شخصية لا تتأثر بهذه العلاقات التي تقوم بين اعضاء المجتمع الحديث وكذلك فان الهجرات العمالية الخارجية وما ادت اليه من تنوع الفئات السكانية وثقافاتها قد ادت الى استحالة خضوعها جميعا للطرق العرفية التي كانت تقدم أسسا واضحة لتسوية كل المنازعات في المجتمع التقليدي ، وبالطبع لم يكن من الممكن اعطاء الفرصة لاعمال القواعد التقليدية لكل فئات السكان في المجتمع الحديث ، ولهذا فكان لابد من توحيد القوانين في الدولة الحديثة ، وهذا يعني ان القانون الحديث في مجتمع ما بعد التغير لم يكن مجرد مظهر وضرورة من مظاهر وضرورات انشاء الدولة ، وانما فرضته في الدرجة الاولى ظروف الهجرة وتنوع فئات المهاجرين .

ك ـ وقد ظهرت في المجتمع الكويتي الحديث مشكلات متعددة لم تكن لتوجد خلال النسق التقليدي ، أو انها اتخذت طابعا جديدا في مجتمع ما بعد التغير ، ومثال ذلك ان كانت الاصول القرابية وأسس الانتماء العرقي تقدم معايير واضحة في تحديد الانتماء السياسي ، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي اصبحت تحيط بهذا الانتماء في المجتمع الحديث أصبحت تثير مشكلات متعددة ، كما ترتب على التنظيمات الجديدة

للاقامة والعمل ظهور بعض الظواهر الجديدة مثل عمليات التسلل ، كما عرف المجتمع الكويتي الكثير من المنازعات العمالية ، وهي وان كانت مشكلات قد وجدت في نسق العمالة في المجتمع التقليدي ، الا ان القوانين العرفية ، والعلاقات القرابية والعرقية التي تجمع بين الاطراف في علاقة العمل كانت تساعد على الوصول بتلك المنازعات الى تسوية مرضية سريعة ، ولكن فقد تطورت تلك المنازعات مثلا الى أن أخذت صورة الاضرابات أو المنازعات الجماعية أو الطائفية فقط بالمعنى المهني لهذه الكلمة •

ل ــ وقد انعكست أوضاع الهجرة العمالية في المجتمع الكويتي الحديث في نسق الترتيب الاجتماعي والوحدة والتعدد في ذلك المجتمع ، حيث لم يكن المجتمع الكويتي القبلي التقليدي يعرف مظاهر التمركز الاقليمي للوحدات القرابية السياسية كما هو الحال بصورة خاصة في المجتمعات الانقسامية العربية الاخرى ، فقد كانت هناك بعض الظروف الايكولوجية التي تفرض تمركز أعضاء تلك الوحدات القرابية القبلية في مواسم معينة من السنة وبخاصة في أيام الجفاف حول مصادر المياه في الجلبان القليلة ، وكذلك فقد كان التوزيع السكاني في المناطق الحضرية يرتبط الى حد بعيد بروابط القرابة أو الانتماء المذهبي وقد اتضح ذلك فيما يتعلق بالمجتمع التقليدي في فيلكا بصفة خاصة •

م ــ كذلك فقد كان هناك نوع من التوزع التقليدي للوحدات القبلية على المراتب الاجتماعية المتفاضلة ، وقد ارتبطت تلك المراتب في بعض الاحيان بانواع المناشط الاقتصادية التي يتوفر على ممارستها اعضاء تلك الوحدات ــ مثل اشتغال الرشايدة والعوازم بالزراعة ، واشتغال الصلب بأعمال الحدادة ــ وقد كان للتشريعات التي سادت بين السكان من المواطنين في حقوق المواطنة على أسس معينة ــ وما ارتبط بهذا من الاشتراك في الاستفادة ببرامج الخدمات العامة في مجالات الاسكان والتعليم والاستخدام

وبرامج الرعاية الاجتماعية الاخرى - ان تلاشت الى حد كبير مظاهر التمركز الاقليمي في سكنى الوحدات القرابية والعرقية المتمايزة • وحصل أعضاء من مختلف الوحدات القرابية والعرقية التقليدية على بيوت متجاورة في مناطق الاسكان الحديثة ، وأعمال متشابهة في ادارات الانتاج والخدمات •

ن - كذلك فقد كان لظهور المناشط الاقتصادية الحديثة وهي تختلف في طرق تقسيم العمل والترتيب التفاضلي للعاملين فيها عن المناشط التقليدية ، حيث تغلب تلك المناشط الحديثة ، الاسس الموضوعية مثل مستويات التعليم والخبرة والمهارة الفنية في ترتيب العاملين دون ارتباط بنوع الانتماء العرقي أو حجم الثروة الشخصية ، وكان في ذلك عديد من الفرص التي استفاد بها اعضاء الجماعات التي احتلت مراتب دنيا في نسق التفاضل التقليدي ، وقد احتلوا مراكزا ومراتب ممتازة في النسق الحديث ، وان كان هذا لا ينفي استمرار النظرة التقليدية الى أنواع معينة من المهن مثلا أعمال السعاة أو الفراشين أو أعمال الحراسة والشيالة •

ص - ولقد ارتبط نسق التوزع السكاني في المجتمع التقليدي ببعض الجوانب القرابية أو العرقية وقد أدت التغيرات الديموجرافية ، وهي تتمثل في زيادة أعداد الوافدين المقيمين الذين اصبحوا يكونون الغالبية في سوق العمل والعدد الكلي للسكان الى اتخاذ نوع من التميز في التوزع السكاني ، فأصبحت هناك المناطق المغلقة التي يسكنها الكويتيون كما أن الدولة حريصة الان على تكويت بعض قطاعات معينة في سوق العمل ، وذلك لضمان توفير أكبر قدر من الرعاية الوطنية للمواطن الكويتي ، وكانت هذه الاساليب الدفاعية مؤدية الى اضفاء نوع من التماسك والوحدة التي تتعدى كل حدود التمايز والتناقض في المجتمع الكويتي الاصلي •

ع ـ ومن ناحية اخرى ، فقد كونت فئات المهاجرين جماعات تربط بينها عناصر التماسك والتعاون في مجتمع المهجـــر ، حيث كانت علاقات القرابة أو الانتماء الى نفس الوطن تقوم أساسا لتقديم المساعدات التـــي يتلقاها المهاجرون الجدد من اقاربهم أو من بنى وطنهم الذين سبقوهـم الى الهجرة ـ وتتمثل هذه المساعدات في تقديم تسهيلات في المسكن والاستخدام وتتمثل مظاهر التماســـك في تبادل الزيارات والهدايا ووجود المعاملات المالية ـ وهذا في نفس الوقت الذي لا تزال تلك الجماعات من المهاجرين ترتبط بأوطانها الاصلية بعلاقات اقتصادية واجتماعية متنوعة باعتبار ان حياة المهجر هي حياة مؤقتة ، وان كانت هناك بعض الفئات التي لا تتوقـــع ان تغادر الكويت في المدى القريب أو حتى في المدى البعيد ، فان التشريعات التي يخضع لها غير الكويتيين بصفة عامة لا تعطيهم الفرصة لتدعيم ذلـــك الاستقرار في أحوال كثيرة •

مراجع باللغة العربية حول مظاهر التغير ومشكلاته في المجتمع الكويتي

١ ـ **الكويت بأقلام نسخة من كتاب العرب** ـ دار الكاتب العربي ـ غير مبين سنة النشر ٠

٢ ـ **الكويت المستقلة** ـ اصدار دار الحياة للصحافة والطباعة والنشر بدمشق غير مبين سنة النشر ٠

٣ ـ احمد الشرباصي ـ **أيام الكويت** ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ ١٩٥٣ ٠

٤ ـ أحمد الغندور ـ **الاحوال الشخصية في التشريع الاسلامي مع بيان ما عليه العمل في محاكم الكويت** ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٢ ٠

٥ ـ أحمد مصطفى ابو حاكمة ـ **تاريخ الكويت** ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٦٩ ٠

٦ ـ أمل يوسف العذبي الصباح ـ **سكان الكويت دراسة تطبيقية في جغرافية السكان** ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٢ ٠

٧ ـ جمال زكريا قاسم ـ **مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية** ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٢ ٠

٨ ـ حسن خلف الشيخ خزعل ـ **تاريخ الكويت السياسي** ـ غير مبين سنة النشر ٠

٩ ـ حسن سليمان محمود ـ **الكويت ماضيها وحاضرها** ـ المكتبة الاهلية ـ غير مبين سنة النشر ٠

١٠ ـ حسن صادق المرصفاوي ـ **شرح قانون الاجراءات والمحاكمات الجزائية في الكويت** جامعة الكويت ـ ١٩٧١ ٠

١١ ـ حسن علي الابراهيم ـ **الكويت : دراسة سياسية** ـ دار البيان للنشر ـ الكويت ـ ١٩٧٢ ٠

١٢ ـ حصة السيد زيد الرفاعي ـ **أغاني البحر في الكويت : « النهمة »** ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧١ .

١٣ ـ حكومة الكويت ـ سجل الكويت اليوم ـ الكويت ـ ١٩٥٦ .

١٤ ـ حمد يوسف العيسى ـ **الكويت والمستقبل** ـ منشورات دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦١ .

١٥ ـ راسم رشدي ـ **كويت وكويتيون ـ دراسات في ماضي الكويت وحاضرها** ـ بيروت ـ ١٩٥٥ .

١٦ ـ راشد عبدالله الفرحان ـ **ماضي الكويت وحاضرها ـ مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية** ـ مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ .

١٧ ـ رياض الشيخ ـ **النمو الاقتصادي في الكويت : المشكلات والسياسات** ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٢ .

١٨ ـ زهرة ديكسون فريت ـ **الكويت كانت منزلي** ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت غير مبين سنة النشر .

١٩ ـ سعاد أبو الحسن ـ **الكويت أرضنا الطيبة** ـ غير مبين الناشر أو سنة النشر .

٢٠ ـ سيف مرزوق الشملان ـ **من تاريخ الكويت** ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ .

٢١ ـ شركة نفط الكويت المحدودة ـ **الكويت ماضيها وحاضرها** ـ لندن ـ ١٩٥٥

٢٢ ـ **الكويت ماضيها وحاضرها** ـ الكويت ـ الكويت ـ ١٩٦٣ .

٢٢ ـ شريف شرف الدين ـ **الكويت بين الامس واليوم** ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .

٢٤ ـ عادل خطاب ـ **الكويت الدولة العصرية** ـ مطبوع بطريقة الرونيو ـ ١٩٧٢ .

٢٥ ـ عبدالرحمن بن عبدالله القاضي ـ **دولة الكويت بين الامس واليوم** ـ ١٩٦٣ .

٢٦ ـ عبدالعزيز الرشيد ـ **تاريخ الكويت** ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ غير مبين سنة النشر ٠

٢٧ ـ عبدالعزيز حسين ـ **محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت** ـ جامعة الدول العربية ـ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠ ٠

٢٨ ـ عبدالله بن خالد الحاتم ـ **من هنا بدأت الكويت** ـ المطبعة العمومية بدمشق غير مبين سنة النشر ٠

٢٩ ـ عبدالله زعيتر ـ **سنوات في الكويت** ـ بيروت ـ ١٩٥٩ ٠

٣٠ ـ عبدالمجيد مصطفى وعثمان حفيظ الله ـ **دراسات عن الكويت والخليج العربي** ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ غير مبين سنة النشر ٠

٣١ ـ عبدالواحد أحمد معرفي ـ **الاقتصاد في الكويت** ـ الشركة العالمية للاعلان ـ الكويت ـ ١٩٦٧ ٠

٣٢ ـ عزيز محمد حبيب ـ **الكويت ونهضتها الحديثة** ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ٠

٣٣ ـ علي أحمد الشرقاوي ـ **الكويت واللؤلؤ** ـ الكويت ـ ١٩٥٨ ٠

٣٤ ـ عواطف خليفة العذبي الصباح ـ **الشعر الكويتي الحديث** ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٠ ٠

٣٥ ـ فاضل خلف ـ **دراسات كويتية** ـ الكويت ـ ١٩٦٨ ٠

٣٦ ـ فاضل سعيد عقل ـ **الكويت الحديثة** ـ بيروت ـ ١٩٥٢ ٠

٣٧ ـ فضة أحمد السعود الخالد ـ **الخدمة الاجتماعية في مدارس الكويت** ـ بحث مقدم للحصول على الدبلوم العالي للخدمة الاجتماعية ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ٠

٣٨ ـ فؤاد البدوي ـ **٣ أيام في الكويت : الدولة التي تسابق الزمن** ـ دراسة وتحليل ـ منشورات دار الصباح ـ بيروت ـ ١٩٦٣ ٠

٣٩ ـ قدري قلعجي ـ **أضواء على تاريخ الكويت** ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٢ ٠

٤٠ ــ **الكويت في موكب الحضارة** ــ دار الكاتب العربي ــ بيروت ــ ١٩٦٢ ·

٤١ ــ لوشر ــ أ ــ **الكويت عام ١٩٦٨** ــ ترجمة عبدالله ناصر الصانع ــ الكويت ١٩٥٨ ·

٤٢ ــ محمد الفرحاني ــ **الكويت بين الامس واليوم** ــ ١٩٥٩ ·

٤٣ ــ شمس الخليج : أمارة الكويت ــ دمشق ــ ١٩٦١ ·

٤٤ ــ محمد عبوالوهاب حومد ــ **شرح قانون الجزاء الكويتي (القسم العام)** جامعة الكويت ــ ١٩٧٢ ·

٤٥ ــ محمد عبده محجوب ــ **الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي** ــ وكالة المطبوعات ــ الكويت ــ ١٩٧٢ ·

٤٦ ــ محمود جمال الدين زكي ــ قانون العمل الكويتي ــ جامعة الكويت ــ ١٩٧٢ ·

٤٧ ــ **عقد الايجار في القانون المدني الكويتي** ــ جامعة الكويت ــ ١٩٧٢ ·

٤٨ ــ محمود شفيق ــ **القونون التجاري الكويتي** ــ جامعة الكويت ــ ١٩٧٢ ·

٤٩ ــ محمود قلعجي ــ **الكويت المستقلة ــ الدولة العربية الناشئة** ــ مكتب الخليج العربي ــ بيروت ــ ١٩٦١ ·

٥٠ ــ محيي الدين الخضري ــ الكويت واحة الحكم الصالح ــ منشورات مجلة الوعد ــ غير مبين سنة النشر ·

٥١ ــ ــ **الكويت في ظل الاستقلال** ــ منشورات مجلة الوعد ــ غير مبين سنة النشر ·

٥٢ ــ نجاة عبدالقادر الجاسم ــ **التطور السياسي والاقتصادي** ــ الكويت بين الحربين ١٩١٤ــ١٩٣٩ ــ الكويت ــ ١٩٧٣ ·

٥٣ ــ هـ·و·ب· ديكسون ــ **الكويت وجاراتها** ــ الكويت ــ ١٩٦٤ ·

٥٤ ــ وزارة الارشاد والانباء ــ **الكويت حقائق ومعلومات** ــ الكويت ــ غير مبين سنة البشر ·

٥٥ ـ يحيى عبدالعزيز الجمل ـ **النظام الدستوري في الكويت مع تقدمه في المبادىء الدستورية العامة** ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧١ .
٥٦ ـ يعقوب عبدالعزيز الرشيد ـ **الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ** ـ ١٩٦٣ .
٥٧ ـ يوسف بن عيسى القناعي ـ **صفحات من تاريخ الكويت** ـ **مطبعة حكومة الكويت** ـ ١٩٦٨ .
٥٨ ـ يوسف محمد حمد السميط ـ **تجارة الكويت الخارجية ومقدماتها الجغرافية** رسالة ماجستير ـ جامعة الكويت ـ ١٩٧٢ .

1. Beling, W. A. ; "Recent Developments Labour Relations in Bahrayn", Middle East Journal, 13 (2), 1959.
2. Cittle, T. ; "Oil and Abu Dhabi", Arab world, I (new series), 1963.
3. Cressey, E. Crossroads; Law and Life in Soruthern Arabia, N. Y., 1960.
4. Dickson, H. R. P. ;Kuwait and her Neighbours, London, 1968.
5. Hopwood, D. ed. ; The Arabian Peninsula : Society and Politics; Rowan and Littlefield, 1972,
6. Kuwait University; Selected Bibliography on Kuwait and the Arabian Gulf, Kuwait, 1969.
7. Mann, C.E.; Abu Dhabi, Birth of an Oil Sheikhdom; Khayat, Beirut, 1964.
8. Sterens, J. h. ; Changing Agricnltural Practice in an Arabian Oasis, A Case Study of Al-Ain, Abu Dhabi, G. J., 136 (3) 1970.
9. wadyramahi, S. A. ; " Qatar Toward the Welfare Sheikdom" Middle East Journal, 8 (I) 1968.

معركة النفط في الخليج العربي

ليونيد ايفانوفتش مدفيدكو
ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي
جامعة بغداد ـ كلية الاداب

اصحاب النفط يدافعون عن حقوقهم :

كانت نوعية نفط الخليج العربي الجيدة وكمياته الوافرة اضافة الى انخفاض كلفته وسهولة نقله ورخص الايدي العاملة في المنطقة قد جذبت منذ وقت طويل اهتمام الاحتكارات الاجنبية الكبير الى هذه المنطقة •

لقد تجاوز انتاج النفط في العالم في عام ١٩٧١ المليار طن ، وفي الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧١ وحدها ازداد انتاج النفط في اقطار الشرقين الادنى والاوسط من ٦٩٢٫٢ مليون طن الى ٨٠٢٫٧ مليون طن وكانت الزيادة على النحو التالي : في ايران من ١٩٠ مليون طن الى ٢٢٧ مليون طن وفي السعودية من ١٧٦ مليون طن الى ٢٢٢ مليون طن وفي الكويت من ١٣٧ مليون طن الى ١٤٥ مليون طن وفي العراق من ٧٦ مليون طن الى ٨٣ مليون طن وفي ابو ظبي من ٣٣٫٧ مليون طن الى ٤٤٫٥ مليون طن وفي قطر من ١٧٫٣ مليون طن الى ١٨ مليون طن وفي امارات الخليج الصغيرة الاخرى من ٥ ملايين طن الى ٦٫٥ مليون طن [١] • لقد صدرت هذه الاقطار في ١٩٦٩ كمية من النفط تزيد في مجموعها على

(*) البحث الراهن ترجمة للفصل الثاني من كتاب الباحث السوفياتي ليونيد ايفانوفتش مدفيدكو الموسوم بـ « رياح التغيير في الخليج العربي» والذي اصدره في موسكو معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٧٣ •

٥٠٠ مليون طن اي ما يعادل ما تستهلكه اقطار اوربا الغربية باجمعها ، علما بان ٩٦٪ من النفط الذي تستهلكه اقطار اوربا الغربية ياتي من منطقة الخليج العربي اضافة الى ان منطقة الخليج تصدر النفط ايضاً الى افريقيا الجنوبية واليابان واستراليا وجنوب شرق اسيا ٠

ان شركة نفط عملاقة مثل « ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا » الامريكية التي تستخرج النفط من اربعة عشر بلدا وتمتلك فروعا لها في مائة بلد من بلدان العالم تستخرج اكثر من ثلث انتاجها من اراضي اقطار الخليج العربي في حين تستخرج شركة « شل » الانجليزية ما يقرب من نصف انتاجها من اراضي تلك الاقطار ايضا (٢) حيث تكون كلفة الانتاج هناك ارخص بعدة مرات منها في اية منطقة اخرى في العالم ٠ واذا كانت الاحتكارات النفطية الامريكية في ١٩٦٧ تسيطر على ٢٠ مليار طن نفط من احتياطي النفط المستكشف في الاقطار العربية فانها في ١٩٧٠ اصبحت تسيطر على اكثر من ٣٠ مليار طن اي على ما يقرب من ٦٧٪ من جميع ما اكتشف من احتياطي النفط في هذه المنطقة ٠ لقد ازداد احتياطي النفط المكتشف في شبه جزيرة العرب والعائد الى شركة النفط الامريكية ارامكو في ١٩٦٩ وحدها من ١٠ مليارات طن الى ١٩ مليار طن ٠ ان هذه الزيادة غير المألوفة في تاريخ صناعة النفط في العالم الرأسمالي تزيد بمرتين تقريبا على احتياطي النفط المكتشف في الولايات المتحدة نفسها وتساوي تقريبا جميع حقول النفط في نصف الكرة الغربي (٣) ٠

لقد تطلب الامر لاغلبية الاقطار صاحبة الثروات النفطية التي اتحدت في ١٩٦٠ للدفاع عن مصالحها في منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) (٤) اكثر من اربع سنوات لكي تحصل على ٥٠٪ من ارباح النفط المستخرج ٠ ولكن الاحتكارات النفطية في واقع الامر لم تراع مبدأ «ففتي ــ ففتي» (*)

(*) اى المناصفة ــ المترجم ٠

هذا أبدأ فهذا المبدأ الذي يعترف بالتساوي بين الشركاء عند توزيع الارباح تحول في الواقع الى مجرد ستار كانت الاحتكارات النفطية تنهب من ورائه أصحاب الثروات النفطية دون حياء • فالاقطار المصدرة للنفط تخسر سنويا ملايين الدولارات بسبب من ان الاحتكارات النفطيـة تشتري النفط منها باسعار تقل كثيرا عن الاسعار العالمية فضلا عن ان تلـك الاحتكارات نفسها تحقق ارباحا طائلة من تصنيع النفط الخام وبيـع المنتجات النفطية • هذا فضلا عن ان الكثير من اتفاقيات الامتيازات نصت عـلى الزام اصحاب الحقول النفطية ببيع حصتهم من النفط المستخرج الى الاحتكارات النفطية التي تستحوذ على اسواق البيع •

في مؤتمر الاقطار العربية النفطي السابع الذي انعقـد في اذار ١٩٧٠ ترددت دعوات لاستخدام النفط كسلاح فعال في النضال ضـد الاستعمار ومن اجل تعزيز الاستقلال الاقتصادي للدول العربيـة ، وبدأت تتكون في في عدد من الاقطار العربية كمصر وسوريا والجزائر والعراق وليبيـا شركات نفط وطنية اخـذت تشارك لا في استخراج النفط فقط وانما في بيعه ايضا •

في اواسط ١٩٧٠ وقعت شركات النفط الوطنية في كل من الجزائـر وجمهورية مصر العربية والعراق وليبيا اتفاقية تعاون رباعية ، كما انهـا كانت قبل ذلك قد قدمت للشركات الاجنبية عددا من المطاليب حول اعـادة النظر في شروط الامتيازات السابقة وزيادة حصتها من الربح المتاتي مـن استخراج النفط وتسويقه وكذلك حول رفع الاسعار • واخذت الاقطـار العربية الاخرى الغنية بالنفط تحتذي تدريجيا المثال الذي ضربته هـذه الدول الاربع ومن تلك الاقطار الكويت وبعض امارات الخليج العربي التي اعلنت عن اسنادها التام لتلك المطاليب •

في نهاية حزيران ١٩٧٠ قدم حاكم ابو ظبي امتيازا جديدا للتنقيب عن النفط واستخراجه في الجرف القارى يتضمن شروطا تاسبه الى الكونسرسيوم الذي تدخل فيه الشركات التالية : « امريكان بان اوشن اويل » (٦٠٪) و « كاناديان سيراكوز اويل » (٢٠٪) و « اوينكسن انتربرايزس » (٢٠٪) • ويشمل الامتياز المذكور على ما تذكر الصحافة الامريكية ارضا تبلغ مساحتها ٣١٥٠ كم^{2} ومدته ٣٥ سنة اي حتى عام ٢٠٠٥ •

وفي الوقت نفسه تقريبا عقد حاكم سلطنة الشارجة اتفاقية امتيازات ملائمة مع شركات : « شل هايدرو كاربون » و « شل مينيرالس » و « بومين » • يشمل اول هذه الامتيازات جزءا من ساحل الامارة الغربي وقد بلغ عربونه حسب المعلومات الامريكية ٥ر١ مليون دولار اضافة الى مبلغ مقداره ٢٥٠ر٨١ دولار يدفع سنويا مقابل استغلال الحقل •

اما الامتياز الثاني فيشمل الساحل الشرقي للامارة ويحدد مبلغا قدره ٢٠٠ ألف دولار يدفع سنويا مقابل استغلال الحقل • وكان حاكم الشارجة قد منح قبل ذلك في كانون الاول ــ ١٩٦٩ ، « كازكومباني اوف كاليفورنيا » امتيازا على الساحل شمل مساحة مقدارها ٩٤٧ كم^{2} • وقد استاءت « الفاينانشال تايمس » فكتبت بهذا الشأن تقول « لقد نصح المستشارون المجربون الذين يستحقون الثقة عادة ، الحاكم بان يمنح هذا الامتياز لمجموعة اخرى ولكنه لم يصغ لذلك » •

ومما هو اكثر جدارة بالملاحظة ان حاكم الشارجة لم يجر مفاوضات مع هذه الشركة فقط وانما تفاوض في الوقت نفسه ايضا مع « باتس اويل كومباني » ، وقد استطاع باستغلاله المنافسة القائمة بين الاحتكارات ان يتوصل الى احسن اتفاقية مع هذه الشركة ، فقد بلغ العربون لعقد هذه

الاتفاقية مليوني دولار الى مبلغ سنوي مقداره ١٠٠ ألف دولار مقابل استغلال باطن الارض مع مبلغ اضافي مقابل استخراج النفط بمقادير اقتصادية (قدرت هذه الكمية بـ ٣٥ الف برميل يوميا) مقداره ١٫٣ مليون دولار . لقد اخذ بنظر الاعتبار بان الارباح سوف تقسم على اساس مبدأ « ففتي ففتي » بما يطابق الانظمة المعمول بهما في منظمة الاقطار المصدرة للنفط على الرغم من ان الشارجة ليست داخلة في تلك المنظمة .

ولم تكتسب قضية منح امتيازات النفط اهمية اقتصادية فحسب وانما ارتدت اهمية سياسية ايضا . ومن هذا المنطلق بالذات جرى خلال عام ١٩٧٠ تركيز اهتمام كبير على تسوية المنازعات الاقليمية ، وكانت لجان خاصة قد شكلت منذ سنة ١٩٦٩ لحل المنازعات الاقليمية كان من بين مهماتها فض النزاع بين السعودية وابي ظبي حول واحة البريمي وتعيين الحدود بين الكويت والسعودية وتقرير وضع الجزر الواقعة بالقرب من المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت والقضاء على الخلافات بين الشارجة وام القوين حول المياه الساحلية والحدود وما اشبه ذلك . وكان على لجنة خاصة ايضا ان تنظر في الخلافات بين الامارات العمانية وكذلك بين تلك الامارات وبين مسقط وعمان . وقد ابدت البحرين استعدادها للتوسط بين العربية السعودية وامارة أبي ظبي في نزاعهما حول واحة البريمي . وقد كتبت جريدة « اطلاعات » التي تصدر في طهران في ٧ أب ١٩٧٠ تقول بان السعودية جددت مؤخرا مطالبتها بهذه المنطقة المهمة . ولقد طرح بهذا الشأن على ما تقوله الجريدة مبدأ اجراء استفتاء عام قدمت فكرته السعودية مقترحة ان يصار قبل ذلك الى « اعادة » سكان الواحة من السعودية اليها اي الى الواحة .

وعلى الرغم من ان استخراج النفط في منطقة الخليج العربي يزداد من سنة لاخرى (٥) . فقد ظل تقسيم الربح على اساس مبدأ « ففتي ـ

فقتي » قائما ، هذا مع العلم بان الاقطار المنتجة للنفط في الخليج العربي ، لم تتسلم في واقع الامر في اي يوم حتى هذا « النصف » المقرر من الربح.

وبدأت في نهاية الستينات بين امارات الخليج العربي محادثات كان من نتيجتها ان خططت بعض الحدود وسويت المنازعات الاقليمية القديمة . ووقعت اتفاقيات حول تحديد الجرف القاريء . وفي اثناء جميع المحادثات التي جرت بين الامارات نفسها وكذلك في أثناء المشاورات التي كانت تجري مع الاقطار العربية الاخرى في منطقة الخليج العربي حول قضايا الاتحاد القادم كانت على الدوام تبحث المشاكل الاقليمية .

وهكذا سبقت زيارة حاكم البحرين الرسمية لايران في كانون الاول ١٩٧٠ محادثات لتحديد الجرف القاري في الخليج العربي . وقبل ذلك كانت ايران قد عقدت اتفاقية مماثلة مع السعودية وقطر واجرت محادثات مع الكويت وابي ظبي وبعض الامارات الاخرى في الساحل العماني وبعد زيارة حاكم البحرين لطهران اكدت صحيفة « ايانديجان » في ٢١ كانون الاول ـ ١٩٧٠ بانه بعد ان اعلنت البحرين استقلالها سيعقد بين هذين البلدين عدد من الاتفاقات الاقتصادية « تتعلق بالدرجة الاولى بالاستغلال المشترك لابار النفط في مياه الخليج الضحلة » .

لقد ظهر ان الاحتكارات النفطية الكبرى التي تصطرع فيما بينها بسبب المنافسة ذات مصلحة في تسوية المنازعات الاقليمية في شبه جزيرة العرب وفي الخليج العربي على السواء . فاذا كانت بريطانيا في السابق مثلا تحمي عمان انطلاقا من اعتبارات سياسية بالدرجة الاولى فان تخطيطا معينا للحدود في الستينات كان عليه ان يضمن لها مستوى معينا من الربح من النفط ويعيق التغلغل الاقتصادي لاحتكارات الدول الاستعمارية الاخرى وخصوصا الولايات المتحدة في المناطق الواقعة تحت حمايتها .

ان التنافس الانجليزي الامريكي يحدد قسما لا يستهان به من

النزاعات والخصومات في منطقة الخليج العربي • لقد كتبت مجلة «تربيون» الانجليزية الاسبوعية في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ في معرض تعدادهـا للنزعات التي جرت في السنوات الاخيرة في شبه جزيرة العرب والتي لا يزال الكثير منها قائما لم يحل حتى الان ، تقول « تتميز جميع هـذه النزاعات بخاصية مشتركة واحدة • انها جميعا حدثت في مناطق لم تتعين فيها الحدود بدقة وفي مناطق تطمح شركات النفط المتنافسة في الحصول فيها على امتيازات استثنائية • وطالما ان الشاه واماراتين عربيتين يعلنون عن احقيتهم في الجزر التي تحتل موقعا ستراتيجيا في مخرج الخليج العربي وان العربية السعودية تطالب بواحـة البريمي وبالقسم الاغلب من قاع البحـر للتنقيب عن النفط فيتحتم ان تنتظر في المستقبل ايضا مثل هـذه الامور المسلية • واذا ما ظلت القوات الانجليزية هناك فان وجودها يمكن أن يعطي لذلك كله مدى أوسع » •

أن هذا الاعتراف الذي اضطرت اليه هـذه المجلة العمالية في غمرة انتقادها للمحافظين يعبر عن الواقع بشكل صحيـح • فالمصالح السياسية والعسكرية والستراتيجية والاقتصادية لمختلف أقطار منطقة الخليج العربي تتشابك في عقدة واحدة من التناقضات التي تزيد من تعقيدها نتائـج العدوان الاسرائيلي الذي لم يزل قائما وعدم حل ازمة الشرق عموما • غير ان الاطماع النفطية للاحتكارات تلعب في هذه القضية الدور الرئيس ولهذا بالذات يكون رد فعل الاستعماريين حادا على اي اجراء يمس بأي درجة مصالحها النفطية •

معركة العمالقة :

لقد ظهر ذلك بشكل واضح على الاخص في أثناء النزاع الذي قـام

في بداية ١٩٧١ بين الاحتكارات النفطية والبلدان المصدرة للنفط الداخلة في منظمة الأوبك •

تمكن في نهاية ١٩٧٠ عدد من الاقطار الداخلة في الأوبك ومنهـا ايران والكويت من التوصل الى توزيع للارباح النفطية اكثر عدالة من السابق حيث أجبرت شركات النفط الاجنبية على ان تكون نسبة الربح التي تدفع لها ليس ٥٠٪ كما كان الامر في السابق وانما ٥٥٪ • ولم تلبث الحكومة العراقية أن قدمت لشركة نفط العراق مطلبا مماثلا • ان تعديل شروط الامتيازات السابقة مكن العراق من زيادة دخله من النفط بمقدار ١٠٠ مليون دولار والكويت بمقدار ١١٥ مليون دولار في ١٩٧٠ مع الاخذ بنظر الاعتبار الزيادة في الانتاج [٦] •

وقد عزز المؤتمر الحادي والعشرون للاوبك الذي انعقد في كاراكاس في ١٢ كانون الاول ١٩٧٠ هذا الانجاز فلم يطلب حسم ٥٥٪ من ربح بيع النفط الخام فقط وانما طالب أيضا برفع السعر المعلن للنفط والغاء الفرق بين أسعار المصدرين المختلفين وذلك برفعها جميعا الى اعلى مستوى امكن تحقيقه • لقد تقرر ايضا الغاء جميع الاستقطاعات التي تقتطع من الاسعار لصالح اصحاب الامتياز ، وانتهاج سياسة موحدة قادرة على مجابهة الاجراءات التعسفية من جانب اصحاب الامتياز ، وتنظيم استخراج النفط بحيث لا تستنزف احتياطاته • ومن أجل ان تتحقق هذه القرارات بالنسبة لاقطار الخليج العربي فوض المؤتمر ايران والعراق والسعودية استئناف المحادثات مع الشركات الاجنبية في موعد لا يتعدى الشهر الواحد •

لقد كانت قرارات مؤتمر كاراكاس تعني تحولا في العلاقات بين الاقطار المصدرة للنفط والشركات الاجنبية • لقد اثارت مطاليب دول

الأوبك العادلة قلقا حقيقيا بين رؤساء الاحتكارات النفطية ، فبعد انتهاء مؤتمر كاراكاس بايام قليلة قدم بيكيت وهو أحد كبار رأسماليي النفط معتمد من قبل شركة « شل » الى الحكومة البريطانية خطة للهجوم المضاد على اعضاء الاوبك •

وبادرت لندن على الفور الى الاتصال بثلاث عواصم اخرى وهي العواصم الاكثر مصلحة من غيرها في هذه القضية ونعني واشنطن وباريس ولاهاي حيث نوقشت الخطة المقترحة بصورة عاجلة وجرى تنسيقها وصودق عليها من قبل اعضاء الكارتل النفطي العالمي • ولقد ساندت حكومات فرنسا واليابان وغيرها من الدول الرأسمالية المهتمة بالخليج العربي بفعالية نشاط شركاتها النفطية أيضا •

وتقدم الكارتل ، بموجب خطة بيكيت باقتراح يقضي بعقد اتفاقيات جديدة تقوم بموجبها البلدان المذكورة المصدرة للنفط بتجميد الاسعار المعلنة للنفط لمدة خمس سنوات • وان تمتنع خلال هذه السنوات الخمس عن أية زيادة في الضرائب وعن اعادة استثمار الاموال الاجنبية المتأتية من ارباح النفط محليا •

وتبعا للقرارات المتخذة في كاراكاس بدأت في طهران في ١٢ كانون الثاني ١٩٧١ المحادثات بين اقطار الخليج العربي الستة الاعضاء في الاوبك وهي الاقطار التي كانت تمثل مصالحها ايران والعراق والسعودية وبين ممثلي الشركات النفطية التي تعمل في استخراج النفط في تلك المنطقة • وقد رفض ممثلو الشركات منذ الجلسات الاولى المطالب العادلة للاقطار اعضاء الأوبك •

لقد كتبت الصحيفة اللندنية « الفاينتشال تايمس » في ١٣ كانون الثاني ١٩٧١ تقول « لقد تعرض العمل النفطي لأول مرة بعد الحرب

العالمية الثانية لخطر جدي للغاية ••• فالواقع ان الاحتكارات النفطية تجابه لأول مرة مجموعة متحدة من الاقطار المنتجة للنفط والمستعدة لان تجري مفاوضاتها كتلة واحدة ، والاحتكارات النفطية لا تستطيع عمليا ان تجيب على هذا التحدي بشيء ، ذلك انها فقدت بعد الازمة الماضية التي سببها اغلاق قناة السويس وتأميم المؤسسات في الشرق الادنى ، امكانية المناورة ••• » •

ولكن الواقع ان هذه الصحيفة التي تنطق بلسان رجال الاعمال الانجليز حاولت بشكواها هذه ان تضعف يقظة البعض ، فامكانيات المناورة لدى شركات النفط ، كانت كما اظهرت ذلك محادثات طهران لا تزال بعيدة عن أن تستنفذ •

لقد حاول ممثلو الكارتل النفطي العالمي الذين كانت تساندهم ايضا خمس عشرة شركة أوربية غربية وامريكية ويابانية « مستقلة » ، قبل كل شيء ان يحدثوا انشقاقا في جبهة اقطار الخليج العربي الموحدة ، بان حاولوا أن يجروا ممثلي ايران والسعودية الى محادثات منفردة • غير ان المندوب الايراني رفض بشكل قاطع أن يفاوض مبعوثي الشركات النفطية خارج اطار المحادثات الرسمية التي تجري على اساس الخط الذي تعتمده الأوبك •

كذلك رفضت اقطار الاوبك اقتراح الاحتكارات النفطية القاضي باجراء المفاوضات مع جميع اعضاء المنظمة في أن واحد واصرت على اجراء المحادثات على اساس اقليمي ، مستندة ، وهي محقة في ذلك ، على اختلاف الظروف بين الاقطار المصدرة وخصوصا اختلاف كلفة الانتاج ونوعية النفط والموقع الجغرافي •

وقدم ممثلو الشركات النفطية بموجب الخطة التي وضعت في لندن

افتراحاتهم المضادة في ١٩ كانون الثاني ١٩٧١ ، وقد تضمنت زيادة قليلة في اسعار النفط المعلنة التي يجري على اساسها حساب حصـــــة الاقطار المصدرة • لقد اقترح على اقطار الخليج العربي ثلث المبلغ الذي كانت تلك الاقطار تطالب به فقط ، وكانت الشركات تأمل في أن يركـع المشاركون في المفاوضات امام الضغط الموحـــد الذي يتعرضون لـــــه من جانب الاحتكارات •

غير ان أقطار الشرق الادنى اعضاء الأوبك طالبت من خلال « اللجنة الثلاثية » ان يزيد اصحاب الامتياز الاسعار المعلنة الى نصف المستوى الذي كانوا قد رفعوا اليه اسعار المنتجات النفطية في نهاية ١٩٧٠ وبداية ١٩٧١ على الاقل •

وهكذا وصلت محادثات طهران الى مأزق •

وحاولت الحكومة الامريكية أن تؤثر على سير المفاوضات في طهران نبادرت الى ارسال مساعد وزير الخارجية اروين الى الشرق الادنى بمهمة خاصة حيث كان عليه ان يؤثر عــلى حكومات ايران والسعودية والكويت اكي تعيد النظر بـ « مطاليبها المتطرفة » •

وسلم اروين بعد أن وصل الى طهران رسالة شخصيـــة لشاه ايران من الرئيس نيكسون تضمنت نصيحة مفادها ان لا يتبع في سياسته النفطيـــة « مثل طرابلس والجزائر السيىء » ، غير ان الشاه كما جاء في مجلـــــة « جيون افريك » في ٩ شباط ١٩٧١ اعلن للمبعوث الامريكي جوابا عــلى هذه الرسالة قائلا : « نحن نعلم جيدا بان المطاليب التي قمنا بصياغتهــــا يمكن ان تكون مقبولة من الشركات النفطية تماما ، ان ذلك بالنسبة لنـــا ليس مهما فقط وانما ضروروي بصورة حيوية » •

وقرر اروين بعد ان اصابه الفشل في طهران ان يكون اكثر حزمـا

في الجانب الاخر من الخليج وهكذا لم يعمد في المحادثات التي اجراها مع ملك السعودية وامراء الكويت وبعض الامارات العربية الى الاقناع وانما عمد الى تخويفهم لا بـ « الخطر السوفيتي » كما كان الامر في السابق وانما بنضال الثوار المتصاعد في عمان وظفار الذي يمكن ان ينتقل في اي لحظة الى السعودية وامارات الخليج العربي . وهكذا قال اروين في الرياض « لا ينبغي لكم ان تنسوا ذلك . اننا مازال بامكاننا ان نكون اذوي نفع لكم . حتى هنا في العربية السعودية انتم تعرضتم للخطر مرات كثيرة . واذا ما كنتم تزدهرون فان ذلك بفضلنا فقط ... »(٧) .

غير ان دعوات اروين الملحة هذه لم يكن لها اثر ، فقد اشار من تحدث معهم ، وكانوا منطقيين في ذلك الى انهم هم ايضا بحاجة الى النقود وذكروه بان مصاريفهم بسبب احتمال سحب القوات الانجليزية من هذه المنطقة ينبغي أن تزداد كثيرا طالما انهم سيأخذون على عاتقهم القيام بالمهمات الامنية .

وعاد اروين الى واشنطن خائبا ، وانقطعت المحادثات التي كانت قد وصلت الى طريق مسدود . لقد نفذ ممثلو الاحتكارات النفطية تعليمات رئاستهم فغادروا طهران آملين أنهم بذلك سيطيلون المفاوضات أو يقوضونها . لقد ارادوا بخروجهم من المفاوضات بهذا الشكل التظاهري ان يحققوا هدفا واحدا هو اظهار اصرارهم على المضي في اللعبة وابداء تأثير نفسي على أقطار الخليج العربي . ومع ذلك لم تستطع الاحتكارات ان تخيف تلك الاقطار بمثل هذا التهويل ولا ان تجعلها ، بواسطة الوعود الزائفة ، اكثر تنازلا فتشق جبهتها المتحدة .

ويبدو انه لم يكن من الصدفة ان تسرع الشركات النفطية العاملة في أبي ظبي في نفس اللحظة التي انقطعت فيها المفاوضات في طهران ، الى الموافقة

على زيادة حصة تلك الامارة من ارباح استغلال حقولها النفطية ، من ٥٠ الى ٥٥٪ [٨] • لقد ظهر كما لو انها أرادت بهذه الخطوة ان تظهر لاقطار الخليج العربي الاخرى بانها تستطيع ان تأمل « على اساس فردي » بـ « تنازلات » من جانب الشركات النفطية دون ان توتر العلاقات مع حكوماتها على مستوى الدولة •

وقدمت الأوبك في ١٩ كانون الثاني ١٩٧١ الى شركات النفط انذارا مفاده انه في حالة رفض استئناف المفاوضات ورفض المطاليب المشروعة لأقطار الخليج العربي فان تصدير النفط سيتوقف [٩] ، وكان لهذا التحذير اثره فاسرع ممثلو الاحتكارات بالرجوع الى طهران •

وهكذا تجددت المفاوضات ، وفي حين وافقت الاحتكارات على اعادة النظر باسعار النفط المعلنة ، الا انها ظلت تصر على ان لا يدخل التغيير حيز التنفيذ قبل مرور خمس سنوات وعلى ان تتخلى الاقطار المصدرة خلال هذه المدة عن اية زيادة في الضرائب وعن المطالبة بمبالغ اضافية بسبب تذبذب اسعار المنتجات النفطية أو تغيير سعر العملات التي يجري بها تحديد اسعار النفط • لقد كان هدف الاحتكارات النفطية من اقتراحها هذا القاضي بتجميد الاسعار لمدة خمس سنوات هو المحافظة على ارباحها وكسب الوقت للاستعداد للصراع اللاحق مع الاقطار المنتجة للنفط •

وعندما وافقت شركات النفط رسميا على زيادة اسعار النفط وعلى تغييرها لاحقا تبعا للتغيرات التي تحصل في القيمة الشرائية للعملات الغربية ، قدمت شروطا من شأنها ان تحبط جهود الاقطار المنتجة للنفط • فقد رفضت على وجه الخصوص أن تزيد حصة الجهات المصدرة من مدخولات بيع النفط ورفضت بشكل قاطع مطاليبها في ان تعيد الاحتكارات استثمار جزء من الارباح التي تحصل عليها في الاقتصاد النفطي وفروع الاقتصاد الاخرى •

لقد اعلن ممثل الاحتكارات النفطية اللورد ستراتلموند قبيل احدى سفراته الى لندن لاستلام تعليمات جديدة ، قائلا : « أن مطاليب الأوبك اكثر مما كنا نتوقع » . ولكن كان من الاعدل القول ، كما لاحظت الصحافة الايرانية ، بأن التنازلات التي قدمتها الشركات كانت ضئيلة للغاية ، ففي حين كانت الاقطار المنتجة للنفط تطالب برفع اسعار النفط بمقدار ٦٠ سنتا مع زيادة خمسة سنتات اخرى في كل سنة للبرميل(١٠) ، لم توافق الشركات الا على زيادة لا تتعدى العشرين سنتا للبرميل مع زيادة لاحقة لا تتعدى السنتين في السنة(١١) .

وفي ٢٧ كانون الثاني اعلمت اقطار الاوبك ممثلي الشركات بانه اذا لم تستجب مطاليبهم فانهم سيفرضون بعد ٣ شباط عقوبات سيكون لها عواقب وخيمة ليس فقط على شركات النفط وانما على الاقطار المستهلكة للنفط بوجه عام .

وفي ٢٥ كانون الثاني اعلن شاه ايران في مؤتمر صحفي بانه اذا حاولت الاقطار المعنية ان تبدى المساندة للشركات فان الصدام بين الدول الرأسمالية التي تنهج سياسة الاستعمار الجديد والاقطار النامية سيكون حتميا(١٢) . واكد بان الوضع الذي تكون في قضية النفط « يمكن ان يتحول الى ازمة اذا ما واصلت شركات النفط خداعنا وابداء الضغط علينا ». لقد لاحظ الشاه بأن مفاوضات الأوبك الجارية موجهة نحو تحديد سعر نفط منطقة الخليج ، ومن العبث أن تحاول شركات النفط ان تجري المفاوضات مع جميع اعضاء الأوبك بالشروط نفسها متناسية بان مصالح اقطار الاوبك ومواقعها الجغرافية مختلفة . ان اقطار الخليج اعضاء الأوبك مستعدة لتوقيع اتفاقية السنوات الخمس التي تقترحها شركات النفط ولكن الاسعار يجب أن تتغير تبعا لتغير اسعار البضائع الاستهلاكية .

لقد صادفت مطاليب اقطار الخليج العربي العادلة اسنادا واسعا من

جانب الاقطار الاخرى اعضاء الاوبك • فبعد ان وصل وزير النفط الليبي الى طهران حذر الشركات بان ليبيا ستوقف امداد الغرب بالنفط في حالة فشل المفاوضات • وساند وزير الصناعة النفطية في فنزويلا الذي وصل الى طهران في تلك الايام هو الاخر موقف اقطار الخليج العربي المصدرة للنفط •

وانعقد في ٣ شباط ١٩٧١ في طهران الاجتماع الثاني والعشرين الاستثنائي للاوبك حيث جرت مناقشة القضية واتخذ قرار يقضي بان من حق كل قطر من اقطار الخليج العربي المصدرة للنفط ان يتخذ بعد ١٥ شباط ١٩٧١ الاجراءات اللازمة لتحقيق الاهداف الموضوعة بما في ذلك التوقف نهائيا عن بيع النفط بواسطة الشركات الداخلة في الكارتل النفطي العالمي •

وقد خطب شاه ايران امام المشاركين في أجتماع الاوبك وممثلي مجلس النواب ومجلس الشيوخ فانتقد بشدة مواقف الاحتكارات النفطية مشيرا الى ان ايران نفسها وكذلك اعضاء الاوبك الاخرين يمكن أن تختار الطريق الذي سلكته فنزويلا اى تتخذ اجراءات قانونية من طرف واحد لتطمين مطاليبها بخصوص الاسعار والضرائب المفروضة على الشركات •

ولم يثر الانذار الجديد الذي اعلنته الاقطار اعضاء الاوبك الخوف لدى شركات النفط فقط وانما اخاف أيضا عددا من حكومات الدول الغربية، فالعقوبات التي اشارت اليها الاقطار النفطية كان بامكانها أن تؤدي الى ازمة حقيقية اذا اقترنت بسحب تلك الاقطار لرؤوس اموالها من البنوك الاوربية• وهكذا اصبحت « الحرب النفطية » تتخذ اكثر فاكثر طابع المجابهة السياسية والصراع بين الاحتكارات الاستعمارية والدول الفتية التي يملؤها العزم على تعزيز استقلالها •

وليس من قبيل الصدفة ان تعمد جريدة « نيويورك تايمس » الى التشكي فكتبت في ٢ كانون الثاني ١٩٧١ اي قبيل مفاوضات طهران تقول : « يسهل في مثل هذا الوضع السياسي استخدام الضغط الاقتصادي . لقد حققت الاقطار العربية وايران في خريف السنة الماضية زيادة في الضرائب وبدلات الايجار التي تدفعها شركات النفط مقدارها ٧٥٠ مليون دولار . وقد ادت هذه الزيادة الى زيادة التكاليف التي هي كبيرة اصلا بسبب الارتفاع الشديد في اجور النقل البحري نتيجة لاستمرار غلق قناة السويس والنقص في ناقلات النفط . ويطالب العرب والايرانيون باستمرار بتوسيع سيطرتهم على ثرواتهم النفطية الى جانب مطالبتهم بالتسديد . والعزاء الوحيد [كما اعترفت الجريدة اخيرا] هو تنامي الارباح ذلك ان الطلب ازداد بشكل غير متوقع سمح بزيادة اسعار المنتجات النفطية » (١٣) .

وقد اخذت الدوائر النفطية والسياسية في الغرب بعين الاعتبار عدم شعبية الولايات المتحدة بين العرب فقررت في تلك اللحظة الحرجة ان نرسل الى طهران ممثل الحكومة الانجليزية الخاص في منطقة الخليج العربي لوس لمساعدة كبار رجال العمل النفطي . وقد حاول هذا بعد ان وصل الى مطار طهران مباشرة ان يتزلف للعرب والايرانيين فكرر الوعد القديم بسحب القوات الانجليزية من منطقة الخليج العربي ، ولقد بذل لوس جهودا كبيرة خلال المناورات التي جرت وراء الكواليس لا في طهران فقط وانما في عواصم اقطار الخليج الاخرى ، للضغط على حكوماتها واقناعها باعادة النظر في مطاليبها تجاه شركات النفط زاعما ان هذه المطاليب تؤدي الى عواقب غير محمودة .

ومع ذلك انتهت بعثة لوس هي الاخرى بدون نتيجة كبعثة زميله ايروين . ولم يستطع لا لوس ولا ممثل الاحتكارات النفطية اللورد ستراتلموند الذي اسرع بالعودة من لندن ان يمددا مهلة الانذار . فاضطرت

شركات النفط قبل يوم من انتهاء المهلة الى الاعتراف باندحارها والموافقة على تنفيذ اغلبية المطاليب المقدمة لها •

وجاء في البلاغ الذي أذيع في ١٤ شباط ١٩٧١ عن المفاوضات التي جرت في طهران لمدة شهر بين اقطار الخليج العربي اعضاء الاوبك وشركات النفط ما يلي : « سوف تزداد الاسعار المعلنة للنفط في منطقة الخليج العربي بمقدار ١٥ سنتا للبرميل الواحد اضافة الى زيادة اخرى مقدارها خمسة سنتات في كل سنة • اما الضريبة على الارباح فقد تقرر ان يكون مقدارها ٥٥٪ في اقطار الخليج العربي كافة • وفضلا عن ذلك توافق كل شركة على زيادة اضافية في السعر المعلن مقدارها ٥ر٢٪ آخذة بنظر الاعتبار التضخم النقدي العالمي ، وذلك ابتداء من الاول من حزيران من هذا العام وفي كل سنة تالية حتى عام ١٩٧٥ » •

وأشارت «الفاينتشال تايمس» في١٣ كانون الثاني ١٩٧١ الى عدم ملائمة الوضع الذي جرت فيه مفاوضات طهران بالنسبة للغرب فقالت : ـ

« لم تستطع الأوبك طيلة عشرة سنوات أن تحقق هدفها الاول ـ زيادة الاسعار المعلنة للنفط • لقد كانت قدرة الصناعة النفطية على المقاومة تستند على سيطرتها على السوق العالمي وعلى توفر فائض في النفط وعلى مدى قدرة الاقطار المنتجة للنفط على التخلي عن مدخولاتها من النفط في حالة حدوث نزاع حاسم • وقد عكست التغييرات التي حصلت في العام الماضي في الاساس التغير التدريجي في وضع السوق العالمي الذي اصبح ملائما للبائعين وليس للمشترين » •

والواقع ان سوق النفط العالمي أصبح اعتبارا من بداية ١٩٧٠ يتخذ وضعا غير ملائم لا للشركات النفطية الاوربية الغربية فقط وانما للشركات الامريكية ايضا • فتعطيل الفدائيين الفلسطينيين لانبوب النفط المار عبر شبه جزيرة العرب وتقليص الحكومة الليبية لاستخراج النفط بمقدار ٦٠ مليون

طن سنويا والزيادة الاضافية في اجور النقل ساعدت على زيادة اسعار النفط الذي تستورده اوربا الغربية والولايات المتحدة •

واذا ما كانت حالة سوق النفط الرأسمالي تتميز طيلة سنوات عديدة سابقة بزيادة العرض على الطلب فان الوضع في اواسط ١٩٧٠ اصبح يلائم مصدري النفط • ولقد حدد ذلك كما قالت « الواشنطن بوست » في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧١ « روح التعرض المتزايدة والوحدة والسعي الى الهدف لدى الاقطار المنتجة للنفط وعلى الاخص فرصتها في النجاح النهائي » •

وستزداد مدخولات اقطار الخليج العربي المنتجة للنفط في مـــدة السنوات الخمس التي نصت عليها اتفاقية طهران ، كما اشارت الى ذلك الصحافة الاجنبية ، بمقدار ٣ مليارات دولار بضمنها ٠٠٠ر١٢٠٠ دولار في سنة ١٩٧١ وحدها [١٤] • اما مدخولات اقطار الأوبك جميعها فانها ستزداد نتيجة لما جرى في طرابلس وطهران وكاراكاس من اعادة النظر في الاتفاقيات المعقودة مع شركات النفط ، بموجب حسابات مجلة « فورن افيرس » الاميركية من ٧ مليارات دولار في ١٩٧٠ الى ٥ر١٨ مليار دولار في حين ان مدخولات تلك الاقطار كانت ستبلغ عـــام ١٩٧٥ بموجب الشروط القديمة ما لا يزيد عن ١٠ مليارات دولار •

لقد كتبت « الاوبزرفر » في ٨ شباط ١٩٧١ تقول : « كان عـــلى الاقطار المنتجة للنفط أن توافق طيلة عشرات السنين على الشروط التـــي كان كل من هذه الاقطار بامكانه ان يعمل منفردا للحصول عليها مـــن شركات النفط • اما الان فانها استوعبت المبدأ النقابي القديم بالمساومـــة الجماعية » • ان خروج واحد أو اكثر من الاقطار الكبرى المنتجـــة للنفط كان سيعني ان الأوبك لم تستطع استغلال الوضع المناسب ، ولكن ذلك لم يحدث حيث فشلت محاولات الاحتكارات لاثارة الخلاف بـــين اقطار شمال افريقيا ومنطقة الخليج العربـــي • فالخط الدؤوب المعادي

للاستعمار الذي تنتهجه حكومتا العراق والجزائر قلل الى حد كبير من امكانية المناورة وحياكة الدسائس السياسية امام الاحتكارات •

استمرار الهجوم على الاحتكارات :

لقد خلق النصر الذي حققته اقطار الخليج العربي المصدرة للنفط الظروف الملائمة للضغط اللاحق على شركات النفط من قبل اعضاء الأوبك الاخرين • ففي شباط ١٩٧١ كانت حكومة الجزائر قد اصدرت مرسوما اممت بموجبه جميع مكامن الغاز الطبيعي وجميع الانابيب • واعلنت في الوقت نفسه عن رفع نسبة مشاركتها في الشركات الفرنسية التي تستخرج النفط الى ٥١٪ •

وبعد اقطار الخليج العربي اصدر البرلمان الفنزويلي في اذار ١٩٧١ قرارا منفردا رفعت فنزويلا بموجبه اسعار النفط بنسبة ٣٣٪ دون أي التزام من جانبها بان لا تتخذ في المستقبل خطوات جديدة للدفاع عن حقوقها المتعلقة باستغلال ثرواتها الطبيعية استغلالا عقلانيا وقبل ذلك اضطرت الاحتكارات ايضا على ان توافق على زيادة فنزويلا لحصتها في الارباح الى ٦٠٪ •

وقدم الكارتل النفطي العالمي تنازلات مهمة في المفاوضات التي جرت مع قطار البحر المتوسط الاعضاء في الأوبك وهي المفاوضات التي جرت في اذار ١٩٧١ في العاصمة الليبية طرابلس • لقد طالبت ليبيا باسم هذه الاقطار بزيادة نسبة الضرائب من ٥٥٪ الى ٦٠٪ وان يؤخذ بعين الاعتبار قرب مصادر النفط من سوق أوربا الغربية فترفع اسعاره الى مستوى اسعار السوق الداخلي في الولايات المتحدة على الاقل ، وبعد مساومات طويلة تحتم على الشركات في اخر الامر ان توقع في ٢ نيسان ١٩٧١ اتفاقية حول رفع الاسعار المعلنة للنفط الليبي الى ٤٦٪ اضافة الى زيادة أخرى خلال خمس سنوات بمقدار ٢٫٥٪ ومبلغ اضافي مقداره ٧٪ للبرميل

في السنة [١٥] . ووافقت الشركات ايضا على اعادة استثمار جزء من رؤوس الاموال التي كانت تحولها في السابق الى البنوك الاجنبية باعتبارها مدخولات لها . ولكن ليبيا لم تستطع رفع نسبة الضرائب الى ٦٠٪ .

وبعد اتفاقية طرابلس زادت الجزائر من اسعار نفطها وحذت حذوها كل من نيجريا واندونيسيا كذلك استطاع العراق والسعودية اللذان ينقل قسم من نفطهما بواسطة الانابيب الى موانيء البحر المتوسط مباشرة ، ان يستغلا اتفاقية طرابلس لغرض زيادة مساوية في اسعار نفطهما المنقول الى البحر المتوسط . ورفع العراق سعر النفط من ٢ر٤١ الى ٣ر٢١ دولار للبرميل الواحد بموجب الاتفاقية المعقودة بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق في ٨ حزيران ١٩٧١ كذلك عقدت في ٢٣ حزيران ١٩٧١ اتفاقية مشابهة بين السعودية وارامكو ارتفعت بموجبها الاسعار من ٣ر١٨ الى ٣ر٣٧ دولار للبرميل الواحد من النفط الواصل الى موانيء البحر المتوسط [١٦] .

« في الفترة القصيرة التي اعقبت صيف ١٩٧٠ قدمت اغلبية الاقطار المنتجة للنفط في طرابلس وكاراكاس وطهران ، ثم في طرابلس مرة أخرى ، لدوائر العمل النفطي مطاليب ادت الى مجابهة دراماتيكية تنطوي على فقدان قسم لا يستهان به من احتياطات النفط ونتج عن ذلك انخفاض محسوس في المؤشرات الاقتصادية لتجارة النفط في الوقت الذي اصبح فيه التوازن العام يميل بشكل ظاهر لصالح منتجي النفط » [١٧] .

لقد كان دخل السعودية ، بموجب حسابات الخبراء ، سيزيد نتيجة لارتفاع اسعار النفط المصدر من موانيء الخليج العربي والبحر المتوسط في ١٩٧٩ بمقدار ٢٨٨ مليون جنيه استرليني بالمقارنة مع السنة السابقة بحيث يبلغ رقما قياسيا مقداره ٩١٢ مليون جنيه استراليني مع احتمال كبير بزيادة اخرى في السنوات الاربع المقبلة [١٨] .

ولم تكن نسبة الزيادة في دخل الكويت هي الاخرى لتقل عن ذلك • ففي خلال ١٩٧١ كان على دخلها ان يبلغ نتيجة لزيادة الحسومات من «كويت أويل كومباني» وحدها ٤٦٩ مليون دينار كويتي مقابل ٢٢٩ مليون في عام ١٩٧٠ • واستنادا الى ما ذكرته « الفاينئشال تايمس » فانه في ظل « ما نصت عليه اتفاقية طهران من استمرار الانتاج وتواصل ارتفاع الاسعار فان المدخولات من النفط يجب ان تزيد في ١٩٧٥ على ٧٠٠ مليون دينار كويتي » [١٩] اي ما يقرب من مليارى دولار • ان مدخولات الكويت من النفط يجب ان تبلغ في ١٩٧٢ ــ ١ر٧ مليار دولار[٢٠] أما دخل العراق فقد بلغ في ١٩٧١ ــ ٤ر٢ مليار دولار[٢١] •

ومع كل ذلك فان أهمية الانتصار الذي حققته الاقطار المصدرة للنفط على الاحتكارات الامبريالية لا يقتصر على هذه الناحية فقط •

لقد وصف وزير صناعة التعدين الفنزويلي أوريف وهو أحد مؤسسي الاوبك أهمية النتائج التي حققها اعضاء هذه المنظمة في المفاوضات مع شركات النفط فاعلن في ١٣ تموز ١٩٧١ لمجلة « جيون افريك » قائلا : « ••• انه تحققت في طهران عملية مالية مقدارها ٧٥ مليار دولار • ان هذه العملية المالية الاعظم في التاريخ لم تقم بها الولايات المتحدة وانما نفذتها عشرة أقطار لم يكن احد يصغي لرأيها من قبل • ويبدو لي أن ذلك أهم بكثير حتى من الناحية المالية للمفاوضات » •

واضطر الاقتصادي الامريكي المعروف والتر ليفي هو الاخر الى الاشارة الى أن الشيء الرئيس لا يكمن في الاشياء الملموسة التي حصلت عليها الاقطار المنتجة وانما في الطريقة التي حققتها بها ثم كتب يقول : « ان فعالية سياسة الاوبك وتنسيق العمل بين اعضائها ولجوئهم الى التهديد بالحظر، كل ذلك حقيقة يتحتم على شركات النفط وحكومات الاقطار المستهلكة للنفط الآن ان يحسبوا لها الحساب وان يستخلصوا منها الاستنتاجات التي تلائمهم » [٢٢] •

ومع ذلك فمن الخطأ ان نفترض بان شركات النفط قد استسلمت نهائيا ، فهي تبحث عن كل ما يمكن من الطرق للتعويض عما خسرته وذلك بالقاء الزيادة في الاسعار المعلنة على عاتق مستهلكي النفط في الاقطار الغربية والنامية وكذلك بالبحث المحموم عن مصادر جديدة خارج منطقة الشرق الادنى أو بالتوسع الكبير في انتاج النفط في المناطق التي تبدو لها اكثر استقرارا واكثر موثوقية من الناحية السياسية ان هذه المناطق بالنسبة لها هي الاقطار ذات الانظمة الملكية في منطقة الخليج العربي وبالدرجة الاولى السعودية ولهذا بالذات عمدت الشركات الامريكية في نفس الوقت الذي ابرمت فيه اتفاقية زيادة الاسعار المعلنة للنفط المنقول بواسطة الانابيب من السعودية الى موانىء البحر المتوسط الى عقد معاهدة سرية مع الملك فيصل نصت على زيادة لا يستهان بها في انتاج النفط من الحقول السعودية في السنوات القليلة المقبلة •

وقد كتبت المجلة الفرنسية « نوفيل اوبزرفاتور » في ١٤ حزيران ١٩٧١ تصف معنى هذه الخطوة فقالت : « لقد قامت ارامكو التي تكاد تمتلك كل حقوق احتكار استغلال المكامن في العربية السعودية ، بخطوة غير اعتيادية • لقد قامت ارامكو بعد ان وحدت جهود الشركات الامريكية الرئيسية (« ستاندرد اويل كومباني أوف نيو جرسي » و « ستاندرد اويل كومباني اوف كاليفورنيا » و « موبل اويل ») ، بعقد اتفاقية مع الملك فيصل باسناد من الرئيس نيكسون • ان هذه الاتفاقية تسمح لها بأن تضاعف انتاج النفط ثلاث مرات خلال ثلاث سنوات • وبفضل ذلك سيكون لدى الملك فيصل الموالي لامريكا مصدرا للذهب يغترف منه خمسة مليارات دولار سنويا على شكل ايجار الامر الذي يمكنه من تقوية سلطته السياسية على الخمسة ملايين نسمة • وسيكون للارامكو بدورها مصدرا وافرا وموثوقا للنفط سيكون بامكانها ان تنتج منه في

١٩٧٤ ـ ١٥٪ من الانتاج الكلي للنفط في العالم مقابل ٧ر٥٪ وهي نسبة الانتاج في الوقت الحاضر • ان المنافسة التي يشكلها النفط السعودي سوف تكون سلاحا للارهاب بيد الكارتل النفطي يوجهه ضد الاقطار المنتجة ، التي تحاول ان تكرر ما حدث في طهران وطرابلس والجزائر هذا بالطبع الى الوقت الذي تقع فيه في العربية السعودية حوادث ما •• »

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلتها الدعاية الامبريالية للتقليل من أهمية النجاح الذي حققته بلدان الأوبك في النضال ضد الاحتكارات النفطية فان مفاوضات طهران كانت تشير الى نصر كبير لاقطار الخليج العربي المنتجة للنفط • وكان النصر ، كما اعترفت صحيفة « الاوبزرفر » اللندنية الاسبوعية ، ممكنا بسبب من ان هذه الاقطار ادركت مصالحها المشتركة فهبت لاول مرة بجبهة موحدة ضد الاحتكارات النفطية الاجنبية مستندة الى دعم وتضامن جميع الاقطار الاخرى المصدرة للنفط اعضاء الأوبك •

لقد مكنت النجاحات التي حققتها بلدان الأبك في طهران تلك البلدان من ان تقف موقفا موحدا في المفاوضات المقبلة مع ممثلي شركات النفط وهي المفاوضات التي جرت في فينا وان تتقدم هناك بمطاليب متفق عليها من الجميع حول اسعار صرف العملات المختلفة بسبب من أن قيمة الدولار الامريكي بدأت بالهبوط ، وحول مشاركة اقطار الأوبك في في اعمال شركات النفط • ان هذه المطالب حتمها ، كما اعلن السكرتير العام للأوبك نديم الباجهجي الظرف الجديد الذي نجم عن ازمة الدولار وهو الظرف الذي لم تنص عليه اتفاقيتي طهران وطرابلس • لقد اكد الباجهجي قائلا : « اننا لا نستلم تعويضا كافيا نتيجة للتضخم ولذا ينبغي ان يجري تصحيح مناسب بهدف التعويض عن أي أثر سلبي يحدث بسبب التخفيض الحقيقي للدولار الامريكي » (٢٣) •

ان اهتمام الاقطار المنتجة للنفط بالتعويض عن تضخم العملة اثارته بالدرجة الاولى حقيقة ان الجنيه والدولار الامريكي تنخفض قيمتهما باستمرار مما ينتج عنه انخفاض القيمة الحقيقية لمدخولات الاقطار المصدرة للنفط • فالدولار على الاخص باعتباره الوحدة النقدية التي يجري على اساسها الحساب في التجارة النفطية انخفضت قيمته من ١٩٥٩ الى ١٩٦٩ بمقدار ٢١٪ وهناك اتجاه لتخفيض آخر لقيمته • لقد انخفض في ١٩٦٩ بالمقارنة مع ١٩٦٨ بمقدار ١ر٥٪ وفي ١٩٧٠ بالمقارنة مع العام الذي سبقه بمقدار ٧ر٥٪ • لقد اتضح الانخفاض المتزايد في قيمة الدولار بشكل خاص خلال الازمة النقدية الجديدة التي انتشرت في ايار ١٩٧١ في اوربا الغربية بسبب « مرض التضخم » الذي اصاب الدولار •

ولقد اخذت بلدان الأوبك هبوط قيمة الدولار بنظر الاعتبار فقررت اتخاذ الاجراءات التي يمكن ان تعوضها عن الخسارة ، ذلك ان هذه الخسائر كانت ستبلغ بموجب حسابات سكرتارية الأوبك في الفترة من آب الى كانون اول ١٩٧١ فقط ٥٧٠ مليون دولار (٢٤) •

وعقد في بيروت في ٢٢ أيلول ١٩٧١ اجتماع استثنائي للأوبك اتخذ فيه ممثلو احد عشر قطرا قرارين هامين نص اولهما على زيادة اسعار النفط بالقدر الذي يغطي خسائر بلدان الأوبك الناجمة عن تخفيض قيمة الدولار • وكان على اليابان ان تدفع اكثر من نصف هذا المبلغ الاضافي في حين تدفع المانيا الاتحادية وهولندا قسما ملحوظا منه • ولقد توقعت بلدان الأوبك معارضة اليابان التي كان عليها ان تدفع لاقطار الخليج ، اذا ما اخذت بالحسبان القيمة الجديدة للين بالقياس على الدولار ، مبلغ ٢٤٨ مليون دولار في سنة ١٩٧١ وحدها ، لذا فانها حذرت اليابان بأنها لن تمنح في حالة رفضها أي أمتياز جديد لاستخراج النفط •

اما القرار الثاني فانه يتعلق بمشاركة بلدان الأوبك في اعمال الاحتكارات وهو ما تخشاه شركات النفط • لم يكن من قبيل الصدفة ان تطلق الصحافة الاجنبية التي نشرت القرار عليه اسم قنبلة بطيئة الانفجار » يمكن ان تنفجر فتضعف بشدة مواقع شركات النفط الاجنبية التي تتمتع في عدد من اقطار الخليج العربي باحتكار حق التنقيب عن النفط واستخراجه وتسويقه•وكانت الفرصة قدسنحت لتلك الشركات لتحس باثار انفجار مثل هذه القنابل « البطيئة الانفجار » في الجزائر وليبيا اللتين كانت حكومتاهما قد استحوذت على اغلبية اسهم شركات النفط العاملة في اراضيها •

ولقد احتلت القضايا المتعلقة بتنفيذ القرارات التي اتخذت في بيروت مكانا بارزا في برنامج عمل اجتماع الأوبك الذي عقد في ابي ظبي في ٧ كانون الاول ١٩٧١ •

وفي معرض تعليله لموقف بلدان الأوبك في قضية التعويض عن نقص مدخولات النفط بسبب تخفيض قيمة الدولار اعلن السكرتير العام للأوبك الباجهجي بانه « من غير العدل مطالبة اعضاء الأوبك بتمويل التضخم النقدي في اقطار أوربا الغربية واليابان أو تغطية تكاليف سياساتهم الخاصة التي ليس فقط لا نساند اغلبيتها وانما ندينها بشدة ايضا » [٢٥] •

وناقش المشتركون في الاجتماع ايضا قضية المشاركة في اعمال الشركات التي لها امتيازات في اقطار الخليج العربي الاعضاء في الأوبك • ثم أتخذ الاجتماع قرارا بأن تجري في أقرب وقت ممكن مفاوضات مع ممثلي الشركات الاجنبية حول عدد كبير من القضايا المتعلقة بتخفيض قيمة الدولار الامريكي ومساهمة بلدان الأوبك في الشركات النفطية العاملة في اراضيها • وجرى في البلاغ الرسمي الذي صدر عن الاجتماع تأكيد على انه اذا لم تحقق المفاوضات الهدف منها فستعقد الأوبك اجتماعا

استثنائيا يقرر اجراءات ملموسة بشأن الاعمال التي يتفق عليها للدفاع عن مصالح اقطار الخليج العربي الداخلة في الأوبك [٢٦] .

ولقد ادركت الاقطار العربية الثمانية المصدرة للنفط والمشتركة في منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط وهي ليبيا والسعودية والكويت والجزائر وابو ظبي والبحرين وقطر ودبي ، الصعوبات الحقيقية التي سيتحتم عليها مواجهتها في معركتها المقبلة حول النفط مع الاحتكارات الامبريالية فبادرت بعد انتهاء اجتماع الأوبك مباشرة الى عقد اجتماع في ابي ظبي في ٩ كانون الاول ١٩٧١ قررت فيه تعديل ميثاق منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط الذي وضعه الاعضاء المؤسسون لتلك المنظمة وهم - ليبيا والسعودية والكويت في ١٩٦٨ ، ونظر الاجتماع كذلك في قبول العراق وسوريا ومصر في المنظمة [٢٧] . وقد اكد الميثاق الجديد على ضرورة تنسيق سياسة الاقطار العربية في مجال النفط الذي يكون المصدر الأساس لدخلها القومي . ولقد قيمت الصحافة العربية قبول الاعضاء الجدد في منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط واعادة النظر في ميثاقها باعتبارها خطوات مهمة على طريق تعزيز التعاون بين الاقطار العربية لا في المجال الاقتصادي فحسب وانما في المجال السياسي ايضا وعلى اساس معادي للاستعمار .

واضطرت الاحتكارات النفطية بعد الكثير من التسويف والمماطلة الى تنفيذ مطاليب بلدان الأوبك بخصوص تعويضها عن الخسائر التي تصيبها من جراء تخفيض قيمة الدولار . فقد ازداد السعر المعلن لنفط الخليج العربي بموجب الاتفاقية التي عقدت في جنيف في ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٢ بمقدار ٨٫٥٪ غير ان مطلب اقطار الاوبك بأن تساهم بنسبة ٢٠٪ كشركاء في الامتيازات النفطية وهو المطلب الذي تقدمت به تلك الاقطار في بداية ١٩٧٢ جوبه بمقاومة عنيفة من جانب الاحتكارات العالمية . على ان السعودية استثنيت من ذلك حيث وافقت ارامكو في

اذار ١٩٧٢ مبدئيا على ان يشارك رأس المال السعودي في اعمال الشركة بنسبة ٢٠٪ ٠

ولكي تحقق الاستجابة لمطالبها اعلنت الاقطار المشتركة في الأوبك عن عزمها على اتخاذ اجراءات متطرفة بما في ذلك تخفيض استخراج النفط أو ايقافه ، كما اتخذت في الوقت نفسه قرارا يقضي بانشاء صندوق خاص لمساعدة الاقطار التي يمكن أن تصيبها بعض الخسائر في اثناء صراعها مع شركات النفط ٠ واجابت الاحتكارات على ذلك بهجوم مضاد٠ فوجهت ضربتها الرئيسية ضد العراق الذي كانت حكومته تثير منذ وقت طويل نقمة كبار رأسمالي النفط باتجاهها لخط ثابت معادي للاستعمار وقيامها باصلاحات اجتماعية ، اقتصادية تقدمية ٠

وهكذا اخذت شركات النفط المشاركة في شركة نفط العراق تتقصد في انتهاج خط من شأنه ان يؤدي الى قيام ازمة حادة في العراق وذلك عن طريق تخفيض استخراج النفط بشكل مصطنع ٠ ولهذا فعلى الرغم من الانتاجية العالية التي تتميز بها حقول النفط العراقية فان العراق كان في بداية السبعينات وبسبب هذه السياسة يشغل في مجال نمو انتاج النفط واحدا من الاماكن المتأخرة قياسا على اقطار الشرقين الادنى والاوسط الاخرى ٠ ففي الوقت الذي ازداد فيه انتاج النفط في السعودية في الفترة : ١٩٦٩ - ١٩٧١ بمقدار ٧٤ مليون طن وفي ايران بمقدار ٥٩ مليون طن وفي امارة ابي ظبي الصغيرة بمقدار ١٦ مليون طن فانه لم يزدد في العراق الا بمقدار ٨ مليون طن فقط (٢٨) ٠ وابتداء من كانون الثاني ١٩٧٢ اخذت شركة نفط العراق بتخفيض انتاج النفط في حقول كركوك والموصل اكثر من ذلك بحجة قلة الطلب على النفط العراقي المنقول بواسطة الانابيب الى موانيء البحر المتوسط ٠

وهكذا كان على انتاج النفط السنوي في ظل هذه الوتائر المنخفضة

أن يهبط في نهاية ۱۹۷۲ بمقدار مرتين تقريبا وكانت الشركة خلال ذلك تحاول ان تبرز ذلك بالزعم بان الاسعار المعلنة المرتفعة للنفط العراقي في موانیء البحر المتوسط وهي الاسعار التي اقرتها اتفاقية طرابلس تجعل من الانسب للشركة ان تشحن النفط من موانیء الخليج العربي ، وقد عمدت من أجل ان تقنع المقابل بصحة هذا الزعم الى ان تزيد بعض الشيء من انتاج النفط في حقول العراق الجنوبية • لكن ذلك لم يكن ليعوض بأي حال عن الخسارة التي تصيب العراق بسبب التخفيض العام في صادراته من النفط وقد بلغت هذه الخسارة في الاشهر الاربعة الاولى من عام ۱۹۷۲ اكثر من ۲۸۰ مليون دولار (۲۹) •

وبعد أن جابهت الحكومة العراقية مثل هذا التخريب الصريح من جانب شركة النفط بادرت في ايار ۱۹۷۲ وطلبت من الشركة ان تنظر خلال مهلة امدها اسبوعان ، في اقتراحها القاضي بزيادة تصدير النفط المستخرج من المناطق الشمالية ، وبوضع برنامج طويل الامد يقر زيادة متواصلة في استخراجه في السنوات التالية • والى جانب ذلك ذكر العراق شركة النفط بالمطالب التي قدمها بالاشتراك مع بقية اقطار الأوبك بخصوص المشاركة في الامتياز وطرح كذلك قضية ايفاء الشركة لديونها المختلفة والتي بلغت اعتبارا من ١٩٦٤ واحدا وعشرين مليون دولار • لقد اقترحت الحكومة العراقية على الشركة بشكل خاص ان توفي ديونها بالنفط على حساب الفرق بين الانتاج والتصدير أو ان تزيد الانتاج والتصدير في آن واحد ، على ان تشرك شركة النفط الوطنية العراقية • واعلنت الحكومة العراقية أيضا بأنها سوق تعمد في حالة رفض هذه المطاليب العادلة الى تأميم ممتلكات شركة نفط العراق وستقوم باستخراج النفط من المناطق الشمالية وبيعه في الاسواق العالمية بنفسها •

لقد حاول ممثلو شركة نفط العراق اللجوء الى اسلوبهم المفضل أي

المناورة والتسويف مؤملين ان يبدوا ضغطا غير مباشر على العراق بان يلوحوا له بخطر العزلة سياسيا واقتصاديا ، فلم تؤد المفاوضات التي بدأت في بغداد الى أية نتيجة فضلا عن انها قطعت قبل انقضاء مهلة الاسبوعين بسبب ممثلي شركة نفط العراق الذين سافروا الى لندن « للتشاور » • وهكذا لم يكن امام الحكومة العراقية الا ان تستخدم حقها الشرعي وان تأخذ بيدها قضية انتاج النفط وتسويقه في المناطق الشمالية من القطر وهي المناطق التي تشملها امتيازات شركة نفط العراق •

وهكذا اصدر مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العراقية في ١ حزيران ١٩٧٢ قانون تأميم ممتلكات الشركة الاجنبية ـ شركة نفط العراق ـ الموجودة في الاراضي العراقية ، فأصبحت بذلك اغزر آبار النفط في الشرق الادنى في منطقة كركوك ومعامل تكرير النفط ومحطات الضخ وأنابيب النفط في حوزة اصحاب الثروة الحقيقيين وهي الثروة التي ربحت الاحتكارات الاجنبية المساهمة في شركة نفط العراق الملايين من استغلالها •

لقد وجه تأميم شركة نفط العراق ضربة محسوسة للمصالح النفطية للدول الامبريالية الغربية لا في العراق وحده وانما في المشرق العربي كله ، فهو يدشن مرحلة مهمة جديدة في نضال الاقطار المنتجة للنفط ضد تسلط الاحتكارات النفطية الاجنبية الذي اشتد بشكل خاص في بداية السبعينات • وقد ساندت الحكومة السورية اعمال القيادة العراقية بأن عمدت كدليل للتضامن مع القطر العربي الشقيق الى تأميم ممتلكات شركة نفط العراق الموجودة في الاراضي السورية • كذلك صادف عمل الحكومة العراقية الحازم تفهما تاما واسنادا من قبل الاقطار العربية كافة • كما باركت الجامعة العربية ما قامت به حكومتا العراق وسوريا •

ودعا مجلس الامة الكويتي جميع الاقطار العربية لابداء المساعدة

المادية والمعنوية للعراق في نضاله ضد شركات النفط الاجنبية واتخذ في الوقت نفسه قرارا بمنح العراق وسوريا قروضا كبيرة • كذلك عبر المشاركون في مؤتمر شؤون النفط الثامن الذي عقدته الاقطار العربية في الجزائر في حزيران ١٩٧٢ عن اسنادهم الكامل لتأميم شركة نفط العراق ودعوا الى ترسيخ الوحدة في النضال ضد شركات النفط الاجنبية •

واستجابت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط لهذه الدعوة فاتخذت باقتراح من الكويت قرارا يقضي بانشاء صندوق خاص لمساعدة الاقطار العربية التي تتضرر من جراء سياسة الاحتكارات النفطية وتقديم المساعدة للعراق وسوريا بواقع ١٤٠ر١ مليون دولار للعراق و٧ر١٧ مليون دولار لسوريا وذلك على شكل قروض بدون فائدة •

واتخذت الأوبك من جانبها في اجتماعها الذي عقدته في فينا في نهاية حزيران ١٩٧٢ قراراً اجماعيا بعدم السماح بزيادة استخراج النفط اكثر من المعتاد في اقطارها للتعويض عن النفط العراقي الذي غاب عن السوق العالمي مؤقتا •

ولقد ساند ممثلو خمسة واربعين بلدا وممثلو المنظمات النقابية الذين اشتركوا في المؤتمر النقابي الذي انعقد في بغداد في اواسط تموز بالاجماع قيام حكومة العراق بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق ، وكذلك ساند تلك الخطوة المشاركون في المؤتمر العالمي للتضامن مع الشعب العراقي الذي انعقد هناك ايضا بمبادرة من مجلس السلم العالمي ومنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا • لقد كان تأميم شركة نفط العراق ، كما اشارت الى ذلك القرارات التي اتخذتها هذه المؤتمرات ، خطوة مهمة على طريق تحرير النفط العربي • ولقد اعتبر المشاركون في هذه الندوات العالمية ان من الواجب ان يوجهوا الشكر للاتحاد السوفياتي لاسناده الفعال والمؤثر للخطوات التي قامت بها الحكومة العراقية على طريق ترسيخ الاستقلال

الاقتصادي للعراق • كما ان رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي أ•ن كوسيجين عمد من جانبه في التحية التي وجهها الى المؤتمر العالمي للتضامن الى التأكيد بان الاتحاد السوفيتي يساند بحزم اجراءات الحكومة العراقية العادلة التي « توجه ضربة جدية لمواقع الاحتكارات الامبريالية في الشرق الادنى » •

لقد اثار تأميم ممتلكات شركة نفط العراق في كل من العراق وسوريا صدى واسعا في العالم كله لانه كان خاتمة المطاف للاحداث الذي كانت قد نضجت منذ فترة طويلة ونعني الاحداث المتعلقة بتفاقم النزاع بين الاقطار المنتجة للنفط والكارتل النفطي العالمي الذي تشترك فيه شركة نفط العراق • فهذه الخطوة الشجاعة من جانب الحكومة العراقية تعني نصرا لها كانت مستلزماته قد هيأتها الاصلاحات الثورية التي جرت في العراق بعد ثورة تموز وكذلك مجرى الحوادث الاخيرة في المشرق العربي والنجاحات التي احرزتها الاقطار المصدرة للنفط في نضالها ضد الاحتكارات النفطية الاجنبية هذا النضال الذي يتخذ اكثر فاكثر طابعا واضحا في معاداة الاستعمار •

وقد وجد قرار الحكومة العراقية بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق مع الالتزام في الوقت نفسه بدفع تعويض لها بعد خصم ديونها المعراق اسنادا اجماعيا من لدن جميع الاقطار المشاركة في الأوبك وهي الاقطار التي أملت شركات النفط الاجنبية أن تستغل التناقضات القائمة فيما بينها • فأقطار الاوبك لم تتضامن مع اعمال الحكومة العراقية فحسب وانما اتخذت ايضا عددا من الاجراءات الملموسة تنفذها فى حالة مقاطعة الاحتكارات الغربية للنفط العراقي •

ونتيجة لسلسلة من المحادثات التي اجراها ممثلو الحكومة العراقية في فرنسا وايطاليا امكن التوصل الى اتفاق حول بيع النفط العراقي

بالشروط السابقة • فقد وافق ممثلو الشركة الفرنسية « كومباني فرنسيس دي بترول » على شراء ٢٣٫٥٪ من النفط المنتج من الحقول المؤممة لمدة عشرة سنوات كما وافقت شركة النفط الحكومية الايطالية على زيادة مشترياتها من النفط العراقي ، هذا اضافة الى ان اسبانيا واليابان والهند وعدد من الاقطار الاسيوية والاوربية الاخرى وافقت هي الاخرى على شراء النفط العراقي • وقد كانت مفاوضات بيع النفط العراقي حافزا لتجاوز الاحتكارات الداخلة في الكارتل النفطي العالمي واقامة علاقات مباشرة ثرواتها الطبيعية لترسيخ الاستقلال الذي احرزته •

وهكذا اظهرت الحوادث المرتبطة بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق بأن شركات النفط العالمية تفقد احتكارها لا في مجال استخراج النفط وأنما أيضا في مجال تسويق نفط الاقطار العربية التي يملؤها العزم لان تستغل ثرواتها الطبيعية لترسيخ الاستقلال الذي احرزته •

وقد وجهت الاتفاقية التي وقعت بعد مفاوضات طويلة في تشرين الاول ١٩٧٢ حول مشاركة اقطار الخليج العربي للنفط في الامتيازات ضربة جديدة للاحتكارات حيث أصبح لتلك الاقطار الحق في ان تشارك بنسبة ٢٥٪ تزداد في المستقبل (خلال عشرة سنوات) الى ٥١٪ (٣٠) •

لقد كان النصر الذي احرزه العراق والاقطار العربية الاخرى المنتجة للنفط على الاحتكارات النفطية مشروطا بعدد من الاسباب منها الاقتصادية ومنها السياسية ومن بين هذه الاسباب تشير الصحافة الغربية عادة الى الوضع الاقتصادي الملائم الذي تكون في سوق النفط العالمي بعد العدوان الصهيوني على الاقطار العربية في حزيران ١٩٦٧ • فنتيجة لاغلاق قناة السويس اصبح ٤٠٪ من النفط المستخرج من منطقة الخليج العربي ينقل الى اوربا الغربية في ناقلات عملاقة عن طريق رأس الرجاء الصالح • وازدادت اسعار استئجار السفن حتى نهاية ١٩٧١ بمقدار ست

مرات عن المستوى الذي كانت عليه قبل العدوان الصهيوني في ١٩٦٧ فكانت اكثر بمرتين من سعر النفط في الخليج العربي • لذا اخذ ينضج في اقطار أوربا الغربية استياء من الخط الصريح الموالي (لاسرائيل) الذي تنتهجه واشنطن ذلك ان شركات النفط الامريكية برفعها لاسعار النفط كانت تجبر حلفاءها الاوربيين على ان يدفعوا مقابل الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة (لاسرائيل) •

غير انه الى جانب الوضع الاقتصادي الذي تكون بشكل ملائم للعراق واقطار الخليج العربي الاخرى ، ساعدت العوامل السياسية هي الاخرى وبدرجة اكبر على نجاح تلك الاقطار في نضالها ضد شركات النفط التي كانت تقف خلفها حكومات الدول الامبريالية الكبرى التي تمتلك اوسع امكانيات الضغط • ومن بين هذه العوامل ينبغي ان نشير الى التضامن بين قوى الجبهة المعادية للاستعمار بكل فصائلها ، وضعف مواقع الولايات المتحدة وبريطانيا في الشرقين الادنى والاوسط بسبب خطهما الصريح المعادي للعرب في قضية تسوية النزاع العربي الصهيوني ، وكذلك نهوض حركة التحرر الوطني في الوطن العربي وبشكل خاص في جنوب شبه جزيرة العرب ووحدة العمل بين اقطار الخليج العربي التي كانت تتلقى الاسناد من اقطار الأوبك الاخرى •

لقد كان انتصار العراق والاقطار الاخرى المنتجة للنفط في الخليج العربي ممكنا بسبب من ان هذه الاقطار ادركت وحدة مصالحها فهبت لاول مرة في جبهة موحدة ضد الاحتكارات النفطية الاجنبية مستندة على دعم وتضامن جميع الاقطار الاخرى المصدرة للنفط الاعضاء في الاوبك • لقد باءت بالفشل محاولات الاحتكارات اثارة الخلاف بين اقطار شمال افريقيا واقطار الخليج العربي فقد ضيق الخط الثابت المعادي للاستعمار الذي تنهجه حكومات العراق وسوريا والجزائر لدرجة كبيرة من امكانية

الاحتكارات على المناورة وحوك الدسائس السياسية ، كذلك لم يستطع قادة العمل النفطي الامبرياليون استغلال الخلافات بين العراق وايران لاحداث انشقاق بين أقطار الخليج العربي الداخلة في الأوبك • حتى الطريقة المفضلة والمجربة اكثر من مرة من قبل الامبرياليين وهي التخويف بـ « الخطر الشيوعي » الذي زعموا انه يهدد الخليج العربي لم يكن لها هذه المرة أي اثر •

ان سياسة الاتحاد السوفياتي السلمية الثابتة المواجهة نحو اسناد القوى المعادية للاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني في العالم كله لعبت كما حدث اكثر من مرة قبل ذلك في حالات مماثلة ، دورا ايجابيا في مجابهة الاقطار العربية خطر التهديد أو التدخل العسكري المباشر الذي يمكن ان تلجأ اليه الدول الامبريالية ضد الاقطار التي كانت مستعمرات بالامس وتمتلك اليوم استقلالها الوطني •

ان حكومة العراق عندما اتخذت قرارها بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق كانت تعلم بانها يمكن ان تعتمد على وحدة القوى الوطنية في داخل القطر وعلى اسناد كل المنظومة الاشتراكية • لقد كان خط ترسيخ العلاقات مع الاقطار الاشتراكية وهو الخط الذي وجد انعكاسا واضحا له في معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي ضمانا لنجاح النضال الذي بدأه العراق ضد شركات النفط الاجنبية • فليس من الصدفة أن يؤكد رئيس الجمهورية العراقية السيد احمد حسن البكر في معرض حديثة عن الانجازات التي مكنت العراق من ان يحقق حلم الشعب القديم أي ان يمتلك بنفسه ثروته القومية الاساسية ـ النفط على اهمية عوامل مثل بداية انتاج النفط بمساعدة الاتحاد السوفياتي في ابار النفط في شمال الرميلة وتضامن وأسناد جميع الاقطار المنتجة للنفط والخطوات

الحازمة التي اتخذت في مجال تطوير العلاقات مع الاقطار الاشتراكية ، وعقد معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفياتي .

لقد بدأت مع تأميم شركة نفط العراق في العراق وسوريا مرحلة جديدة مبدئيا في المواجهة بين الدول المنتجة للنفط والاحتكارات النفطية ، مرحلة ، تفتح افاقاً واسعة في ترسيخ الاستقلال الوطني للاقطار النامية وفي استغلالها للنفط كسلاح مؤثر وفعال في النضال ضد الامبريالية ومن اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

الهوامش

(١) لقد جرى حساب هذه النسب على اساس الجداول التي وردت في :
"Oil and Gas Juranl", 1971, "Petroleum Press Sarvice", Junuary 1972, "Monthly Bulletin of Statistics" April 1972.

(2) "Jeune Afrique" 2. 2. 1971.

(٣) « الحياة الدولية » ١٩٧٠ العدد ٧ ، ص ٤٣ ·

(٤) دخلت في هذه المنظمة عشرة اقطار هي ايران والعربيةالسعودية والعراق والكويت وقطر وابو ظبي وليبيا والجزائر واندونيسيا وفنزويلا ، ستة منها تقع في منطقة الخليج العربي ·

(٥) الاحصائيات بالنسبة لمسقط وعمان هي : في ١٩٦٨ – ١٢٠١٢ مليون طن وفي ١٩٦٩ – ١٦٣٧٠ مليون طن · وكان عدد الابار النفطية العاملة في اواسط ١٩٦٩ خمسين بئرا ·

(٦) « البرافدا » ٢٦–١٢–١٩٧٠ ·

(7) "Jeune Afrique" 9. 2. 1971.

(٨) « نشرة فرانس بريس » ١٦–١–١٩٧١ ·

(٩) « اياندیجان » ٢٩–١–١٩٧١ ·

(10) "The Guardian" 1. 2. 1971.

(١١) « العصر الحديث » ١٩٧١ ، رقم ٦ ·

(١٢) « أياندیجان » ٢٦–١–١٩٧١ ·

(13) "The New York Times" 2. 1. 1971.

(١٤) « نشرة فرانس بريس » ١٤–٢–١٩٧١ ؛
"The Financial Times" 15. 2. 1971.

(15) "The Financial Times" 4. 4. 1971.

(16) "Neue Zuricher Zeitung" 23. 7. 1971.

(17) "Foreign Affairs" July, 1971. P. 652.

(18) "The Times" 29. 11. 1971.

(19) "The Financial Times", 13. 12. 1971.

(٢٠) « اليقظة » ٢٤-١-١٩٧٢ .

(٢١) « اطلاعات » ١٩-١-١٩٧٢ .

(22) "Forign Affairs" July, 1971, P. 658.

(23) "The Times" 8. 12. 1971.

(24) "Jeune Afrique" 30. 10. 1971.

(٢٥) « اطلاعات » ٨-١٢-١٩٧١ .

(26) "The Times" 8/12/1971.

(27) "The Kuwait Times" 11/1/1972.

(٢٨) « الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية » ١٩٧٢ ، رقم ٨ ، الملحق .

(٢٩) « الحياة الدولية » ، ١٩٧٢ ، رقم ٩ ، ص ٤٦ .

(30) "Times" 26/10/1972.

الوجود التركي في قطر

من ١٨٧١ ـ ١٩١٥

احمد العناني

تمهيـــد :

لعل من أشد الفصول امتاعا في تاريخ الدبلوماسية في القرن التاسع عشر ، ومن اوضحها دلالة على طبيعة الاستعمار بعامة ذلك الفصل الممتع الذي يشكله تاريخ شعب كانت الارقام الاجمالية لعدد سكانه تتراوح بين خمسة عشر ألفا وربما خمسة وثلاثين الفا يزيدون وينقصون وفق أوضاع تتحكم في معايشهم من جانب البر المنفتح على الاحساء وجنوبي نجـد ، وجانب البحر الذي كانت تتنازعه قوى محلية متنافسة في ظـلال سيطرة بحرية انجليزية بدأت منذ الربع الاخير من القرن الماضي تحس لاول مرة خلال سبعين سنة احساسا مؤثرا بظهور بوادر خطيرة لتحديات مقبلة ربما عصفت بالترتيبات البطيئة المحكمة التي سهرت عليها بريطانيـا طوال قرن كامل لتنفرد بنفوذ مطلق في مياه الخليج .

الانجليز في الخليج :

ولا يرتبط بالموضوع مباشرة قصة تلك الجهود الانجليزية التي قامت على مجموعة من الوسائل المطبقة في التوسـع الامبراطوري الاستعماري في أيام الامبراطورية الرومانية في ثلاثة القرون التي سبق اثنان منها مولـد المسيح عليه السلام وكان الثالث هو القرن الاول الذي شـاد فيه اغسطس وخلفاؤه امبراطورية الرومان العتيدة .

لقد كان الانجليز يعنون في معاهدهم العلمية والعسكرية الرئيسية في بريطانية عناية بالغة معروفة بالثقافة اللاتينية بخاصة ، وكان تأثير روما الامبراطورية مفكروها وشعراؤها وكتابها وقادتها العسكريون ، في توجيه الثقافة الانجليزية ، ولاسيما ثقافة الطبقة التي يجيىء منها حكامها وضباطها البحريون في الهند والخليج ، اكبر من اي مؤثر ثقافي آخر • ومن يقارن تقدم الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج كلها عربيا وفارسيا على السواء بتقدم الدولة الرومانية في البحر الابيض المتوسط يجد تشابها عجيبا في فلسفة الاستعمار واهدافه ووسائل الوصول اليها بين الرومان والانجليز ، حتى ليكاد الامر يتماثل تماما بين البحر المتوسط والخليج لولا امران أثان الانجليز فيهما مبتكرون ومتفوقون اولهما حسن استخدام الانجليز للدعاية والثاني عناية الانجليز الفائقة بالاتصالات السريعة بين مراكزهم في الخليج ومراكزهم في كل من الهند وبريطانيا واسطنبول وطهران بخاصة •

ومن الغريب تماثل القضايا التي واجهها الاستعمار في الحالين وتماثل اوضاع السكان المحليين فاما الامارات أو سمها المشيخات العربية على سواحل الخليج من الكويت حتى رأس مسندم بما كان يثور بينها من احن ومنازعات قبليه تشابه ظروف المدن اليونانية الصغيرة المتنافرة ، كما أن الحوادث البحرية واعتراض الملاحة التجارية كان أمرا كبيرا وواردا في البحر المتوسط وفي الخليج ، وقد خلا الجو للرومان بعد هزيمة قرطاجنة كما خلا الجو للانجليز منذ قضوا على بونابرت ، ولقد طبق الانجليز بمهارة متأنية طريقة الرومان في التفريق بين الوحدات السياسية التي تواجههم كما فعل الانجليز بالعرب وغير العرب في منطقة الخليج ، وقلدوا الرومان في استخدام المال وضرب الاخصام دون ان يتدخلوا تدخلا مباشرا الا عند الضرورة القصوى • كذلك كانوا يصرون

على ان لهم رسالة حضارية لا يتحركون الا لتنفيذها كما كان الرومان يتشبثون بأمور من ذلك القبيل •

الوجود التركي :

كانت اولى علاقات الاتراك بالخليج قد بدأت في وقت مبكر من القرن السادس عشر ، وعلى التحديد في العقد الخامس من ذلك القرن •• وبعد أن اصبح لهم وجود فعال في البحر الاحمر منذ استيلائهم على مصر عام ١٥١٧ وبالتالي على الشاطئين الاسيوي والافريقي لذلك البحر •

ولا تترك قراءة الاوراق العثمانية الباقية من ذلك العهد حتى الان في وثائق رئاسة الوزارة التركية في اسطنبول أدنى شك في الدوافع الاولى للاتراك بأنها رغم كل ما تنطوي عليه من طموح في الغلبه وسيادة الكلمة كانت ايضا تعكس اعتزازهم بالدور الذي تاديهم للقيام به الاستغاثات الواردة اليهم من ثغور شمالي افريقيا المتعرضة عندئذ لهجمات شرسة ومن الاقلية العربية المسلمة المضطهدة في اسبانيا ، ومن منطقة الخليج وبعض الاقاليم الاسلامية في غربي الهند •

ويعتز الكثيرون من الاتراك المحافظين حتى اليوم بالدور الذي لعبه بعض المغامرين من بحارتهم المتطوعين للدفاع عن المسلمين في ثغور افريقيا والخليج على حد سواء وعلى رأس هؤلاء القبطان بير رئيسي • على ان من الحق القول بأن ادوات الحرب البحرية التي خاضها الاتراك انطلاقا من البحر الاحمر فموانيء اليمن ، كانت معظمها أدوات وسفنا عربية وبحارة عربا من سواحل سوريا واسطول المماليك المصري ، كما أنضم لهم في الخليج أخلاط من البحارة العرب في سواحل عمان وقطر والاحساء والبصرة •

ومع ان الاتراك حققوا انتصارات أولية الا ان تمركز البرتغاليين

في الهند ، والتسليح المتقدم لسفنهم الكبيرة قد جعلا معركة الخليج وسواحل الهند في غير مصلحة الاتراك ، بيد أن المركز البري للاتراك كان أفضل من ذلك بكثير ، فقد وقفت سائر القبائل الرئيسية العراقية ولاسيما في منطقة البصرة وجنوب وغربي العراق عموما الى جانب الاتراك ، كذلك دانت لهم منطقة الاحساء فضلا عن معظم نجد ، ومن المعروف أن أربعة من ولاة الاتراك قد حكموا الاحساء فترة الثلثين الاولين من القرن السابع عشر قبل أن يستولي بنو خالد على مقاليد الامور في هذه المنطقة ، ، يمتد نفوذهم بالتالي في قطر وفي شمالي الخليج حتى اطراف الكويت من ناحية البصرة •• لقد كان تركيز الاتراك عندئذ في البلقان وجنوبي روسيا، وكانت نقطة ضعفهم الرئيسية التي تأكدت في معركة نفارينو في نهاية الثلث الاول من القرن التاسع عشر هي القوة البحرية ، ولم تتبدل صورة الاهتمام التركي ، فتتحول من اوروبا الى الشرق العربي الا بعد « التنظيمات » وتعيين مدحت باشا بالذات في باشوية بغداد ، فلقد ايقن الاتراك انهم غير واصلين الى أية نتيجة حاسمة دائمة في الغرب نتيجة تضافر القوى الغربية جميعا عليهم في نهاية كل مطاف ••• وحسب المرء على سبيل المثال أن يدرس تفاصيل حرب القرم التي وقفت فيها بريطانيا الى جانب تركيا وانتهت بعد خسائر دامية الى هزيمة الروس ومع ذلك فقد اقتطع الانجليز من الاتراك جزيرة قبرص ليكون ذلك هو الربح الذي عاد به الاتراك بعد ما سمي بانتصارهم في القرم • لقد كان هناك تيار قوي في تركيا يدعو الى التنازل عن كل أمل في استمرار الوجود التركي في اوروبا وضرورة التعويض عنه باصلاحات جذرية تنشيء ادارات حازمة واصلاحات واسعة في الولايات الاسلامية الشرقية ولاسيما ولايات شبه الجزيرة العربية ، ولكن هذه الاماني الزاهية كانت تعترضها صعوبات متنوعة على رأسها ما أصاب الدولة التركية من تفكك نتيجة توالي

الحروب وفساد الادارة وتأخر حركة العلم والصناعة وتغلغل الاجانب وامتيازاتهم وتدخلهم في شؤون الطوائف والاقليات ، وتواجد عناصر غريبة حتى في ديوان السلطان نفسه وتحريض الاوربيين على الثورات في البلقان ، ومطامع القياصرة في الوصول الى البحار الدافئة عن طريق المضائق التركية ، والواقع ان مجالم الخلاف بين العرب والاتراك لم يكن قد وصل حداً خطيرا يشجع على القطيعة المطلقة ، وفي منطقة الخليج بالذات فان ما حققه الانجليز بالعنف الشرس أحيانا كما حصل ضد القواسم وما شرعوا فيه منذ عام ١٨٦٠ شروعا مكشوفا بتصفية سفن العرب الكبيرة بحجج مفتعلة كما فعلوا مع عمان والبحرين بخاصة ، والهيمنة النهائية على سائر تجارة الخليج ، وقيامهم بزراعة أقليات هندية تابعة لهم في المراكز التجارية العربية لاحتكار تجارة اللؤلؤ ، كل ذلك مضافا اليه قيام حركة تبشيرية مستعلنة لاسيما في البحرين لرد الناس عن دينهم كان كافيا لتهيئة مناخ صالح جدا لحركة باشا بغداد الجديد مدحت باشا المعين عام ١٨٦٩ والذي كان ينطوي على همة عالية وصلابة شديدة ومخطط طموح للاصلاح الاداري ، فضلا عن استعادة مركز الدولة العثمانية وهيبتها وانشاء تنظيمات واوضاع تكفل قيام علاقات افضل بين الدولة ورعاياها ..

دور البصرة ورجالاتها :

وما كان لمدحت باشا ان يستطيع تحقيق شيء لولا التفاهم الذي توصل اليه مع نفر من رجالات العراق في بغداد والبصرة على السواء ، وقد ادى ذلك الى تحسين واضح في العلاقات العربية التركية في المنطقة بعامة ، كما بدا واضحا أن اتصالات واسعة قد قامت بين رجالات من البصرة من زعماء قبائل الجنوب العراقي من جهة وبين شخصيات محلية قوية في الاحساء والكويت وقطر وبينهم عناصر قوية كالشيخ مبارك

الصباح والشيخ قاسم بن محمد آل ثاني في قطر ، وشخصيات من البحرين وبخاصة من الساخطين على نشاط الحركة التبشيرية وعلى تدخلات الانجليز المباشرة في شؤون البحرين • وقد ظهر أثر تلك المساعي والجهود والاتصالات المتضافرة والتي يبدو ان معظمها كان يدور في جو من التكتم الشديد في نجاح حملة الاحساء التي ساهم فيها العراقيون والكويتيون وتلقتها عناصر معينة في الاحساء بالترحاب كما تجاوب معها بحماسة أقوى رجالات قطر في ذلك الوقت الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني والذي تولي بيده رفع الراية العثمانية على قلعته وبيته في البدع •

والواقع ان تعاون عرب الخليج هو الذي مكن من توفير السفن والمؤمن لنقل مهمات الحملة والكثير من تجهيزاتها وجنودها كما مكن للاتراك سرعة التمركز في الاحساء وقطر •

لقد كان السبب المباشر لقيام تلك الحملة الخلاف الذي لم يكن وقوعه مفاجئا في الأسرة الحاكمة السعودية حتى قبل وفاة الامام فيصل بن تركي حيث كان واضحا ان القبائل البدوية كانت تؤيد سعودا بينما يقف السكان المستقرون من الحضر والقرى الى جانب الوريث الشرعي للحكم وهو عبدالله بن فيصل ، ولقد كان ملحوظا تماما ان الانجليز يؤيدون سعوداً ، ومن ينظر في تفاصيل رحلة المقيم السياسي البريطاني بللي الذي لعب دوراً خطيراً في حياة الخليج السياسية ، والذي كان اول رسمي بريطاني يصل الى الرياض في نطاق رحلة ظاهرها الاستكشاف والنزهة ، وهي في حقيقتها رحلة سياسية يعرف بوضوح قلق السلطات الانجليزية لما كان عرف عن مرض الامام فيصل بن تركي ، والنزوع فيهم لتأييد تولي سعود مقاليد السلطة برغم شرعية أخيه عبدالله •

لقد بدأ الانجليز تدخلات مباشرة على نطاق واسع في شئون قبائل

الاحساء منذ عهد مقيمهم السياسي المدعو هينيل ايام خورشيد باشا وآخر الحملات العسكرية التي أوصلت المصريين الى ساحل الخليج ، الامر الذي أثار قلق الانجليز الشديد فبعثوا بهينيل يوزع المال والسلاح على احدى القبائل الكبرى في الاحساء ويغريها بمهاجمة المصريين • وكان من نتائج ذلك مقتل الموظف الاداري الذي بعث به المصريون الى قطر عام ١٨٣٩ ، وتوتر علاقات الانجليز بشيخ البحرين عبدالله بن احمد آل خليفة لموقفه الودي من المصريين ومتابعتهم اياه واولاده من بعده بالعداء الشديد فترة دامت أربعين سنة •

حملة الاحساء عام ١٨٧١ والادارة التركية للاحساء وقطر :

تبين المراسلات الدبلوماسية البريطانية عن حملة الاحساء الناجحه عام ١٨٧١ انه لم يكن في وسع الانكليز التعرض للحملة لسبب واحد رئيسي هو اتحاد كلمة الاتراك والعرب ، خلافا لما يدعى من انهم اخذوا على حين غرة بقيام تلك الحملة • وذلك للاسباب التالية :ـ

أولا : ان الخطر الرئيسي في السياسة الخارجية البريطانية حيال أمبراطورية العثمانيين كان هو العمل على تذويبها تدريجيا من الداخل ، واقحامها في مغامرات وورطات خارجية ثم مد المعونة الديبلوماسية لها وانتظار كل قطعة تتهافت منها بعد ذلك لكي تتلقفها بريطانيا كما حصل في مصر وقبرص وعدن وسواحل البحر الاحمر وعلى ان يجيء ذلك التهافت في وقت تكون فيه بريطانيا جاهزة بحكم ظروفها الدولية والمحلية على الاستئثار بذلك الجزء ، مع مواصلة الادعاء بالصداقه التقليدية والمصالح المشتركة ضد التقدم الروسي ، وقد ظل من الصعب على بريطانيا ان تستجيب لطلبات متكررة من حكومتي بومباي ، وسملا في الهند وأحيانا من مقيميه الخليج الدائمه في بوشهر لاتخاذ مواقف عدائية شديدة من تركيا •

وثانيا : كانت سياسة بريطانية الثابتة الا تتدخل تدخلا مؤثرا في الشئون البرية وان تقصر عملها وتركيزها على معطيات التفوق الحربي البحري ، ولم تلجأ طوال القرن التاسع عشر الى اية حركات حربية برية هامة سوى حربها مع ايران في منتصف القرن والحملات التي شنتها على رأس الخيمة عامي ١٨١٩/١٨٢٠ •

وثالثا : وربما كان هذا هو أهم الأسباب فأن الانجليز كانوا مطمئنين الى أن تطور الاحداث بعد الحملة لن يكون في صالح الادارة العثمانية ، فالخزينة التركية لايمكن ان تتحمل الانفاق على تجريده حربية كبير تطيل الاقامة في الاحساء ذات البعد الملحوظ عن البصرة تحت ضغوط المناخ القاسي الذي لم يألفه الاتراك ، والحوادث التي كان محتوما وقوعها بسبب معارضة القبائل المواليه لسعود في الاحساء ، كما انهم كانوا يعولون كثيرا على انقسام التحالف التركي العربي الذي دعم الحملة وجعل ممكنا تزويدها بالمؤن والمهمات ويسر نقل ذلك كله للاحساء ، ثم ان الانجليز لايعدمون الوسائل لاثارة القلاقل في منطقة التواجد التركي كما ان نشاط سفارتهم في أسطنبول ووسائلها كانت تكفي على المدى المعقول لاثارة الخواطر ضد مدحت باشا سواء أحسن أم أساء فلم تكن الاوساط المتنفذة في عاصمة العثمانيين تفتقر الى اناس فاسدي الذمم يتقبلون كل توجيه من اية جهة في سبيل المنافع الانانية والهبات المادية •

ولقد صدقت ظنون الانجليز في اكثر ما توقعوه ، ولكن القليل الذي لم يتوقعوه اكتسب عنصر الثبات واقلاق الراحة المستمر لهم ، وأوجد نوعا مبكرا من الحرب الباردة الممضة بينهم وبين الاتراك • لقد صدقت ظنون الانجليز في موضوع المصاعب المالية والمناخية والامنية التي تعرض لها الاتراك فقبل مرور بضعة أشهر على الحملة تبين ان ما يمكن ان توفره واحات الاحساء من الضرائب اقل بكثير مما يحتاجه الابقاء على الوية من

الجيش في الاحساء خصوصا وأن الاخلال بالامن والهجمات على طرق التجارة والحج الهامة بين العقير والهفوف استشرى منذ البداية كما اصطـدمت السلطات التركية بقبيلة العجمان ، اما حليفها الامير عبدالله بن الفيصل فقد اختفى عن المعسكر التركي وندم على الاستعانة بالاتراك ومضى يبحث عن عن وسائل أخرى لمناجزة اخيه سعود الذي ظل على مقاومته للاتراك •

أما المصاعب المناخية فكانت قاسية هي الاخرى فقد تكررت اصـابة الجنود بالحميات والامراض ، وكان ذلك يتطلب عملية نقل بحرية متواصلة لاستبدال الجنود المرضى بين العقير والبصرة ، ومن سخرية الامور فعلا ان يضطر الاتراك غير مرة الى استئجار سـفن تجارية بريطانيـة لتوصيل المؤن والمهمات الى جنودهم •

كذلك لم يطل الوقت على الانجليز قبل ان يتوفقوا في صدور امـر بنقل مدحت باشا من باشوية بغداد قبل انقضاء سنتين على الترتيبات الواسعة التي وضعها لتحسين صورة الاتراك في بلاد العرب واستعادة نفوذ الدولة في المناطق التي أستأثر بها الانجليز في الخليج •

لكن هناك نقطتين لم تجر فيهما الامور وفق توقعات الانجليز وهمـا اولا ان يتمكن الاتراك على غير العادة من تأسيس تنظيم اداري فى الاحساء قائم على تقديرات واقعية صحيحة ، وأن يؤدي هذا التنظيم الذي جعـل من الاحساء متصرفية ذات أربعة أقضية منها قضاء قطر على رأس كل منهـا قائممقام وجهاز اداري على قدر الحاجة الى اقرار النظام وسير الاعمال فى المنطقة لاسيما فى السنوات الاولى الامر الذي أدى بعد مرور أقل من سنة الى الاعادة التدريجية للجيش الى البصرة وتوفير سائر نفقاته ••ولم يتخلل ذلك النظام الا عنصران مزعجان أحدهما التعيين المفاجـيء فـي اسـطنبول لمتصرفين ضعفاء كانت الاحوال تسوء فورا بمجـرد شروعهم في نشاطهـم المخرب ،.وكان بعضهم مع الاسف يجد اسنادا من بعض البارزين فى المنطقة

من العرب الذين كانوا يجرونهم الى التحيز الاداري لصالحهم فى مقابل الهبات او الضغوط عليهم •

تلك نقطة ، واما النقطة الاخرى فهي ان الاتراك لم يتكلفوا جهدا من أي نوع في قطر سوى وضع حامية تراوح عددها طوال الاربع والاربعين سنة التي أقامت خلالها في قطر بين ثمانين جنديا ودركيا من الجندرمـة وأربعمائة جندي باستثناء مناسبة واحدة عززت فيها الحامية تعـزيـزا كثيفاً لفترة بسيطة في مظاهرة لعرض القوة ، ولكن السفينة التي جاءت بالتعزيزات الاستثنائية مالبثت ان عادت بأكثر مما جاءت به ، فعاد حجم الحاميـة الى ما كان عليـه •

قاسم بن محمد آل ثاني

وبالرغم من أن شيخ قطر القوي قاسم بن محمد آل ثاني الذي سبق الحديث عن موقفه من تقدم الاتراك في المنطقة اضطر الى الصدام معهـم صداما داميا في عام ١٨٩٣ فى معركة شهرت باسم معركة الوجبة على مسافة تقارب العشرين كليومترا من الدوحة الا أن الرجل حتى في عنفوان الغضب في ذلك الموقف العصيب رفض رفضا قاطعا ان يدخل في معاهدة مع الانجليز على غرار معاهدات الساحل العماني صدورا عن عقيده راسخه عنده بعـدم شرعية مثل ذلك التعاقد •• وهذا أمر سوف نعرض له لاحقا •

ولقد كانت النكسة الكبيرة التي وقعت للاتراك فى قطر نتيجة مباشره لفساد ذمة بعض الاداريين الاتراك الذين كانوا متواطئين تواطؤاً تاما مـع بعض خصوم الرجل فى المنطقة فبعثوا بتقارير كاذبه يحرضون فيها الحكومة العثمانية على قاسم •• الامر الذي جعله بعد تلك التجربة المرة مضطرا الى الركون الى اصدقاء له في كل من الاحساء والبصرة واسطنبول ليبلغوه اولا بأول عن أية تطورات غير مرضيه نتيجة لمساعي الدساسين •

قائممقامية قطر :

لقد سبق التنظيم الاداري التركي لمنطقة الاحساء مشـــاورات مــع الشيخ قاسم على غرار المشاورات التي سبقت مجيء الحاميــة التركيــة واستقرارها في قلعة العسكر بحي البدع (حي قديم في الدولة الحالية) • والواقع أن المشاورات الثانية كانت نتيجة اتفاق ليس له وجود خطي وثائقي وان كانت الاشارة اليه تتكرر بكثرة • ويبدو من تلك الاشــارات ومن الرسائل العديدة المحفوظة من عصر قاسم والتي ربما نافت على مئة رسالة طوال فترة حكمه الذي كان يباشره مع وجود والده من ١٨٦٠ حتى ١٨٧٨م ثم منفردا من (١٨٧٨ ـ ١٩١٣ م) ان النقاط التي لم يتركها غامضة لدى المسئولين الاتراك وعلى رأسهم مدحت باشا تتلخص فيما يلي :ـ

اولا : أن قطر بلد بحري وان المغاصات التي يغشاها القطريون تمتد جنوبا الى قبالة الساحل العماني وان حياة أهله تتوقف تقريبا بالكامل على أعمالهم البحرية والبحر في أيدي الانجليز الامر الذي يفرض على قطر وضعا خاصا لاتستطيع معه أن تذهب الى الحد الذي يحرمها مورد حياتها ، ومادام الاتراك لا يملكون تغيير هذا الوضع فانهم يتفهمون بالطبع ظـروف قطر هذه •

ثانيا : ان في وسع الانجليز المترسخ نفوذهم في جنـوبي الخليــج والبحرين ان يربكوا قطر ببقاء حدودها من ناحيتي عديد في الجنــوب والزبارة في الشمال مفتوحة أمام القبائل المترحلة او ربما الهجمات المرتكزة الى البحرين ولهذا فهو يريد من الادارة التركية ان تبادر فورا لمساعدته في اعمار موقعي الزبارة وعديد ، والواقع أن مراجعات قاسم في هــذا الموضوع كانت متكررة وهي مراجعات خطية وشفوية بلا شك وتمتد من سنة ١٧٨٥ الى نهاية القرن •

والواقع ان الاتراك مروا بظروف كانوا قادرين فيها جدا على تنفيذ هذا المطلب الملح .ولكنهم أهملوا الموضوع مرة بعد مرة ، حتى اذا ما تبينت لهم خطورة الامر وارادوا ذلك وجدوا الانجليز متنبهين للموضوع • ولقد كان قاسم قد مهد في العديد كل شيء أمام الاتراك باتفاقه مع قبيلة القبيسات الذين رفعوا العلم التركي مرارا واعلنو تابعيتهم العثمانية بنصيحة ودعـم مادي متكرر من قاسم، ولكن الاتراك لم يتجاوبوا، فلما لاحت الفرصة للانجلير نتيجة صدام شديد بين أبو ظبي والقبيسات أتاحوا لابو ظبي تدمير العديد بحراسة من قطعهم الحربية البحرية طوال فترة الهجوم وظل الاتراك بعد ذلك ثلاثين سنة كاملة يحتجون ، وقد يعمدون الى تعيين مدراء نواح لقطر فيثيرون عاصفة دبلوماسية تنتهي دائما بتأكيد من الانجليز بأنهم مضطرون لمعاودة القول بعدم اعترافهم بأية سيادة اقليمية لتركيا على اي مكان فـي الشاطيء الغربي من الخليج أبعد من عشرة كيلومترات جنوبي العقير ثم نطوى صفحة الاحتجاجات •

وفي بداية القرن الحالي وعندما احتدم الصراع الديبلوماسي بشأن مدى نفوذ بريطانيا في الخليج وقام نائب الملك في الهند اللـورد كيرزون وألقى خطابا غاية في الكبرياء والتهـديد مؤكدا أن لبريطانيا أتعابا وافضالا على سلام منطقة الخليج فهي بذلك لا ترى لاحد أن يزاحمهـا فـي تلك المنطقة او يرغمها على أمر لاتريده ، اوعز الى جريدة «اقدام» التركية بأن تسرب انباء مفادها ان تركيا قد عينت مدراء نواح ثلاث في قطر للوكرة والزبار والعديد ، واحتجت بريطانيا على الفور وتملص الاتراك من الموضوع فترة قاموا بعدها بتدبير وصول موظفيهم الى الاحساء فتدخل الانجليـز وتراجع الاتراك مرة اخرى •

وليس ذلك وحسب ولكن التفوق الانجليزي البحري عرض قاسما

لمواقف مغيظة ومكلفه فمرة تصل قطع الانجليز الحربية امام الدوحة تهدد بنسفها ان لم يستجب قاسم لدفع غرامة باهظة كجزاء وتعويض على شر أصاب في سوق البدع بعض رعايا بريطانيا من الهنود ، ومرة أخرى نجد الانجليز يوعزون بمصادرة بضائع من اللؤلؤ وسواه يتجر بهـا البعض لحساب الشيخ قاسم ، وفي مناسبة ثالثة حين توجه آل بن علي لاعمار منطقة الزباره التي كانت موطنا لهم قبل سكناهم المستجدة بحوالي مئة سنة يتدخل الانجليز باسطولهم ويحطموا العديد من السفن ثم يستاقوا مـن قـوارب الصيد أكثر من مئتين وثمانين كلها للقطريين ثم ينتهـي بهم الامر الـى احراقها جميعا ..

ثم ان قاسما اشترط على الاتراك بأنه سيتولى تدبير مبلغ معقول ربما كان منه شخصيا وبالكامل للمساعدة في نفقات الحامية العسكرية التركية ، لكنه لا يريد من الاتراك ان يفرضوا او يفكروا فـي فرض ضرائب عـلى قبائل قطر المحدودة الموارد والتي عانت كثيرا من صراعها الطويل مع القبائل المعادية فضلا عن ضعف امكاناتها الشديدة وتثبت أوراق دار الوثائق التابعة للخارجية التركية في اسطنبول ، ان الاتراك كانو متفهمين لهذه الحقائق . فالتقارير السنوية التي تحمل احصائيات تقريبية لموارد قضاء الاحساء تشير الى قطر بأن مواردها ضئيلة وسكانها من « قبائل الاعراب المترحلين من أهل العوز وممن ينبغي ان يكونوا معفيين على الدوام ، وفيهم بعض صيادي السمك والغائصين على اللؤلؤ ولكن محصولهم ذاك لم يكن هو الاخر يكفي ابسط حاجياتهم .

ولكنا نجد صورة مختلفة تماما اعتبارا من سنة ١٨٨٧ ونجد مطالبات لقاسم بزيادة الدفع لحساب الحامية المقيمة عنده ، كل ذلك يجـرى فى الوقت الذي كانت فيه الدوحة تتعرض لهجمات مباشرة من ناحية ابو ظبي من الجنوب ومن تحرشات قبلية على الحدود الشرقية حتى ليقتل في هجمـة

مباغته حوالي سبعة وثلاثين رجل بينهم أعز ابناء قاسم اليه ، والصقهم بقلبه وهو علي الملقب « بالجوعان » وكان مستشار أبيه ويده اليمنى والرجل الذي يبعث به للمهام الصعبة .

والحامية التركية تستقي من عين ماء تحميها لنفسها وأوامرها الصريحة هي الدفاع عن نفسها اذا هوجمت .. وعندما جاء والى البصرة في زيارة تفقدية عام ١٨٨٩ وهو مشبع سلفا بافكار غريبة ويريد تأكيد العزم على تطبيق تنظيمات أدارية جديدة على قطر اهمها بطبيعة الحال افتتاح مركز جمركي في الدوحة يبدو أن قاسما تغاضى عن بيان موقفه من الموضوع جملة وتفصيلا ، حيث ان الكثير مما كان يخططه الاتراك لم يكن يتخذ طريقا الى التنفيذ ، وهذا ما يحصل دائما مع الامم فى المرحلة الختامية من حكمها الامبراطوري المتهافت . ويبدو أن الاتراك كانوا يزمعون زيادة عدد حامية القلعة زيادة كبيرة ولكنهم لم يلبثوا ان اعادوا الجنود الى البصرة مع عودة الباشا الوالى .

التنظيم الاداري التركي لقطر :

وان من حق المرء ان يتساءل أي جهاز حكومي يمكن ان يقوم حيث لا جمارك ولا ضرائب . ثم هل تدعي تركيا سيادة اقليمية بغير جهاز وموظفين مسئولين؟ . بالنسبة للسؤال الاول فقد كانت قطر ممثلة في الشيخ قاسم تقدم للاتراك ما يقوم بسائر نفقات الحامية ؟ أما كيف كان يجبىء المبلغ فذلك غير واضح؟ ولكن أغلب الظن ان حصة الاسد فيه كانت من الشيخ؟ ولذا فلم الموظفون اذا كان القطريون سيحملونهم حملا فوق حمل الحامية ؟

على أية حال فان وثائق وزارة الخارجية التركية تحوى نصوصا مبكرة من عام ١٨٧٣ عن التنظيم الاداري لقطر وهي نصوص تنام فترة طويلة ثم

تتجدد ثانية حوالي ۱۸۸۷ حين نرى الاتراك يعينون معاونا للقائممقام •

الجهاز الاداري :

يتألف الجهاز الاداري لقضاء قطر :

أولا ـ من القائممقام : لقد عين الاتراك الشيخ قاسم قائممقام لقطر ولكنه رفض الراتب وقبل اللقب وكانت حركته تلك بارعة وذات دلالة ، فأما البراعة فأن قبوله راتبا على الوظيفة كان يعني مساهمته في اقرار مشروعية الجمارك والضرائب على شعب فقير •• وليس أسهل أن تقول له الدولة : ما شا الله انت تأخذ راتبا وتعترض فمن اين نجيء لك بالراتب ولسواك ما دمت تعترض على الضرائب ؟ •

هذا من ناحية البراعة اما من ناحية الدلالة فان قاسما كان طليق اليد حين دعا الاتراك الى قطر وكان ينزع من قوس الجامعة او الرابطة الاسلامية ، وكان حياته كلها يريد الخير للاتراك ضمن ذلك الاعتبار ثم انه كان في موقف المعطي فلم ينزل الى مرتبة الاخذ ؟

وقبل ان ينعم عليه الاتراك بالترقية الى رتبة «قائممقام كبوجي باشي» وهي مرتبة شرف كبيرة كان في الواقع يضغط بحزم لقبول استقالته معتكفا في بلدة الظعاين على مسافة عشرين كيلومترا ونيف ، حيث كانت له هناك دارة وبستان زرعه بالنخيل واصناف من الشجر كالعنب والرمان وبعض الحمضيات ، ويبدو وكأنها الشئون العامة آخر شيء يعنيه فيما زمام البلد في كل صغيرة وكبيرة هي طوع بنانه •• ولكنها كانت عزلة ناجمة جدا ازاء ضغوط الانجليز والاتراك على السواء •

والواقع ان قاسما بعث بكتاب رسمي باستقالته ولكن الاتراك ألحوا على الا يتعاملوا مع أحد يولونه صفة المسئولية سواه ، وقد كانوا ماهرين في

ذلك حقا فان هيبة قاسم كانت هي الحائل الاساسي دون وقوع المسكروه على الحامية التركية هنا وهناك ، ولاسيما في حالات التوتر ، والمداخلات الخفية البريطانية •

ثم نجد الاتراك في بعض الفترات يصرحون بتعيين معاون للقائممقام تركي بالطبع ، ولكن هؤلاء المعاونين قد بدلوا بسرعة شديدة واحداً في أثر الاخر حيث ان أحدا لم يكن يستطيع أن يمارس من النشاط الا على قدر الدائرة التي يفسحها له قاسم •• ولكنا نجد الاتراك اعتبارا من بداية القرن الحالي يتلقون تنسيبا من الشيخ بتعيين وكيل له من اسرته وبالتالي نجد متصرف الاحساء يعامل مثل ذلك الرجل على أساس انه المعاون المعين للقائممقام •• ونجد رسائل توضح بأنه في الحالات التي كان يتأخر فيها قاسم في تسمية وكيل ينوب عنه يلح المسئول التركي في مخاطبة الشيخ بادب شديد ان كان قد قر رأيه على شخص ما من اقاربه ، وان لم يكن فانه يمن عليه باعلامه عنه متى رأى مناسبا أن يسميه لذلك المنصب •

ثم كان هناك ضمن تلك الوحدة الادارية شبه الاسمية كاتب تحريرات أو كاتب رسائل من وظيفة صغيرة ملحقة بوظيفة المعاون ، كما نسب تعيين مساعد لكاتب التحريرات وثلاثة سموا بكتاب النفوس (الاحصاء السكاني)•

ثم كان هناك قاض شرعي عثماني لفترات متقطعة ويبدو ان الذين أشغلوا هذا المنصب من الاتراك كانوا اقرب الى المتطوعين لخدمة الدعوة لله أكثر منهم قضاة موظفين ولا تزال صورة بعض اولئك القضاة في ذاكرة القطريين حميده حتى الان •

وكانت مخططات الادارة تتحدث احيانا عن فتح مدارس ومحال حكومية اخرى ولكن شيئا من ذلك لم يحصل على صعيد الواقع •

ذلك كان كل الجهاز الاداري العثماني لقضاء قطر علما بأن قائد

الحامية التركية في قلعة العسكر بالبدع كان يدخل أحيـانا في المشاورات السياسية وفي الادارة بأعتباره رجل مسئولية كبيرة والمفروض ان يكون له رأي يحترم •

وبذلك يتضح تماماً أن الوجود التركي فى قطـر هو وجـود مقصود لذاته « كمجرد وجود » واشبه ما يكون بشاخص الحدود بين المزارع حيث ان تركيا تصر على امتداد نفوذها حتى مشارف عمان •

بينما يرفض الانكليز ذلك كما قلنا رفضا صريحا اذا ما اضطروا بسير الاحداث الى أعلان ذلك الرفض •

والواقع ان مخططات مدحت باشا كانت تهدف الى استعادة نفـوذ « دولة الخلافة » في البحرين من ناحية وفي صير عمان الساحلي من الناحية الاخرى • وقد جرت محاولة واحدة رئيسية اشرنا لها من قبل في صدد آل بن علي واعمار الزبارة فقد كان التجمع الذى حشـد في الزبـارة وباركه متصرف الاحساء التركي وضم العناصر المنشقة من آل خليفة على بني عمومتهم الحاكمين في البحرين يهدف الى شن هجمـة مفاجئـة علـى البحرين ولكن الانجليز لم يتأخروا عن اللجوء للقوة ومباغتة التجمع البحري القطري بقنابل المدفعية البحرية الثقيلة ، وأخيرا أسر السـفن التي كـان معظمها من قوارب الصيد واغراقها وذلك عام ١٨٩٥ •

اما في اتجاه عمان فقد بارك الاتراك مباركة شفوية حذرة التفاهم الذي قام بين قاسم بن محمد آل ثاني وابن رشيد ، حيث كان ابن رشيد عندئذ هو الرجل الظاهر في حائل ونجد ، والواقع ان الرجلين كانا يشنان حربا نفسية بكل معنى هذه العبارة ، فقد كان قاسم بحاجة الى دعم لموقفه فـي خلافه الحاد مع ابو ظبي نظير الدعم الذى تلاقيه الاخيرة من الانكليز •• وقد أمتلأت المنطقة باشاعات عن حشود يحشدها ابن رشـيد وغـزو كبير

يزمعه هو وقاسم على عمان ، وراح الانجليز يستقرئون الحقيقة عن تلك النوايا من كل مصدر يستطيعون تسخيره في ذلك حتى لقد نقلوا نشاطهم الاستطلاعي الى اسطنبول ، ولكن الحكومة التركية فى الواقع كانت زاهدة في مواجهة تواجه بها الانجليز وهي ترى العصبية الواضحة التي يظهرونها تجاه اى تهديد لمصالحهم فى المنفذ الجنوبي للخليج •

تأزم الاوضاع الدولية وفشل الضغط التركي على قاسم ـ معركة الوجبه ١٨٩٣

بدأت الاوضاع الدولية فى المنطقة تتأزم كثيرا منذ ظهرت قضية محطة النهاية لسكة حديد بغداد على الخليج ، وكانت هذه القضية امتحانا لحقيقة نفوذ الدول في المنطقة ، وكذلك مدى قوة كل زعامة محلية ، ولم تبرز هذه القضية على السطح بروزا حادا الا خلال السنتين الاخيرتين من القرن الماضي ، حيث كانت روسيا تسعى للحصول من الباب العالي على أمتياز يمنح الكونت كأبنيست ـ الذي كان يحمل مواطنية روسية ـ حق مد خط حديدي من البحر المتوسط للخليج وينتهي فى الكويت كما قامت بعثة المانية بزيارة الكويت للبحث عن موقع مناسب لنهاية خط حديد بغداد المقترح في الكويت •

ذلك كان الوقت الذي تفجرت فيه أزمة الصراع الدولي ولكن الواقع ان سائر القوى كانت تعمل على تحسين مراكزها ربما منذ عام ١٨٨٧، وان مساعي بريطانيا لانتزاع النفوذ فى الكويت من تحت أنوف الاتراك قد بدأت قبل عقد المعاهدة المانعة مع الشيخ مبارك عام ١٨٩٩ • ولكي ينام الاتراك جيدا عن مساعي الانجليز لتتم فى غاية في الهدوء فقد كتب السير فورد(١) السفير البريطاني فى القسطنطينية رسميا الى وزير الخارجية

(١) دليل الخليج ـ الترجمة الحديثة ص ١٥٢٤ •

التركية في نيسان ١٨٩٣ يبلغه ان حكومة صاحبة الجلالة تعترف بحقوق السيادة التركية على طول الساحل من البصرة الى القطيف ، وتجاوب الاتراك جيدا مع ذلك المخدر المناسب ، فيما كانت بريطانيا تشيد علاقاتها مع الرجل القوى الذي اختارت حلفه الا وهو الشيخ مبارك الصباح خطوة خطوة وبهدؤ تام • ثم كان ما كان من خلاف بين مبارك واخويه محمد وجراح وقتلهما • وحين وقف خال القتيلين يوسف الابراهيم للدفاع عن قضيتهما وقفت بريطانيا منه موقف العداء السافر ، وسنرى الرجل بعد ذلك يضم جهوده الى جهود قاسم بن محمد آل ثاني وآل رشيد فى المعسكر الذي الذي كان يفترض ان تقف معه تركيا بثبات ، لكن الادارة التركية كانت تتخبط كثيرا وتنقل خطوها في الظلام ، وكيف لاتفعل وان بعض ولاتها ومتصرفيها فى الاحساء والبصرة ينقلون لها صورة معكوسة عن الاوضاع في المنطقة ، ولقد كان من نتيجة تلك التقارير ، ومن تودد الانجليز الى الاتراك لصيانة المنطقة من الاحداث والشغب ، وشكاواهم من المنازعات القائمة بين قطر وابو ظبي ان اتجه الاتراك نحو سياسة التشدد في قطر ، فبدأوا منذ عام ١٨٨٨ يحاولون ادخال تنظيمات جديدة ودار للعوائد الجمركية وزيادة الحامية العسكرية ، وبدلا من ان يدعموا قطر المعتدى عليها من أبو ظبي أخذوا دور الوساطة والضراعة ، بل انهم ، وقطر في صميم ازمتها مع ابو ظبي والقبائل الموالين لها راحوا ينشطون مرشحين لحكم قطر بدلا من الشيخ قاسم ، الامر الذي اضطر الشيخ للاعتزال فى الظعاين تاركا للاتراك فرصة للتأكد من فشل التنظيمات الجديدة التي اقترحها عاكف باشا سنة ١٨٨٩ والتي عين بموجبها أول معاون تركي لقائممقام قطر سنة ١٨٩١ •

والواقع أن الاتراك كانوا يقطعون الغصن الذي يقفون عليه ، ويخربون مركزهم في قطر بأيديهم فلم يكن فى وسع قطر بحال من الاحوال ان

تقدم الاموال لجهاز حكومي وعسكري من مواردها ، ولا كانت القبائل القطرية مستعدة بحال من الاحوال ان تحكم بالطريقة التي خيل للاتراك ان يطبقوها ، بل هم حاولوا بكل حماقة ان يطبقوها عام ۱۸۹۳ حين وصل محمد حافظ باشا والي البصرة الممتليء بالدعايا المغرضة ضد الشيخ قاسم ، وفي اعقابه قوة من الكويتيين يسوقها الشيخ مبارك - ذلك الرجل المخطط الحذر - وتقدم الوالي التركي على رأس ۳۰۰ فارس ، ولكن خطته لاخذ القطريين بالمراغمة والقوة القاهرة فشلت فشلا ذريعا بالرغم من انه احتجز شقيق الشيخ قاسم واثني عشر رجلا من وجهاء القبائل القطرية وقد خسر في الوجبة مئة جندي على الاقل من رجاله ، ولم يتمكن من الاحتفاظ بعين الماء التي كان يستقي منها جنده خلال اقامتهم في قلعة العسكر وهكذا ، وبالرغم من وجود القطعة الحربية التركية الزحاف الراسية في ميناء الدوحة اضطر الوالي الاحمق لاطلاق سراح الرهائن وتقبل الهزيمة المريرة .

وعندما وصل الامر الى هذه الحالة المفجعة كان لابد ان يصل الى السلطان عبدالحميد الثاني الذي اوفد اثنين من كبار الضباط سرا(۱) الى قطر ليعودا له بتقرير واقعي عن حقيقة ما جرى ويجرى في قطر ، وبدت الامور واضحة للسلطان الذي أمر بعزل والي البصرة ، وطلب الى وجهاء أسرة النقيب البصرية التدخل لوضع الامور في نصابها .

لقد كان الشرك الذي نصبه الانجليز بتأييد من انصارهم المستترين في المنطقة وعلى رأسهم الاداريون الفاسدو الذمم شركا متقنا ولكن الخطة لم تفشل لما تزعمه المصادر الانجليزية من ان الكولونيل تالبوت المقيم البريطاني في الخليج الذي توجه بسفينة حربية الى الدوحة كان زاهدا في في قبول طلب معاهدة حماية من قطر ، وانما هي فشلت لان قاسما كان

---

(۲) اوراق يلدز الوثيقة رقم ۲٥٠ .

على غير استعداد ، حياته كلها ، لعقد مثل تلك المعاهدة مع الانجليز أيا كانت العاقبة او النهاية • لقد تجرع رحمه الله مرارة المأساة التي تنجت عن حماقة أصدقائه مصرا على ان يعيدهم للصواب ورؤية وجه الحق في الامر كله وقد رأوها أخيرا ولكن بعد الخسائر الدامية •

لقد كان السبب الوحيد والاساسي في استمرار عذاب المعاناة مع الاتراك هو رفض قاسم عروض الانجليز بعقيدة المؤمن الموحد المتمسك بأوامر القرآن الكريم الصريحة القاطعة في هذا الامر ، الذي تكشف الان حقائقه ناصعة كالشمس وثائق الدولة العثمانية ، في الوقت الذي تتحدث فيه المصادر الانجليزية عن كلام شفوي يزعمونه بغير سند على الاطلاق •

والواقع ان الاتراك بعد انكشاف الحقيقة ادركوا خطأهم الفادح وأصروا على ان يحتفظ قاسم بلقب الشرف الذي منحوه له ، ولم يعودوا حتى وفاته عام ١٩١٣ يتحركون أية حركة تعاكس ارادته وتوجيهاته ، فيما كان الانجليز يحاولون جاهدين أن يبحثوا لهم عن متوسل يطلب معاهدة حماية منهم ، ويقوم بارادته وعلى مسئوليته بتصفية الحامية التركية في الدوحة ، ولكنهم اخفقوا اخفاقاً ذريعا في ذلك ، وقد عبر عن تلك الخيبة عام ١٩٠٥ الكابتن بريدو الوكيل البريطاني السياسي فى البحرين الذي بعث الى حكومته بما يفيد بأن الشيخ قاسم ، رغم السنوات الخمس التي مرت عليه منذ عام ١٩٠٠ ، وهو مقيم في قرية الوسيل ، في حالة تقاعد الا أنه هو الحاكم الفعلي في قطر حيث لايتم شيء في تلك البلاد دون مشورته •

ويتحدث القطريون حتى اليوم عن الوجود التركى فى قطر فى هذه المرحلة الاخيرة التي ابتدأت منذ حوادث الوجبة المؤسفة ، فيقولون ان الاتراك كانوا أشبه بالضيوف الدائمين ليس لهم تدخل في شئون الناس ،

وان الامـــــر بينهم وبـــين الناس كان أمـــر صداقة وجيرة وضيافة الى ان دخلت تركيا الحرب الخاســـرة التـــي دخلتهـــا الى جانب المانيـــا القيصـــرية ، فلم يتردد الانجليز في التقدم بقوة بحرية معززة بسرايا من المشاة يريدون أسر الاتراك المقيمين بقلعة الدوحة ، ولكـــن القطريين بتوجيه من الشيخ عبدالله بن قاسم الذي جاء للحكم بعد وفاة والده عام ١٩١٣ سهلوا لأولئك الضيوف ليلة اقتراب الانجليز من الدوحة سبيل مغادرة القلعة من ناحية البر والنجاة بأنفسهم •

المراجـــع :

١ ـ مجموعة اوراق ملف قطر في مديرية وثائق وزارة الخارجية التركية •

٢ ـ وثيقة اوراق يلدز رقم (٢٥٠) بوثائق رئاسة الوزارة التركية •

٣ ـ دليل الخليج الترجمة الحديثة ص١١٥٠ ـ ١٢٦٦ مجلد ٣ •

٤ ـ الشئون القطرية ١٧٨١ ـ ١٩٠٣ سالدهنا ـ ترجمة العناني •

١ ـ د • عبدالعزيز المنصور ـ نشأة الدولة القطرية •

٦ ـ بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٨٠ كيللي •

٧ ـ الهند ومنطقة الخليج ١٨٥٨ ـ ١٩٠٧ ارفندار كومار •

٨ ـ تاريخ قطر العام ـ محمود بهجت سنان طبعة بغداد ١٩٦٦

الاستعمار في الخليج د • صلاح العقاد ـ مكتبة الانجلو •

هذه ترجمة اربع ورقات وضعنا على ظهرها ارقام ١ و٢ و٣ و٤ حسب سياق الكلام وفي فراغ الرأس للورقة (٣) جملة ترجمتها (مطابق للصورة المرسلة الى لندره) وفي ذيل الجملة توقيع اسماعيل ممدوح) • وقد توهم هذه الجملة ان الورقة (٣) اولى الورقات مع ان السياق يجعلها الثالثة • وفي رأس الورقة الاولى عنوان مطبوع (الباب العالي ـ نظارة الخارجية) مما يؤيد ذلك • ولكن ليس عليها اسم المرسلة اليه • وليس في آخرالورقة الرابعة تاريخ ولا توقيع • وبين الوثائق وثيقة تذكر انه ارسلت صورة من رسالتين مرسلتين من قيادة نجد • واحدى هاتين الرسالتين صورة رسالة من قائد الجناح الثالث عشر • وفي الوثيقة كلام طويل عن شيخ قطر واولاده واخلاقهم وما يتوقع من نزاعهم عطفا على رسالة اخرى • فيجوز ان تكون هذه الورقات الاربع هي الرسالة الثانية المذكورة في الوثيقة المذكورة •

الباب العالي

نظام الخارجيـة

المديرية العامة للامور السياسية

قلم الدوائر والولايات

ان الانكليز استغلوا عدم وجود اى شيء لنا واركنو الى مالهم في خليج البصرة من بضع سفن واهية واخذوا يصعدون حركاتهم ويتجاهرون بحرية بما كانوا يقومون به سرا من دسائس • وقد جاء مأمورهم السياسي في البحرين في الخامس عشر من رمضان هذا العام الى شيخ قطر جاسم الثاني وابلغه رغبته في اسكان بعض اهالي البحرين في المكان الخرب المسمى «زباره» الواقع فى الشمال الغربي من ساحل شبه جزيرة قطر الذي كان مركز ناحية بهذا الاسم ، والذى قصفه الانكليز في زمن المتصرف ابراهيم باشا بالمدافع وخربوه • ووعد جاسما بأن يعطيه مقابل

سكوته ورضائه عن ذلك سنويا عشر الاف ربية • وطلب منه عقد اتفاق عير ان شيخ جاسم استحضر امام عينه مابدا يظهر من آثار ماعلق تدريجيا في عنق شيخ البحرين عيسى بن علي من اطواق ، فلم يستحسن الميل الى الانكليز • كما ان غيرته الدينية جعلته لايهضم ذلك • فقال للمأمور ان قطر ليست ملكي وانما هي ملك الحكومة العثمانية • وانني فرع من هذه الحكومة • وليس لي اى حق في الكلام في شيء لا في صدد زباره ولا في صدد اي جهة اخرى واني سوف اسأل حكومتي • او فلتطلب حكومتكم الاذن منها بذلك • وحينئذ قال له المأمور انه لا ينبغي ان تسمع الحكومة العثمانية بما تكلمنا به وانني انما راجعتكم في الامر بصفة خصوصية • ثم عاد محتدا الى سفينته التي كانت تنتظره في الساحل • وارسل اليه الشيخ جاسم بضعة رؤوس غنم بعد مغادرته لمنزله حسب عادة العرب فردها • ثم اقلع بسفينته وانصرف •

ان قطر التى مع كونها مهمة جدا والتي لم نبد أهتماما لنكون اصحابها وتركناها على حالها مع قليل جدا من العسكر ، قد غدت مجالا ومطمعا للسياسة الانكليزية بل وللسياسة الافرنسية ايضا •

ونرى اليوم تجارة السلاح الافرنسية فيها تجرى بخطوات جديدة وان كانت ثقيلة (بطيئة) وهذه الامور تجرى بقوة المال • وتحت حماية الشيخ عبدالله بن الشيخ جاسم • واهالي قطر الاخرون الذين يرون تجارة السلاح في بلدهم ويرون وكيل التجارة الافرنسية يندس بقوة تحت جناح عبدالله اخذوا يتململون من الحالة ويراجعون قائد المفرزة في قطر بصورة سرية جدا وينبهون الحكومة الى واجب الانتباه لهذا الامر •

	ولايت	سنجاق	قضا	اسامى ٧ ٥ - ٧	مقر	معاشى
١٣٢١	»	»	قطيف	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب [illegible] افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٢	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب على افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٣	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى [illegible] مبايعك [illegible] نائب [illegible] افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٦	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب على افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣١٩	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب [illegible] افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٠	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب على افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٠	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب قائمقام معاونى محمد افندى	قيروس پاشى	١٩
١٣٢٢	»	»	قطيف ١	قائمقام حاكم اللذى افندى نائب قائمقام معاونى	قيروس پاشى	[illegible]
				قائمقام [illegible]	قيروس پاشى	

ولايتي	ناحيه	قضا			تاريخ	
نعمه	...	قطر صيف	قائمقام / نائب / قائمقام معاوني	حاكم الثاني افندي / ... افندي	ديو باشي ...	قا ١٩
		قطر صيف	قائمقام / نائب / قائمقام معاوني	حاكم ... افندي / ...	ديو باشي ...	١٩
		قطر صيف	قائمقام / نائب / قائمقام معاوني	... افندي / ... افندي	ديو باشي ...	قا ١٩

قطر صيف	قائمقام / نائب / قائمقام معاوني	حاكم الثاني ... / ... افندي	

قطر	نائب		
قطر صيف	قائمقام / نائب	حاكم الثاني افندي	ديو باشي ... قا ١٩

سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية ، وثائق فاطمية معاصرة

دكتور عبدالمنعم ماجد
أستاذ التاريخ الاسلامي
ورئيس قسم التاريخ
بكلية الآداب
بجامعة عين شمس

لاشك أن مجموعة الوثائق الفاطمية ، المعروفة باسم « السجلات المستنصرية » (١) تعتبر أكبر مجموعة وثائقية عثر عليها ، تتناول علاقة الفاطميين بأنحاء الجزيرة العربية ، في صورها المتلونة ، اذ انها تشتمل على ست وستين وثيقة ، جميعها تتعلق بعصري الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وابنه المستعلى بالله .

ولعل أهم شيء قد أبرزته هذه الوثائق ، هو ان نجاح سياسة الفاطميين في أقاليم الجزيرة العربية ، يتميز بظهور شخصيات قوية من الدعاة الفاطميين ، أكثر من المجهود الحربي للخلافة الفاطمية ذاتها ، وذلك على عكس ما كان يوجد في نواح أخرى كالشام مثلا ، فهؤلاء الدعاة المخلصون للفاطميين ، في أنحاء الجزيرة العربية ، كانوا هم السبب الاول والأخير في اعلاء شأن الدعوة الفاطمية ، حيث أظهرهم

---

(١) عنوانها بالكامل : سجلات وتوقيعات وكتب ، لمولانا الامام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين صلوات الله عليه الى دعاة اليمن وغيرهم ، قدس الله أرواح جميع المؤمنين ، تقديم وتحقيق عبدالمنعم ماجد ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .

– على الاطلاق – على بن محمد الصليحي في اليمن ، فجميع هـذه السجلات موجهة اليه ، والى أفراد أسرته •

فكان ذلك ينطبق أيضا على بلاد الخليج العربي ، ونقصد بها البلاد الساحلية والداخلية الواقعة على بر العرب [٢] ، الخليج العربي الذي هو جزء من البحر العربي ، شعبة من بحر الهند العظيم ، شاملة البحرين وعمان على الخصوص • وان كان كلاهما قد تغيرت حدوده عبر التاريخ • فالبحرين أصبحت اسما جامعا للبلاد التي تقع من البصرة في الشمال الى عمان في الجنوب ، شاملة مدنا وقرى كثيرة ، أشهرها في زمن المستنصر هجر والاحساء أو لحسا [٣] ، وهذه الاخيرة كان القرامطة في أيام أبي طاهر ، قد جعلوها قصبة لهم أما مدينة البحرين ذاتها ، فكانت وقتذاك جزيرة [٤] • كذلك عمان ، فقد امتدت الى مهرة – على ساحل بحر الهند – وحتى الى قطر [٥] ، شاملة البلاد الساحلية والداخلية أيضا •

فتوجد في مجموعة الوثائق خمس سجلات [٦] ، تختص بعلاقة الفاطميين ، في عهد الخليفة المستنصر بالله ، بهذه النواحي من بلاد الخليج العربي ، بحيث تستطيع أن تقول ان ما تذكره عنها ، لا يوجد في مصدر تاريخي آخر ، مما يبين أهميتها •

● ● ●

ففي هذه السجلات ، يتبين أنه بالنسبة لنواحي البحرين ، فانه

---

(٢) معجم البلدان ، ٢ ص ٦٩ س ١ •
(٣) معجم البلدان ، ١ ص ١٣٧ •
(٤) سفرنامة ، ص ٩٤ •
(٥) معجم البلدان ، ٢ ص ٦٩ س ١ •
(٦) سجلات : ٤، ٥٠، ٥٤، ٥٨، ٦٣ •

عادت اليها الدعوة الفاطمية في زمن المستنصر بالله بالذات ، بعد أن كانت قد انقطعت عنها ، منذ أن قلب القرامطة ظهر المجن للفاطميين ، مع أن الدعوة الفاطمية والقرمطية كانت واحدة ، وان بقيت بعض الوشائج ، منذ أن عاد اليها حكم السادة أو السادات ، المسمون بالسلاطين ، وهم زعماء القبائل ، ومع ذلك فأن حكمهم قد تعرض لكثير من التذبذب العقائدي • أما بلاد عمان ، فأنها هي الاخرى قد أصبحت مجالا للدعوة الفاطمية ، على الرغم من أنها كانت منذ أيام الامويين خوارج أباضية •

فيوجد في سجل ٤ ذكر لخطاب ورد للمستنصر بالله من علي بن محمد الصليحي ، عامله وداعيته الكبير في اليمن من هجر مدينة بالبحرين بتاريخ شوال ٤٥٥ / أكتوبر ١٠٦٣ ، يعلن فيه علي الصليحي محاربته لرجل اسمه ابن عراف ، وان المستنصر بالله يشكره على اهتمامه بنشر النفوذ الفاطمي في هذه الانحاء ، ويؤيده في تصرفاته • ويبدو ان ولد أبن عراف قد لجأ الى شريف مكة ، الذي لقبه : الأمير فخر المعالي ذي المجدين ، الا ان هذا الشريف قد أعرض عنه ، وأمره المستنصر بالله بأن يرسل ابن عراف اليه أو الى اليمن ، كما أن المستنصر بالله قد عين في هذه النواحي داعية اسمه عبدالله بن ابراهيم ، بدلا من الذي توفي وهو أسعد ابن عبدالله •

ويبين سجل ٤ أيضا ، أنه بعد موت علي الصليحي ، فأن المستنصر بالله قد جعل حكم هذه الانحاء جميعها لابنه أحمد المكرم ، وذلك بالاشراف على أعمالها : دانيها وقاصيها ، مطيعها وعاصيها ، على أن يكون دعاتها نوابا له فيها • فهو يخبره بأن الأحساء بفضل داعيها ، قد أصبحت موكولة الى نظره ، ويعتبر داعيها نائبا له فيها ، كما يضيف لعمله مدينة عمان ، التي ليست بعيدة عن أعماله اليمنية والحجازية ، ويطلب منه ارسال الرجال بوظائف الخدمة لها • ويبدو أن انشغال أحمد المكرم

بظروف دولته ، قد منعته من الاهتمام بأحوال هذه النواحي ، فما كـان من المستنصر بالله الا ان استحثه على الاهتمام بها ، وأرجاعها الى حـوزة الخلافة الفاطمية ودعوتها الهادية

ولاشك ، أن اصرار المستنصر بالله على اختيار صليحيي اليمـن بالذات ، للاشراف على نفوذ الفاطميين في بلاد الخليج ، راجـع بالاولى الى سياسة عامة من قبل الخلافة الفاطمية لاطلاق يد الصليحيين في نشـر النفوذ الفاطمي في أنحاء الجزيرة العربية المختلفة ، عـلى أساس أن الصليحيين قد أصبحـوا الدعاة المخلصين للفاطميين قلبا وقالبـا ، حتى أن المستنصر بالله قد لقب على بن محمد الصليحي بعمدة الخلافة (سجل ٤)، وهو الذي راح ضحية نشر النفوذ الفاطمي في الحجاز ، سيما وان اليمن كانت منذ وقت مبكر ، المركز الرئيس لخروج دعاة الفاطميين الاوائل ، وان الأمامة الفاطمية ، قد فكرت من قبل في أن تتخذها مقرا لخلافتها ، قبل قيامها في المغرب ومصر •

ومع ذلك ، فان المستنصر بالله كان يبذل من ناحيته جهدا خاصا نحو بلاد الخليج العربي • فقد اغدق الألقاب على الدعاة فيها ، واعتبرهـم في نفس الوقت ولاتها نوابا عن الصليحيين كما كان يطالب دائمـا الصليحيين بمطالعته أولا بأول بأخبارها ، وبما يجب أن يصدر من عاصمة الخلافـة في القاهرة من مراسيم ولايتهم ، وكل ذلك بقصد الحرص على بقائهـا ضمن دائرة النفوذ الفاطمي • فنعرف من شخصيات الدعوة في الاحساء ، غير الداعي السابق الذكر ، عبدالله ابن علي العلوي ، الذي كان لقبه : الامير مستخلص الدولة العلوية وعدتها(سجل ٥٤) ، ومن الدعاة فـي عمان على التوالي : يوسف بن حسين الصدابواري وابنه ، اللذيـن لقبهما : غرس الدين (سجل ٥٨) •

وقد تكون نواحي البحرين قد سقطت في أيدي السلاجقة ، اذ لـم

نعد نسمع عنها بعد ذلك في السجلات المستنصرية ، بينما نسمع أن عمان مازالت تحت اشراف أحمد المكرم ، الذي عين لها داعية جديدا اسمه : أسماعيل بن ابراهيم بن جابر في ٤٧٦/١٠٨٣ (سجل ٦٣) ، ولما انصرف هذا الداعي الى التجارة ، فان الملكة السيدة الحرة ، التي تولت الحكم في اليمن بعد أحمد المكرم ، قد اقترحت تعيين حمزة بن سبط حميد الدين ، فأوعز المستنصر بالله الى وزيره أمير الجيوش بدر الجمالي ، باصدار التقليد في ٤٨١/١٠٨٨ ، كما شكرها على تبنيها لمصالح الدعوة والدعاة في هذه النواحي ، وأكد لها ـ مثلما أكد لاحمد المكرم من قبل ـ النظر في تلك البلاد والاعمال (سجل ٥٠) •

● ● ●

ولاشك ، أن اهتمام الخليفة المستنصر بالله ببلاد الخليج العربي ، ليس فقط على أساس الرغبة في احتوائها ضمن أملاكه ، كبقية أقاليم الجزيرة العربية ، وجعلها منسوبة له مذهبا ، وانما أيضا لان هذه النواحي كانت في طريق الدعوة الهادية في قارة الهند الكبيرة بأقاليمها وجزائرها ، ونقصد بها السند او المنطقة الغربية من الهند التي يجري فيها نهر السند ، بحيث كان للفاطميين دعاة فيها منذ أيام الدعوة الاولى ، وكون لهم أتباعهم فيها دويلات أشهرها الملتان[٧] ، وأن هذه الدعوة قد قويت في أيام المستنصر بالله ، بحيث ان السجلات المستنصرية ، تبين أهمية الخليج العربي ، بالنسبة لشئون الدعوة في الهند ، وان جعل الاشراف على دعاتها فيها للصليحيين أيضا • فيبين السجل (٥٠) وفاة داعية الفاطميين في الهند المسمى مرزبان [٨] ، الملقب بغرس الدين ولى

(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، طبع ، ص ٤٨١ ، أنظر •
(٨) تسميته بالكامل : مرزبان بدر أسحق بن مرزبان •

أمير المؤمنين ، الذي خلف ولدين ذوي دين وتقيه ، فان المستنصر قد اختار ابنه الاكبر أحمد ، وان تقليده قد أرسل من قبل وزيره أمير الجيوش بدر الدين الجمالي (سجل ٦٣)

يضاف الى ذلك ، أن المستنصر بالله بحكم مسئوليته كخليفة مسلم عليه أن يرعى احوال الاسلام في ربوع هذه النواحي من الخليج العربي مثلما يرعاها في نواح أخرى ، فيذكر سجل (٤) أن المستنصر بالله قد طلب من أحمد المكرم أن يبذل الجهد للقضاء على الفساد الديني ، ونشر الدعوة الصحيحة ، وذلك نتيجة لانقطاع الدعوة الفاطمية السابقة ، بحيث اختلطت بعقائد باطلة . ويؤيد ذلك ما ورد في قول الرحالة ناصر خسرو ، الذي زار الاحساء في زمن المستنصر في ١٠٥١/٤٤٣[٩] ، من انه قد لوحظ خروج الناس فيها على الشريعة الحنفية ، حتى أنهم كانوا لا يصلون ، ولا يصومون ، ولا يوجد في المدينة مسجد جمعة ، وأن أتباع المذهب كانوا يعتقدون برجعة أبي سعيد الجنابي ـ مؤسس دولة القرامطة وسموا انفسهم بأبا سعيديين .

كذلك اهتم الفاطميون بهذه النواحي اقتصاديا ، بسبب موقعها الجغرافي في طريق التجارة مع الشرق الاقصى ، سيما تجارة التوابل ، حيث تتبين أهمية ذلك من أنه قد أصبح يطلق على دعاة الفاطميين في الهند اسم البهرة لتعني تجارة البهار ، فقد كان الفاطميون يقومون بدور الوسيط في تجارة البهار وغيرها ، بين الشرق والغرب ، واشتهرت في مصر ذاتها وفي اليمن كذلك طبقة متخصصة لها ، عرفت باسم الكارمية أو الكارم ومن المؤكد أن معظم دعاة الفاطميين في هذه النواحي ؛ كانوا ممن احترفوا هذه التجارة اذ ان التجار في ذلك الوقت كانوا أقرب

(٩) سفرنامة ، ص ٩٩ .

الفئات الى قلوب الناس ، لذلك كانوا يجمعون بين السياسة والدين والتجارة ؛ فكانت مدينة عمان على الخصوص الواقعة على الخليج او بحر البنات كما كان يسمى ، مرسى كبير لسفن السند والهند والصين والفرنج (١٠) .

واخيرا فان الاهتمام الفاطمي بهذه النواحي ، راجع الى أن مصر أصبحت وطنا ثانيا لقبائل بحرانية وعمانية كثيرة ، كانت قد خرجت مع القرامطة في مغامرة ، حينما حدث الفتح الفاطمي لمصر والشام ، وبعد عودة العلاقات بين الفاطميين والقرامطة ، فان هذه القبائل انتقلت من الشام الى مصر ، وتكاثرت فيها ، اظهرها قبائل بني هلال وبني سليم ؛ حيث تذكر السجلات المستنصرية ـ مثل سجل (٥) ، كيف أن قبائل بني هلال وسليم قد ارسلت الى المغرب ، لاعادتها الى الطاعة ، كما ان بعض هذه القبائل التي بقيت في مصر ، قد غزت في زمن المماليك أفريقيا الوسطى ، مما كان سببا في نشر الاسلام فيها .

● ● ●

والخلاصة ، أن السجلات المستنصرية تبين ـ لاول مرة ـ النشاط الدبلوماسي الفاطمي في منطقة الخليج العربي ، بمثل هذه التفاصيل والجزئيات .

---

(١٠) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، طبع الخانجي ١٨٤٠ ، ص ٩٩ .

القوى الاستعمارية والخليج العربي
١٦٠٠ ـ ١٩١٤

الدكتور عباس ياسر الزيدي
كلية الآداب ـ قسم الاعلام
جامعة بغــداد

كان نشوء الصلات بين بريطانيا والعراق تلك الصــلات التي أدت اخيرا الى الاحتلال البريطاني في غضون الحرب ـ ليس الا نتيجـة لنشوء الامبراطورية البريطانية في الهند ، ومع انه كان بعض البريطانيــــين المخاطرين باسفارهم البحرية يعرجون على الخليج العربي قبل سنة ١٦٠٠ ويزورون من حين لاخر سواحـــل العراق وايران ، الا ان الصــلات الحقيقية التي تألفت بين بريطانيا وسواحل الخليج العربي لــم تبتدىء الا بعد ان تأسست شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٠ ب م (١) .

وكان الدافع الى تأسيس هذه الصلات انه كانت تزود شركات الهند الشرقية ببضائع كثيرة من التي تجلبها من انكلترا او تضعها في معملها في سورات من اعمال الهنـد ولذلك عزمت على تصريفهـا في الخليج العربي وايران وذلك في سنة ١٦١٦ (٢) . ولقد كانت بريطانيا أقل اقتدارا على ان تتبع في وادي دجلة والفرات ، وهما من ممتلكات الامبراطوريــــة العثمانية ، السياسة الشديدة نفسها التي كانت تنتهجها في الخليج العربـي غير انها واصلت المحافظة على مصالحها باعتمادهـــا ، في الغالـب(٣) على نفوذها التقليدي في « الباب العالي » وعلى تعزيز مركزها الممتاز في بــلاد العرب التركية وهو المركز الذي يرجع تاريخه الى تأسيس أول معمـــل

---

(١) متي عقراوي ، العراق الحديث ، ص ٢٢ .

(٢) Wilson, The Persian Gulf, pp. 136 -- 139.

(٣) راجع التاريخ الرسمي للحملة البريطانية على العراق ، ص ٧٣ .

في البصرة سنة ١٦٤٣ على اثر اول مغامرة قامت بها شركة الهند الشرقية هناك في ١٦٣٥ [٤] .

على ان كثيرا من النفوذ البريطاني فيما بين النهرين كان نتيجة ما قامت به المؤسسات السياسية التي أسست بمقتضى الاهمية السوقية لكل منها . فقد اكتسبت « مقيمية » بغداد التي حلت محل مقيمية البصرة في ١٨١٠ نفوذا سياسيا لا يستهان به عند السلطات التركية المحلية التي كانت مكرهة على الاستفادة من المساعدة البريطانية ضد معكري صفو الامن من العرب والايرانيين [٥] . ويمكن القول بأن البوادر الاولى لتنفيذ هذه الفكرة في العصور الحديثة جاءت عام ١٦٠٠ عن طريق انشاء شركة الهند الشرقية التي اتخذت لها شريكا في شخص شركة الليفانت البريطانية ـ التركية للتجارة والمؤسسة بدورها سنة ١٥٨١ . وقد فاتحت شركة الهند الشرقية الشركة الاخيرة منذ السنوات الاولى لتكوينها في موضوع انشاء الطريق البري من اوربا نحو الهند غير ان هذه البادرة البسيطة لم نعط اي نتائج ايجابية ولم تثر الفكرة من جديد الا في عام ١٧٨٢ عندما عاد جون سليفان من رحلته الى الهند عبر آسيا الصغرى ووادي الرافدين واقترح على الحكومة البريطانية فكرة انشاء طريق بري نحو الهند [٦] . وكانت تجارة (الهند) وسواحل (الخليج) كذا تجارة (ايران) و (العراق) قبل هذه الفترة وقفا على الملاحين العرب من (عمان) و (اليمن) والسواحل وينتقلون بها بين المحيط الهندي وبين البحر الاحمر وافريقية. فلما ايقنت انكلترا بعظم اهمية هذا الطريق الفت في عام ١٦٠٠ (شركة

---

(٤) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٧ .
(٥) آيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ص ٢٠ .
(٦) لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، ص ١ .

الهند الشرقية البريطانية) التي قامت على دعائمها دولة الانكليز في الهند ، ودفعتها الى منافسة البرتغاليين ومن جاء بعدهم من الهولنديين اصحاب (شركة الهند الشرقية ـ الهولندية) المؤسسة سنة ١٦٠٢ ومن الفرنسيين اصحاب (شركة الهند الشرقية ـ الفرنسية) المؤسسة عام ١٦٤٤ ومن غيرهم حتى مكنتها بعد خصام طويل ان تحل محلهم ، وكانت هذه الشركة قد دفعت لانشاء اول محطة لها في (سورات) في عام ١٦١٢ ولكن لم تكد تحل سنة ١٦١٦ حتى صارت لها اربع محطات كبرى في الهند وهي (اجمير) و (اغرا) و (برهابور) و (سورات) ثم اخذت تعمل بجد ونشاط التثبت قدمها في الهند وما جاورها فعقدت اتفاقا مع شاه ايران في سنة ١٦٢٢ عهد به اليها حماية التجارة في الخليج (٧) فبنت المعاقل والحصول على السواحل وجاءت بارجتين لتعزيز نفوذها ،وقامت بمفاوضات سياسية طغت اخيرا على اعمالها الاقتصادية ، ولم يكد شارل الثاني يجلس على العرش البريطاني حتى جعل لـ (شركة الهند الشرقية ـ البريطانية) الحق في اعلان الحرب وشن الغارات على من يقف في طريق مصلحتها فكان ذلك فاتحة تقدم عظيم استمر من ١٦٢٢ م الى سنة ١٦٨٩ م وكانت هذه اولى المحاولات التي سعت بها انكلترا الى بسط سلطتها السياسية على الخليج العربي والسعي للاستيلاء على فارس ، وبلاد الرافدين وبانسلاخ هذا الجيل توسعت التجارة الانكليزية وتعدت من الخليج العربي الى البحر الاحمر (٨) .

وقد احرزت تجارة انكلترا مع الهند عبر وادي الرافدين نجاحا في اواخر القرن السادس عشر . غير ان ذلك النجاح كان محدودا اذا قيس بما كان ينتظر من استعمال الطريق البحري الجديد حول رأس الرجاء

---

(٧) عبدالفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ص ٢٦ .
(٨) هنري فوستر ، تكوين العراق الحديث ، ص ٥٨ .

الصالح • وعلى هذا توجه الأنتباه الى هذا الطريق ، فكانت البداية المهمة على يد شركة الهند الشرقية التي تأسست عام ١٦٠٠ ، وارسلت في السنة التالية بعثتها التجارية الاولى التي كان من جملة بضائعهـا المستوردة (مازنته مليون باون من الفلفل) • وفي هذا الصدد يروي لنا بروس مؤرخ شركة الهند الشرقية ، ان الربح الصافي لتينك البعثتين بلغ ٩٥٪ فلا غرابة ان تكون تلك التجارة الرابحة قد دفعت بشركة الهند الشرقية الى الاستمرار في سبيلها على الرغم من شدة الاخطار الناجمة عن منافسة البرتغال فـي ذلك السبيل • وكانت (شركة الهند الشرقية ـ البريطانية) قد عقـدت اتفاقا مع عباس شاه ايران في سنة ١٦٢٢ ، عهد به اليها حماية التجارة فـي الخليج العربي ، فأسست مركزا تجاريا لها في البصرة سنة ١٦٤٣م• علاوة على المراكز التي اقامتها على بعض سواحل الخليج ، وعين وكيل هـذا المركز قنصلا لدولته البريطانية في عام ١٧٦٣ فأصبحت لـه صفة سياسية الى صفته التجارية واعتبرت (البصرة) مركزا لتوزيع البضائع الانكليزية في العراق وايران (٩) كما ان حكومتـه المذكورة ارسلت الى (بندر بوشهر) مندوبا دائما يقوم مقام الشركة فيها وتلا ذلك وكيل آخر بالدرجة نفسها وللمقصد نفسه في بغداد فولي هذا المنصب في سنة ١٧٥٥ م رجـل أرمني استبدل بعد عشر سنوات بشخص بريطاني فاخذت علاقات القائمين بمركزي بغداد والبصرة مع الولايات تتحسن وتتقدم مع توالي الايام بمـا كانت تقدمه الشركة المذكورة لهم من السلاح والعتاد بغية حملهم عـلى الاستقلال في البلاد لتثبت اقدامها فيها ، وتصريف تجارتهـا في نواحيها ، واستعمال انهارها للبواخر من غير ان تلقي اعتراضا من الترك ولكـن سرعان ما انقلبت هذه المراكز التجارية الى دوائر سياسية بالتدريج حتـى

---

(٩) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٠٠•

لقد أعطى المقيم البريطاني في بغداد « جميـع السلطات القنصليـة في عام ١٨٠٢ فاصبحت بغداد منذ ذلك الحين فصاعدا اهـــــم مركز للنفوذ البريطاني حتى انه لما أعلنت الحـرب بين انكلترا وتركيا من سنة ١٨٠٧ الى سنة ١٨٠٩ بقي الممثلون البريطانيون في العراق مكرمين دون أن يمسوا بسوء .. واصبحت المقيمية البريطانية احسن مجلس اجتماعـي محلي وملتقى اكبر الموظفين والاشراف وبيتا مفتوحا للضيوف وناديـا للبحوث الاتية »(١٠) .

وهـكذا اخذت قدم الانكليز ترسخ في العـراق وسلطانهم يقوى ، ونفوذهم يتسع بحيث اصبح لهم حرس كبير من الهنود ومن اهـل البلاد ، وصاروا يأتون بدارعة نهرية تقف امام دار القنصلية مما حمـل رؤوس القبائل وطبقة الافندية على الاعتقاد بان مستقبل بريطانية في العراق سائر الى الاهمية وانها ستلعب دورا خطيرا تقضي الحكمة بمصافاتها وموالاتهـا ومنذ تلك الساعة ، فعقدت معاهدة ، ولقد حددت المعاهـدة العثمانية ـ الانكليزية سنة ١٦٦٩ ، التي حددت رسوم الاستيراد والتصدير : ٣٪ من قيمة السلع ، ويصبح اعتبار عقد هذه المعاهدة بداية عهد استمر حتى سنة ١٨٣٨ ، اذ عقدت على غرارها معاهدة (الامتياز الاكبر) بين الدولـة وفرنسا سنة ١٧٤٠ ، التي اثبتت النسب المذكورة ونصت على استيفاء الرسم عينا في حالة الخلاف على تعيين القيمة ثم اقرت المعاهدة المعقودة في ١٨٠٢ مع كل من فرنسا وانكلترا الاحكام المتقدمة ، ونصت على امكان عقـد معاهدات تجارية مستقلة عن معاهدة الامتياز ، على ان يستمر حكم المعاهدات القائمة بشأن ضرائب التجارة الخارجية الى ذلك الحين (١١) . وللخليـج

(١٠) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٧٤.
(١١) مظفر حسين جميل ، سياسة العراق التجارية ، ص ١٢ .

العربي أهمية بالغة بالنسبة لحكام العراق لا لأنه يشكل جبهة الدفاع الجنوبية فحسب وانما لان اهميته كبيرة من ناحية الملاحة والتجارة البحرية ايضا ذلك لان الخليج العربي هو الطريق الوحيد للتجارة بين الهند والبصرة ، هذه التجارة التي كانت توفر لباشوات بغداد جزءا غير يسير من مواردهم المالية ، والتي كانت تكون ركنا اساسيا من اركان اقتصاديات الولاية . فقد كانت البصرة في ذلك الوقت مركزا تجاريا مهما ، بل كانت من اهم مراكز التجارة في الشرق . فاليها كانت البضائع تأتي من الهند ، وتنقل منها الى ايران وسوريا وجزيرة العرب والاناضول[١٢] .

تغلب بريطانية على البرتغاليين

كان البرتغاليون في خلال القرن السادس عشر اسياد الموقف في الخليج العربي وكانوا مسيطرين على تجارة الحرير مع ايران رغم المحاولات غير الناجحة من الاتراك لعرقلة هذه التجارة . وقد اخذت أنظار الانكليز تتطلع الى امكانية المساهمة في التجارة الغنية بين الهند وايران وذلك في نهاية ذلك القرن[١٣] .

وفي سنة ١٥٨٣ كان المدعو رالف فيج (Ralph Fich) قد أرسل ثلاثة من المغامرين ومعهم رسائل موجهة من الملكة اليزابيث الى ملك كامبوديا وامبراطور الصين . وقد سافروا برا الى البصرة ثم ابحروا في الخليج العربي الى هرمز ومن هناك رجع فيج الى بلاده سنة ١٥٩١ ومعه تقارير مشجعة للغاية عن الامكانيات التجارية العظيمة ، في تلك المناطق والشرق الاقصى . وكانت هذه التقارير هي التي شجعت على قيام شركة

(١٢) عبد الامير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي ، ص ٧ .
(١٣) محمود علي الداود ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ، ص ٣٠ .

الهند الشرقية الانكليزية التي ارسلت اسطولا تجاريا الى الشرق بعد تأسيسها سنة ١٦٠٠ • ويظهر ان اول باخرة تجارية انكليزية ساهمت في تجارة الحرير في الخليج العربي كانت (جيمس) التي حملت كميات كبيرة من الحرير من سوارت الى جسك وقد فشلت محاولات البرتغاليين في ايقافها •

وفي سنة ١٦١٩ تأسست وكالة تجارية بريطانية في جسك واستمرت التجارة البرية الانكليزية مع طهران وفتحت بندر عباس لتلك التجارة في سنة ١٦٢٥ • وبعد ثلاث سنوات تحالف الاسطول الايراني مع الاسطول الانكليزي التابع لشركة الهند الشرقية ضد البرتغاليين وتقدموا نحو هرمز التي اعيدت بعد مدة قصيرة الى الشاه • ونتيجة لهذه المساعدة منح الشاه تسهيلات تجارية الى الانكليز اعطتهم حرية شراء الحرير من اي مركز في داخل البلاد الايرانية بدون ضريبة استيراد • ومنذ تلك الفترة اخذت القوة البرتغالية في الخليج تضعف تدريجيا وحلت محلها القوتين الانكليزية والهولندية • وقد بدأت المنافسة السياسية والتجارية والصناعية بين القادمين الجدد وذلك لرغبة كل منهم في الحصول على احتكار التجارة مع ايران • وبالرغم من ذلك فقد تحالف الانكليز والهولنديون وتوحدت اساطيلهما البحرية لقهر البرتغال • وقد شاهدت الفترة ١٦٤٠ - ١٦٤٩ كوارث خطيرة بالنسبة الى مراكز البرتغال في الخليج العربي • فقد استولى سلطان عمان على صحار (التي كانت في أيدي البرتغاليين منذ عشرين سنة) وفي خلال ١٦٤٨ - ١٦٤٩ حاصر العرب مسقط واستولوا عليها ولم تأت سنة ١٦٥٠ حتى كان البرتغاليون قد خسروا جميع مراكزهم في عمان • وبعد سنتين زال نفوذهم نهائيا من الخليج العربي [١٤] •

(١٤) محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ، ص١٦-١٧ •

ولقد كان البرتغاليون في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر اسبق الممالك الاوربية للاهتمام في ركوب البحار ، وصنع الاساطيل ، والتوسع التجاري والاستعماري في الشرق ، وكانوا بذلك المنافسين الاولين لبريطانية ، وكانت لهم مراكز مهمة في سواحل عمان ومسقط وغيرها من الامارات والمشيخات ، وكان لهم مركز مهم في البصرة ذاتها • واذا ما اردنا ان نتحرى عن العوامل التي ساعدت بريطانية في التغلب على النفوذ البرتغالي أمكن اجمالها باربع أسباب : ـ

١ ـ ضم البرتغال الى اسبانيا ، وضعف المساعدات الحكومية الى الشركات والوحدات البحرية التي بقيت منفصلة عن المركز •

٢ ـ تردي سمعة البرتغاليين في موانيء البلاد التي حصلت على نفوذ فيها وأقامت بها مراكز تجارية •

٣ ـ مساعدة الايرانيين وخاصة الشاه عباس ، المجدية للانكليز وتعاونهم ضد البرتغاليين •

٤ ـ عداء أمام عمان للبرتغاليين ومحاربتهم اياهم[١٥] •

تغلب بريطانية على الهولنديين

لقد كان الصراع بين الانكليز والهولنديين مستمرا ، وفي سنة ١٦٤٠ ظهر بأن الهولنديين قد استطاعوا الحصول على الافضلية في منطقة الخليج العربي التي استمرت الى نهاية القرن السابع عشر عندما بدأ النفوذ الانكليزي ينمو على حساب الهولنديين وبالتحالف مع الشاه الذي كره اساليب الهولنديين الدبلوسية والعسكرية • ومن الجدير بالذكر بأن شركة فرنسية

(١٥) عبدالرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص ٤٥ •

ظهرت على المسرح سنة ١٦٦٤ ، كمنافس في التجارة ، وأسست مركزا لها في بندر عباس ولكنها لم تصادف نجاحا فعليا منذ البداية[١٦] .

وقد اظهر الشاه سنة ١٦٩٩ تحيزا عندما شرفهم بزيارة وكالتهم في أصفهان وقد قلل من الضرائب التي كان من المفروض على التجار الانكليز دفعها على استيراد الحرير . وتعتبر سنة ١٧٠٨ نقطة تحول مهمة بالنسبة للعلاقات الانكليزية مع الخليج العربي وذلك لان الحكومة الانكليزية اعترفت الان بالشركات المتاجرة مع الشرق . وقد صادفت التجارة الانكليزية الكثير من الصعوبات نتيجة لسؤ الاحوال السياسية في ايران الامر الذي دفع شركة الهند الشرقية الانكليزية الى نقل مركزها من بندر عباس الى البصرة وقد تأخر هذا الانتقال نتيجة لنشوب حرب السبع سنوات بين بريطانيا وفرنسا عندما هاجمت سفن فرنسية تحت قيادة الاميرال (D. Esting) ميناء بندر عباس وضربوا الوكالة الانكليزية بالمدافع[١٧] .

ولكن سرعان ما اصبح لهولندا نفوذ يقض مضاجع الانكليز ، وخاصة بعد ان تأسست (شركة الهند الشرقية الهولندية) ، وازدادت سفنها ومعاملها ، في الهند وايران والخليج[١٨] . على ان التنافس الحقيقي لم يشتد الا في النصف الثاني من القرن السابع عشر . وقد أغرقت هولندة أسواق البصرة ببضائعها ، واضمحلت على اثر ذلك سمعة الانكليز وتجارتهم فيها .

---

(١٦) محمود علي الداود ، العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ، ص ١٧ .

(١٧) محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ، ص ١٧ ـ ١٨ .

Letter from Agent at Basra to the Court :

July 31, 1945, Summary XXII 8 Letters from Surat Presidency to Court. April, 3, 1949, Summary XXII.

ولكن خطر الهولنديين لم يدم طويلا ، اذ انهكت حروب (الوراثة الاسبانية) قوى هولنده ، ثم توحدت انكلترا وهولنده تحت تاج (وليم اورنج) او (وليم الثالث) فساعدت وحدة التاج على ازالة المنافسة بين الهولنديين والانكليز • ثم اعطت معاهدة (أترخت) البريطانية السيادة البحرية دون منازع ، وهكذا اخذ النفوذ الهولندي يزول امام ضغط بريطانية من جهة ، وهجمات العرب من جهة اخرى ، الى ان احتل العرب آخر حصن لهم في جزيرة (كيرك) سنة ١٧٦٦(١٩) •

ومن الجدير بالذكر ان نشير هنا بأن بريطانية بدأت منذ سنة ١٧٦٦ بالتدخل الفعلي في شؤون الخليج ، واخذت تقاوم (بني كعب) القبيلة العربية التي كانت تسكن جنوب العراق ، وجزءاً مما يعرف بـ (عربستان) من بلاد أيران • وقد تآزرت الحكومتان البريطانية والايرانية على القضاء على ما كان لتلك القبيلة من صولة • وكان شيخ بني كعب قد أستولى على ثلاث سفن بريطانيا بعد ان سرح ضباطها وقد اغاض هذا الامر (حكومة بومبي) فأرسلت اسطولا من ست سفن ، فأحرقت سفينتان بريطانيتان ومنيت الحملة بخسائر فادحة ، مما اضطرها على التراجع(٢٠) •

وعلى كل حال فقد تمكنت الشركة من الانتقال الى البصرة حيث بقيت هناك الى سنة ١٧٧٦ عندما احتل الايرانيون البصرة ، لاغراض سياسية ولكنهم لم يتعرضوا الى التجارة ومع هذا فقد نشط الانكليز في استخدام ميناء بوشهر • ولكن الفرصة اخذت بالتزايد (بعد افول نجم البرتغاليين) حتى غدت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر اسلوب

---

(١٩) انظر زكي صالح ، منشأ النفوذ البريطاني بين النهرين ، ص ٣٢ •

(٢٠) انظر كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٦٣ •

المعيشة الوحيد بالنسبة للعرب القاطنين على ساحل عدن • ولم تكن القرصنة مقصورة على العرب بل كان القراصنة الانكليز يجوبون الخليج العربي والبحار الجنوبية رافعين العلم الانكليزي • وكانت السفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية عرضة لهجمات عرب ساحل عمان الذين كانوا قد اتخذوا قاعدتهم في مسقط وكان المسؤولون الانكليز يخشون سيطرتهم التامة على الخليج العربي برمته •

التنافس البريطاني ـ الفرنسي في الشرق الاوسط

وجدت فرنسا في الدولة العثمانية حليفا قويا لها ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة • وأنشأت فرنسا في الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية عام **١٥٣٥** واخذت المصالح الاوربية تنمو في ولاياتها • ومنحت الدول الاوربية الاخرى امتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية • ولم تصبح هذه الامتيازات خطرا على كيان الدولة العثمانية الا بعد ان وضح ضعفها امام الدول الاوربية • واخذت هذه الدول من جانبها تستغل هذه الامتيازات الى أبعد الحدود وتتنافس في الحصول على المركز الممتاز في الدولة العثمانية(٢١) على ان فرنسا بقيت فترة غير قصيرة تتمتع هي الاخرى، بمركز مهم في العراق بسبب البعثات التبشيرية، والمؤسسات الدينية التي انشأتها في البصرة وبغداد • وقد كان أسقف بابل يشغل كرسيه الاسقفي، مع منصب القنصل الفرنسي، في الوقت ذاته • وكان الموظفون الفرنسيون القنصليون في بغداد والبصرة نشطين، ولهم بعض البروز المحلي • وعلى هذا اصبح مسموحا للتاجر الفرنسي ان يقوم بالمتاجرة في طول البلاد العثمانية وعرضها، بينما لم يكن مسموحا بذلك لغيره من تجار الممالك الاخرى الا

---

(٢١) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٨٣ •

في ظل (الحماية) الفرنسية • ثم في العقد التاسع من ذلك القرن حدث ان حصلت انكلترا على أقدم امتيازاتها في الدولة العثمانية ، وكان ذلك بواسطة وليم هاربورن ، على الرغم من دسائس المسيو دي جرميني ، السفير الفرنسي في القسطنطينية وعند ذلك حل الانكليز محل الفرنسيين في الحضوة لدى الباب العالي طيلة العقدين الاخيرين من القرن السادس عشر •

على ان الفرنسيين تمكنوا في نهاية القرن من استرجاع ارجحيتهم المفقودة ، وحصلوا سنة ١٦٠٤ على تأييد امتيازاتهم الاولى[٢٢] ، فتأكدت بذلك ضرورة (الحماية) الفرنسية لتجارة الممالك الاخرى ، باستثناء تجار البندقية وانكلتره • وفي هذا الدور الذي أوشكت الامبراطورية العثمانية ان تصبح فيه ميدانا للتنافس الانكليزي ـ الفرنسي حدث ذلك التبدل الخطير الذي ادى الى المتاجرة بين الغرب والشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح بدلا من طريق الدولة العثمانية • وعلى هذا انتقلت المنافسة الانكليزية ـ الفرنسية في الشرق الى الميدان البحري الجديد •

وفي سنة ١٦٧٩ تعين رئيس الكرملية في البصرة (وهو رجل ايطالي)، قنصلا فرنسيا في هذه المدينة • غير ان ممثلي فرنسا وممثلي انكلترا ايضا لم يكونوا حينذاك يقومون بوجائب مهمة ، وكانوا الى ١٧٤١ تحت رحمة الحاكم هناك على حد سواء[٢٣] • وفي سنة ١٧٥٥ أصبحت (دار الاقامة) الفرنسية في البصرة مؤسسة دائمية ، وعين لها قنصل فرنسي بعد ذلك بعشرين عاما • اما منطقة الصراع بين بريطانيا وفرنسا في سبيل التجارة والمستعمرات فانها كانت في المحيط الهندي وحواشيه ، وكان ذلك ابان

---

(٢٢) زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى سنة ١٩١٤ ، ص ٥٨ـ٥٩ •

(٢٣) Longrigg Faur Centuries of Modern Iraq, p. 157.

حروب أوربية شهيرة ، ، هي حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ - ١٧٤٨)، وحرب السبع سنوات (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ، وحرب الاستقلال الامريكي (١٧٧٥ - ١٧٨٣) ، وما اظهرته من تفوق بريطانيا البحري أثر بليغ في توجيه افكار الفرنسيين الى ايجاد طرق برية ملائمة تصل ما بين سواحل البحر المتوسط الشرقية والهند ، حتى انه على أثر ذلك بدأوا البحث في امكان انشاء قناة السويس غير ان الامل في نجاح الفرنسيين عاجلا ظهر عند اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، في محاولتهم السيطرة على مصر وساحل البلاد العربية والتحالف مع المملكة الفارسية . وعلى هذا أشتدت الحركات الفرنسية خلال العقد الاخير من القرن الثامن عشر ، لا في منطقة عمان فحسب بل في مناطق الشرق الاوسط كافة ، وحتى بعض جهات الشرق الادنى ، هذا بينما كان النفوذ البريطاني يتضاءل باطراد تجاه ذلك . وما ان نشبت الحرب بين بريطانيا وفرنسا الثائرة سنة ١٧٩٣ ، حتى أخذت هجمات الفرنسيين تزداد شدة على السفن البريطانية في أرجاء المحيط الهندي . وكان من تعاظم غنائمهم انها غمرت اسواق عمان، وظهر البعض منها للبيع ثانية في كلكته ، محل تصديرها الاول(٢٤) .

غير ان الشيء الجديد الذى ظهر في السنين العشر الاخيرة من القرن الثامن عشر لم يكن يتمثل في تلك الغارات البحرية المتعارفة على الرغم من شدتها ، وانما كان يتمثل فيما يدعي بـ (البعثات) الفرنسية ، التي أخذت تتوافد على بعض الجهات غربي آسيا لاغراض علمية وسياسية ، في سبيل اعلاء شأن الامة الفرنسية بوجه من الوجوه . ولقد كان من نتائج تلك البعثات اقلاق بال الانكليز ، غير ان نتائجها في الحقل الاقتصادي والسياسي

(٢٤) انظر كوتلوف ، الثورة التحررية الوطنية العراقية سنة ١٩٢٠ ، ص ١٤ .

لم يكن شيئا مذكورا • وكان ابرز تلك البعثات التي تعهدتها الحكومة الفرنسية ، قام بها عالمان من علماء الطبيعة ، هما بروغير واوليفير خلال المدة ١٧٩٣ - ١٧٩٨ • ولكم تخوف من هذه البعثة المقيمان البريطانيان المعاصران لها في بوشهر وفي البصرة ، ظناً منهما ان العالمين الفرنسيين كانا يرومان « التغلغل عن طريق بغداد فبلاد فارس فالهند »[٢٥] • غير ان المغامرين الفرنسيين لم يقوما الا بزيارة تركيا ومصر ، وكانت طهران اقصى ما وصلاه شرقا ، وكان وصولهما اليها سنة ١٧٩٦ ، عن طريق حلب فبغداد • وفي الاشارة الى هذه البعثة ذكر اوليفير نفسه انها كانت « ذات اهمية قصوى »[٢٦] ولكن البعثة هذه ، على الرغم من تعهد الحكومة الفرنسية لها ، وتأكيد اوليفير لاهميتها ، وتخوف الانكليز من خطرها ، لم تكن لها خارج الحقل العلمي اهمية تذكر • فبالدرجة الاولى ، وهو ما قد يصدق على غيرها من البعثات ، لم تكن اعمالها تستند الى أساس وخطة مرسومة ، حتى ان زيارتها لفارس ذاتها حدثت نتيجة لفكرة متأخرة • وكانت خلاصة زيارتها للبلاد العثمانية تحبيذها للحكومة الفرنسية للقيام باحتلال مصر ، وهذا ما كان نابليون على وشك القيام به فعلا اما في البلاد الفارسية فلقد فشلت في محاولاتها استعادة معامل مهجورة ، واقامة اخرى جديدة ، وفي سعيها للحصول على شيء من الامتيازات • ولم تكن بأقل من ذلك اخفاقا في محاولتها اغراء الحكومة الفارسية بالتكاتف مع تركية في وجه الدولة الروسية • ولكن العاصفة كانت على وشك ان تعصف ، فبينما كانت (البعثات) تعكر صفو الانكليز ، وتلك الغارات البحرية تشدد في ازعاجهم ، قام نابليون بونابرت بحملته الشهيرة على مصر ، فبلغت اعمال فرنسا خلال

---

(٢٥) Wilson, op. cit. p. 190.

(٢٦) نعيم ابراهيم زبيدة ، ثورة العراق ، ص ١٠٧ •

العقد الاخير من القرن الثامن عشر ذروتها ، ودخلت المنافسة البريطانية ـ الفرنسية في أعنف ادوارها(٢٧) • وما كان اهم عصر نابليون في تاريخ الشرق ، لا لما حفل به من حوادث فحسب ، بل لما كان لتلك الحوادث من نتائج بعيدة الغور أيضا •

ولقد كان لموقف بريطانيا في وجه تلك الصدمة النابوليونية الاولى من النجاح الباهر ما يدعو الى الاعتقاد بان ارجحية النفوذ البريطاني في الشرق الاوسط كافة أنما تأصلت منذ نهاية القرن الثامن عشر • ولكن الحقيقة ان تلك الارجحية البريطانية لم تتأصل الا بعد ذلك بعشر سنين مترعة بالحوادث الجسام •

ووجد القنصل الفرنسي في العراق في توتر العلاقات بين نجيب الوالي العثماني في بغداد وورولنسون قنصل بريطانيا في العراق فرصة لكسب ثقة نجيب والتعاون معه في توهين النشاط البريطاني فظهرت المقالات العديدة باقلام فرنسية في صحيفتهم Journal de Constantinople ـ التى تصدر فى الاستانة ـ تمدح موقف نجيب من الانكليز • على ان الموقف السياسي الدولى كان يتحكم في معظم الاحيان في العلاقات الخارجية لوالي بغداد • فقد كانت حكومة الاستانة واقعة تحت ضغط بريطاني شديد متواصل كان يمنعها فى كثير من الاحيان من أن توقف نمو المصالح البريطانية في ولايتها ، رغم المجهودات التي كانت تبذل فى سبيل الوصول الى هذا الهدف • وكانت الدولة العثمانية غالبا ما تتراجع امام المطالب البريطانية ولذلك لم يستطع نجيب ان يمنع رولنسون من التدخل في أمور الولاية • ومن حسن حظ الانكليز في العراق

---

(٢٧) Admiralty, war staff : 9 Handbook of Arabia, 2 vol., London, 1916 — 1917.

ان الحكومة الفرنسية ـ بعد ثورة ١٨٤٨ ـ لم تعن بأمر العراق الا قليلا • ولم تلبث هذه الحكومة ان اصدرت قرارا فى ١٨٤٨ بالغاء القنصلية الفرنسية في الموصل وتحولت القنصلية الى مجرد مقيمية • وتولى مصالح الفرنسيين في العراق وكيل سياسي بيد انه كان من اهل البلاد • وما كان لامثاله ان ان ينجحوا فى مراقبة النشاط البريطاني ومقاومته بالدقة نفسها التي كان يقوم بها الممثلون الدبلوماسيون الفرنسيو الاصل ، ولكن صادف ان احتدم النزاع بين المنقبين الفرنسيين والانجليز الذين وفدوا الى العراق بحثا عن الآثار •

وادت هذه المنافسات الى ان تعيد الحكومة الفرنسة النظر في قرارها الخاص بالغاء القنصلية الفرنسية في الموصل وعادت الى افتتاحها وعين بها قنصل فرنسي في ١٨٥١ وهو أحد علماء الآثار الفرنسيين • مما يؤكد لنا ان النشاط السياسي الفرنسي في العراق كان في مرتبة اقل لدى الفرنسيين من التنقيب عن الآثار مما اضطر فرنسا الى تقوية تمثيلها الدبلوماسي في امراق بعد ذلك(٢٨) •

غلبة النفوذ البريطاني واتساعه

ولكن من الملاحظ ان النفوذ البريطانى كان اعمق اثرا واكثر توغلا من النفوذ الفرنسي في هذه الفترة وكان للشركات البريطانية شأن عظيم فى مؤازرة (سلمان باشا) في التغلب على خصومه سنة ١٧٨٠ م وحصلت نتيجة ذلك على منافع أقتصادية واضحة ، وبقي هذا الوالي يذكر الجميل للانكليز ، وصار للمقيم البريطاني في بغداد شأن في توجيه سياسته الداخلية عن طريق التوجيه والنصح للوالي ، والتوغل الشعبي بين العشائر وفي المدن

---

(٢٨) عبدالعزيز نوار ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ •

على حدسواء • وبهذا النفوذ العظيم استطاعت بريطانية ان تقضي على النفوذ الفرنسي والمؤامرات النابليونية ، حتى اصبحت بغداد سنة ١٨٠٢ م من اهم المراكز للنفوذ البريطاني ، وازدادت صلة العراق بالهند • وقد اصبح ممثلو بريطانية في العراق وكأنهم ممثلون سياسيون لدى دولة مستقلة لا مقيمون أجانب في جزء من الدولة العثمانية،حتى ان نشوب الحرب بين تركية وانكلترة في اوربا سنة ١٨٠٧ ـ ١٨٠٩ لم يؤثر على العراق ، وبقي فيه الممثلون البريطانيون مكرمين دون ان يمسوا بسوء• وفي ١٨٣٠ بدأت المصالح البريطانية في العراق تأخذ شكلا جديدا ، فقد جاءت بعثة عسكرية من الهند لتدريب الجيش في العراق ، وكان قبل ذلك قد جاء الى العراق بعض الاطباء البريطانيين للعمل فيه • ومن الملاحظ ان العراق في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر ، اصبح موئلا لعدد كبير من الاجانب (بريطانيين وغيرهم) دخلوه بأسم التجارة ، او الفن او اللجان الدولية لاداء بعض المهام ، كتسوية الحدود بينه وبين ايران • واصبح لبريطانية مركز سياسي مرموق، وتحول القنصل البريطاني (التاجر) في القرن الثامن عشر الى (مقيم سياسي) في القرن التاسع عشر • وبينما كان الاول يطالب بحرية التجارة وتيسيرها ، صار الثاني يدعي بالامتيازات السياسية ، وربما نوعا من انواع الحماية غير المعلنة(٢٩) •

وقد ادرك اللورد منتو (الحاكم العام في الهند) أهمية ما قام به هارفورد جونز من مفاوضات مع حكومة فارس ومن عقد معاهدة تمهيدية معها ، واصبح على استعداد لقبول هذه المعاهدة بعدما بدر من معارضة لها واستيائه من بعثة جونز برمتها ولا ادل على تقديره للموقف الجديد مما

---

(٢٩) عبدالرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٤٦ •

ورد في كتابه الى جون مالكولم المؤرخ في تموز سنة ١٨٠٩ م ، حيث يقول « ونظرا لتلك العلاقات فقد تخلت فارس عن حلفها مع فرنسا وسحبت وزيرها من باريس - وطرد الشاه سفير فرنسا - والخلاصة انـــه أثار استياء وغضب اقوى عاهل في العالم • فليس ثمة مجال والحالة هذه ، ان نقول للشاه بأن السر هارفورد جونز تعدى التعليمات التى كان مقيدا بها، وان صلاحياته في المفاوضة والاتفاق عرضة لمصادقة ليست متيسرة »[٣٠] •

ولقد قبل اللورد منتو بتلك المعـــاهدة التمهيدية على أساس ان يقوم هو بتعيين من يشرف على تنفيذها • وعلى هذا فأنه خاطب جون مالكولم فى كتابه المشار اليه قائلا : «انما هو انت» الذى سيقوم بهذه المهمة الخطيرة• وتم فعلا تعيين مالكولم لهذاالغرض فتوجه في كانون الثاني سنة ١٨١٠ م الى بلاد فارس للقيام بما كانت في الواقع بعثته الى لندن حيث كانـــــت الحكومة البريطانية نفسها قد تعهدت العلاقات الدبلوماسية بالدولة الفارسية • وعندئذ اصبح ابو الحسن خان ممثل الشاه في البلاط الانكليزي خـــلال المدة (١٨١٠ - ١٨١١) ، وكان جيمس موريى هو الذى اصبح بعـــــد ذلك سفير بريطانيا في طهران ، وقد صحب الممثل الفارسي الى لنــــدن ذهابا وايابا • وكان الغرض الرئيسي لهذه البعثة الفارسية معرفـة مقـدار المنحة السنوية المقرر دفعها للشاه بموجب المعاهدة التمهيدية ، ومعرفـــة طريقة دفعها له • على ان المنافسة بين مالكولم وجونز كانت في الحقيقة منافسة بين حكومة لندن وحكومة الهند حول السيطرة المباشـــرة على العلاقات البريطانية بالدولة الفارسية • ولم تدخر حكومة الهند وسعها في سبيل نيل غايتها ، غير ان الحكومة البريطانية نفسها عازمة على السيطرة، وبذا خبرت جونز ، فقام هذا بابلاغ الامر الى مالكولم في اليوم الثانى من

---

(٣٠) زكي صالح ، موجز تاريخ العراق ، ص ٩٣ •

شهر تموز . وعلى أثر ذلك قامت وزارة الخارجية البريطانية باستبدال جونز بالسر غور اوزلي ، واودعت في يد السفير الجديد رعاية جميع العلاقات البريطانية ـ الفرنسية ـ فاصبح هذا الترتيب متبعا منذ ذلك الحين . وسرعان ما ادرك مالكولم عبث الاستمرار في محاولاته ، فاخبر اللورد منتو بحقيقة الحال ، وقفل راجعا في غضون شهر واحد . وعندئذ اصبح المجال مفتوحا لقيام ممثل حكومة لندن بمهمته دون عرقلة من جانب حكومة الهند . وكانت مهمة السر غوراوزلي الكبري تنحصر في عقد « معاهدة » لتحل محل (المعاهدة التمهيدية) المنعقدة قبل ذلك بمدة سنة تقريبا . وجرت على الاثر مفاوضات مسهبة اسفرت عن معاهدة جديدة كان التوقيع عليها في طهران بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٨١٢ ، فكانت نافذة المفعول منذ يوم انعقادها على شرط ان تعرض على الحكومة في لندن للمصادقة النهائية . فلما عرض النص على هذه الحكومة وافقت عليه باصلاح طفيف ، وتم عندئذ انشاء « معاهدة صداقة وتحالف نهائية » كان التوقيع عليها في طهران بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨١٤ على يد جيمس موريير الذي اصبح سفيرا في طهران ، وناب عن حكومته في التوقيع على النص الاخير[٣١] .

ظهور الخطر الروسي واستقرار النفوذ البريطاني

وبعد ان استقام نفوذ بريطانية في العراق على الوجه الذى بيناه ، وانفردت به دون سواها من الدول الغربية زهاء ثلث قرن ، تجلى من الشرق خطر جديد وهو ان روسيا سيرا وراء سياستها في السيطرة على مياه دافئة ، كانت تطمع في الوصول الى جنوب ايران ، وتود لو أنها بلغت

(٣١) زكي صالح ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

الهند (بلد الاحلام) وقد ازدادت مخاوف بريطانيا من روسيا بعد ما أشيع في العالم ما زعم انها وصية بطرس الكبير والتي قيل انه جاء فيها : « اعلموا ان تجارة الهند انما هي تجارة العالم ، وأن من يستحوذ عليها دون غيره يصبح سيد أوربا ، فلا تضيعوا فرصة لاثارة الحرب على الدولة الفارسية وتعجيل اضمحلالها والتقدم في الخليج الفارسي والعمل على احياء تجارة الشرق القديمة عبر بلاد الشام»(٣٢) • ومع ان هذه الوثيقة مختلقة فقد كان لها اثر كبير على الرأي العام البريطاني وكان لحرب القرم سنة ١٨٥٤ - ١٨٥٦ ، والحرب التي حدثت بعدها بين تركية وروسيا سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م أثر بليغ في حمل البريطانيين على الاعتقاد بأن قياصرة روسيا جادون في تحقيق ما انطوت عليه تلك الوصية المزعومة • ان بعض المؤرخين البريطانيين اعتبرها صحيحة وليست موضوعة • فهذه الشائعات من جهة ، وقيام روسيا في أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر بالتدخل حربيا في شؤون ايران والدولة العثمانية من جهة اخرى، قد ضاعفت من قلق بريطانيا ، وجعلتها تميل ، في فترة من الزمن ، الى مناصرة العثمانيين ضد الروس ، ابقاءاً على « الرجل المريض » ، وحفظا للتوازن الدولي • وكانت المنافسة البريطانية ـ الروسية في الشرق الادنى والاوسط قد ابتدأت حوالي سنة ١٨٣٠ ، وترعرعت بسرعة هائلة خلال العقود الستة التى تلت ذلك ثم خمدت في اواخر القرن ، ادخلت محلها منافسة جديدة (بين بريطانيا والمانيا) وكان للمنافسة البريطانية الروسية التي نحن بصددها آثار بعدة الغور ، واسعة النطاق ، في مجموعة اقاليم مرصوفة ما بين شرقي اوربا وحدود الهند الغربية • فما كان من آثارها في معظم اجزاء الامبراطورية العثمانية ، اى فى الشرق الادنى اجمالا ،

---

(٣٢) Boulger, England and Russia in Central Asia II p. 339 - 340.

أشارت اليه باسهاب اقلام طائفة متنوعة من الكتاب • وحتى ما كان من آثارها في فارس والافغان ، والاقاليم الصغرى على جانبي بحر خزر ، حظيت بقسط لايستهان به من عناية الباحثين العرب في موضوع المنافسة بين بريطانيا وروسيا(٣٣) •

وكلنا يعلم بأن السياسة الاستعمارية الحديثة التي اقدمت عليها روسيا في الشرق الاوسط ، هي تلك التي اقلقت بريطانيا ، وادت الى ما نشب بين هاتين الدولتين من تنافس • غير اننا لانكاد نجد من يعرف متى ابتدأ هذا التنافس حقيقة • فالمؤرخ (د• س• بولفر) وهو على ما يظهر العالم الوحيد الذي حاول الاجابة على هذا السؤال ، يؤكد بأنه «لم تكن ثمة منافسة بين بريطانيا وروسيا قبل التوقيع على معاهدة كولستان» ونحن اذا ما قبلنا هذه الدعوى فاننا لا نستطيع مطلقاً قبول دعواه في الاشارة الى ان تلك المعاهدة الروسية ـ الفارسية المنعقدة عام ١٨١٣ ، كانت دليلاً على (•ولادة) التنافس الذي نحن بصدده • ان الانتصارات التي أحرزها الاسكندر قيصر روسيا حتى عام ١٨١٣ على فارس ـ وعلى تركيا ايضا ـ لم تثر أي استياء في نفس بريطانيا • فلقد كانت بريطانية مشغولة بمكافحة نابليون ، راغبة في استمالة روسيا الى جانبها ، كما أنها لم تكن شاعرة بأي خطر في تلك الانتصارات الروسية • وأنها فيما عقدته من معاهدة تحالف مع فارس ، عام ١٨٠١ ، تجنبت الوعد بتقديم أية مساعدة الى حليفتها في حالة اعتداء روسي عليها • فعندما حدث الاعتداء فعلا بعد عقد المعاهدة باربع سنوات ، وقفت بريطانيا على الحياد تاركة الفرس ومصيرهم • ولم يكن جون مالكولم ، وهو من اساطين السياسة الانكليزية في تلك الربوع يطمح الى اكثر من ايجاد نوع من التفاهم بين الدولتين

---

(٣٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٧٠

الروسية والفارسية ، ولم يكن يدري بما يجب ان تقوم به بريطانيا اذا ما رفضت روسيا التفاهم المنشود • ولقد شعرت روسيا منذ البداية ان المانيا لاترغب فقط في زيادة وتقوية علاقاتها الاقتصادية مع الامبراطورية العثمانية ، بل انها تريد في الواقع إكتساب مناطق نفوذ المانية في تلك الامبراطورية حسب مفاهيم نظرية او خطة التوسع الالماني نحو الشرق (Drang Nach Osten) الامر الذى يعرقل مساعي روسيا من أجل تحقيق اطماعها في الوصول الى المياه الدافئة على الخليج العربي والبحر الابيض المتوسط ورأت روسيا في مشروع سكة حديد بغداد مانعا يحول بينها وبين الوصول الى تلك الاهداف •

وللاعتبارات الحربية كذلك أثرها في تقرير سياسة العداء الروسي حيال مشروع السكة منذ بدء المناداة به • فان روسيا كانت تعارض اى تطوير حديث في وسائل النقل والمواصلات في الامبراطورية العثمانية، محتجة بأن طرق المواصلات والنقل الحديثة يمكن ان تستعمل في يوم ما ضد روسيا نفسها في حالة قيام نزاع مسلح بينها وبين تركيا • وهكذا عارضت روسيا مشروع سكة حديد بغداد منذ اعلان السلطان عبدالحميد عن رغبته في اعطاء المصالح الالمانية امتيازاً لمد السكة أي منذ عام ١٨٩٩ تقريبا ، فقد شنت الصحف الروسية في تلك الاونة حملة شديدة ضد المشروع واصفة اياه بالتصرف غير الصديق من جانب المانيا وبكونه مؤثرا على المصالح الاقتصادية لروسيا في المنطقة ، ووصف المشروع كذلك في روسيا بكونه منافسة خطيرة لمشاريع السكك الحديدية الروسية في القوقاس وللمشروع الروسي لسكة حديد ايران بل وحتى لمشروع سكة حديد عبر سيبريا • والى جانب ذلك فأن تحقيق فكرة ربط مشروع سكة حديد الانضول بسوريا تضرب في الصميم الحلم الروسى الخاص بمد سكة حديدية من أرمينيا الى الاسكندرونة لتكون واسطة لربط روسيا بالمياه الدافئة

بصورة مستمرة طوال أيام السنة • أما القسم الخاص بوادي الرافدين من مشروع سكة حديد بغداد ، فقد اظهرت روسيا معارضتها له لانه يفتح ـ كما رأت ـ أمام الاقتصاد الالماني أبواب اسواق الخليج العربي وايران وحتى افغانستان ويضع حقول النفط الغنية في العراق تحت تصرف المانيا مما يشكل ضربة لحقول النفط الموجودة في جنوب روسيا[٣٤] • ويظهر جليا ان هناك عوامل ثلاثة تضافرت على توطيد النفوذ البريطاني في العراق : اولها قيام روسيا خلال سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ باحتلال بعض المناطق الايرانية والعثمانية كما اسلفنا مما حمل على تعزيز نفوذها في هذه البقاع من بلاد الشرق الاوسط درءا لخطر النفوذ الروسي الذي اخذ يتجسم امام ناظرها[٣٥] • وثانيها : قيام بعض الانكليز باجراء تجارب واسعة لاتخاذ نهر الفرات وسيلة سهلة ، وطريقا مختصرا ، الى الهند • فقد انزل (جسني) سفينتين جاء بهما الى نقطة على ساحل البحر الابيض الشرقي في سورية • وبعد أن جرهما نقلهما برا الى الفرات ، وركبهما وانزلهما فيه ، وانحدرتا مع التيار • ولكن سرعان ما اغرقت عاصفة هوجاء احداهما ، واستطاعت الثانية ان تصل الخليج بعد جهد جاهد ونصب عظيم • وقد مكنت الرحلة لتلك الشخصية البريطانية المغامرة فرصة دراسة وادي الفرات من جميع النواحي ، بما في ذلك جمع معلومات طريفة عن العشائر القاطنة على ضفتي الفرات ، ووضع مخطط دقيق للنهر وروافده • وكانت تلك المخططات قد اعتمد عليها الجيش البريطاني عندما احتل العراق ، في الحرب العالمية الاولى[٣٦] • وقد

(٣٤) لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، ص ١٧ •

(٣٥) عبدالرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص٤٩ •

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٤٠ •

مهدت هذه الرحلة لانشاء شركة نقل بريطانية صار لها شأن عظيم فيما بعد في تاريخ العراق الحديث ، وهي معروفة بـ « بيت لنج » • وثالثهما : انتهاء حكم المماليك في العراق ، وعودته من جديد الى الارتباط الفعلي بالباب العالي ، وقد مكن هذا الوضع السياسي لرجال الدبلوماسية البريطانية في الاستانة من الحصول على امتيازات لرعاياهم في العراق عن هذا الطريق مباشرة(٣٧) •

وهكذا نجد النفوذ البريطاني في العراق في مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر اصبح من الوضوح والجلاء بحيث نجد (جسني) نفسه يقول في تقريره الرسمي الذي كتبه في بغداد ، ورفعه الى حكومته : « ان نفوذنا سائد ومهم الآن في الباشوية » • ويحسن بنا أن نقول كلمة مبسطة عن شركة « لنج » تلك الشركة التي يصح اعتبارها ـ لحد ما ـ بالنسبة للعراق بمثابة شركة الهند الشرقية بالنسبة للهند • فقد ألف هذه الشركة « هنري لنج » بعد ان أغرى اخاه وبعض أفراد اسرته على التعاون معه في انشاء شركة للنقل في نهر دجلة • وقد عرف «هنري لنج» الشيء الكثير عن حوض هذا النهر ، وقام بمسحه ، وتخطيطه ، ودراسته من الوجوه الفنية العديدة الاخرى وادرك صلاحه للنقل النهري ، كما أنه تنبأ بما سيكون للعراق من مستقبل تجاري يصبح النقل البحري من اهم وسائله واربحها وكان « هنري لنج » الساعد الايمن لـ« جسني » في مغامراته الفاشلة في الفرات وبقي في العراق بعده ليتم دراسته ، وخططه الى ان انشأ شركته العتيدة ، التي اصبحت بعد فترة قصيرة من الزمن ، من اربح الشركات ، وكانت على صلة وثيقة بشركة الهند الشرقية • ولم تزل شركة لنج حتى اليوم تعد من كبريات الشركات البريطانية في

(٣٧) انظر زكي صالح ، منشأ النفوذ البريطاني فيما بين النهرين ، ص ١٣١ •

العراق وتقوم بالاضافة الى النقل النهري ـ وقد ضعف اخيرا ـ باعمال تجارية عديدة ، وتتولى خاصة استيراد معظم المكائن الزراعية التي زاد استهلاكها بصورة مستمرة في العراق[٣٨] .

وبالاضافة الى النفوذ التجاري والاقتصادي المتزايد فقد سعى البريطانيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الكشف عن سبل جديدة ينجوا منها في شؤون العراق الداخلية ، فأنشئت مثلا دوائر بريد (بريطانية ـ هندية) في بغداد والبصرة ، وبقيت هذه الدوائر تمارس اعمالها عشر سنوات دون معارضة رسمية الى ان اشتركت الحكومة العثمانية سنة ١٨٧٨ في اتفاقية الحكومة العثمانية لايصال خط ـ اسكدار ـ بغداد باتجاه الهند وعلى ذلك ارسلت حكومة الهند خبيرا لدرس سواحل الخليج بقصد مد اسلاك بحرية تتصل في الفاو بأسلاك برية تربطها بالخط التركي ببغداد ، وقد تم هذا العمل سنة ١٨٦٩[٣٩] . وعلى العموم نجد ان بريطانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تعني بالعراق بصورة خاصة ـ بالاضافة الى النواحي الاقتصادية الكامنة فيه في ناحيتين ـ :

اولاهما : بوصفه طريقا مائيا يمكن ان يقصر المسافة بين انكلتره والهند ، ويخفف الجهد والمخاطر التي كانت تتعرض لها السفن البريطانية بدورانها حول افريقيا والرجاء الصالح ، ولهذا تكررت محاولاتها وتجاربها في نهر الفرات ، عارضت في مشروع قناة السويس عندما بدأ المهندس الفرنسي « فردنان دي لسبس » يدعو له ، باعتباره مشروعا فرنسياً أولا ، ثم على اعتباره قد يضيع أو يقلل من أهمية وادي الفرات التي بنت عليه بعض الشركات والبيوت التجارية الانكليزية بارق الآمال

---

(٣٨) Hoskins, British Routes to India p. 301.

(٣٩) انظر عبدالفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ص ٤٠ .

والملاحظ ان بريطانية لم تتخل نهائيا عن هذه الفكرة الا بعد ان تم لهـا الاستيلاء على قناة السويس بشرائها اسهم الخديوي اسماعيل ، وفتحهـا بذلك بابا للتدخل في شؤون مصر الداخلية •

وثانيهما : باعتبار العراق مركزا لمد خطوط السكك الحديدية التي توصل اوربا بالخليج • وبسبب المنافسة في أنشاء السكك الحديد في العراق خاصة بدأ تصادم المصالح البريطانية والالمانية كما سنرى •

نزول المانيا للميدان الشرقـــي

ان الصراع الالماني في الشرقين الادنى والاوسط يكون صفحة مهمة في تاريخ العراق الحديث ، اذ من المعلوم بان المانيا بعد ان تمت لهـــا وحدتها على يد السياسي المحنك الامير «بسمارك» كانت تطمح الى اسواق لمنتوجاتها ، ومناطق لتوغل نفوذها • وكانت سياسة ذلك الشيخ المجرب ترمي الى الاكتفاء بالتوسع في اوربا دون منافسة انكلترا في الشـــــرق وازعاجها • ولكن الملك الناشيء (غليوم الثاني) ما كان ليرضى عن تلك السياسة فأبعد بسمارك عن مقاليد الامور ، وبدأ بسياسته التي صارت تعرف فيما بعد بسياسة (الاندفاع نحو الشرق) • ولا شك بأن بريطانية لـــم تكن لتعارض بشدة التوسع الالماني في الدولة العثمانية في البداية ، بـل لعلها كانت تجد في المانيـا حليفـاً يساعدها على القضاء على نفوذ الروس ومطامحهم ، وهي كذلك ، من دون شك ، قد وجدت في المانيا المتحـدة الناهضة وسيلة للحد من طغيان النفوذ الفرنسي في القارة الاوربية • ولكن النفوذ الالماني لدى الباب العالي ، وزيارة الامبراطور «غليوم الثاني» للشرق وتأييده للوحدة الاسلامية ، وموقف الالمان من بريطانية بعـد حـــرب (البوير) في مطلع القرن العشرين ، هذه العوامل وغيرها جعلت الانكليز يفكرون مليا في أمر هذا الخصم العنيف الجديد • وعندما شاع سنـــة

١٩٠٣ بأن سكة حديد ستمتد من اوربا الى الكويت ، وان روسيا هي صاحبة الامتياز اعلن « اللورد لونسدون » تصريحه المشهور الذى القاه في ٥ مايس سنة ١٩٠٣ جاء فيه : « اننا نعتبر تأسيس اى دولة اخرى قاعدة بحرية او ميناء محصنا في الخليج العربي تهديدا خطيرا لمصالح بريطانية، ومن واجبنا ان نعارض ذلك بكل ما لدينا من وسائل »[٤٠] • وقد دفعت هذه الشائعة ببريطانيا لعقد اتفاقية جديدة مع شيخ الكويت ، حددت بها تصرف الامارة بأملاكها •

سكة حديد برلين بغداد

بدأت الدول الاوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تجد في انشاء خطوط سكك الحديد في بلادها والبلاد الاخرى • وكانت الامبراطورية العثمانية حقلا مناسبا لاستغلال رأس المال الاوربي وايجاد وسيلة جديدة لتقوية النفوذ الغربي عن هذا الطريق • وقد حاول البريطانيون ان يمدوا سكة حديد من الاسكندرونة وتصل الفرات بعد ان تمر بحلب وتستمر بعد ذلك الى دجلة ومنه الى بغداد[٤١] • وقد جرت عدة تحويرات على هذا المشروع • ولكن اللورد (بالمرستون)عارض فيه وخذله • وفي هذا الاثناء نما النفوذ الالماني نموا مطردا في الدولةالعثمانية، وقامت شركة المانية اخرى ببناء خطوط واسعة في تركية • ثم استطاع الالمان في مطلع القرن العشرين ، الحصول على امتياز لانشاء خط يصل الاستانة ببغداد ، وهذا الخط هو الذي صار يعرف فيما بعد بخط برلين ـ

---

(٤٠) عبدالرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص ٥٤ •
(٤١) كتب عن سكة حديد برلين ـ بغداد بتوسع الدكتور لؤي بحري في كتاب (دراسة في تطور دبلوماسية سكة حديد برلين بغداد حتى عام ١٩١٤) والذي صدر في بغداد سنة ١٩٦٧ •

بغداد ، لان الاستانة كانت متصلة ببرلين بخط سكة الحديد ، وكان مقررا أن يمتد الخط من بغداد حتى يصل البصرة والكويت ، وكان قد سبق موافقة السلطة العثمانية على انشاء هذا الخط عدة امور منها وعد الدولة العثمانية شركة سكة حديد الانضول بأن يكون لها الارجحية على غيرها من الشركات في منح الامتياز للخطوط الجديدة في الدولة العثمانية. وبذلت الشركة لذلك جهودا كبيرة ، وصرفت مبالغ طائلة ، في مسح الاراضي التي يمر بها المشروع في آسيا الصغرى وسورية والعراق . وقد كان هذا الخط يحقق مرامي سياسة الدولة العثمانية التجارية ويربط مدن الامبراطورية الكبرى بعضها ببعض . وهو من دون شك مفضل على المشاريع الاخرى التي تقدمت بها الجهات الانكليزية من قبل[٤٢] .

على ان اختيار السلطان عبدالحميد للالمان ، وتفضيلهم في منح هذا الامتياز لم يكن يخلو من مآرب سياسية ، لان امبراطور ألمانيا كان على العموم يساند سياسة الخليفة العثماني ، وكان الشعب الالماني الشعب الاوربي الكبير الوحيد الذي ليس بينه وبين الدولة العثمانية ما يثير العداء ، لان كلا من روسية وانكلتره وفرنسا كانت تحكم الملايين من المسلمين، وكانت لذلك موضع نقمة الشعب الالماني . وطبيعي ان يتلقى الشعب الالماني صدور الارادة الشاهانية سنة ١٩٠٢ بمنح (شركة سكة حديد الانضول) امتياز سكة حديد بغداد بغبطة وامتنان . وقد أبرق قيصر المانيا يشكر السلطان على ذلك ، ويثني عليه ، وكتبت احدى صحف النمسا شبه الرسمية تقول : « اقامة هذه السكة ستكون من الحوادث العظيمة الاثر ، وسيكون للسكة اثر كبير في تنمية قوة تركية الدفاعية »[٤٣].

(٤٢) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٤٣) عبدالفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ص ٧٨

وقد قوبل هذا الخبر ببعض الارتياح في فرنسا ، ولكن الرأي العام في انكلترة قد قابله أول الامر بسرور ، وقد قال (الايرل برسي) في مجلس العموم بهذه المناسبة : « ان المانيا تعمل بتركية ماتعمله انكلترة في بلاد فارس لاصلاح الحالة وترفيه اقتصاديات البلاد ، وان النزاع بين هذه السياسة (التيتونية) وبين السياسة (السلافية) التي تشجع الخمول والتأخر ستعود على الاولى ـ انكلترة والمانيا ـ بالانتصار مادامت على عكس سياسة روسيا بعيدة عن الاثرة وحب الذات » ولكن سرعان ما تغير موقف انكلترة تجاه هذا المشروع فتحولت من تأييد الى سكوت ، ثم الى معارضة • وعلى الرغم من طلب الشركة الالمانية من اصحاب رؤوس الاموال البريطانية والفرنسية المساهمة بهذا المشروع الكبير فأن شيئاً من ذلك لم يحدث فعلا ، على الرغم من تصريح رئيس وزراء بريطانية حينذاك المستر بلفور من ان بريطانية تشجع رؤوس الاموال البريطانية على المساهمة في هذا العمل الخطير • وكان لايرى للمعارضة فائدة ، ويعتقد بنجاح المشروع ، وان من مصلحة انكلترة أن تكون نهايته في (الخليج العربي) في املاك شيخ هو تحت الحماية البريطانية ولكن بلفور قد اضطر تحت تأثير الصحافة والمعارضة ، ان يتراجع ويسحب تأييده للمشروع ويعترف بأنه لايضمن مصالح بريطانية •

ولا شك ان معارضة بريطانيا ترجع لاسباب عسكرية ، لانها لم تكن تريد ان يكون لاى دولة معظمة نفوذ في بلاد الرافدين والخليج لان ذلك يهدد مصالحها في الهند • يقول الاستاذ (هنري فوستر) في كتابه (تكوين العراق الحديث) : « لم تكن المنافسة الاقتصادية بين الدول هي التي أدت الى هذا الوضع بقدر السمعة والحدود والجيوش والاساطيل وتوازن القوى والتحول المحتمل في المحالفات ، ان هذه الامور اثارت المراسلات الدبلوماسية ورفعت درجة الحرارة في الجو الدولي الى درجة الخطر ،

وان خط بغداد هذا كان من الاسباب المهمة للحرب العالمية »[٤٤] • وعلى الرغم من حصول الشركة الالمانية على امتياز مد سكة الحديد في العراق فان الدبلوماسية البريطانية كانت نشطة في ايجاد الوسائل للحيلولة دون توغل أي دولة في جنوب العراق وخليج البصرة • واستطاعت سنة ١٩٠٧ الاتفاق مع روسيا اولا ـ كيما تتفرغ لمقاومة النفوذ الالماني وكانت روسيا بعد مغلوبيتها في الحرب مع اليابان أكثر استعدادا للاتفاق مع انكلتره والتسليم بمطاليبها ـ التي اعترفت بوضع انكلتره الراهن في الشرق الاوسط • وبعبارة اخرى فأن روسيا التى كانت طوال القرن التاسع عشر المنافس الاول لانكلترا في سياستها التوسعية في الشرق الاوسط قد نفضت يدها ، وبذلك ساعدت انكلترا على التفرغ لمنافسها الخطير في القرن العشرين أي ألمانيا •

وفي هذا الاثناء استطاعت بريطانيا ان تحصل على موافقة المانيا على ان يكون لها الحق بأنشاء الخط الواقع بين بغداد والخليج والسيطرة عليه ، وبهذه الصورة ضمنت مفتاح الهند • على ان المفاوضات السياسية في في هذا الشأن قد استمرت فاعترفت المانيا بنفوذ بريطانية في القسم الجنوبي من العراق الممتد ما بين البصرة وبغداد واعترفت مقابل ذلك بريطانية بالنفوذ الالماني في القسم الشمالي من العراق الممتد ما وراء بغداد • وفي سنة ١٩١٣ اتفقت انكلترا والمانيا على ان سكة حديد بغداد برلين تنتهي بالبصرة، ولا يمتد الخط الى ماوراء البصرة الى الخليج (الكويت) الا بموافقة بريطانية ، كما أتفق على ان يكون اثنان من اعضاء مجلس ادارة سكك الحديد من الرعايا البريطانيين ، وهكذا ضمنت بريطانية مصالحها بصورة تامة • وعلى الرغم من المنافسة الدولية والمؤامرات الدبلوماسية والمصاعب

---

(٤٤) See, The Making of Modern Iraq. p. 30 .

المالية ، والمشكلات الفنية ، واضطراب الحكم العثماني ، وتغيير نظام الدولة بعد الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ ، فقد استطاع الالمـــان ان يتغلبوا على ما اعتور طريقهم من مصاعب ، وان يبدأوا فعلا في مد هـذا الخط • وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى ودخل الانكليز ارض العراق كان الالمان قد أتموا القسم الواقع بين بغداد وبيجي شمال سامراء • وقـد بقيت مسافة لايستهان بها بين الخط العراقي واتصاله بالخط الســوري التركي الموصل عبر البلقان الى برلين ، والحواضر الاوربية الاخرى • ولم يتم ذلك الا سنة ١٩٣٧ ، وبذلك اتصلت مدينة الموصـل لاول مـرة لا ببغداد فقط ، بل بالعالم الخارجي ايضا • ومنذ ذلك الحين الى اليـوم استطاعة المرء أن يسافر في القطار من بغداد الى اى بلد اوربي •

أما الدراسات البريطانية المتعلقة بسكة حديد بغداد ، فانها تناولت الطريق الذي تمر به السكة ، او الذي يجب ان تمر به عند اجتيازهــا البلاد التي (لم يكن احد ينازع رجحان مصالحهم فيها) • ولقـــد أستندت دراسة كادو الى رحلته التي قام بها سنة ١٩٠٣ في جنوب الفرات، وتعلقت بالمنطقة المحصورة ما بين المسيب والناصرية وهي المنطقة التي أكد أهميتها وقال بضرورة مرور السكة فيها • وفي هذا الجزء من البلاد ، كما يجدر بنا ان نذكر ، كان بعدئذ مرور الخط الحديدي الذى انشـــأه البريطانيون بين البصرة وبغداد ابان الحرب العالمية الاولى ، ثم اصبح ملكا للعراق• ونظرا لاستمرار الاهتمام بالموضوع فقد ظهرت دراسة(كادو) لتلك الناحية الجنوبية في المجلة الجغرافية Geographical Journal. سنة ١٩٠٦ وكان في السنة التالية ان ظهر بحث السر مارك ســـايكس في المجلة نفسها ، وهو البحث الذى سبق وان القاه في الجمعية الجغرافيـــة الملكية تحت عنوان (اسفار في شمال بلاد الرافدين) • وقد ذكر سايكس رأيه في سكة حديد بغداد دون تعصب ، كما يقول : « فيما لو قـــدر

لهذه السكة ان تمر بارض الجزيرة »[٤٥] • واعرب عن اعتقاده بـأن العقبات التي تنجم عن خطر القبائل المتاخمة ، وعن قلة الايدي العاملة ، سوف يمكن التغلب عليها بمرور الزمن عن طريق انشاء السكة نفسها • ثم في سنة ١٩١٣ ، في هذا الوقت المتأخر ، نشرت مجلة الشرق الادنى The Near East رسالة وجيزة بقلم السـر وليم ولكوكس الخبير الممتاز في شؤون ري وادي الرافدين والنيل ، اشار فيها الى الطريـق الذي يجب ان يمد الخط فيه لكي يأتي بأعظم فوائده لجميع المنتفعين • واضاف قائلا : (أنه لما يدعو الى الاسف ان يكون التأسيس في نهاية الامر حسب التخطيط الالماني القديم الذي تحاشى كل فدان من الاراضـي الزراعية ، والتزم جانب الصحراء[٤٦] •

ان هذه الامثلة وغيرها من الدلائل تشير الى أهتمام الرأي العـام البريطاني بمشروع سكة حديد بغداد ، واستمرار اهتمامه بالقضية حتى النهاية • ومن الامثلة البارزة على ذلك ، فضلا عما تقدم ، نذكر مقـال (بيرز) الذي ظهر حول الموضوع في المجلة Contemporary Review سنة ١٩٠٨ ، والبحث الذي القاه شرادام في جمعية آسيا المركزية الملكية سنة ١٩١١ ، وكذلك مقال لينج Lunch الذي نشر في المجلة المسماة Fortnightly Review. سنة ١٩١١ أيضا ، ومع ذلك فأن لسنة ١٩٠٣ اهمية فذة في تاريخ المشكلة المتعلقة بسكة حديد بغداد • ذلك ان المشروع نفسه أتخذ تلك السنة حدوده الواسعة مما اهاج الرأي العام البريطانـي وأدى الى تشاؤم حكومته وعندئذ اخذت الحكومة البريطانية تعتبر بما كان قد أبداه الخبراء البريطانيون مرارا حول اهمية المشروع ، وخطورة مغزاه •

---

(٤٥) زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ ، ص ٢٤٧ •
(٤٦) زكي صالح ، المصدر السابق ص ٤٥ •

ومن ثم دخلت المنافسة البريطانية ـــ الالمانية دورها الحاسم الذى ادى الى وفاق على الورق ، وانتهى في ســـــوح القتال •

غير ان البداية لم تكن تنم عما آلت اليه القضية من خطورة وتعقيد ، فلقد أستند المشروع في ميدان التأسيس الى مقدمات يرجع عهدها الـــى سنة ١٨٨٨ حينما فكر الالمان في أنشاء خط حديد يصل ما بين برلـــين والقسطنطينية • وكان في ٢٧ ايلول وفي ٤ تشرين اول من السنة ذاتها أن حصلت (شركة حديد الانضول) المؤسسة حديثا على امتياز من تركيا لاستثمار الخط مابين حيدر باشا وازميت ، والقيام بمده الى انقرة • ثم كان في سنة ١٨٩٣ أن حصلت الشركة نفسها على امتياز لمـــد السكة من ازميت الى قونيه (مسافة ٥٣٥ كيلومترا) ، فتم انشاؤها بعد ثلاث سنين ، واصبحت في الواقع الجزء الاول من سكة حديد بغداد • وبعدئذ أستطاع القيصر في زيارته لتركيا سنة ١٨٩٨ وما تخللها من تفاهم ودي مع السلطان ، او يأخذ منه وعدا ، بمنح الالمان امتياز مد السكة مـــن قونيه الى الخليج العربي • وفي السنة التالية جرت مفاوضات بين الطرفين وتم التوقيع على اتفاق لهذا الغرض ، استقرت من بعده واستنادا اليـــه تفاصيل المشروع في اتفاق سكة حديد بغداد المنعقد بتاريخ ٥ آذار سنـــة ١٩٠٣[٤٧] • فبموجب وثيقة ٥ آذار ١٩٠٣ أصبح يحق لشركة سكة حديد الانضول ان تقوم بمد خط ازميت ـ قونيه في اتجاه الجنوب الشرقي الى بغداد فالبصرة ، وان تنشيء له فروعا يصل احداها الى نقطة ما علـــى الخليج يتعين موقعها فيما بعد • وحصلت الشركة فضلا عن ذلك ، على

---

(٤٧) Geraud, A., "A new German Empire" The Story of the Baghdad Railwy, " The Nineteenth Century" (May-June, 1941,) Vol. 75 p. 938.

حق استخراج المعادن من الاراضي المحاذية للخط مسافة عشرين كيلومترا من كل جانب ، وعلى حق الملاحة في مياه الرافدين للاغراض التي تقتضيها شؤون السكة • ولاجل القيام بتنفيذ المشروع واستنادا الى نص الاتفاق الاخير ، قامت شركة الانضول بتأليف شركة مساهمة تعرف بأسم (شركة سكة حديد بغداد الامبراطورية العثمانية) وهي التي يشار اليها عادة بمجرد شركة سكة حديد بغداد • فاذا ما ذكر المؤرخون بأن سنة ١٩٠٣ كانت زمن تحول في موقف بريطانيا تجاه المشروع الالماني ، فأن أحدا منهم ، على مايبدو ، لم يشر الى حقيقة هذا التبدل او يقارن بين طبيعة الموقف السابق واللاحق • فالمشروع الالماني بدا مقبولا في نظر بريطانيا خلال سنواته الاولى لاعتبارها اياه من طراز (عبء الرجل الابيض) في تحمل تبعات الشعوب المتأخرة ، كما اعتاد ان يتبجح المستعمرون يضاف الى ذلك اعتبارها أياه توسعا اقتصاديا يفيدها ان تساهم فيه ، وهذا هو بيت القصيد • ولعل من ابرز ما يوضح عبء الرجل الابيض في هذا الصدد تصريح ايرل بيرسي في البرلمان البريطاني سنة ١٩٠٢ بقوله : « ان المانيا تعمل الآن لتركيا مثلما قمنا نحن بعمله لبلاد فارس في سبيل أصلاح الشعوب المحلية اجتماعيا وتحسين احوالها المادية • وانه فيما اعتقد اذا اصبح كفاح المستقبل بين السياسة السلافية المجبولة على الركود ، والسياسة التيتونية الرامية الى نشر الفضائل النورانية والمدنية فأن النصر سيكون حليف تلك الشعوب التي تناضل عن اخلاص أو انانية ، عن قصد أو غير قصد ، في سبيل الاهداف السامية التي أودع القدر تحقيقها الى العناصر الامبراطورية من العالم المسيحي»(٤٨) •

أما الجانب الاقتصادي في ذلك الدور الاول (١٨٩٩ – ١٩٠٣) فقد

---

(٤٨) سليمان فيضي ، على هامش الثورة العراقية ، ص ٧٥ •

وضح في سياسة وزير الخارجية (الركيز لانسدون) الذي اخبر السفير البريطاني في برلين بأن حكومة صاحب الجلالة « لاتنظر بعين السخط الى المشروع » وانها تأمل أن تساهم فيه بما لا يقل عن حصة أية دولة . وأضاف قائلا بأن المقصود بهذه الحصة « يتعلق برأس المال المستعمل في انشاء الخط وفي ادارته عندما يتم ، وفي تجهيز المواد المقتضية لذلك » (٤٩) فلقد كان اهتمام بريطانية محصورا من وجهة عملية بالفائدة الاقتصادية من المشروع ، إذ لم تكن بعد قد رأت في القضية ما ينذر بخطر جسيم . وما أن تقادمت سنة ١٩٠٣ حتى اشتد اهتمام البريطانيين بالمشروع الالماني ، وأتخذ الوضع طورا تهيمن عليه أعتبارات أستراتيجية من النوع الذى أكد عليه المختصون منذ زمن سكة حديد الفرات التى لم يقدر لها النجاح . فلم تعد روسيا ، بل اصبحت المانيا في هذه الحال مصدر الخطر الماثل ، وكان امتياز سكة حديد بغداد الذي استقر حينذاك على شاكلته المعلومة هو الحافز لهذا التبدل الخطير . ولقد ساهم الرأي العام البريطاني في هذا الاتجاه مساهمة فعالة واتفقت معه الحكومة نهائيا من حيث الاساس. ومما يجدر بالملاحظة ان قادة الرأي العام البريطاني كانوا ممن اشرنا اليهم بالمختصين نظرا لاهتمامهم الجدي بالقضية ، ودراستهم المتعلقة بها . ومن ثم تناول المشروع الالماني في نظر بريطانيا مصير نفوذها في الخليج العربي ورجحان كفتها في وادي الرافدين ، وما لذلك من علاقة وثيقة بمركزها في ربوع الهند وغيرها من بلاد الشرق . ذلك كله بدأ عرضة للخطر الالماني المتمثل في سكة حديد بغداد ، ذلك ما اتفق البريطانيون على ضرورة حمايته . اما المجادلات التي اتسع نطاقها حول المشروع في داخل بريطانيا فأنها تعلقت بالسؤال عما أذا كان يجدر برأس المال البريطاني

---

(٤٩) Britisr Documents on the origins of the war, p. 1977.

ان يساهم فيه ، او لايجدر به ان يفعل ذلك • فكان من بينهم من التزم جانبا في الاجابة على هذا السؤال ، ومنهم من التزم الجانـب الآخـر • ودارت بين الطرفين مناقشات مسهبة أحياناً • ولكنهم جميعاً التزموا بهدف واحد هو حماية الامبراطورية ، التي زعم البعض انها تقتضي المساهمة في المشروع ، بينما ادعى البعض الآخر بأنها تقتضي الاحجام • ففـي مناقشات عام ١٩٠٣ مثلا ، نشر العضو البرلماني بولز رسالته المعـززة بالادلة على صفحات التايمز اللندنية ، داعيا فيها الى امتناع الرأسـمال البريطاني عن المساهمة في (سكة حديد المانية بحتة من حيث الاساس) ومحذرا بقوله : « أعتقد بأنه في وسعي الادعاء بأن مـا جرى منذ ايلول الماضي يؤيد ما جازفت به حينذاك في أعمدة جريدتكم من تحذير أصحاب رؤوس الاموال البريطانية ان يبتعدوا عن هذا المشروع السياسي الالماني» • وكان خلال السنة نفسها ان صرح اللورد فتنر موريس في مجلس العموم البريطاني بقوله « ان الذي جعل المجلس يبدي اهتماماً ملحوظا بالقضيـة هو الشعور بأن مستقبل السكة قد يكون مرتبطا بمستقبل السيطـرة السياسية على مناطق واسعة في آسيا الصغرى ، وعلى وادي الرافدين ، والخليـج العـربي » •

ثم في سنة ١٩٠٨ حاول السر (ادوين بـيرز) أن يبرهن بكل جدارة على ان المصالح البريطانية تحتم جعل سكة حديد بغداد مشروعـا دوليا • ومن المناقشات التي دارت في سنة ١٩١١ حول محاضرات شرادام في جمعية آسيا المركزية الملكية ، اتضح رجحان الدعوة الى امتنـاع الرأسمال البريطاني عن المساهمة في المشروع ولم يشذ عن هذا الاتجاه العام بما يستلفت النظر سوى العضو البرلماني ، العقيد ، (يلت) الذي اوضح ان العكس هو الصواب • وفي سنة ١٩٢٢ نشر لوفات فريزر في

دفاعـه عن ضرورة احجام رؤوس National Review. المجلة المسماة الاموال البريطانية عن المساهمة وأردف متسائلا : « لماذا نتعجل في المشاركة مع المانيـا في مشروع يراد ، الى جانب مآرب أخرى ، تعزيز المصالح الالمانية في الامبراطورية التركية ؟»[٥٠] .

ولقد ابدت الحكومة البريطانية اهتمامـا خاصا بتلـك المعـــاني الامبراطورية البليغة دون أن تهمل النظر فيما تعلق انيا بمصالح مواطنيها الاقتصادية ،فاتخذت منذسنة١٩٠٣موقفا حازماضداية محاولة ترمي الى اتصال السكة بالخليج العربي ، وضد اى اتجاه لازدياد النفوذ الالماني الى مـــا يقارب نفوذها في بلاد ما بين النهرين . غير ان المانيا كانت اقدر من ان تذعن . ومن ثم نشأت المعضلة التي احيطت بدبلوماسية واسعة النطاق ، ونجم عنها (وفاق) بين مصالح متنافرة الاهداف وانتهى امرها بعدئذ بحرب . ولقد جاهد الاتحاديون كثيرا ، بعد الانقلاب الدستوري ســـنة ١٩٠٨ في استمالة بريطانيا والتقرب اليها ، ونشطت في هذه الفترة الدبلوماسية الانكليزية في (استانبول) كل النشاط ، وكثر عدد الخبراء البريطانيين الذين استعانت بهم الحكومة التركيـة ، ومن أهم أولئـك الخبـراء من وجهة نظر العراق ـ مهندس الري الانكليزي الشهير (وليم ويلكوكس) الذي دعته الحكومة العثمانية للقيام باعداد التصاميم الفنية لاحياء مشاريع الري القديمة في العراق ، وبعد ان مكث فيه زهاء سنتين ونصف ، وضع ـ مع هيئة الفنيين الذين رافقوه ـ خرائط وتصاميم عديدة لمختلف مشاريع الري اللازمة ، ورفع تقريره الى الحكومة العثمانية في نيسان سنة١٩١١ مـــع الخرائط والتصاميم وتخمين المبالغ اللازمة للقيام بها . ولا شك ان هذه البعثة الفنية من خبراء الانكليز قد تمكنت من دراسة مختلف نواحـــي

---

(٥٠) The (London) Times, April 20, 1903, p. 7.

العراق وطبيعته وارضه واقليمه ، بالاضافة الى مشاريع ريه • وقد حظي (السير وليم ويلكوكس) بسمعة حسنة في العراق ، ولم تزل دوائر الري تعير تقريره اهتماما كبيرا •

ولعل آخر ما حصلت عليه بريطانيا من نفوذ وتوغل قبل اعلان الحرب العالمية الاولى موافقة السلطان سنة ١٩١٤ ان يكون لبريطانيا حق انارة شط العرب والخليج ووضع العوامات فيهما ، والمحافظة عليهما تأمينا لسير السفن[٥١] • ويتضح جليا مما اسلفنا ان جهود بريطانية التي أستمرت زهاء ثلاثة قرون قد بدأت تثمر وتؤتي اكلها قبل اعلان الحرب العالمية الاولى • فقد حولت خليج البصرة الى بحيرة هندية ، واستطاعت ان تجعل من هذه البقاع مواضع لاهتمام الساسة البريطانيين بعد ان كانت مناطق لتوغل التجار • وقد عبر عن هذا المعنى (اللورد كرزن) حينما قال: « بأن العلاقة بين بريطانيا والخليج قد انتقلت من دفاتر التجار الى حقائب الساسة » ولا يستطيع الباحث في تطور النفوذ البريطاني في العراق أن يغفل ذكر « اللورد كرزن » وما قام به من جهود لتحقيق سيادة بلاده على هذا الجزء من المعمورة بوصفه نائب وزير الهند اولا ، ثم بوصفه وزيرا للخارجية ، وبعد ذلك باعتباره نائب الملك في الهند ، بصفته الرسمية او غير الرسمية ، وذلك بما كتب وألف في هذا الخصوص • وكان الدافع الاول لذلك بطبيعة الحال المحافظة على الهند من منافسة الروس بالدرجة الاولى • وهكذا نجده يتساءل وهو يستثمر حماس مواطنيه ويستنهض هممهم للعمل بهذا الشأن : « هل نحن مستعدون لنفض ايدينا من السيطرة على الخليج الفارسي ، ونشاطر غيرنا السيطرة على المحيط الهندي ؟ هل نحن مستعدون ان نجعل انشاء خط سكة

---

(٥١) انظر آيرلند ، ص ٥٦ •

حديد الفرات أو أي مشروع آخر من هذا القبيل مستحيلا بالنسبة لانكلترا وأمرا حقيقيا بالنسبة لروسيا ؟ وهل ستصبح بغداد عاصمة روسية جديدة في الجنوب ؟ وأخيرا هل يطيب لنا ان نرى محطة بحرية قادرة على قصف بومباى ؟ » . ولا شك بأن سياسة بريطانيا ، ورجالها المعنيين بالهند خاصة عملوا ما بوسعهم لتحقيق الغايات البعيدة التي كانوا يستهدفونها وحق للورد كرزن نفسه أن يصرح في مجلس اللوردات بالتصريح الخطير التالي سنة ١٩١١ « انه من الضلال ان يظنّ ان مصالحنا السياسية مقصورة على الخليج ، أنها ليست مقصورة على الخليج ، انها ليست مقصورة على المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ، بل انها لتمتد قدما حتى تصل بغداد ذاتها »(٥٢) . ان هذا الاهتمام المتزايد في العراق يفسر لنا ما حدث أثناء الحرب وبعدها من محاولات لضم جنوب العراق الى الهند ، وانشاء أدارة بريطانية خاصة تجعل منه أشبه بمستعمرة من مستعمرات التاج ، ويفسر لنا أيضا سياسة المدرسة البريطانية الاستعمارية التي صارت تعرف بالمدرسة الهندية البريطانية . ان هذه المدرسة كانت الموجهة للمعاهدات السرية التي عقدتها بريطانية وفرنسا وروسيا في الخفاء لاقتسام الاجزاء العربية من امبراطورية آل عثمان ، كما تجلت في معاهدة سايكس ـ بيكو بل استطيع ان اجزم ان لتصريح اللورد كرزن شأنا في التحفظات التي ابدتها بريطانية بشأن العراق في المراسلات التي جرت بين الملك حسين والسير هنري مكماهون .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

المصادر العربية

١ ـ زكي صالح ، منشأ النفوذ البريطاني بين النهرين ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٠ .

٢ ـ زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨ .

٣ ـ زكي صالح ـ موجز تاريخ العراق ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ـ ١٩٤٩

٤ ـ عبدالرحمن البزاز ـ العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦٧ .

٥ ـ عبدالعزيز نوار ـ تاريخ العراق الحديث ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ .

٦ ـ عبدالامير محمد امين ـ القوى البحرية في الخليج العربي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .

٧ ـ كوتلوف ـ الثورة التحررية الوطنية العراقية ١٩٢٠ ـ موسكو ١٩٥٨

٨ ـ لونغريغ ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ترجمة جعفر خياط ـ مطبعة البرهان ببغداد .

٩ ـ لؤي بحري ـ سكة حديد بغداد ـ المطبعة الاهلية ـ بغداد ١٩٦٧ .

١٠ـ محمود علي الداود ـ الخليج العربي والعلاقات الدولية ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ .

١١ـ محمود علي الداود ـ العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

١٢ـ متي عقراوي ـ العراق الحديث ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٣٦ .

١٣ـ مظفر حسين جميل ـ سياسة العراق التجارية ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٤٩ .

١٤ـ نعيم ابراهيم ـ ثورة العراق ـ مطبعة التضامن ـ بغداد ـ ١٩٣١ ٠
١٥ـ هنري فوستر ـ تكوين العراق الحديث ـ ترجمة عبدالمسيح جويدة بغـــداد ـ ١٩٣٤ ٠
١٦ـ يوسف رزق الله غنيمة ـ تجارة العراق قديما وحديثا ـ مطبعـة العاني ـ بغداد ـ ١٩٢٢ ٠

المصادر الاجنبية

17 - Wilson, The persian Gulf, pp. 136 - 139.

18 - Letter from Agent at Barsalk to the court July 31, 1945, Summary xx 118 letters from surat presidency to the court. April 3, 1649, summary xx II.

19 – Longrigg, Four centries of Modern Iraq, pp. 157.

20 - Admiralty, war staff : A Handbook of Arabia 2 Vols., London, 1916 - 1917.

21 - Hoskins, British Routes to India p. 301.

22 - Geraud, A., "Anew German Empire). The story of the Baghdod Railway, the Nineteeth century, (May - June, 1914, Vol 75 p. 957.

23 - British Documents on the origins of the war, p. 177.

24 – The (London) Times, April 20, 1903, p. 7.

النشاطات التي يعتزم الاتحاد القيام بها اعتبارا من تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٩

(١) اقامة مهرجانات في جميع انحاء الوطن العربي للاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجري لمدة اسبوع من ٢٧-١٢-١٤٠٠هـ ولغاية ٤-١-١٤٠١ هـ

(٢) نشر دراسات تاريخية في مواضيع مختلفة •

(٣) العمل على تنفيذ مشروع تبادل الاساتذة الزائرين بين جامعات الدول العربية •

(٤) اقامة مواسم ثقافية في الحواضر العربية للعمل على تطوير الدراسات التاريخية •

(٥) تطوير مجلة المؤرخ العربي التي تصدرها الامانة العامة للاتحاد وجعلها أكثر ملائمة مع تطوير الدراسات والمفاهيم العلمية •

(٦) اقامة ندوة عالمية في تونس لمناقشة موضوع البحث التاريخي وتحديد المنهجية التاريخية للباحث العربي •

(٧) العمل مستمر في الاعداد والتهيئة لمهرجان التراث العربي في الاندلس والذي سيقام في ٢١-٦-١٩٨١ •

(٨) تنفيذ مقررات مؤتمر تاريخ الامة الذي انعقد في بنغازي وبخاصة موضوع كتابة تاريخ الامة العربية •

(٩) السعي الى ايفاد بعض الاساتذة المتخصصين في الحضارة العربية والاسلامية لالقاء محاضرات في التراث العربي والاسلامي في الجامعات الاجنبية ، لابراز الجوانب المشرقة لتاريخنا الحضاري وتراثنا الخالد ،

(١٠) أقامة مهرجان للشهيد عمر المختار في مدينة بنغازي في ١٠-١١-١٩٧٩ بالتعاون مع جامعة قار يونس • (اقيم المهرجان في تاريخه المقرر) •

(١١) دراسة امكانية توحيد مناهج تدريس التاريخ في الجامعات العربية كافة .

(١٢) اقامة مؤتمر (التراث القومي) في دولة قطر وقد وافقت وزارة الاعلام في دولة قطر على عقد المؤتمر على نفقتها بالتعاون مع اتحاد المعرخين العرب .

(١٣) أقامة ندوة عالمية لاحياء مدينة القيروان التاريخية .

(١٤) اقامة مهرجان في التراث العربي في مدينة الحمامات بالجمهورية التونسية .

(١٥) تنظيم مسابقة كبرى لكتابة أحسن ثلاثة بحوث في التراث العربي احياءاً للتراث وتشجيعا للاخوة المؤرخين والباحثين العرب .

(١٦) السعي الى تنظيم لقاء سنوي للمؤرخين العرب في احدى الحواضر العربية هدفه لقاء الاخوة المؤرخين وتعاونهم والوقوف على احدث البحوث والنشريات في حقل التاريخ والاستماع الى بعض المحاضرات العلمية بالاضافة الى البرامج الترفيهية وسيكون موعد هذا اللقاء في في الاسبوع الثاني من شهر تموز (يوليو) من كل عام .

(١٧) عقد مؤتمر تذكاري للرحالة العربي ابن بطوطة يقام في المغرب بالتعاون مع الحكومة المغربية .

(١٨) اقامة ندوة تاريخية في مدينة الاسكندرية تخليدا للمؤرخ المصري الاستاذ عبدالحميد العبادي بالتعاون مع جامعة الاسكندرية .

(١٩) تنظيم مؤتمر يبحث في الحضارة العربية والاسلامية في سلطنة عمان بالتعاون مع وزارة التراث القومي هناك .

(٢٠) اقامة مؤتمر في كندا (بجامعة كالجري) يبحث في موضوع العلاقات العربية الكندية والعمل على تطويرها .

(٢١) اقامة مؤتمر لبحث ومناقشة معاهدة كامب ديفيد وبيان مخاطرها على الامة العربية .

IMPORTANT

Ancient Mesopotamian Temples

Dr. Sami Said Ahmed

Religion in all ancient civilizations has played a very important role, for they believed that man was created principly to worship, please and supply the gods with their needs. It is impossible to study any ancient culture without giving close attention to their religions which penetrated deeply into all facets of the people's life and effected every part of their culture and daily existence. In Mesopotamia, the god of the city was its actual and true potentate and its king was only his representative on earth who ruled by his grace. and the temple where the diety believed to dwell, was the largest, most prominent structure in the city and the center of all secular as well as religious life of the citizens. It was the meeting place for all social and religious activities. And it was in the temples where kings were coronated, festivals were held, courts met beside being the depository for all the people's records and business documents. Thus, the temple was the city's club, church, court, school, library and bank.

In discussing the origin of the Mesopotamian temple, the scanty information available for its early periods constitutes rather a hinderance for conclusive answer, Representations on different objects mainly cylinder seals are important. Dwellers of Southern Mesopotamia in the very early periods placed the statutes of their gods either in arks, designated spots, bench-like boxes of basket work or

in reed huts.[1] However, the designated spot must have acquired its sanctity for its particular relationship with the god. Thus one may be on safe ground to assume that the first inhabitants used a part of their dwelling as a place of worship. ,

Architectural traces which bear reference to the existence of sanctuaries can be found in pre-historic sites whether in the north like Arpachiya and Tepe Gawra or in the south such as Uruk. In historic times the placing of the first brick (libitti makhritu) determines the entire setting of the temple. The placing of this brick after it was anointed and surrounded with highly priced beads, was an important event since it has to be deposited with great ceremonies attended by the city's highest authorities.

The essential features of the ancient Mesopotamian temple is that it is generally divided into two seperate and distinct parts, namely the highest temple (Hoch-tempel, Ziggurat), and the other part is the temple which is built on the ground. the ground temple; many temples, however, have no ziggurats[2]. An importan point may be injected here is that prehistoric and historic temples in Mesopotamia whether from the north or the south have many general features and similarities.

At Eridu, a prehistoic temple built on a raised platform high above the city ground level. The platform was of rather small proportions and had been extended on enlarging scale. Only the outlines of these platform are

---

(1) G. Ernest Wright and David Noel Freedman ed., The Biblical Archaelogist Reader, A. Leo Oppenheim, The Mesopotamian Temple, Vol. 1, (New York, 1961), pp. 158.ff.

apparent, like five concentric rectanglesrof distinctive masonry. In the senter the walls of an original shrine are exposed. The new temple has to be built on the old one, no doubt, as a sign of reverence to the sanctity of the spot.

At Tepe Gawra XX and Arpachiya, organized communal buildings of peculiar type of edifices were found. These are circular, varying in length on the inside from 4 to 6. 5 meters. These have a very low, semi-pointed roof, and the entire structure is usually termed tholos; some have long rectangular chambers attached to them. Many believe that they serve some unknown religious ritual.

From the Ubaid period, one encounters at Tepe Gawra an imposing ensemble of at least three temples disposed around a large countyard. The best preserved consisted of a rectangular nave with an altar and podium, supporting rooms. The walls were ornamented with shallow buttresses which caught the light and broke the monotony of the brick work. This plan is the prototype of early Sumerian temples, and the decoration has certain yet obscure religious meaning and became for centuries a distinguished feature of Mesopotamian sanctuaries.

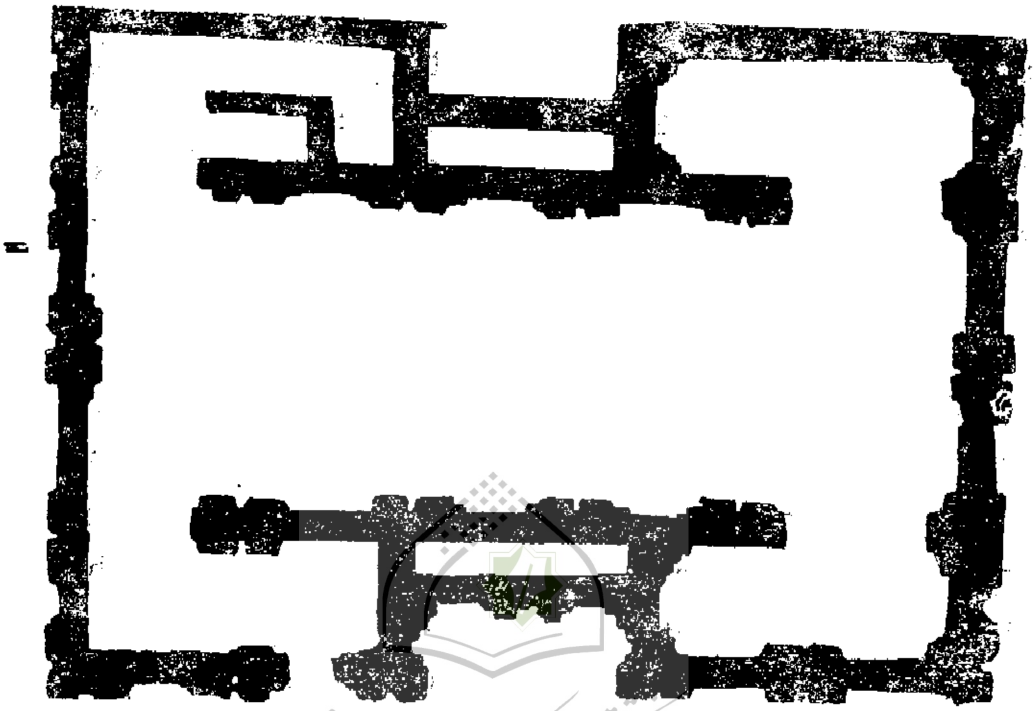
Many believe that the terrace upon which the White Templt of Uruk was built represents the begining of the Ziggurat from about the middle of the fourth millenium B. C. together with the terrace of the Painted Temple at Aqir of the same period. Ziggurats appeared late in

---

(2) D.D. Luckenbill, "The Temples of Babylonia and Assyria, AJSL, Vol. 24, pp. 291 ff.

northern temples and probably the first Ziggurat constructed in the north was the one reportedly built by Shamshi-Adad 1 of Assyria around 1740 B.C. The Ziggurat is a high structure of sun-dried brick which is sometimes surfaced with kiln-fired bricks of a square shape. These brick construction diminishes in size as they are placed higher up the sides of the Ziggurat. The height of the Ziggurat differs from city to another-from 3 to 7 or 8 stories and it is usually crowned by a small temple. However, no traces of any such building have been found so far which may be due to its great height. In the site of Ubaid near Ur a temple was uncovered dedicated to Ninhursag by king A-an-pad-da of Ur. It was built on one corner of a terrace and its entrance preceeded by a cantilever which slanted forward. This over-hand was made of wood strengthened by bronze and supported at its outer conrners by two wooden pillars. On either side of this entrance a life-sized bronze line was placed and below the entrance stair a row of bronze statutes of bulls stood in front of the temple. The early stages of the use of buttresses and recessed walls, which distinguished temples from secular buildings are to be seen at Tepe Gawra, stratum XIII (Fig. 1) It shows walls butteressed inside and outside and doorway placed between stepped recesses to emphasize the entrance. The Tepe Gawra temple seems experimental in comparison with the one of the same period from Eridu. In the later the central space-the cella or shrine is set off from the subsidiary rooms. The butturesses are more regular and are found on the exterior walls. (Fig.2.) An altar is placed against one of the short walls and isfaced by an offering table.

The building is entered by a stairway leading up to the platform on which it is built. All of its features are to distinctive of the subsequent periods.



At Eridu, the first Ubaidtemple (XII), stood on a platform and its exterior walls held regularly spaced butteresses. The temples was rebuilt six times during the Ubaid period and the latest Ubaid temple VI, measured 23.5×12.5m. and stood on a platform 26.5×16 m. Temples VIII, VII, and VI, each had a long cella with an altar at one end and an offering table near the other. The subsidiary chambers were grouped symmtrically on either side of the nave.

From the Protoliterate period, we have the Anu temple, which repeats the features of temple VII at Eridu. It is called the White Temple, (Fig. 3).

The plan is the simple oblong carrying the usual

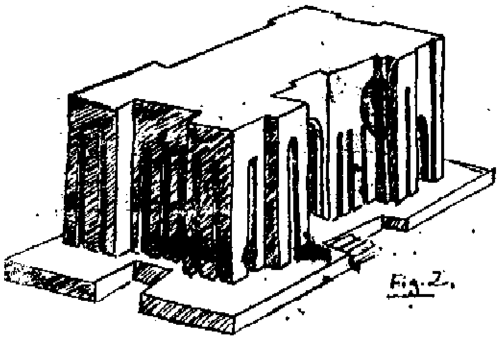


Fig. 2.

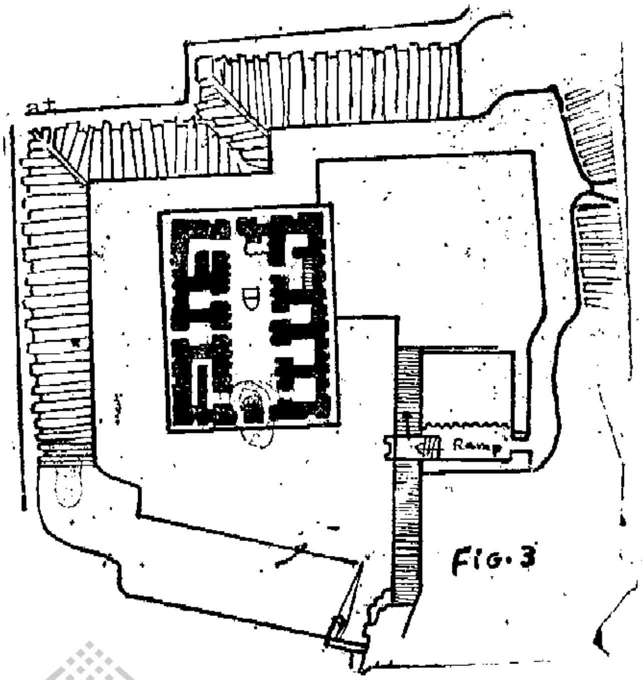


Fig. 3

buttresses and recesses and measuring 22.3×17.5 m. The principal change is that the platform of the Eridu temples is here replaced by an artificial mountain of irregular shape of about 40 F. in height. The corners of this elevation were oriented to the four directions. Temple's entrance was by a stair leading up the northeastern side to the summit, and the small white-washed shrine is strengthened with short round timbers between the buttresses. The shrine's door is on the south-western side and the visitor passed first through a vestibule, which is one of the small rooms placed along the length-wise side of the structure in whose centre was the cella. A four feet high altar was placed in a corner reached by a flight of narrow steps.. In front of the altar an offering table was built, and a low, semi - circular hearth can be seen against it. In Aqir a temple is found with walls decorated with human figures and panthers; its plan and the terrance upon which the whole structure was built recall those of the north.

At the site of Khafaja, one finds modifications of the Temple plan. It is open to all sides and seen first at the Sin Temple 11 of Khafaja with one entrance placed at one side. At the opposite side of the shrine a suite of small rooms is put corresponding to those near the entrance vestibule. At Khafaja (Fig. 4) in the Sin Temple II these rooms have been replaced by a single space wheren the stairs going to the flat roof and a storeroom below. Here also an irregular plot of ground was walled to serve as a forecourt. At a later stage of the same temple (Temple V) three courts have been walled off to accomodate store-rooms, offices, and the quarters of the temple staff. (Fig.5) Bread ovens were placed in the second court. The inside court contained the stairway to the roof. The development of forecourts, the use of only one entrance, and the disuse of space beyond the cella, had its effect upon the shrine which transfered from an isolated building to a complex structure. The cella was no longer the main feature, but the inner-most sanctuary.

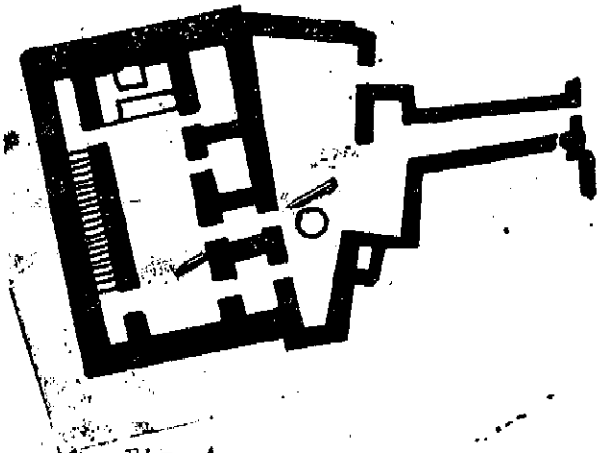


Fig. 4

FIG. 4

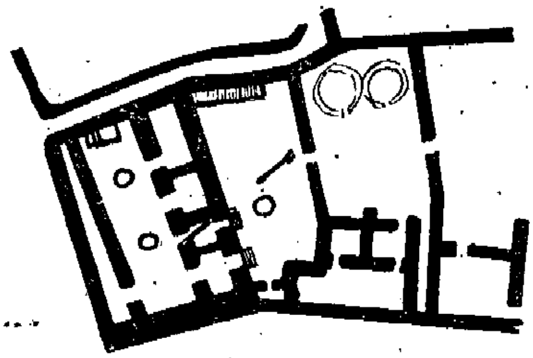


FIG. 5

The Early Uruk temples at Eridu (V-V1) (Fig. 6), carries on the traditions of the Ubaid temples they replaced. The platform of temple 111 was faced with limestone blocks. The earliest preserved temple in the E-anna, at the the begining of the late Uruk phase is the Limestone Temple of level V, it is 76X 30m. and consisted of a long cella niched walls, flancked by small chambers. It was replaced by the Pillar Temple-level 1V B. This stood on a mud platform and approached through a portico of two rows of four free-standing brick columns, 2.6 m. in diameter each, corresponding to four half-columns in the temple wall. The portico columns were decorated with mosaic of baked clay cones hammered into the mud and their ends painted red, white, or black and form triangle patterns suggesting palm stems.

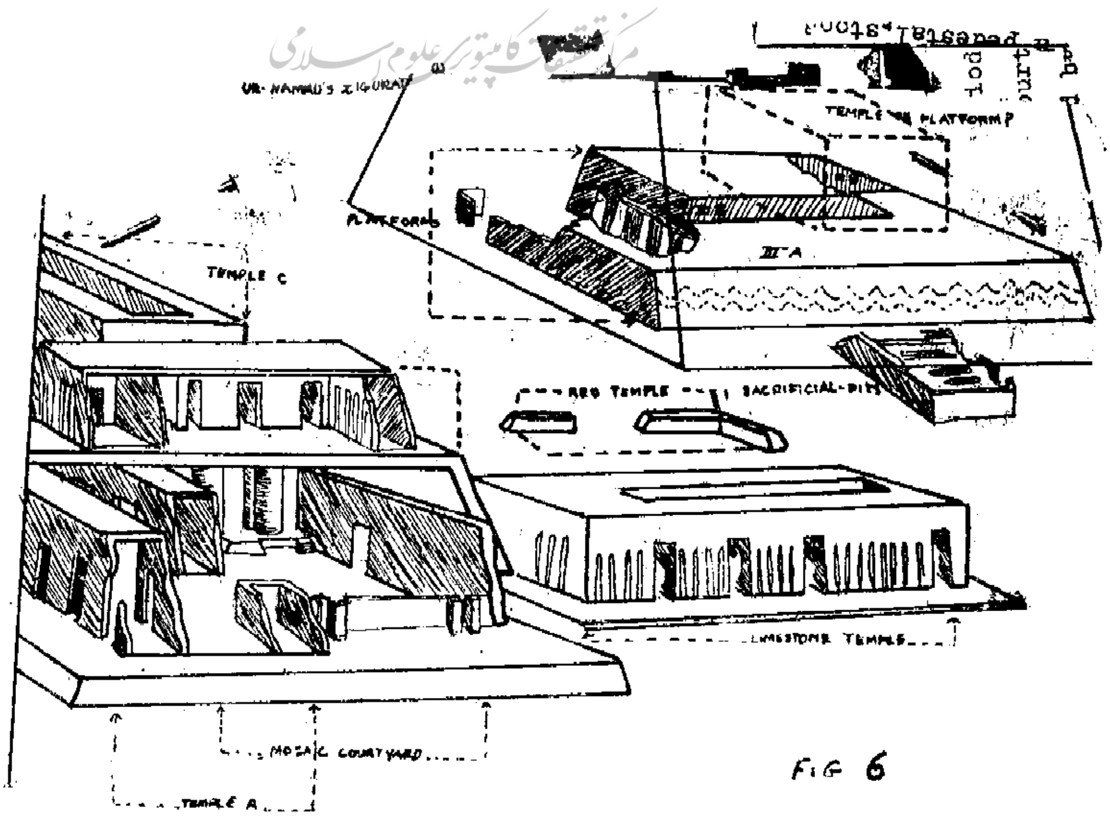


FIG 6

Each temple consisted of a Ziggurat and a ground temple, though many temples have no ziggurats. The ground - plan of the Ziggurat either to be rectangular as in those at Uruk, Ur and Nippur, or square like the ones at Babylon, Borsippa and Dur Kurigalzu and all Assyrian Ziggurates so far found. Ziggurats usually built of sun-dried bricks put together with clay and tar and surfaced by brick and tar. Sometimes the structure is strengthened by putting layers of reed mats between the rows of sun-dried bricks. Some ziggurats, like those of Dur Kurigalzu, Ur and Uruk have weeper holes", namely deep holes going into the sides of the structure, most probably for drainage.[3] Though some believe them to be for watering flowers and plants planted on the Ziggurats.[4] The Ziggurat stairway was of brick put to - gether by clay and tar. Around the Mesopotamian ziggurats, was a holy wall, enclosing one or two ground temples and rooms for the priests. The ground temple is characterized by several features. Its plan is different from other buildings and contains a cella and an altar; buttersses and recesses are evident and the location of the cella to the altar determines the plan. A kind known as the Southern Temple, for it was dominant in the south of Iraq, especially after the Akkadian period, had a cella confronting the temple entrance. The cella here is wide and thus is called the breitraum cella. see figs. 7,8,9,).

---

(3) W. Andrae, Das Gotteshaus und die Urformen des Bauens en Alten Orient, (Berlin, 1930), p. 223.

(4). L. Wooley, Ur Excavations, (London, 1934), pp. 118 ff.

The other type dominant in the north, especially after the Akkadian period is known as the northern temple, or the Assyrian temple, waerein the cella is long (longraum cella) entered by a doorway on one of the long walls. At the end of the chamber is an altar (see figs. 10, 11,12, 13). Some thought that the origin of the morthern type could be seen in the fireplace, while the southern type is derived from a house with a court.[5] The direction of the southern temple is to the north-east, and the cella is to the south-west. The general direction in the northern temple is to the south-east and the cella is to the north-west.



The shrine at the top of the ziggurat is called Shakkuru (waiting room) and in the ground temples this name is given to the ante-cella. It is not known if the Ziggurat at Uruk had a second ground temple, but that was the usual arrangement in later times.

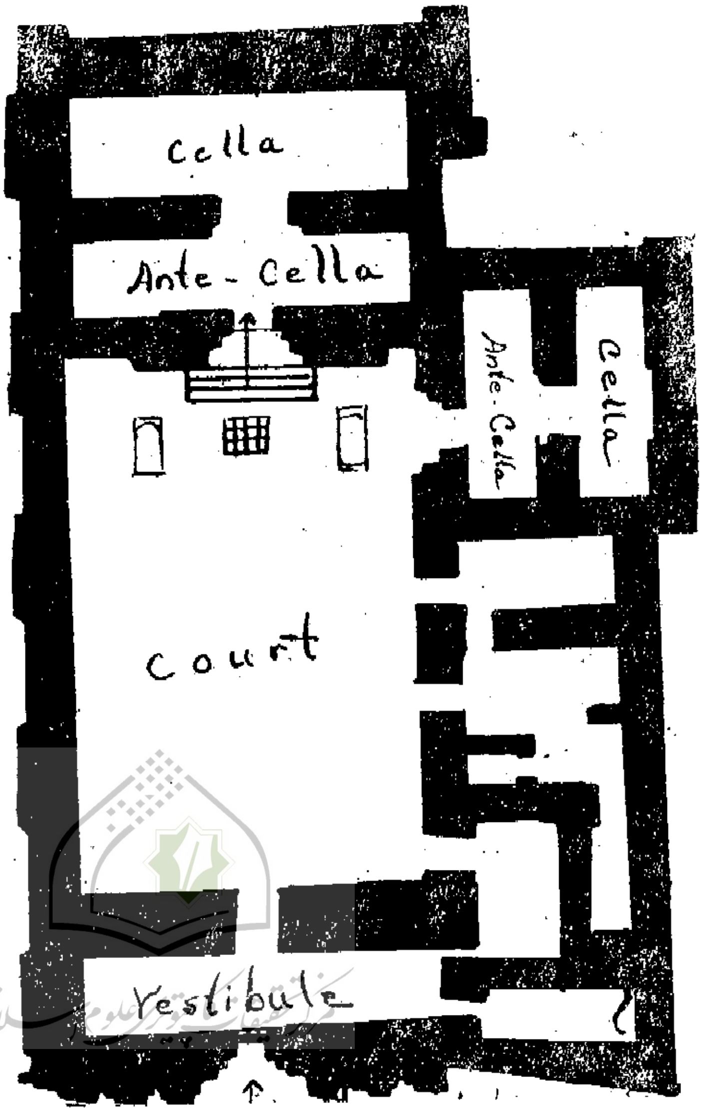


Fig. 8
Ground Temple
Tell Harmal

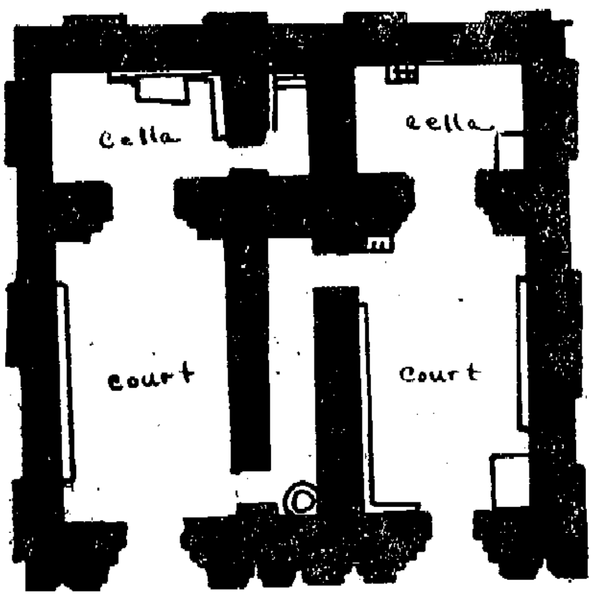


Fig. 9
Small Temples
Tell Harmal

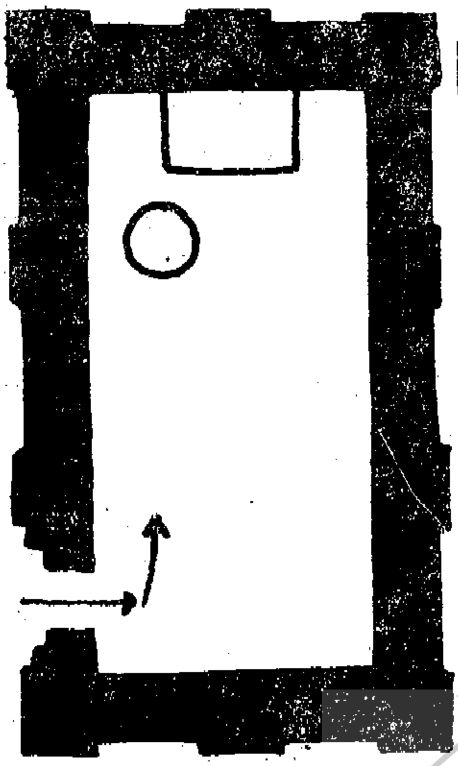


Fig. 10
Small Temple at Khafaje

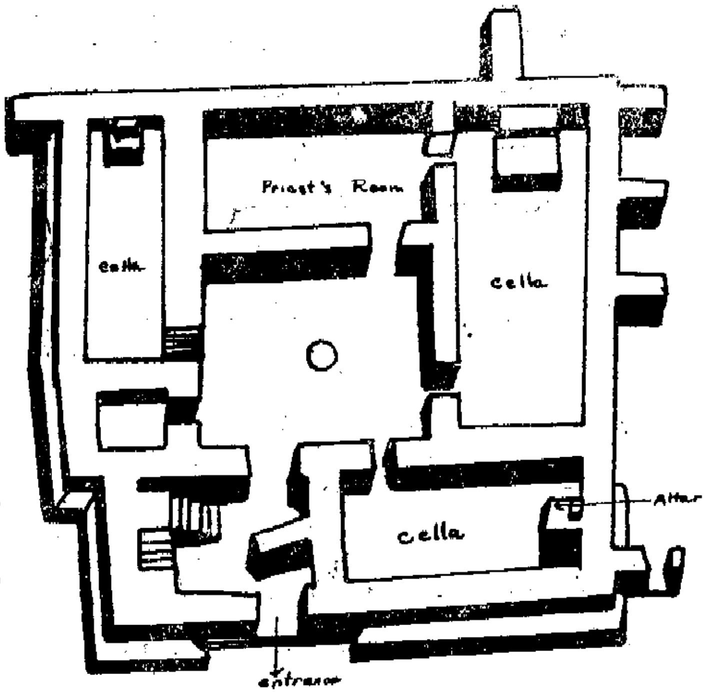


Fig. 12
Abu Temple At Tell Asmar

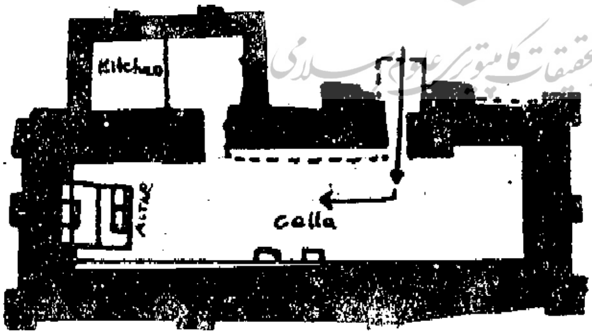


Fig. 11
Abu Temple

During the Early Dymstic period, Temple plan develops further and the Khafaje temple the VIII shows the court has become an established feature. The entrance is now monumental and flannked by two towers and approached by a stairway.

The architecture is now charaterized by a plano-convex brick, flat on one side and curved on the other. Foundations are of rough untrimmed stone blocks wherever possible such as those at Mari and Ubaid. No. use of

vaults and the arch, constructed of the curved bricks, was used over doorways.

The temple of Ishtar at Mari, from this period had an oblong shrine with a bent axis approoch. All temples mentioned maintained an irregular form due to a limited building area. When a new temple was planned in on open space, a regular squore or oval form was used. The oval is distinctive of the Early Dynastic period. Before a temple oval was laid, the whole area was cleared down to the virgin soil, sometimes 20 feet below ground level. Here the foundations were built of packed mortar to about 3½ feet in height, so that the whole ovol actually stood on a platform. Stone steps led to the gate in the outer wall which was flancked by two towers. In the forecourt, on the left was a building resembling a private house, but containing a shrine, and perhaps held offices for the temple officials. From the court a few steps led to the gate of the inner court, which was large and contained a well and basins of baked brick lined with Bitumen. Animal sancrifices were offered at an alter at the foot of the temple platfor which was about 12 feet high. Some of the rooms around the court of the oval were were workshops for artisans, bakeries, stores for tools, etc. Inside the shrine statue of the god stood in front of a niche at one end of long norrow cella which was entered through one of the long walls. In front of the statue-niche was a brick platform altar. There were large jars stand for flowers, carved stone or bronze figures held incense bowels and oil vases. On low brick benches or on the ground along the

---

(5). Andrae, op. cit. p. 16.

walls stood statues of devotees. At Tell Harmal a large temple stood in the center of a fortified enclosure. It measures 28 × 18 m., built in a southern plan, with its entrance vestibule, courtyard, ante-cella and cella arranged with communicating doors upon a single axis so that the niche in the sanctuary (cella) which probably held the statue of the god, may be seen from the entrance when all the doors are open. At temple's entrance was a flight of shallow steps of backed bricks. Projecting on each side were two small rectangular platforms of brick, and these served as pedestals for a pair of life-sized terra-co tta lions guarding the doorway of the temple. Gudea, the Ensi of Lagash, was very interesting in building temples, as his own inscriptions testify. In one statue of him he holds a drawing board on which the plan of a temple is to be traced. It seems from Gudea's inscriptions that the temples he had built were beatifully constructed and nicely decoroted and furnished. Unfortunately, however, nothing has survived of his temples. The temples found at Tell Harmal from the Old Babylonian period belong to the southern type; the largest among the group is the so called Khani-Nisaba and represents the southern type. It was rectangular, measuring 28×18m. The visitor passees the vsetibule to the court, the ante-cella and then to the cella. On the north-western side of the temple are two rooms, the first like a cella which is seperated from the court by the ante-cella.

Many temples have no ante-cella as in the Gimilsin temple at Tell Asmar which was built for the worship of of Gimilsin of Ur 111 Dynasty during his lifetime. (Fig.

13). The first room the visitor faces is the vestibule (chamber de Consierge) and the entrance is decorated by a stairway and two towers.

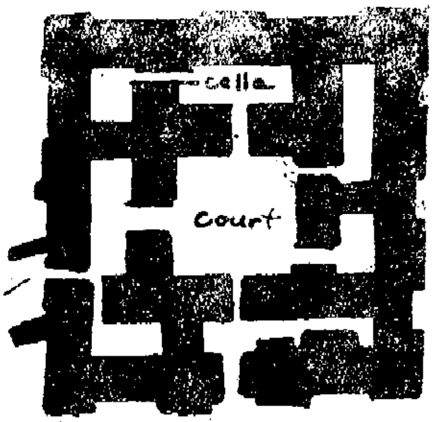


Fig. 13
Plan of Gimilsin Temple

In some temples a small room is found next to the cella which is called the vestery or sacristy, probably for storing the valuable temple furniture. Examples of these were found in Gimilsin temple at Tell Asmer and in one of tell Harmal's small temples. The Gimilsin temple is typical of the end of the third Millenium B. C. The outside is decorated by a flat buttresses. Against the temple, and adjoining it is the palace of Eshnunna rulers.

The most impressive building of King Ur-Nammu, founder of the Third Dynasty of Ur was the Ziggurat of the moon God (Sin). It stands within a court and was oriented with its corners to the points of the compass. It is oblong, as in later times and measures 190 × 130 ft. Its outer face is decorated with buttresses and layers of matting are placed in the brick work to strengthen their cohesion. From the Old Babylonian Period is also the

temple of Ishtar-Kititum at the site of Ischali, (Fig. 14). It consisted of o large courtyard surrounded by lodgings for the priests, schools, libraries for the scribes, stores, cellars, workshops, and stables This courtyard was open to all and one can imagines it crowded with priests, worshippers, merchants, sacred prostitutes and simple passers-by (not to mention the animals). Beyond this was a smaller court reserved for worshippers only and, finally, the temple proper to which nobody but the priests had free access (for this reason they were often called erib biti, meaning those who enter the temple). The temple was composed of three rooms, one behined the other : vestiblule, ante -cella, on a pedestal, stood the statue of the god which when all the doors are open, could be seen from the small courtyard

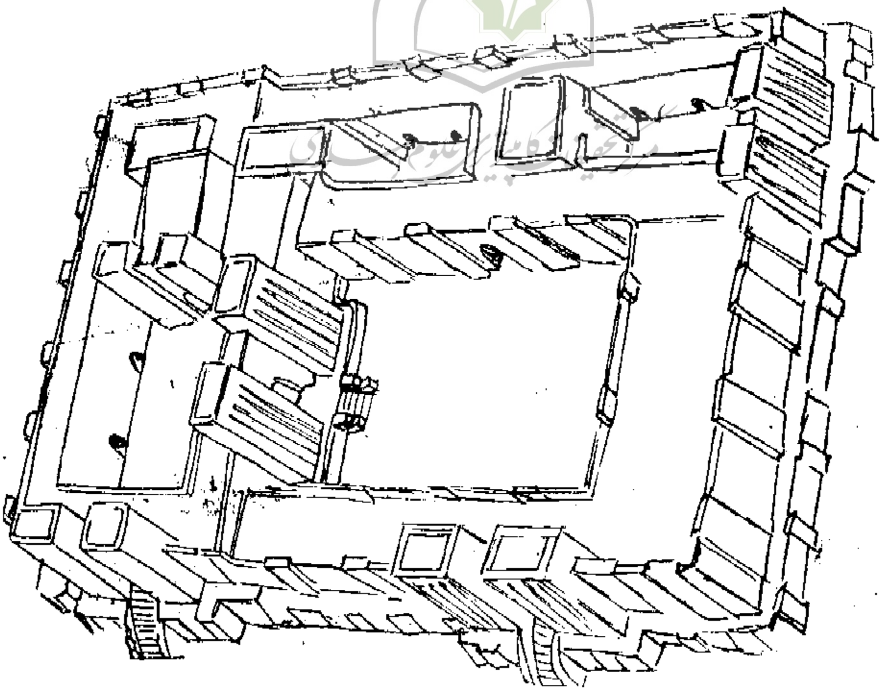


Fig. 14 temple of Ishtor-kititum at Ishchali

but not the large one as it was at right angles with the entrance. Around the cella and the ante-cella low benches

supported the statues of other gods and of worshippers, together with various ex-votoes. An altar for sacrifices, a table for the sacred meals and stands for weapons, insignia, and standards made up the rest of the temple objects.

In the palace of Zimrilim at Mari the throne room and sanctuary formed its heart. The sanctuary was public and reached throught a maze of rooms and corridors leading from the right-hand side of the throne room. It was composed of a courtyard, ante-cella, and cella. The walls of the cella were dtcorated with brightly colourtd frescoses whirh have survived and represent religious scenes-a bull brought to sucrifice, the king of Mari touching the hand of Ishtar etc. In the ante-ella, along the wall facing the door, was a low painted pedestal which once supported some divine statue, perhaps the Goddess of the flowing vase found nearby thrown on the ground. At one end of the cella a flight of steps led to a high recess, while at the other end a platform was built on which the king sat during religious ceremonies.

From the Kassite period, king Karaindash (1445-1427) B. C. left us an interesting little sanctuary, (Fig. 15) with a facade made of bricks moulded in such a way that, when put together, made up the forrs of gods in semi-relife. Probably a substitute for rocky - carving ; this ingenious technique was new in Mesopotamian architecture. In the city of Dur-Kurigalzu the staircase of the ziggurat was

---

(6). Andrae Parrot, Mari, (Paris, 1953).

unearthed together with three temples during the excavations conducted there from 1943-1945[7]. The temples were dedicated to Enlil, Ninlil and Ninurta. As in other important Mesopotamian cities, the temple complexs at Dur-Kurigalzu consists of two distinct units : the so called High temple, with its chief elements, the Ziggurat, surrounded by the temenos, the sacred enclosure. A short distance to the cast is ground temple complex.



Fig. 15 (temple of Karaindash)

The state of preservation of the ziggurat testifies to the excellence of its construction. There is a layer of reed-matting bedded in about 8 cms. of sand and gravel. Plaited

---

(7). Iraq, Suppliments, 1944, 1945 and Vol. VIII (1946), pp. 73-93.

ropes of reeds run right through the structure from side to side and act as reinforcement. Its base is approximately a square measuring 60×67.60 m., and its corners are oriented to the four points of the compass.

In the center of the south-east side traces of the staircase were found. The axial flight has flanking stairs on either side, making a triple approach like those at Ur, Babylon, and elsewhere, led to the top stage, where a small shrine had been built. In the corner between the axial stairway and the lateral flight to the left of it interesting remains were found of a small temple built against the ziggurat similar to the so-called Tief Temple at Warka. The names of the three temples found to the south-east of the ziggurat have been identified by the aid of several inscribed door-sockets. All these temples have many uniform features, all having massive libn walls (3.50 meters) thickly covered with plaster.

One of these temples bears the name E.U. GAL as inscribed on several door-sockets. From the Early Assyrian period (1350-1000 B. C.) comes the sanctuary of Ishtar at Ashur, the capital, from the time of Tukulti Ninurta,, (Figs. 16, 17). The statue of the goddess was elevated higher than in any of the previous temples and the alcove in which it stood was so large as to be almost a seperate room on an elevated plane. This plan charecterizes Assyrian temples. The height of the niche probably had something to do with the idea of the gods being elevated

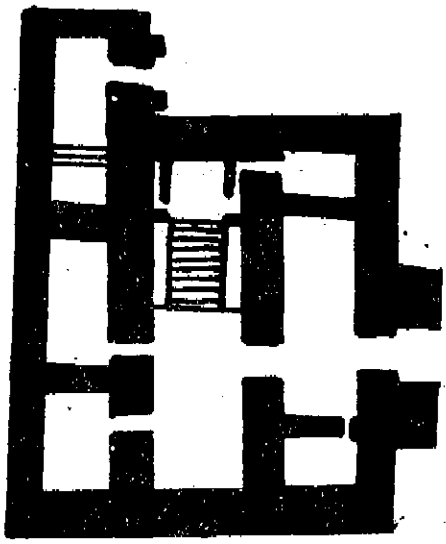


Fig. 16. (Ishtar temple of

Tukulti-Ninurta

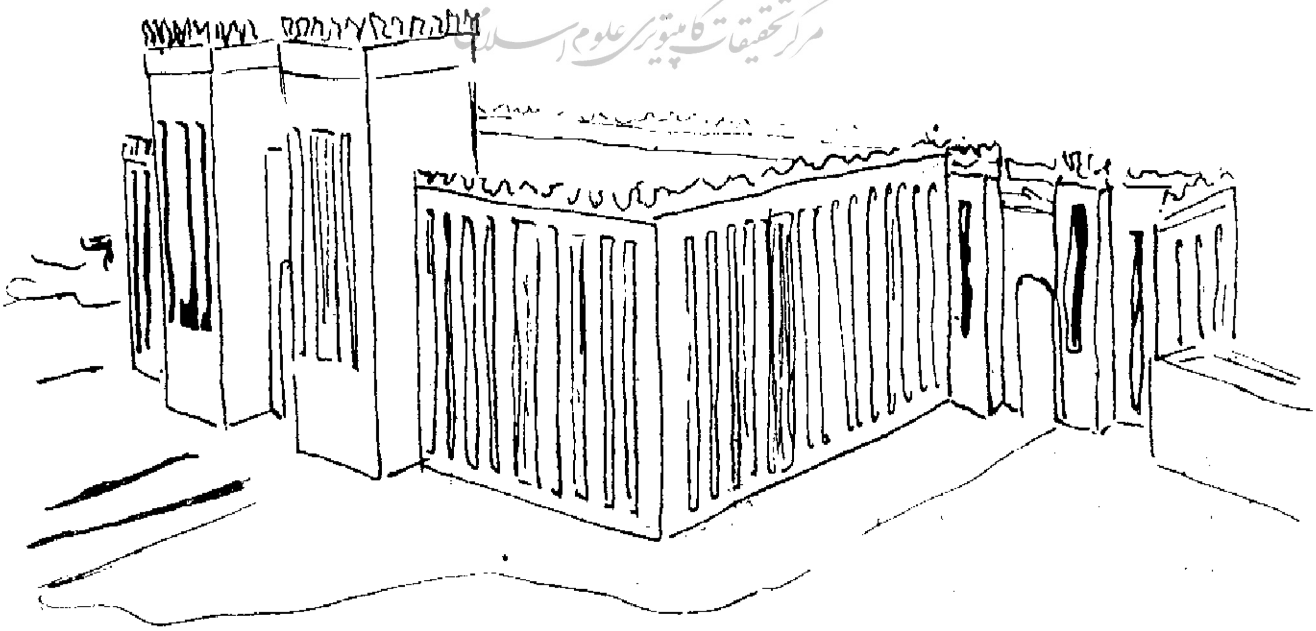


Fig. 17 (Reconstruction of Ishtar temple
of Tukulti Ninurta 1

above humans. For the same reason the Ziggurat was important. It is not really known how the Assyrians ascended their ziggurat due to poor preservotion and a lacking of remains of any kind of stairs. The temple had two entrances, one with a straight, the other with a bent axis approach. This arrangement was adopted in the north and south at about the same time. The cella and podium room lie in front of a deep chamber which is cut into the ziggurat. The base of the Ziggurat is square, approximately 90 feet at the base.

Left of the palace at Ashur is a public square which holds the temple of Anu and Adad and two ziggurats. In the same square and opposite this, is the double temple of Sin and Shamash. The Sin-Shamash and Nabu temples had no Ziggurats, the Anu Adad temple was two shrines placed between the two ziggurats. The height of these ziggurats is unknown, but seal engravings of the period show either four or five stages[8]. decorated with recesses. During this period one notices experiments with different combinations of architectural units.

In the late Assyrian perods (1000-612 B.C.). temples became a part of the palace complex. Behind these shrines of Dur-Sharrukin stood a ziggurat which was diffierent than any of south Babylon. These were built in stages, each painted a different colour-the bottom being white, second black, third red, fourth white. Perhaps this fouth stage was originally blue, as the lowest colors correspond

---

8. Anton Moortgat, Vorderasiatische Rollsiegel, (Berlin, 1940), nos. 591, 592.

to Herodotus 'account of the tower of Babylon. It is assumed that the tower was of seven stages, which would have made it of a height equal to the base (143 ft.). The ascention of this tower of Sorgon II is by a continuous ramp about 6 feet wide and edged with a crenellated parapet which winds around from the base to the top.

The temple of Nabu is placed on a terrace of height of 10 to 20 Feet. It is paved with bricks set in bitumen. The outer decoration was white-washed mud recesses and buttresses. There is a row of clay nails with glazed heads[9]. The front gate, at the end of a ramp, was flanked by towers decerated with mudbrick half-columns. Another gate led from the forecourt to an inner-gate. This gate had pedestals on each side decorated with glazed bricks.

At Ashur, Shalmanser 111 (859-824) completed the great projects which his father Ashurnasirpal 11 had already started and rebuilt the temples of Ashur and Ishtar and restored the ziggurat. In this Ziggurat he had to use about 6 million large bricks.

In the Neo-Babylonian period many large building in which southern traditions were maintained are to be found. The temple of the mother Goddess Ninmakh at Babylon is similar to those of Tell Asmar and Ishchali than to the

---

(9) W. Andrae, Colored Ceramics from Assur, (London, 1925), ch. 1.

(10) R. Koldewey, Babylon, Das wiederstehende Babylon, 1925). Die Tempel von Babylon und Borsippa, (Leipzig, 1911). Antiquaries Journal, Vol. X, plate XXV; Vol. X1, 374 ff. Ch. Watelin, Excavations at Kish, 111, (Paris, 1930).

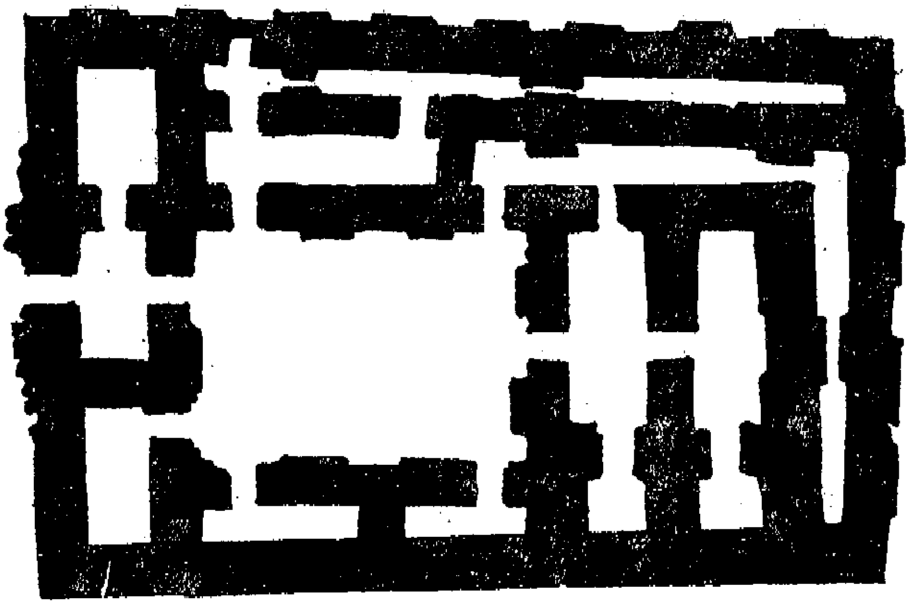


Fig. 18 (Nin-Makh temple-Babylon)

Assyrian type. The shape of the cella, antecella and low elevation for the deity bears evidence of this. The Ziggurat of Babylon (the etemenanki (the house which is the foundation of the heaven and earth) lies north of the Esagila (the the temple of Marduk). It consisted of a great enclosure wall (peribolos) which surrounded an area of 450 meters by 400, almost square. Within, the area was divided up by transversal walls, and in the middle compartment, next to the western wall of the enclosure, stood the great tower, which was ascended from the south. The tower ground plan is square, 91.55×91.55 m. in extent, consisting of baked bricks, but the inner consisted of a solid mass of libn, The ascent was by means of a central stairay, with two lateral flights branching off the central flight. Esagila is almost square, 79.3×85.8 m. long. Inside is a court 31.3× 37.6 m. long. West of this was the main cella, a sanctuary of the God Ea. Behind this cella, on the north are doors leading to two chambers, an unsual arragement. The cella

had a paved floor with a wash of asphalt.

Every tower is flanked by two towers, making a unit of three. In the middle of each side is a gateway with gigantic projecting towers.[10] Paved ramps with balastrades lead to the gateways on the north, west, and south. The east gate must have been the main entrance, for the vestibule leads directly to the court. In Baylonian inscriptions, we frequently encounter information regarding rebuilding of temples. In One of the New Babylonian Dynasty's kings says regarding Esagila, (Ëkua, the cham ber of Marduk. I made to glean like the sun. Its walls I clothed with solid (?) gold instead of clay (?) or chalk (?) with lapis and alabaster the temple area. I covered the top of Etemenanki with blue glazed burnt brick).

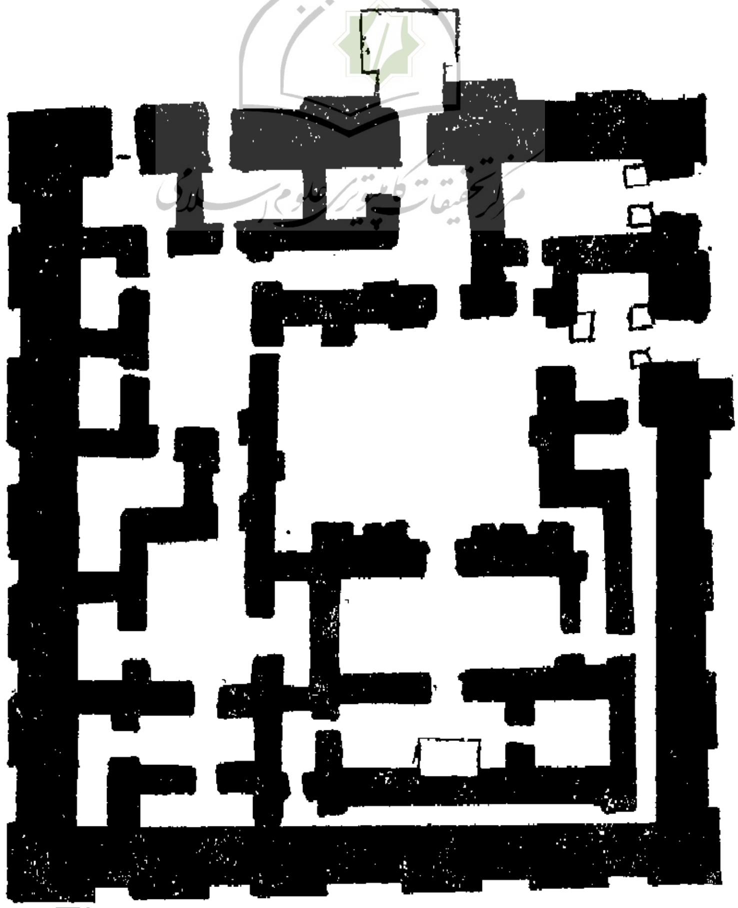
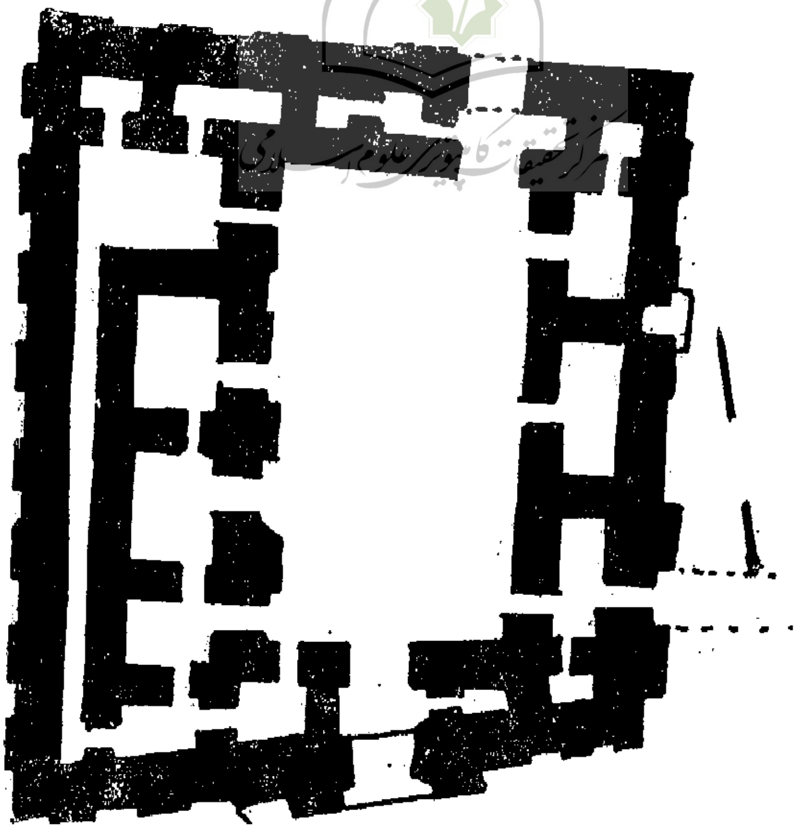
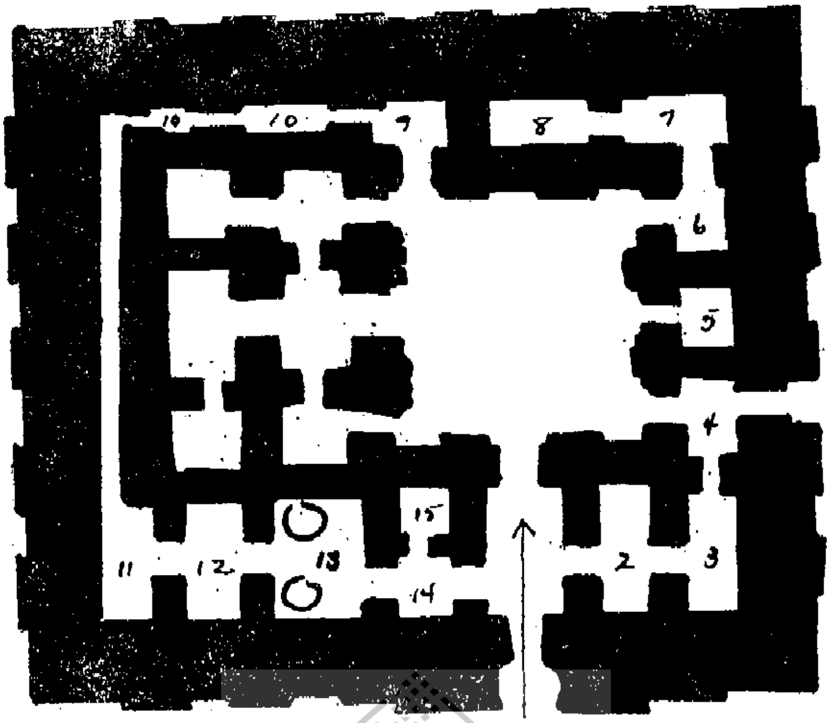


Fig. 19 (groundplan, of temple Z)

A temple from this period oppsite Omran on the east is as yet unnamed and is identified as temple "Z". (Fig. 19). It is a very regular rectangle. It has two parts, the part intended for the cult, containing the cella and a part which may have been lived in by the priests or temple administrators. Two gates led to a vestibule before the cella. A paved altar site identifies the main gate as being the northern one.

A little east of temple Z lies the temple of Ninurta (House of the sceptre of life), whose main Part was built by Nabopalassar, (Fig. 20). The ground plan is rather a rectangle, narrower at one end, having three gates, the principal one being on the east. Inside this was court leading to the main cella with towers and two side cellae.





Each cella was arranged to hold a statue. The entire flooring was made of double layer of bricks. Under the doorways of there were the foundation cylinders of Nabopalsser.

The temple of Ishtar of Agade is among the northern group of Merkes. (Fig. 21). The entrance faces the south and is flanked by grooved towers and enters to the vestibule, doors lead to side-chambers. The court is square and the entire structure forms a Block. In room 13 are two circular storage bins.[11]

In reviwing the temple architecture in this long period of its history, one notices the lack of change in the basic temple style as it is first seen in Eridu. Innovations were added, to be sure, but basically the temples remained rectangular, having the core of any number of rooms, being

an ante-cella and the cella. This lack of change could be primarily due to the psychological make-up of the people regarding the subject of religion. They were extreme conservatives and their gods and the houses of their gods were most sacred and holy. If a new temple were to be raised on the exact same spot as the previous one. The god, having been pleased with his temple as it was before, would find little difference in his new dwelling place. Apparently foreign invaders found it impossible to express any of their own architectural ideas. To trace the innovations that took place, one finds simple one-room shrines, rectangular in form, built of mud brick and having a niche at one end to hold the statue of the divinity. From this simple structure we see in the Ubaid period considerable progress in the art of building; a central room (usually rectangular nave) having a room at either end, or else being surrounded by smaller rooms. A decorative element of buttresses and recesses are added to both inner ond outer walls. Early in this period temple built on platforms which later developed into the ziggurat...

By the Proto-literate period this artificial mountain rises sometimes to a height of 40 feet - its corners are oriented to point out the four directions. Now a raised altar is added on one end of the cella, with an offering table in front of it. Later the period temples have ceased to be open and have one entrance on one of the long sides of the structure. From an isolated building it has now become a complex structure, having rooms for priests, offices of busisess and shops. Columns now come into use, chiefly at the entrance, where

two or four of them may hold up a small cantilever. Through the Early Dynastic period there is little change apparent in style. And during the Third Dynasty of Ur, temples being built around a court, the cella being a room opeing off of it at the center of one end. This may be flanked by one or two rooms and double towers decorate the entrance.

In the first Dynasty of Babylon layers of matting are sometimes used in building construction to the strengthen the cohesion of the bricks. Themple furnishing, such as statues, etc., became more lavish and there were certain embellishments on the common decoration of buttresses and recesses. The buttresses often had long narrow grooves, which caught more light. During the Kassite period, one views for the first time an actual foreign influence on temple architecture. Now bricks can be moulded in such a way, that when put together, appear as semireliefs of the gods.

In the Late Assyrian period, it was not uncommon for a temple to be connected to the palace. And during the Neo-Babylonian times, a great use is made of towers in exterior decoration. There is a certain amount of experimentation with the groupings of the interior rooms.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢١٢ لسنة ١٩٨٠

THE
ARAB HISTORIAN

A BULLETIN OF HISTORICAL RESEARCH

1980

EDITOR - IN - CHIEF
Prof. Dr. HUSSEIN AMIN

VOL. XII

Issued By
THE UNION OF ARAB HISTORIANS
BAGHDAD — IRAQ